مِـــــن الله التفضـــــلُ ، والعطـــــاءُ ... علـــى عبـــدٍ بضـــاعته الـــدعاءُ

لجـــأتُ لـــه ، فحقـــقَ أمنيـــاتي ... ولـــم تخِـــب الظنـــونُ ، ولا الرجـــاء

دعـــوتُ بحُرقـــةٍ ، وبـــذلتُ دمعـــي ... وبلـــلَ - مـــا جـــأرتُ بـــه - البكـــاء

ورب النـــاس قلـــدني المعـــالي ... وإن الله يفعـــلُ مـــا يشـــاء

ألان لـــيَ البيـــانَ ، فقلـــت: شـــعري ... تُشـــيّعه المـــودة والصـــفاء

ومـــا كنـــتُ ارتجلـــتُ طـــوال عمـــري ... ومِـــن أهـــل الخِـــداع أنـــا بـــراء

ومـــا أنجـــزت أمـــراً بارتجـــال ... وتمقتـــه الإجـــادة والـــذكاء

ومـــا أدليـــتُ - فـــي التلفيـــق - دلـــوي ... فلـــيس - لأي تلفيـــق - بقـــاء

ديوان السليمانيات

(مجموعة شعرية)

معارضاتي الشعرية لبعض الشعراء 2

نحو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

بسم الله الرحمن الرحیم

معارضاتي الشعرية لبعض الشعراء 2

(المعارضة فنٌّ من فنون الشعر العربي ضاربٌ في القِدم منذ فجر التاريخ ،
وليستْ تنمّ عن ضعف الشعراء المُعارضين كما يتوهم البعض!)

ديوان: (السليمانيات)

شعر / أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(شاعر أهل الصعيد)

جميع الحقوق محفوظة

(غادة اليمن) (معارضة لحافظ إبراهيم: غادة اليابان)

(كتب الشاعر محمد حافظ إبراهيم شاعر النيل قصيدته المشهورة (غادة اليابان). وهي قصيدة محبوكة مسبوكة. أهداها الشاعر لفتاة يابانية أعجبتْه في تلبيتها نداء وطنها الذي تحبه! وذلك برغم العز الذي كانت تعيش فيه بعيداً عن وطنها. وكانت قصيدة حافظ 18 بيتاً من بحر الرمل بدأها مثنياً على غادة اليابان المخلصة لوطنها بقوله متحدثاً بلسانها:

لا تلـــمْ كفـــي إذا الســـيفُ نبـــا صـــحّ منـــي العـــزمُ ، والـــدهرُ أبـــى

مرحبـــاً بالخطـــب يبلـــوني إذا كانـــت العليـــاءُ فيـــه الســـببا

واستمر حافظ في مدح الفتاة وسلوكِها الوطني متحدثاً على لسانها ، إلى أن ختم بقوله يحكي عنها مبيناً ما للوطن في قلب غادة اليابان من الحب:

أنـــا إن لـــم أحسِـــن الرمـــيَ ، ولـــم تســـتطع كفـــايَ تقليـــب الظبـــا

أخـــدمُ الجرحـــى ، وأقضـــي حقهـــم وأواســـي – فـــي الـــوغى – مَـــن نكِبـــا

هكـــذا (المِيكـــادُ) قـــد عَلمنـــا أن نـــرى الأوطـــان أمـــا وأبـــا

ونالت قصيدة حافظ إعجاب الكثيرين. وتحت عنوان: (معركة بورآتور الخالدة) يقول الأستاذ عبد القادر القادري ما نصه: (ظهر القرن العشرون والشرق يغط في سبات عميق ، حيث جُلّ أقطاره وقتذاك ترزح تحت نير الاستعمار الأوربي الغاشم ، فيما عدا تركيا التي كانوا يلقبونها بالرجل المريض ، واليابان التي كانت منكمشة على نفسها. وفجأة نشبت الحرب في فبراير سنة 1904م بين روسيا القيصرية واليابان ، فتعاقبت أيام تلك الحرب سراعاً ، وحل اليوم الثامن من شهر فبراير عام 1904م ، وإذا اليابانيون يضربون ضربتهم الحاسمة المباغتة. فقد هاجم الأسطول الياباني بقيادة الأميرال – هوجو – الأسطول الروسي المرابط آمناً مطمئناً في ميناء بورآتور الواقعة في شرق آسيا. وفي اليوم التالي نزلت فرقة يابانية إلى ميناء – شيلفو - عاصمة كوريا في ذلك الوقت. ولم يخطر ببال القيادة الروسية أن اليابان غيرت خططها الحربية – المعروفة للروس – بمثل هذه السرعة. ولهذا مضت القيادة العليا الروسية في تنفيذ خطط الدفاع والهجوم على نطاق واسع فكانت النتيجة أن جيوش القيصر مُنِيتْ بانحدار ساحق! فتراجعت تلوذ بالفرار عبر الأراضي الكورية ، وفي نفس الوقت كانت تدور بين الأسطول الروسي والياباني معركة بحرية هائلة ، كان لها أثر جلي في نتيجة الحرب الروسية اليابانية التي وقعت في فبراير سنة 1904م ، ذلك أنه لم تمض ثلاثة أيام على هجوم الأسطول الياباني على الأسطول الروسي المرابط بميناء بورآتور ، حتى سحقت أكثر القطع الروسية ، وما بقي منها فر والتجأ إلى جزيرة سكالين التابعة لروسيا. وبعد هذه المعركة البحرية الفاصلة في تاريخ الشعب الياباني ، استطاع هذا الشعب العظيم – بقيادة امبراطوره – في غضون سنوات قليلة ، أن ينهض نهضة سريعة ، فيصبح في مصاف الدول الراقية ، ولولا القنبلة الذرية الأمريكية التي ألقيت عليه سنة 1945م لما استطاعت أمريكا وروسيا وفرنسا وانجلترا معاً قهر اليابان. ومما هو جدير بالملاحظة ، أن روسيا السوفيتية لم تتجاسر في

الحرب العالمية الثانية على شن الحرب على اليابان ، إلا بعد إلقاء الأمريكان القنبلة الذرية على هيروشيما في سنة 1945 م ، وطلب اليابان الصلح بدون قيد ولا شرط ، حيث وجدت روسيا الفرصة سانحة إذ ذاك لتأخذ بثأرها من اليابان التي هزمتها في فبراير سنة 1904م ، ولتغسل العار الذي لحقها في معركة بورآتور ، ومع ذلك فيعتبر المعلقون الحربيون معركة بورآتور من المعارك الفاصلة في تاريخ الشعوب. وقد أشاد الشاعر حافظ إبراهيم بالشجاعة التي ظهرت بها أمة اليابان في الحرب بينها وبين روسيا سنة 1904م ، فقال فيها قصيدة له دعاها "غادة اليابان" ضمنها غرامه بغادة يابانية! حقاً إن معركة بورآتور أنهضت الشرق فهز الغرب ، ومحت خرافة أن قوة الغرب قوة لا تقهر).هـ. وتحت عنوان: (حافظ إبراهيم والقصة الشعرية) يقول الدكتور جابر قميحة ما نصه: (والقصيدة ذات هدف وطني واضح ، وقد ساقها الشاعر ـ كما قال ـ لأمته لتأخذ منها درسًا وعبرةً ، في وقت كانت أحوج ما تكون فيه للجد والعمل والكفاح ، وسواعد الشعب شيبًا وشبانًا ، فتيانًا وفتيات. و"غادة اليابان" تذكرنا بقصة "فتاة الجبل الأسود" لخليل مطران ، ولا نستبعد أن يكون "حافظ" متأثرًا فيها بمطران في الموضوع والتناول ، مع اختلاف في التفاصيل وبعض المواقف ، وإن كان مطران أبعد من حافظ خيالاً ، وأعمق فكرًا ، وأدق تصويرًا. على أن "فتاة الجبل الأسود" تمثل قصة استوفت كل عناصرها ، وخصوصًا "العقدة" التي تكونت بتصاعد المواقف وتأزمها ، وانتهت بحل طبيعي لا افتعال فيه. في حين تبقى "غادة اليابان" أقرب إلى "القصيدة القصصية" منها إلى "القصة الشعرية" وإن كانت ـ في نظرنا ـ أرقى ما نظمه حافظ من شعره القصصي.....وعودًا على بدء نقول إن "حافظ إبراهيم" قد منح العربية عطاء ضخمًا بشعره الوطني القومي ، وشعره الاجتماعي ، ووجدانياته في الرثاء بصفة خاصة ، ولا يعيبه أنْ لا ينظم "القصة الشعرية" بأبعادها وملامحها الفنية الدقيقة ، فالشاعر ـ أيًّا كانت مكانته وبراعته الشعرية ـ غير مطالب ـ ضربة لازب ـ أن ينظم في كل الأغراض الشعرية ، أو يكون كل إبداعه الشعري في الأغراض المختلفة على قدم المساواة في القوة والبراعة والإتقان).هـ. شكر الله تعالى للدكتور جابر قميحة هذا التحليل العميق الطيب المبارك! والحقيقة أنني كنتُ عام 1414هـ - 1994م حاجاً ، وتعودتُ أن أتجوّل حول الحرم بين الصلوات: أبحثُ عن صاحب من هنا أو من هناك ، أو أقارن بين ماضي مكة حيث حِراء وأحوال دار الأرقم والمستضعفين من المسلمين في مكة ، مقارناً صراع الحق والباطل ، وبين الحال اليوم. وكان معي رفيقان من أهل فلسطين (غسان وماهر) ووقفنا سوياً نتناول كأساً من الشاي المعطر بالقرنفل قد أعدته فتاة يمنية تسمى (رضوى). وهذه الفتاة لم تتجاوز السنوات العشر ، وقد أحضرتْ أنبوب غاز صغيرة وموقداً وبراداً أو غلاية شاي ودلة تحضر فيها الشاي وتصبه بعد ذلك في الأكواب لمن يشتري. وكان من نصيبي أن أسألها مجموعة من الأسئلة التي كان من بينها: لم لا يقوم أبوك بهذا الدور بدلاً من سعيك بين العامة والدهماء؟ فكانت الدموع هي الجواب! فأشفقتُ عليها ، وأخذتْني الرقة ورحتُ أبدي إعجابي بورشة العمل المتواضعة النظيفة التي اعتادت أن تعد الشاي والفطير فيها هناك في نفق الملك عبد العزيز. وأخذتُ أعاود أسئلتي ، فعلمتُ أنها تلميذة من أسرة في غاية الفقر ، فلها خمس أخوات وأربعة إخوة مات أبوهم الذي كان يعمل سائقاً لسيارة أجرة في حادث فظيع أودى بحياته وبسيارته. وكان من قدر (رضوى) أن تدرس وتعمل في آن واحد ، لتكفي حاجات هذه الأسرة المنكوبة الحزينة. وصبّرْتها بقولي: لا بأس يا بُنية فلقد عاش نبينا – صلى الله عليه وسلم – يتيماً ، فكان أسعد يتيم سعدتْ به الدنيا والخلائق أجمعين! فلا تحزني يا بُنية. ورحتُ

أزيدها في الريالات ، فأصرّتْ على أنها لن تقبل مني إلا ريالاً واحداً هو قيمة الشاي والفطيرة. فلما أن قلت لها سوف لن ترد هذه الريالات أبداً وحلفتُ لها فقبلتها! فقلت في نفسي: إن غادة اليمن أولى من غادة اليابان بملايين المرات أن تكتب فيها مئات الأبيات. وأنا وإن لم أبلغ مستوى حافظ (والحكم للتاريخ وللنقاد) فيبقى لي شرف المحاولة. فرُحتُ أسطر (غادة اليمن) ، ولكن بعد عودتي إلى دار غربتي ببعض الوقت. ولا تكاد تفارقني غادة اليمن بكدّها ونشاطها وتفانيها وإخلاصها! وصورتها نصبَ عيني بمُحياها المُشرق ووجهها السمراوي الباسم ، فلها مني التحية والتقدير! وهي أفضل بكثير من غادة اليابان! فغادتنا اليمنية مسلمة موحّدة ، وسعيها على أسرتها واجتهادها في تحصيل الرزق بما أنها كبيرة إخوتها وأخواتها يجعلني أشفق عليها في هذه السن المُبكرة! وبرغم أنني كتبتُ فيها ما يجاوز المائتين من الأبيات على البحر الخفيف ، إلا أنني أشعر أنني ما وفيتها حقها من التقدير والاحترام! سترها الله في الدنيا والآخرة ، وحفظها وأدام عليها طاعته ، ووقاها معصيته وسدّد على الخير خطاها!)

لا تـــذِقْ شِـــعري نبـــرة اللـــوّامِ ... صـــحّ ظنـــي ورؤيتـــي ومَرامـــي

غـــادة هـــذي اليُـــتمُ أضـــفى عليهـــا ... طيّبـــاتِ الأخـــلاق والإنعـــام

هـــيَ نـــورٌ – فـــوق البســـيطة - يســـعى ... فـــاق – فـــي الحُســـن الغـــضّ – بـــدرَ تمـــام

هـــيَ طهـــرٌ فـــي عـــالم يتـــردى ... ويُعـــاني مـــن قســـوة الأرحـــام

هـــيَ ثكلـــى ، أمســـتْ تُقاســـي جراحـــاً ... مـــن جفـــاء الأخـــوال والأعمـــام

هـــيَ نبـــتٌ يجنـــي الصـــراعُ عليـــه ... فنـــراهُ عُـــوداً بـــلا أكمـــام

هـــيَ إقـــدامٌ يأســـرُ اللـــب قســـراً ... فيُســـاوي الإنجـــاز بالإقـــدام

هـــيَ عِـــز يطغـــى الهـــوانُ عليـــه ... كـــم عجبـــتُ مِـــن بأســـه المُتســـامي!

وشـــموخ يُهـــدي الكرامـــة قومـــاً ... لـــم يـــذوقوا حـــلاوة الإكـــرام

وإبـــاءٌ – فـــي عِـــزه – لا يُبـــارى ... قـــد تنـــاءى فـــي قِمـــة الإعظـــام

وتحـــدٍ – للعائـــدات - تســـامى ... تلـــك ليســـت مـــن عـــالم الأيتـــام

فـــي حُلـــي النســـا تُنشّـــأ هـــذي ... لا تبـــينُ فـــي محنـــةٍ وخِصـــام!

لا يليـــق بـــأن تـــزاحِم فحـــلاً ... أو تبـــاعَ – فـــي الســـوق – بيـــعَ سُـــوام

تتهـــادى فـــي خِفـــةٍ ودلال ... بـــين صَـــقر يلهـــو بهـــا ، ورُهـــام

والعيـــونُ – علـــى الفتـــاة - سِـــهامٌ ... أهلهـــا فـــي شـــوق ونـــار أوام

إنْ عصـــتهم عَضُـــوا الأنامـــل غيظـــاً ... أو أطاعـــــت تجلببـــــتْ بسُـــــخام

والقلـــوبُ فـــي الحَـــس لا تتســـاوى ... قلـــبُ هـــذا قطـــنٌ ، وذا مـــن رُخـــام

وفـــــؤادٌ تقـــــواه زادتْ وفاضـــــتْ ... وفـــــؤادٌ كـــــم ضـــــاق بالأختـــــام!

فـــاعلموا يـــا أوبـــاشُ قِيمـــة (رضـــوى) ... قلبُهـــا - فـــي العفـــافِ - كالصمصـــام

كنـــتُ أقســـمتُ ، والمليـــكُ شـــهيدي ... وأراه مـــــن أغلـــــظِ الأقســـــام

أن (رضـــــوى) حقـــــاً حَصَـــــانُ رَزانٌ ... ولهـــــا ديّـــــانُ البرايـــــا الحـــــامي!

مـــن يُبَيّـــتْ سُـــوءاً وظلمـــاً لـــ (رضـــوى) ... فلســـــوف يُبلـــــى بمـــــوتٍ زؤام

حمَلـــتْ للمحتـــال – غـــدراً - حســـاماً ... لـــــيس قـــــط كـــــدِرّة الغنـــــام

يغســـلُ العـــارَ دون خـــوف البرايـــا ... ســـيفَ (رضـــوى) بوركـــتَ مِـــن مِجـــذام!

ويُعيـــــدُ حقـــــاً تنـــــاءى بعيـــــداً ... ويَـــــردّ – للطيبـــــين - التســـــامى

فـــي يـــدٍ ســـيفٌ ، ثـــم فـــي الـــنفس عـــزمٌ ... إن (رضـــــوى) قـــــد اقتـــــدَتْ بـــــأدام

وكـــروبٌ - مثـــل الســـيوف - استشـــاطتْ ... ثـــم راحـــتْ تجيـــدُ حصـــدَ الهـــام

إيـــه (رضـــوى) ، خففـــي اللـــومَ ، رقـــي ... لا تكـــوني خصْـــمي مـــع اللـــوّام

لمْـــتِ حتـــى تعقـــب القلـــبَ وهـــمٌ ... كيـــف أحيـــا فريســـة الأوهـــام؟

دمعُـــكِ الحـــاني فـــي فـــؤادي جهيـــرٌ ... يبعـــث الحـــزن فـــي الفـــؤاد الـــدامي

عَبـــراتٌ أمضـــى - مِـــن اللـــوم - أخـــذاً ... وصِـــماتٌ يجتـــاحُ كـــل مَـــلام

إن سُـــــؤلي لغيرتـــــي وانشـــــغالي ... كـــــم عِقـــــاب يكـــــون باســـــتفهام!

كـــم لقيـــتُ – فـــي العـــيش – مُـــرّ بـــلاءٍ ... إفـــكُ عـــاص يـــؤذي ، ورَمْيـــة رام

واغتـــرابٌ يَكـــوي الشـــموخ مريـــرٌ ... والعِـــدا مـــن خلفـــي ، ومـــن قـــدّامي

وانطـــراحٌ – فـــوق الرمـــال - وحيـــداً ... وجـــوادي أمســـى بغيـــر لِجـــام

فـــي يـــدي الأغـــلالُ تكـــبحُ عِـــزي ... وبقايـــا الأصـــفاد فـــي الأقـــدام

كيـــف أســـعى؟ بـــل كيـــف أصـــنعُ فجـــري؟ ... والقيـــودُ – خابـــتْ – تـــدقّ عِظـــامي

وشـــعوري فـــي الغـــل أمســـى أســـيراً ... كـــل يـــوم يرجـــو بُلـــوغ الســـام

وأحاسيســـي فـــي انكســـار رهيـــب ... كـــم تعـــاني تكالـــب الآثـــام!

وابتئـــاسٌ منـــه المشـــاعرُ كَلمـــى ... واكتئـــابٌ يُفنـــي العُـــرَى بسِـــهام

واصـــطبارٌ خِفـــتُ الركـــونَ إليـــهِ ... واحتمـــالٌ أهديتـــه استســـلامي

وعشـــيرٌ تكلـــفَ القـــرْبَ منـــي ... وهْـــو يهـــوى قطيعتـــي وخِصـــامي

وصـــديقٌ عنـــه الصـــداقة ولـــتْ ... قـــد يرانـــي فـــي ســـيئ الأحـــلام

ورفيـــقٌ: الخـــذلُ ثـــوبٌ عليـــهِ ... يتمطـــى فـــي حُلـــة الإجـــرام

وشـــقيقٌ رأى التجنـــي ســـبيلاً ... ســـار فيهـــا مســـيرة الأنعـــام

وقريـــبٌ أمســـى عـــدواً لـــدوداً ... ذِكـــرُهُ يُـــردي مُهجتـــي بسِـــقام

وزميـــلٌ عـــينٌ علـــيّ ، وســـيفٌ ... بـــاع ودي ، يـــا خيبـــة النمّـــام!

وحمـــيمٌ بـــاع الإخـــاءَ زهيـــداً ... لـــم يُحقـــقْ لـــو بعـــض حفـــظ ذِمـــام

إننـــي - فـــي هـــذي المتاهـــة - وحـــدي ... ومُصـــابي أبكيـــه بالمِرســـام

يَعـــرفُ الشِـــعرُ حُرقتـــي وعـــذابي ... واهتمـــامي بنســـجه وغرامـــي

وادرســـي إن شـــئتِ القـــريضَ مَليـــاً ... كـــي تـــريْ عـــن رجـــس الخطايـــا صـــيامي!

إيـــه يـــا (رضـــوى) ، كفـــاكِ عِتابـــاً ... أنـــتِ مثلـــي علـــى مـــدى الأيـــام

تمضُـــغين الأشـــجانَ دون اكتـــراثٍ ... وتـــريْن الأحـــزان خيـــرَ طعـــام

وتـــريْن الـــدنيا بقلـــب رحـــيم ... يَصـــطفِينا مِـــن شـــدة الآضـــام

وتـــريْن الأوبـــاش أطيـــبَ قـــوم ... وتـــريْن النمـــورَ بعـــضَ يَمـــام

وتـــريْن (أميمـــة) كـــ (ســـجاح)! ... وتـــريْن (الكـــذابَ) كـــ (ابـــن ســـلام)!

وتـــريْن الأمـــور تمضـــي اتفاقـــاً ... وتـــرين الأعـــرابَ كالأعجـــام

وتـــريْن الإنســـانَ بَـــراً عَطوفـــاً ... وهْـــو عـــاتٍ فـــي سَـــورة الضِـــرغام

وتـــــريْن الـــــدينارَ شـــــيئاً يَســـــيراً ... وهْـــو - عنـــد الضُـــلاّل - كالآكـــام

وتـــــريْن الخيـــــراتِ تعـــــرو قرانـــــا ... وتـــــريْن الـــــذؤبان بعـــــضَ حَمَـــــام!

وتـــــريْن الإحســـــانَ فينـــــا مُصـــــاناً ... بجهـــــودٍ للمُحســـــنين الكِـــــرام

وتـــــريْن المعـــــروف يغشـــــى النوايـــــا ... ويُلاقـــــي مَـــــن ينبـــــري ويُحـــــامي

وتـــــريْن – فـــــي النـــــاس – كـــــل جميـــــل ... وتـــــريْن تعفـــــفَ الأقـــــوام

أنـــــتِ أيـــــن؟ وأيـــــن نحـــــن؟ أجيبـــــي! ... هـــــل تـــــرين التصـــــريحَ غيـــــرَ لِـــــزام؟

أوَلســـــتِ تحيـــــين بـــــين البرايـــــا! ... بـــــين صِـــــيدٍ وآخـــــرين طغـــــام؟!

أوَلســـــتِ تـــــريْن مـــــا نحـــــن فيـــــهِ ... مِـــــن هَـــــوان مُســـــتقذر هَـــــدّام؟

أوَلســـــتِ تـــــريْن بـــــأسَ الخطايـــــا ... يعتليهـــــا – فـــــي الـــــدار – كـــــل هُمـــــام؟

أوَلســـــتِ تـــــريْن قهـــــرَ اليتـــــامى ... وتلاحِـــــي الـــــولاة والحُكّـــــام؟

أوَلســـــتِ تـــــريْن قومَـــــكِ صَـــــرعى ... عبـــــدوا جهـــــراً ظلـــــة الـــــدرهام؟

أوَلســـــتِ تـــــريْن ذل اليتـــــامى ... لا يُصـــــاغ الإذلالُ بالأرقـــــام!

أنـــــا إن ســـــطرت القصـــــيد أداوي ... كـــــل جُـــــرح أودى بكـــــل دِعـــــام

إيـــهِ يـــا (رضـــوى) قـــد ســـكنتِ ضـــميري ... ويُعـــاني الفـــؤادُ بعـــضَ ضِـــرام

إننـــــي قـــــد حييـــــتُ فيـــــكِ حيـــــاءً ... بقصـــــيدٍ مـــــا فيـــــه أيّ هُيـــــام

لـــــم أشـــــبّبْ بطفلـــــةٍ أشـــــتهيها ... لـــــم أعـــــرّضْ بوَجنـــــةٍ ، أو قـــــوام

لـــــم أغـــــازلْ صـــــبية بابتـــــذال ... لـــــم أهِـــــمْ فـــــي رضـــــابها ، والوشـــــام

بـــــل نقشـــــتُ بريشـــــتي وقريضـــــي ... مســـــتفيداً مِـــــن نفحـــــة (العـــــوّام)

وأبـــــاهي بغـــــادةٍ أعجبتْنـــــي ... مثلمـــــا قـــــد بـــــاهى (أبـــــو تمّـــــام)!

وقصـــــيدي - بالحـــــب فـــــي الله - شـــــادٍ ... لـــــم أداعـــــبْ كـــــ (عُـــــروة بـــــن حِـــــزام)!

مـــــذ رأيـــــتُ رضـــــوى وعينـــــي دمـــــوعٌ ... وضـــــميري أضـــــناه جمـــــرُ السِـــــجام

عـــــينُ جُـــــودي ، فمـــــا عـــــن الـــــدمع صـــــبرٌ ... وبكـــــاءُ العينـــــين بعـــــضُ اعتصـــــامي

وجفـــاءُ العينـــين يُـــردي ارتيـــاحي ... كيـــف تهنـــا - عـــينٌ جفـــتْ - بمَنـــام؟

كـــم لمســـتُ - فـــي الـــدمع - غنْمـــاً ويُسْـــراً! ... فاغتنمـــتُ البكـــاءَ خيـــرَ اغتنـــام

عـــينُ إمـــا نهـــرتِ – بالـــدمع - حزنـــاً ... وابتئاســـاً خـــل الـــدموع ، ونـــامي!

إن (رضـــوى) فـــي عُمْـــر بنتـــي ، وأدنـــى ... وأنـــا - فـــي ودادهـــا - متســـامي

حبُهـــا يَســـبي كـــل قلـــب رؤوفٍ ... وشـــذاها مُســـتعذبُ الأنغـــام

لـــيس عنـــدي بنـــتٌ ، وهـــذا نصـــيبي ... رغـــم بُعـــدٍ فـــي ملتقـــىً وأســـام

غـــادة (صـــنعا) تزدهـــي بحَلاهـــا ... وتراهـــا ذخـــراً مـــدى الأيـــام

غـــادة تُهـــدي الـــنفسَ حـــب الســـجايا ... ولهـــا مَجـــدٌ شـــامخ بســـنام

غـــادة تشـــتري العيـــون صـــداها ... وهْـــي تزهـــو بســـعيها المِقـــدام

غـــادة - فـــي هـــذي الجزيـــرة - حَيـــرَى ... يحتويهـــا – فـــي النـــاس – بعـــضُ زحـــام

غـــادة ليســـت تعـــرف اليـــأس دربـــاً ... وإذا نيلـــتْ كالـــتْ بحَـــدّ حُســـام

غـــادة فيهـــا مِـــن أصـــيل المَعـــالي ... مـــا يُلاحـــي ترنيمـــة النظـــام

غـــادة والأعـــوامُ تزْكِـــي حَلاهـــا ... سَـــبقتْ هـــذي ضـــفوة الأعـــوام

غـــادة فيهـــا قـــد تجلـــى غمـــوضٌ ... فيصـــلٌ بـــين اللغـــز والإعجـــام

غـــادة شِـــعري يســـتقي مِـــن سَـــناها ... عـــاطرَ الـــذكرى لخيـــر نظـــام

و(الخفيـــفُ) الفينـــانُ يُضـــفي عليهـــا ... كـــل وَقـــع مُســـتظرفٍ مِبســـام

ويَراعـــي أهـــدى التصـــاوير صـــدقاً ... باتئـــادٍ فـــي مِئـــزر الإحـــرام

طـــاف حـــول البيـــت العتيـــق شـــعوري ... وقريضـــي وافـــى بشـــهر حَـــرام

كـــان يســـعى – عنـــد الصـــفا – دون كَـــلٍ ... كـــان يتلـــو مِـــن سُـــورة (الأنعـــام)

(زمـــزمٌ) دفـــتْ عنـــدما اشـــتفّ منهـــا ... تلـــك أحلـــى طعمـــاً مِـــن الدمـــدام

وحَـــواليْ بيـــت المليـــكِ جُمـــوعٌ ... وفِئـــامٌ كـــم رحّبـــتْ بفئـــام!

وحججتُ ، والأجرُ عند إلهي ... ذي الجلال والعِز والإكرام

إيهِ (رضوى) ، أستودعُ الله (رضوى) ... فخرُ (صَنعا) و(مكةٍ) و(الشام)!

تلك فاقت - في زهدها - كل حي ... وأراها قد فاقتِ (البسّامي)!

لم تُعَوِّدْ - على التسوّل - كفاً ... لم تطِلْ في الإقدام والإحجام

حملتْ للفقر الحِرابَ ، وصالت ... ثم جالت تحِز بالصَمصام

ناضلتْ في قوم تحدّوا صِباها ... فاستماتتْ كالأسْد في الآجام

كافحتْ لمّا تغتذي بنعاس ... ليس خيرٌ يأتي به النوّام

وأبوها ألقى السلامَ عليها ... وابتلاها - صدقاً - بجيش لهام

ثم ولّى - عن الحياة - بعيداً ... مستجيباً للواحدِ العلام

تاركاً (رضوى) والأشقاءَ عُزلاً ... في سراب مُبَطن بالخيام

عِيشة لا يسعى إليها لبيبٌ ... قد تساوتْ في الدون بالإعدام

لم يذوقوا طعم النعيم بتاتاً ... ومُحالٌ أن ينعموا بمَنام

لم يُحِسّوا يوماً بعذب شراب ... لم يذوقوا حَلاوة الآدام

سَبعة جاعوا ، فالطوى يحتويهم ... ثم لاذتْ بُنية بفِطام

خلفَ الكل في شقاءٍ وبؤس ... وحياةٍ قد لطختْ بسُخام

أسرة قد شدتْ عليها خِيامٌ ... كقبور قد سُنمَتْ برجام

أرجحتْها الحياة: شرقاً وغرباً ... مَزقتها بقاطع وأزام

طحنتْها سَنابكُ العُمْر جبراً ... وخيولُ الدنيا أتتْ برُعام

رُبّ بئر قد عطلتها ظروفٌ! ... وظروفٌ شادت ذرى الآطام

ما استوى عبدٌ بالتقى يتحلى ... وغويٌ يأوي إلى النجام

صاحِ فكّرْ في ذا التناقض ، واعقلْ ... هل تساوى – قل – حنظلٌ بجُرام؟

عندما قد ساءلتُ أين أبوكِ؟ ... أفحمتْني ذي أيما إفحام!

كـــــان صـــــمتُ الفتـــــاة أبلـــــغ ردٍ ... فـــــاق حُســـــناً فرائـــــدَ (الخيّـــــام)

فأبوهـــــا قضـــــى ، وبـــــاتوا يتـــــامى ... وتهـــــاوتْ قواعـــــد الأهـــــرام

موتـــــه قـــــد خـــــط الـــــدروب لعـــــيش ... لـــــيس فيـــــه مِـــــن راحـــــةٍ ، أو نيـــــام

فاليتـــــامى والأم كـــــلٌ صَـــــريعٌ ... يـــــومَ غـــــارتْ إقبالـــــة القـــــوّام

ومصـــــــــيرُ الأولاد يطفـــــــــحُ ذلاً ... مســـــتبيناً ، مـــــا فيـــــه مـــــن إبهـــــام

والقلـــــوبُ انـــــداحتْ تلـــــوكُ أســـــاها ... وجَواهـــــا لحاجـــــة الأجســـــام

مَـــــن يُواســـــي؟ ومَـــــن يعـــــول اليتـــــامى؟ ... مَـــــن يجـــــودُ بالمـــــال والإطعـــــام؟

مَـــــن يُلِـــــمّ بـــــأمرهم ، ويُـــــوفي! ... ثـــــم - عنـــــد المـــــولى - جنـــــى الإلمـــــام؟!

أســـــرة - بـــــالله الـــــرحيم - اســـــتجارتْ ... مَـــــن يُجيـــــر الهلكـــــى ســـــوى العـــــلام؟

وأمـــــام الأم الخِيـــــارُ ، فإمـــــا ... زوجـــــة ، أو رعايـــــة الأيتـــــام!

فاســـــتقرَّتْ علـــــى الأيومـــــة حتـــــى ... لا يُعـــــاني التلويـــــعَ أيّ غـــــلام

قصـــــة تستعصـــــي علـــــى كـــــل شـــــهم ... وقصـــــيدٌ يُـــــودي بكـــــل هُمـــــام

لوحـــــة بـــــالألوان مـــــن كـــــل فـــــن ... تســـــتجيشُ الآهـــــاتِ فـــــي الرّســـــام

وألمّـــــــتْ رتوشُـــــــها بشـــــــجون ... مُترعـــــــــــــاتِ الأوزار والآلام

صـــــاحِ هـــــذي حكايـــــة اليُـــــتم شـــــجّتْ ... عـــــن قريضـــــي المُلتـــــاع كـــــل لِثـــــام

بـــــدأتْ بـــــالأحزان واليُـــــتم حتـــــى ... فاجأتنـــــا بـــــالجُرح شـــــرّ خِتـــــام

كلمـــــا اســـــتخدمتُ الخيـــــالَ تـــــأبّى ... شاخصـــــاً ، حتـــــى عـــــابني اســـــتخدامي

لا تلمنـــــي إذا رأيـــــتَ دمـــــوعي ... قـــــد علـــــتْ فـــــي السـّــــحّ غيـــــثَ غمـــــام

حبكـــــة المأســـــاة الرعيبـــــة طمّـــــتْ ... وأحالـــــتْ عـــــواطفي لحُطـــــام

إننـــــي ضـــــمّنتُ الحقيقـــــة شِـــــعري ... لـــــم أدعْ مـــــن رَوم ولا إشـــــمام

ودمجـــــتُ شِـــــعري بأنـــــات (رضـــــوى) ... واجتنيـــــتُ تفكـــــك الإدغـــــام

وجعلتُ مِن القصيدة حُكماً ... دون نقضٍ فيهِ ، ولا إبرام

شابَ حُزني ، والشِعرُ أمسى شباباً ... وكروبي قد آذنتْ بثغام

لم تزلْ أبيات القصيد جنودي ... وأراها مِن أنبل الخدّام

دمُ جُرحي أمسى مُراقاً بشِعري ... كدماءٍ في آلة الحجام

ذكرتْني (رضوى) بأختٍ تناءتْ ... إن (رضوى) كأختنا (إكرام)!

إيهِ (رضوى) تشجّعي ، واستمري ... لا عليكِ من عابدي الأزلام

مَن تعامَى عن كل حق ، وحاكى ... رغم عِلم مَرثيّة (البَلعام)

وتمادى في الغي ينشد طوقاً ... لنجاةٍ مَشبوهة الآرام

صرفتْه عن حقكِ الغِيدُ حتى ... مَرّغ المَحيا في دجى الأصنام

وقضى العُمْرَ خلف (ليلى ولبنى) ... ثم أضحى ضحية الأفلام

فنهارٌ في الجري خلف البغايا ... ومَبيتٌ في مُتعةٍ ومُدام

لم يكن مَجبوراً على فعل شيئ ... إن عذراً يُنال بالإرغام

إنما قد خط الدروبَ النصارى ... تبعوا في التضليل كل نهام

واليهودُ الأوباشُ مَدّوا شِباكاً ... فاستكانوا لإمرة الحاخام

كم شباب في عُهره قد تردى! ... لستُ أدري كثافة الأرقام

كم شباب زلاته ليس تُحصى! ... أصبحوا بالعِصيان مثل رُكام

يدّعون الإسلامَ دون التزام ... ويعيشون في رهيب فِصام

يقطعون الأميالَ شرقاً وغرباً ... مِن فيافي (ضِبا) إلى (الدمّام)!

تاركين النورَ المبين مَكيثاً ... باحثين عن تُرّهات الظلام

هاجرين الحلالَ خلف ظهور ... لاهثين وراء كل حرام

يشربون الخمور في كل مَلهى ... ويحهم مِن مستهترين ندام!

يرفعون شعار أهل المخازي ... فوقهم - في الساحات - كالأعلام

خبُثُـــوا ، واللـــؤمُ المشـــين طـــواهم! بعُـــدوا مِـــن مُســـتهترين لئـــام!

مـــا لهـــم - فـــي البيـــت العتيـــق - مُقـــامٌ بـــل لهـــم - فـــي الحانـــات - شـــر مُقـــام!

برئـــوا مِـــن كـــل صِـــمَامٍ لأمـــن مِـــن بَـــلا المَـــولى مـــا لهـــم مـــن صِـــمَام

لا يـــرون – بـــين الحَـــلاوَى - فروقـــاً فـــي مـــذاق – كـــلا – وبـــين الشـــذام!

لـــم يـــروا – خـــابوا – بـــين (عُتبـــةَ) فرقـــاً فـــي اتبـــاع للحـــق و(ابـــن حِـــزام)!

فتنـــة لا تلقـــى بهـــا مَحبـــوراً لـــيس مِـــن ثغـــر - فـــي العنـــا - بسّـــام

فتنـــة عمّـــتْ فـــي الـــديار ، وطمّـــتْ كـــم نعـــاني منهـــا عتـــيَّ اختصـــام!

لـــيس يُجـــدي تعمّـــدُ الخـــوضِ فيهـــا وأرى – قطعـــاً – لـــيس يُجـــدي التعـــامي

فتنـــة والأغـــرارُ فيهـــا وقـــودٌ سُـــفهاء الألبـــاب والأحـــلام

فتنـــة بالإنســـان تعصـــف عصـــفاً وتُريـــه الأنـــوارَ كـــالإظلام

فتنـــة لا تقـــوى الرواســـي عليهـــا بـــات فيهـــا الشـــبابُ كالأغنـــام

فتنـــة كـــم قـــد حـــار فيهـــا لبيـــبٌ! كشـــواظٍ مـــا فيـــه أي إيـــام

بـــدّدوا كـــم مـــن طاقـــةٍ ونقـــودٍ! ثـــم بـــات الآســـادُ كـــالأقزام

رقـــدوا فـــي التيـــه البغـــيض ، وضـــلوا مـــا اســـتطاعوا مـــن هبـــةٍ ، أو قِيـــام

حـــارتِ الألبـــابُ الوضـــيئة فـــيهم وكـــذا كـــم قـــد حـــار مـــن أفهـــام!

وانطلـــتْ أفكـــارُ اليهـــودِ علـــيهم وأصـــيبوا - فـــي مقتـــل - بجُـــذام

ونصـــارى الآفـــاق قـــد فتنـــوهم فأصـــيبوا - فـــي ديـــنهم - بـــانهزام

واقتفـــوْا آثـــارَ الألـــى ضـــيّعوهم أعظمـــوهم نهايـــة الإعظـــام

رضـــعوا مـــن لِبـــان هـــودٍ ، فضـــلوا ثـــم عاشـــوا وأنفهـــم فـــي الرغـــام

لـــم يكونـــوا ليعلمـــوا عـــن حـــلال ولهـــذا تقلبـــوا فـــي الحـــرام

قطعـــوا أســـبابَ النجـــاة ، فضـــاعوا وحبـــالُ التقـــوى بـــدتْ فـــي انصـــرام

لـــــم يُبـــــالوا بالمُوبقـــــات ، فزلـــــوا ... لـــــم يخـــــافوا حيّـــــات وادي (أثـــــام)!

أقحمـــــوا - فـــــي قعـــــر الـــــدنايا - خطـــــاهم ... فتـــــــدنى الشـــــــموخ بالإفحـــــــام

صَـــــدَموا فـــــي صـــــخر الخنـــــوع إبـــــاءً ... كـــــان أحـــــرى أن لـــــم يمُـــــتْ بصِـــــدام

وانطلـــــــتْ أفكـــــــارُ الكِفـــــــار علـــــــيهم ... لا تـــــرى فـــــيهم لـــــو بُعـــــيض شِـــــهام

لعبـــــوا – بـــــالنيران - حتـــــى تلاشـــــوا ... واســـــتحالوا - مـــــن صـــــحوةٍ - لحُطـــــام

فـــــي القلـــــوب – للمُهلكـــــات - أوارٌ ... والوجـــــوهُ فيهـــــا وفيـــــرُ قتـــــام

أمهلـــــوا ، لكـــــن دون عَـــــودٍ وتـــــوب ... بـــــل تمـــــادَوْا فـــــي لـــــوكِ أعتـــــى السِـــــمام

مُـــــدلهمّاتٌ تتـــــركُ القلـــــبَ رَهْـــــوا ... لـــــيس يحـــــوي انتفاضـــــة الإســـــلام

بـــــل أســـــيرٌ فـــــي التيـــــه ، لاذ بصـــــمتٍ ... ثـــــم عـــــانى مـــــن معضـــــلاتٍ ضِـــــخام

والشـــــباب تـــــاهوا ، ولـــــم يســـــتدلوا ... وتلاشَـــــوْا فـــــي المغريـــــات العِظـــــام

إيـــــه (رضـــــوى) ، فاستبشـــــري برحيـــــل ... لِغثـــــاءٍ عـــــمّ الـــــدنا ودِمـــــام

واصـــــبري ، إن العـــــيش هـــــذا كِفـــــاحٌ ... مـــــا لبـــــؤس – يـــــا طفلتـــــي – مـــــن دَوام!

ووداعـــــاً يـــــا طهـــــر كـــــل الصـــــبايا ... يـــــا نِضـــــالاً يســـــعى بكـــــل احتـــــرام

واقبلـــــي عـــــذري ، إن نكـــــأتُ جراحـــــاً ... وعليـــــكِ - مِـــــن المليـــــكِ - ســـــلامي

بعض معاني الكلمات المطروقة

مُرامي: هدفي. غادة: المرأة الجميلة. أضفي: أسبغ. البسيطة: الأرض لانبساطها. الغض: الطري. بدر تمام: كامل النور. ثكلى: من فقدتْ ولدها. اللب: العقل. المتسامي: الشامخ المرتفع. تناءى: تباعد. العائدات: المصائب. ضبحت الخيل: أسرعت الجري. الأجياد: الخيول. الآرام: الظباء الخالصة البياض غير المشوب. خصام: مواجهة الحياة والتفاعل معها. فحْلاً: رجلاً مكتمل الرجولة. بيع سُوام: عرض البضاعة. اللام: جمع لامة وهي درع المقاتل. رضوى: اسم الفتاة اليمنية التي التقيتها في نفق الملك عبد العزيز في مكة كرمها الله في رحلة الحج عام 1414هـ. الإنجاد: الإتيان إلى نجد. الإتهام: الإتيان إلى تهامة. ما اعتلاه: ما بلغه. الإيلام: الألم والمعاناة. أنكى: أقوى إيلاما ووجعا. حسام: سيف. جَواها: أنين قلبها وشدة حزنها وكربها. بنام: بنان. الصمات: الصمت. النحيب والنشيج والأنين والبث: كلها صفات تصاحب البكاء

وتواكب الحزن وتزامن الألم. يُزري: يتضاءل مقارنة بكذا. الحِمام: الموت. يودي: يذهب. الوجيب: شدة اضطراب القلب كناية عن شدة الحزن والألم. سآم: جمع سأم. الوجد: شدة الحزن. أغفى: أصابت كيانه إغفاءة. الجرسام: السم الزعاف. رُهام: هو الذي لا يصيد من الطيور. أوام: العطش. سُحام: سواد. أختام: جمع ختم والكناية هي الختم على القلوب فلا تذعن للحق. الصمصام: السيف. الأقسام: الأيمان. حَصان: محصنة. رَزان: أي رزينة حكيمة عاقلة. ديان البرايا: الله تبارك وتعالى. الحام: أي الحامي لها. دِرة الغنّام: عصا راعي الغنم. سيف مجذام: أي قاطع فيصل. ابن سلام: هو عبد الله بن سلام الصحابي. كروب: أحزان. الهام: جمع هامة وهي الرأس. عَبَرات: دموع. سؤلي: سؤالي. السام: الموت. تكالب: تزاحم. كلمى: جريحة. العُرَى: جمع عروة وهي أصل الشيء. عشير: أي عشيرة وقرابة. تكلف المودة: ادعى القرب والحب معا ، وهو في حقيقة أمره على خلاف ذلك ، فلا محبة ولا ود. حُلة: بزة. الأنعام: البهائم والعجماوات. سِقام: مرض. لدود: شديد العداء. يُردي: يفضي إلى الردى وهو الموت. مهجتي: روحي. عين: جاسوس. حفظ ذمام: رعاية الذمة. المِرسام: القلم. اكتراث: اهتمام. يصطفينا: يختارنا من بين الناس. الآضام: الأحقاد والضغائن. الأوباش: أراذل الناس وسفهاؤهم. يَمام: صغار الحمام. حدث اتفاقا: موافقة لأقدار الله تعالى ، والناس يقولون: صُدفة وهذا خطأ عقدي. الأعجام: الأعاجم من غير العرب. سَوْرة: انفعال. الضرغام: الأسد. الآكام: جمع أكمة وهي التل أو المكان المرتفع. تعرو: تملأ. الذوبان: الذئاب. مُصاناً: مَحمياً. ينبري: يتصدى. يُحامي: يدافع. لزام: واجب جد حتمي. قوم صِيد: كِرام الناس وشرفاؤهم ونجباؤهم ، جمع أصيد. عِير: حمير. طغام: أوغاد الناس وأراذلهم ووضعاؤهم. الخطايا: الذنوب. تلاح: أي منازعة وخصام واختلاف. ظلة: أي ظل. الدرهام: هو الدرهم. الأيامى: جمع أيّم وهو الرجل أو المرأة لا زوج له أو لها. دِعام: دعامة وأساس. ضِرام: نار الشوق. هُيام: هو شدة العشق والغرام. أباهي: أفاخر. عُروة بن حِزام: شاعر غزلي من بني عُذرة مات سنة 30هـ. أبو تمام: هو الشاعر العباسي المعروف حبيب بن أوس الطائي. ودادها: مودتها. متسامي: مترفع. شذاها: أي عطرها ورائحتها. أسامي: أسماء. صنعا: عاصمة اليمن. السجايا: مكارم الأخلاق. سنام: أي سنام البعير. تشري: تبيع. أميمة: هي أميمة بنت رُقيقة الصحابية الجليلة. سَجَاح: مدعية النبوة مع مسيلمة قديماً. الكذاب: هو مسيلمة مدعي النبوة قبّحه الله. الجزيرة: هي جزيرة العرب. حد حسام: حد السيف. النظام: هو من ينظم الشعر. ضفوة: وفرة الشيء. يتجلى: يظهر للعيان. اللغز: الشيء المبهم غير المعروف. الإعجام: عدم الإفصاح وعدم الإبانة. يستقي: يستلهم. الخفيف: هو البحر العروضي المعروف. مبسام: كثير التبسم. يراعي: قلمي. باتناد: بهدوء وسكينة. مئزر: هو إزار الإحرام. البيت العتيق: البيت الحرام. قريضي: شِعري. شهر حرام: هو شهر ذي الحجة. دفت: فرحت فرحا شديدا. اشتف: شرب فتضلع من ماء زمزم. الدمدام: جمع دمدامة وهي عشبة لها عرف كالجزر تؤكل ، وهي حلوة المذاق. فئام: جماعات من الناس. البسطامي: هو أبو يزيد البسطامي المولود في بسطام وهي من أعمال خراسان ، الزاهد المعروف. تحز: تطعن وتقطع بالسيف. الآجام: الجزء من الغابة تتخذه الأسود مأوى لها. تغتذي: تتذوق. النوام: جمع نائم. جيش لهام: أي عظيم الجنود والبأس. الآدام: جمع أديم وهو الطعام المأدوم. سبعة جاعوا: أعني إخوة (رضوى). الطوى: الجوع الشديد. لاذت: انفردت وفرت. السخام: السواد. أزام: جمع آزمة وهي الناب. رجام: هي الحجارة توضع على القبور تشبه الأسنمة. سنابك: أرجل الخيل. رُعام: مخاط الخيل. الآطام: جمع أطم وهو القصر

الشاهق. النجّام: المنجّم. جرام: هو التمر اليابس. فرائد الخيّام: أي رباعيات عمر الخيام. قضى: مات. نيام: النوم. الأيومة: عدم الزواج ، ومنه التأيم. الروَم والإشمام: من أحكام تجويد القرآن ، فالروَم هو حركة مختلسة مختفية تسمع ، والإشمامُ هو إذاقة الحروف ضمة أو كسرة بحيث لا تسمع قط. ثغام: بياض الشعر كناية عن الشيب. الحجّام: من يقوم بعمل الحجامة. إكرام: هي أختي من أبي (إكرام بنت علي سليمان عبد الرحيم) رحمها الله رحمة واسعة. البلعام: هو عالم بني إسرائيل الذي لم يعمل بعلمه. الآرام: العلامات المميزة. مدام: خمر. نهام: راهب النصارى. حاخام: عالم اليهود مثل الحبر. إيام: الإيام هو دخان النار. جذام: هو مرض الجذام الذي يصيب الإنسان. دِمام: هو السحاب لا ماء فيه. نكأت: أعني خمشت الجروح. الشذام: الملح. العوام: هو العوّام بن جهيل الهمداني (صحابي) ذو شِعر ، وفد على النبي – صلى الله عليه وسلم – من اليمن وأسلم ، ورجع وحطم الأصنام. أدام: هي أدام بنت الجموح أخت عمرو بن الجموح سيد الخزرج ، ذكرها ابن حجر في الإصابة. حكيم بن حزام: هو الصحابي المعروف. سجام الدمع: هو قطره وتسكابه منهمرا. رضابها: الرضاب ريق المحبوب. الوشام: جمع وشم.

فأما اليتيم فلا تقهر (معارضة للمتنبي: على قدر أهل العزم)

(إنه لا خير في قوم ولا مجتمعات يُهان فيها اليتيم. أراد ذلك المحسن الكريم والسخي الرحيم مصاحبة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في جنة النعيم ، فكفل ابن أخيه بعد موت الأخ عشرين عاماً. وظل ينفق من ماله على هذا اليتيم ابتغاء مرضاة الله ومرافقة نبيه – صلى الله عليه وسلم – إنفاقاً سخياً ، حتي قالت له أم ذلك اليتيم: جزاك الله خيراً ، ويكفي هذا ، فإن فلاناً (وسمت يتيمها) قد بلغ أشده واستوى ، وأصبح قادراً على الكسب بعد تخرجه من الجامعة واستلامه وظيفة. وأنا يكفيني معاش زوجي. فاحترت في أي العبقريتين أنشد الشعر: في المنفق المحسن الكريم الذي تخطى إنفاقه الحدود وجاوز الأوصاف! أم في عبقرية الأم العفيفة التي أعلنت في سفور وجلاء أن هذا القدر يكفي! وخشيت أن أكتب في تعففها ، فأكون قد غبنت المحسن المتصدق الجواد كافل اليتيم. وأخيراً ارتأيت أن أشيد مفتخراً بالمحسن ، فكتبت له هذه القصيدة ، مؤثراً مطلع المتنبي في مدح سيف الدولة! وعلى البحر الطويل والقافية الميمية: (على قدر أهل العزم..). قال الأستاذ الدكتور حسن عبد الغني أبو غدة تحت عنوان معاملة اليتيم ما نصه بتصرف: (حث الله تعالى على رعاية اليتيم ؛ لأنه جزء من قوة الأمة ، وعنصر من عناصر الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم. قال الله تعالى:{ويسألونك عن اليتامى ، قل إصلاح لهم خير ، وإن تخالطوهم فإخوانكم ، والله يعلم المفسد من المصلح}. وأمر سبحانه بإكرامهم ، ونهى عن قهرهم وإذلال نفوسهم ، حتى لا ينفروا ممن حولهم فيضيعوا في أنفسهم ، ويحقدوا على مجتمعهم ويعادوه. قال تعالى: {فأما اليتيم فلا تقهر}. واعتبر الذين يمنعون اليتيم من حقه أو يدفعونه احتقاراً وزجراً أو يستعلون على جانبه الضعيف تسلطاً وامتهاناً ، اعتبرهم ممن يكذب بعدل الله ويستخف بجزائه في اليوم الآخر. قال سبحانه: {أرأيت الذي يُكَذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم}. وهكذا جعل الإسلام بر اليتيم وحسن تربيته والقيام على شؤونه من معالم الإيمان الكامل ، وبوّأ فاعل ذلك مكانة عالية في جنات النعيم ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ـ أي متجاورين ـ وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى". رواه البخاري والترمذي وأبو داود. فمنزلة كافل اليتيم كمنزلة النبي صلى الله عليه وسلم في جنة عرضها السماوات والأرض. ومما شرعه الإسلام في معاملة اليتيم المسح على رأسه مؤانسة وملاطفة ، حتى يشعر بقربه من الناس وحبهم له ، لعل هذا يُخفف من بلائه ويشحذ عزيمته. أخرج الإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من مسح رأس يتيم ، لم يمسحه إلا لله ، كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنات". وروى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمسح رأس اليتيم ثلاثاً ويدعو له بالخير والبر. وأخرج ابن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم لما علم باستشهاد جعفر بن أبي طالب طلب أن يؤتى بأبنائه إليه ، فأتِيَ بهم كأنهم أفراخ ، فاحتضنهم وشمهم ، وذرفت عيناه عليهم ، ثم أمر بالحلاق فجئ به فحلق لهم رؤوسهم. إن كفالة اليتيم لا تقتصر على النواحي الغذائية فقط ، بل يتسع معناها ليشمل احتضانه وتعليمه والاهتمام بصحته وإعداده نفسياً وتربوياً لمواجهة المستقبل والأخذ بيده نحو الفضيلة ، وتقوية روحه وعقله ، وزرع الأمل في نفسه ، ومعاملته بصدق وإخلاص ، والحرص على مستقبله وسلوكه ، كما يكون حرص الأب على مستقبل أبنائه وسلوكهم. لقد حرص الإسلام على رعاية من لا آباء لهم وإكرامهم ، ولم يكتف بالوصية المجردة من أجل ضعفهم ، بل إنه فصّل وصاياه ووضّح أساليب تنفيذها ، ودعا إلى ممارستها واستحضار ثلاثة أمور هي من الأهمية بمكان بالنسبة إلى الأيتام ، وهذه الأمور هي: الرفق

العام بهم ، والمحافظة على أموالهم إن كان لهم أموال ، والإنفاق عليهم إن لم يكن لهم أموال. فأما الرفق بمن لا آباء لهم من اليتامى ، فقد شدد الإسلام على رعايتهم بالمودة والعاطفة الصادقة ، تعويضاً لهم عن بعض ما افتقدوه ، وتخفيفاً للمصيبة التي يعانونها وهم صغار لم تقو أعوادهم بعدُ على مجابهة الحياة وشدائدها ، كما منع إيذاءهم والإضرار بهم ، أو النظر إليهم نظراتٍ قاسية تنفرهم ؛ لأنهم إن تعودوا النظرات الجافية المبغضة ، وأعوادهم لا تزال غضة طرية ، تولد في نفوسهم النفور من الناس فيكبرون وقلوبهم ممتلئة حقداً على المجتمع ؛ لأنهم عاشوا فيه منبوذين ، فلا غرابة أن يتولد في أنفسهم الشذوذ والانحراف ، والجفوة والعداوة ، بدلاً من الألفة والمحبة. ومن هنا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُحسن إليه ، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يُساء إليه". رواه ابن ماجه. وفي سبيل تحقيق هذا النوع من الرفق وتنفيذه رغب الإسلام في مخالطة اليتامى ومؤاكلتهم ودمجهم في المجتمع ، ومباركتهم بالمحبة وإشعارهم بقرب الناس منهم. قال تعالى: {قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم}. أما الأمر الثاني: وهو المحافظة على أموالهم إن كان لهم أموال ورثوها أو أهديت إليهم ، فيتوجب على كافلهم العمل على تنميتها واستثمارها وزيادتها بالبيع والشراء بما يعود عليهم من الربح الحلال والمال المبارك. قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه الطبراني: "اتجروا في مال اليتيم حتى لا تأكله الصدقة"! أي حتى لا ينقص ماله بأخذ الزكاة منه عاماً بعد عام. ولقد شدد الإسلام في المحافظة على مال اليتيم لئلا يتجرأ أصحاب النفوس الضعيفة على الصغير العاجز ، الغافل القاصر. قال تعالى: {إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً}. ووعد النبي صلى الله عليه وسلم مد اليد بالسوء إلى مال اليتيم من أكبر الكبائر. فقال فيما رواه الشيخان: "اجتنبوا السبع الموبقات – أي المهلكات - قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: الشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، والسحر وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات". وأما الأمر الثالث المتعلق باليتيم فهو الإنفاق عليه إن لم يكن له مال ، فقد أوجب الإسلام نفقته على قريبه الغني ؛ لأنها من توابع صلة الرحم ، وخصوصاً إذا كان فقيراً محتاجاً. وقد اعتبر القرآن الكريم الإنفاق على اليتيم من أقرب القربات إليه سبحانه قال الله تعالى: {ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى}. وقال: {فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة}. ولم يكتف الإسلام بتلك الدعوات المستمرة إلى إنفاق المال على اليتيم وإطعامه وشراء ما يحتاج إليه ، بل نظم ذلك قضائياً وأوجب على أقربائه الأغنياء كفالته والإنفاق عليه إذا لم يكن له مورد يعيش منه ، فإذا توانى هؤلاء الأقرباء الأغنياء عن هذا الواجب الديني والاجتماعي ، أخِذ منهم بالقوة عن طريق القضاء تحقيقاً للتكافل الأسري الاجتماعي.)هـ. نشكر للأستاذ أبو غدة. هذا ويؤكد النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر أن الجنة تجب لما يقوم برعاية اليتيم وكفالته والقيام على شؤونه ، فيقول صلى الله عليه وسلم: (من ضم يتيماً بين مسلمين في طعامه وشرابه حتى يستغني عنه وجبت له الجنة). رواه أبو يعلى والطبراني وأحمد مختصراً بإسناد حسن. وصدق الله تعالى: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرّ ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل يشكو قسوة قلبه ، فقال صلى الله عليه وسلم: (أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك). رواه الطبراني ، وصححه الألباني. وإذن فعلامة خيرية المجتمع أنه لا يهين اليتيم ولا يقهره! بل يسهر على مصالحه ويكرمه ويحسن إليه! فلئن كان له أب واحد قد توفاه الله تعالى ، ففي المجتمع المسلم الصالح صار له مائة أب وأب كلهم يتسابقون في وده والإحسان إليه ابتغاء وجه الله تعالى! واحتساباً للأجر والثواب عنده سبحانه وتعالى! ولنتابع القصيدة!)

على قدر أهل الخير تأتي المكارمُ ... وتنمو إذا فاح العطاءُ البراعمُ

ويحيا سعيداً من مات عنه والدٌ ... إذا حاطه - عند المصاب - الأكارم

يُعيرونه عطف الأبوة حانياً ... وهذا العطا لا تشتريه الدراهم

هو اليُتمُ يُزجي للمساكين بأسه ... فيَلحقهم منه الردى والهزائم

فجَفِفْ بكف الجود شكوى يتيمة ... فإن السجايا تصطفيها العزائم

وكافل أيتام أراد مثوبة ... وكم رويت - بالصالحين – المَراحم!

وعشرين عاماً بالعطاء تزينت ... وبالصِّيد - بين الناس - تسمو العظائم

يريدون رضوان المليك وجنة ... ويُشفق من يحتاط ، والدمعُ ساجم

يخاف رياءً يمنع البذل أجره ... وتؤذيه - بين العالمين - المظالم

يريد اصطحاب المصطفي يوم بعثهِ ... فهذا بما في جنة الخُلد عالم

فلم يقهر الأيتام ، بل كان راحماً ... وبالرحمة المُثلى يسودُ الأوادم

هو الرفق في الدنيا يفوحُ نضارة ... وكل جميل لا محالة غانم

وأجر اليتامى - في القيامة - نافع ... وهذي وصايا الله حقاً دعائم

تحبِّذ إكرام اليتامى وحبهم ... وأناتُ أيتام الكرام قواصم

وأبئسْ بأقوام شقيٍّ يتيمُهم! ... وأموالُه - بين اللئام - غنائم

وأنعمْ بأقوام سعيدٌ يتيمُهم! ... وأموالُه - بين التقاة - كرائم

قال معاذ الله! (معارضة لأبي فراس: أراك عصي الدمع)

(إنه ليُفترض في الزوجة المؤمنة أن تتخير من الصويحبات من تحفظها في غيابها ولا تلعب بزوجها. استغلت هذه الساقطة رحيل زوجته والأولاد ، فهاتفته وألحت في أن تأتي لتعد الطعام له. ثم منت وأغرت قائلة: إذا احتجت إلى شيء فنحن في الخدمة! وطبعاً كانت اللهجة واضحة ، وكانت النبرة ذات دلالة على جدّية المتحدثة من هزلها ، وكانت المرأة إلى الهزل أقرب منها للجدية. فتعجب الرجل من الحديث وصاحبته والتوقيت. وأبى إلا أن يلقنها درساً قاسياً ، ينفعها في مستقبل الأيام فأردف قائلاً: أنا لا أحتاج اليوم شيئاً ولن أحتاج إلى شيء غداً! وشكراً لك ، ولا تكرري الاتصال مرة ثانية! ورفع بصره إلى السماء ، وتذكر من كان في موقف هو أعتى من هذا (في القصر وأمام ملكة جميلة قد غاب زوجها!) ، والآن هذه لا تزال في بيتها ، والفتنة بها لم تبدأ مقدمات أولى خطواتها. فماذا قال الأول حتى يقول مثلما قال؟ وكيف تصرف الأول حتى يتصرف مثله؟ فقال: معاذ الله! مثلما قال ابن يعقوب عليهما السلام. وصرف نفسه عنها ، كما صرف ابن يعقوب نفسه عن امرأة العزيز! فجعلت عنوان القصيدة: معاذ الله! ويبقى فارق وحيد بينه وبين يوسف خلاف كونه نبياً وابن نبي وهو أن ابن يعقوب لم يكن قد تزوج يومها بعد! يقول الأستاذ محمد أبو خليف تحت عنوان العفة ما نصه بتصرف: (العفّة تعني التنزّه عن الرّذيلة والفحشاء بين الرّجال والنساء ، واقتصار العلاقة بينهما في حدود الزواج الشّرعي الذي يحفظ حقّ الأسرة ، ويضمن سلامة وصحّة النسل. تعني العفّة حفظ النّفس عمّا يقبحها وعمّا يشينها بكرامتها ، ولذلك عّدة مجالات: فحفظها عن الوقوع في الفواحش إعفافٌ لها ، وحفظها عن سؤال النّاس إعفافٌ لها عن الوقوع في سبب المذلّة ، والكف عن المحارم وخوارم المروءة إعفاف لها. وهكذا ، قال النوويّ في شرحه على مسلم: "وأمّا العفاف فهو الكف عن المحارم وخوارم المروءة". وأنواع العفّة عن المحارم وتشمل: ضبط الفرج عن الحرام ، وكفّ اللسان عن الأعراض. العفّة عن المآثم وتشمل: الكف عن المجاهرة بالظّلم ، وزجر النّفس عن الإسرار بالخيانة! ومن ثمرات العفّة: البعد عن الخبث والفواحش. وتحقيق المروءة التي ينال بها الحمد والمجد والشّرف في الدّنيا والآخرة الّتي تقود إلى عدة ضمانات منها: - الارتقاء في سماء الفضيلة ، والبعد عن حضيض الرّذيلة ، والوقوف بالشّهوات عند الحدّ الّذي خلقت من أجله ، وفق المنظور الشرعي ، والمفهوم الأخلاقي. - حفظ الفروج عن الفواحش مما تزكو به النّفوس ، وتسلم به المجتمعات ، ويحفظ به الأمن ، وتصان به الأعراض. - الفلاح بثناء الله تعالى: "قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ" - الفوز بالجنّة والنّعيم المقيم في الآخرة " أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" - قوّة القلب ونعيمه وطيب النّفس وانشراح الصدر ؛ فصاحب العفّة مستريح النّفس مطمئن. - السلامة والنّجاة من نار السموم: ثلاثة لا ترى أعينهم النّار: عين حرست في سبيل الله ، وعين بكت من خشية الله ، وعين كفّت عن محارم الله. - وفرة العقل ونزاهة النّفس وكمالها وعزّها وقلة الهم والحزن والغم. - صون الأعراض وصيانتها عن الحرام والرّذيلة ومواضع الآثام. - تنمية روح الغيرة في النّفس والتي هي سياج منيع لحماية المجتمع من التردّي في مهاوي الرّذيلة والفاحشة. وتتحقّق العفّة بعدّة أمور ، منها: - تحقيق الإيمان الذي ينشئ مملكة الضّمير في نفس المؤمن فيستحضر الخوف والحياء وتذكّر الآخرة واستشعار عظمة الله ، ويكون باعثاً على قمع الشهوة في النّفس ودرئِها عن تجاوز الحدّ معاذ الله إنّه ربي أحسن مثواي. - تربية النّفس بالصوم ؛

فإنه ممّا يُعين على زكاة القلب ، وطهارة النّفس ، وبه تنحصر وتضيق مجاري الشيطان. - توعية الجيل المسلم بتعزيز المنافع والمصالح التي تنشئ العفّة ، والتزام أمر الله عزّ وجل في الحياة اليوميّة. - التقرب إلى الله سبحانه بالنّوافل بعد الحرص العظيم على الالتزام بالواجبات ، والوقوف الجازم عند الحدود والفرائض.)هـ.

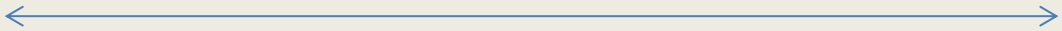

أراكِ هتكتِ الستر ، أرجحكِ الغدرُ ... فما للهُدى نهيٌ عليك ، ولا أمرُ

رأيتكِ تحتالين في حَبْكِ حيلةٍ ... عليها الهوى ثوبٌ يرصعُه الجمر

تحيّتِ ميعاداً لإشباع شهوةٍ ... وزخرفتِ أقوالاً يؤجّجها الدعر

وخنتِ التي غابت بإغراءِ زوجها ... ودارت رحى الإغواء يدفعها الغدر

وغاصت حرابُ الغي في صدر أيِّم ... فأرداكِ يا بلهاءُ في المحنة المكر

تلاعبتِ حتى قلتُ: عانت صبابة ... وباح بما عانيتِ في الكَبوة الثغر

جعلتِ طعامي سُلماً لتعففي ... مجيئكِ موتٌ ، وائْتِناسِي بكِ القبر

كفاكِ هراءً ، إنما الهزلُ مَنحرٌ ... ولفظك - في سمعي - السكاكينُ والنحر

تحللتِ من دين ومن عربيةٍ ... وما ردكِ الإحسانُ ، كلا ، ولا العُمْر

أفيقي ، فمثلي ليس سهلاً وقوعُه ... فلا يلعبنْ - يوماً - بك الطيشُ والخمر

فإن (معاذ الله) في القلب حارسٌ ... وشاهدها عندي القراباتُ والشعر

ويعرفني قومي بكل خليقةٍ ... وفيهم أنا الأخلاقُ والحَزمُ والبدر

وهذا بفضل الله ، لا فضل غيرهُ ... ولستُ الذي يُعليه بين الورى الفخر

بنِعمة ربي إنني متحدثٌ ... له الحمدُ إذ أعطى ، ومني له الشكر

أفيقي ويوماً سوف ترجع زوجتي ... لتعرف من خانت ، وزايلها الخير

لتختار فضلى ، لا تبيعُ عفافها ... وخيرٌ لها إن أجرمتْ ساقها البتر

قلمٌ يدافع عن نفسه! (معارضة لقصيدة براءة لجابر قميحة)

(يعاتب الدكتور جابر قميحة قلمه في قصيدة له عنوانها (براءة) نشرتها مجلة المجتمع الكويتية في عددها رقم 1240 في يوم 4من مارس لسنة 1997م. وعاد فنشرها في ديوانه بعد ذلك. وكم كانت سعادتي بهذه القصيدة العتابية لليراع الشعري ، حيث يقول مطلعها:-

برئـــتُ منـــكَ إذا مـــا هنـــت يـــا قلـــمُ فلـــم يُفجـــرْك فـــي ليـــل الأســـى الألـــمُ

أو إن تقاعســـت عـــن رمْـــي الألـــى غـــدروا وكـــان أرخـــصَ مـــا يشـــرونه الـــذمم

ويستمر الدكتور قميحة في معلقته العتابية حتى يصل إلى النصيحة المخلصة للقلم فيقول له:-

كـــن للحقيقـــة والإنســـان منتصـــراً ســـلاحُك الحـــقُ والإيمـــانُ والشـــممُ

كيمـــا يـــؤذن فجـــرٌ طالمـــا احترقـــتْ شـــوقاً إليـــه عيـــونٌ هـــدها الســـقم

حتـــى تكـــون جـــديراً بـــالعُلا أبـــداً فأنـــت و(النـــون) فـــي قرآننـــا قســـم

وعن عُبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (أول ما خلق الله القلم ، فقال له: اكتب ، قال: رب ، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة). وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (قيّدوا العلم بالكتاب). وفي رواية للحاكم عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (قيّدوا العلم. قلت: وما تقييده؟ قال: كتابته). وعن أبي بكر بن سليمان بن أبي حيثمة القرشي: أن رجلاً من الأنصار قرصته نملة ، فدُلَّ أن الشفاء بنت عبد الله ترقي من النملة ، فجاءها ، فسألها أن ترقيه ، فقالت: والله ما رقيت منذ أسلمت ، فذهب الأنصاري إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فأخبره بالذي قالت الشّفاء ، فدعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الشَّفاء ، فقال: اعرضي عليّ ، فعرضتها عليه ، فقال: ارقيه وعلميها حفصة كما علمتِها ـ وفي رواية ـ: كما علمتِها الكتابة). ولله در من قال: (لقد أمر النبي – صلى الله عليه وسلم ـ أن يقرأ باسم الله الخالق الكريم ، الرب المعلم بـ (القلم) ، الذي علم الإنسان ـ عن طريق القلم ما كان يجهله ، ولا يتصور له ـ قبلاً ـ أنه سيتعلمه. فالقلم كان ولا يزال أوسع أدوات التعليم أثراً في حياة الإنسان ، وهذا ما يفسر هذه الإشارة إليه ـ بل الإلحاح على ذكره ـ في أول لحظة من لحظات الوحي ، وفي أول سورة من سور القرآن العظيم. وفي القرآن الكريم سورة سميت بـ (القلم). تأكيداً على دوره البالغ ، وإصراراً على بيان قيمته ووزنه ، في كل مجالات الدين والحياة ، وفيها كانت البداءة القسم بالقلم وما يسطر القلم. قال تعالى: (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ، مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ، وَإِنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ). وفي السنة النبوية الشريفة ، نجد مثل هذا الحض على تعلم الكتابة بالقلم ، والتوجيه إلى ضرورتها).هـ. إن ديوان الدكتور قميحة: (لله وللحق ولفلسطين) ، والذي احتوى هذه القصيدة لديوان غال علينا! ومن سطوره الذهبية على غلافه يعرف به مؤلفه فيقول ما نصه: (بعيداً عن أدب السفول والسقوط والمجون والتمزق الخلقي واهتراء الضمائر. وبعيداً عن الكلمات والأماديح التي تحرق بخوراً تحت أقدام السادة من الجبابرة والقياصرة والأباطرة والفراعين

والهوامين والقوارين ، وبعيداً عن منطق الزيف والخداع والخنوع والذلة والهوان والتعامي. وبعيداً عن البهرج الغشاش والتزايد الأحمق والتزين الماسخ والانتفاش الكذوب. بعيداً عن هذا كله جاءت قصائد هذا الديوان...).هـ. والحقيقة أنني طالعتُ الديوان كاملاً واستمتعت بقصائده العذبة الجميلة! وأعجبتني قصيدة (براءة) ورحتُ أعارضها بأخرى على لسان القلم الذي هدده الدكتور قميحة بالبراءة منه إن هو حاد عن الحق فدلس أو دشن أو تعامى أو مسخ الجوخ أو أحرق البخور أو قرع الطبول! فتخيلتُ القلم يدافع عن نفسه مبيناً ثقل العبء عليه ، فلربما يجد عن الدكتور مساحة من قبول العذر وإعطاء فرصة للقلم ريثما يتغير الحال وتصير الأمور إلى الأحسن فيكتب القلم الأفضل والأليق!)

يـــا جـــابرَ الخيـــر ، إن الشـــعر يضـــطرمُ ... وفـــي الســـعير خطـــا بعيـــرُه الســـنِمُ

يســـتنهض النـــاسَ مَـــن بـــاعوا ضـــمائرهم ... وينشـــر النـــورَ حتـــى يَـــذهب الغســـم

ويُوقـــف النـــزفَ فـــي جـــرح يُعرقلنـــا ... حتـــى يحـــلّ محـــلّ الحُمـــرة الكـــتم

ويجبـــر الكســـرَ فـــي صـــف الألـــى ســـقطوا ... وبعـــدُ يُســـعدُ مَـــن مِـــن كســـرهم وجمـــوا

ويُنقـــذ الجيـــل مِـــن كيـــدٍ أحـــاط بـــه ... ورائـــدُ الشـــعر – بعـــد الشـــاعر - القلـــم

فكـــم كتبـــتُ الـــذي ترجـــون مُحـــتملاً ... لظـــى المشـــاعر ، حتـــى هـــدّني الألـــم!

وكـــم تألمـــتُ فيمـــا صِـــيغ مـــن صـــور! ... وكـــم كـــواني الأســـى والحـــزنُ والســـأم!

وكـــم ســـطرتُ طيـــوفَ الشـــعر باســـمة ... وظلهـــا – مـــن جـــوى – ترنيمتـــي وجـــم!

وكـــم نقشـــتُ علـــى القِرطـــاس أغنيتـــي ... مِـــدادها الشـــوقُ والأنغـــامُ والحِكُـــم!

وكـــم رســـمتُ لمَـــا عـــانيتمُ صـــوراً ... يَحَـــار فـــي وصـــفها ذو الهمّـــة الفهـــم!

إنـــي لأعتـــب: مـــا ذنبـــي؟ ومـــا خطئـــي؟ ... وقـــد ينـــازعُني – فـــي نبرتـــي - اللســـم

ولـــي لســـانٌ بيـــانُ الحـــق غايتـــه ... ولـــم يُغالـــبْ فمـــي سُـــقمٌ ولا ضـــجَم

يـــا (جـــابرَ) النـــور ، كـــم جـــادت قـــريحتكم ... مـــن عـــاطر الشـــعر مـــا عنـــه العُتـــاة عمُـــوا!

برئـــتَ منـــي لمـــاذا – اليـــوم – يـــا رجُـــلاً؟ ... إنـــي – علـــى العهـــد – أهمِـــي ثـــم أضـــطرم

إنـــي الرمـــاحُ لمـــن يرجـــو مواجهـــة ... وبـــي تقـــامُ العُـــرَى والـــدورُ والقِـــيَم

وبـــي يُـــرَد العِـــدا فـــي كـــل ملحمـــةٍ ... وبـــي يُـــراقُ – مـــن المســـتكبرين - دم

وبـــي تعـــز ديـــارُ السِـــلم شـــامخة ... وبـــي تُنوّرهـــا الأقمـــارُ والـــنجُم

وبـــي يَعـــمّ التقـــى أرضـــاً تتـــوق لـــه ... وبـــي يُسَـــطر شِـــعرٌ جـــدّ فيـــه فـــم

مِـــن سَـــالف الـــدهر كـــان الشـــعرُ راحلتـــي ... وبـــالقريض حـــلا الترجيـــعُ والـــنغم

وكـــم ســـطرتُ طيوفـــاً أنـــت تعلمهـــا! ... وكـــم بمـــا صـــغته تمنطـــق الـــرنم!

برئـــتَ منـــي لمـــاذا؟ إننـــي دمِـــعٌ ... أبكـــي العِتـــاب ، وقـــد غاصـــت بـــيَ الـــنقم

عينـــي تـــئن لمَـــا أبصـــرتُ مـــن كُـــرَب ... ولا يُفيـــد - علـــى مجـــدٍ مضـــى - النـــدم

أذوب حزنـــاً علـــى مـــا نـــال أمـــتكم ... مـــن بعـــدِ أن ذهبـــتْ – بـــالعِزة - الأزم

وتســـتبد بـــيَ الآهـــاتُ جامحـــة ... ورونقـــي العـــذبُ قـــد أودتْ بـــه الغمـــم

وباعـــث الوجـــد يكـــوي عِـــز تجربتـــي ... فـــلا تقـــومُ بهـــا الغايـــاتُ والـــدِعَم

وأعجـــبُ اليـــوم مـــن أوضـــاع أمـــتكم ... تلـــك التـــي ســـخرتْ – مـــن حالهـــا - الأمـــم

كيـــف اســـتكانت لمَـــا خـــط اليهـــودُ لهـــا؟ ... وكيـــف جانبهـــا شـــرعُ الهُـــدى اللقـــم؟

وكيـــف ذلـــت ، وفـــل الـــذل عزمتهـــا؟ ... وكيـــف غـــرّد – فـــي أمصـــارها – العـــدم؟

وكيـــف زالـــت – مـــن الآفـــاق – هيبتهـــا؟ ... وكيـــف قـــد أصـــبحت لاءاتِهـــا نعـــم؟!

وكيـــف شـــق العِـــدا أجـــداث ســـادتها ... ولـــم يُـــراعَ لهـــا بـــأسٌ ولا حُـــرُم؟

وكيـــف عربـــد فيهـــا كـــلُ مبتـــدعٌ ... أمســـى مـــن الصِـــيد أهـــلِ الحـــق ينـــتقم؟

وكيـــف باتـــت – لأهـــل الســـوء - منتجعـــاً ... يلهـــو الغفـــاة بهـــا ، والعِيـــرُ ، والـــنهُم؟

أمـــا الطغـــاة فقـــد شـــجوا نضـــارتها ... واســـتعمرتْ أمتـــي المســـكينة الظلـــم

مـــاذا تُعيـــد لهـــا يراعـــة غلبـــتْ ... وأزهـــق العـــيشَ فـــي أحشـــائها الضـــرم؟

وهـــل تعيـــد لهـــا الأشـــعارُ عِزتهـــا؟ ... إنـــي لألمـــحُ نـــار الشـــعر تحتـــدم

فهـــل ســـتحرقُ طاغوتـــاً يُعَبّـــدها ... لشـــرعه ، فلـــه – فـــي أهلهـــا – نظـــم؟

وهـــل ســـتقرأ تاريخـــاً لهـــا عبقـــاً؟ ... وهـــل ســـتقرأ فـــي أشـــعار مـــن نظمـــوا؟

يـــا (جـــابرَ) النصـــر ، يـــا نبـــراسَ صـــحوتنا ... ذرّ القـــريض ســـعيراً فـــوق مـــن ظلمـــوا

ورجّـــع الشـــعر فواحـــاً ، وروّ بـــه ... قلـــوبَ مَـــن لهُـــدى إســـلامنا احتكمـــوا

وداوِ بالشـــعر أمراضـــاً تُمزقنـــا ... وإنْ قـــلاك لمَـــا تُزجيـــه مَـــن ســـقِموا

وأســـعدِ الخـــاطر المحـــزون ، مُـــدّ لـــهُ ... يَـــدَ الســـرور – علـــى الآلام - تلتـــئم

وضـــمّدِ الجـــرحَ لا تعبـــأ بمـــن صـــمتوا ... فـــاز التقـــيُ ، وخـــاب المُفلـــسُ الـــوجم

هـــذي القصـــائدُ – فـــي الأهـــوال - أغنيـــة ... والشـــوقُ - مـــن بيـــنهنّ - القاصـــلُ العـــرم

أنـــت الجـــديرُ بمـــا نرجـــوه مِـــن أمـــل ... مـــن بعـــد أن خـــرّب الأشـــعارَ مـــن هُزمـــوا

مـــا زلـــت تقمـــع بالأشـــعار مَـــن خنعـــوا ... للظـــالمين ، وفـــي وهْـــج الـــوطيس حمـــوا

مازلـــت تـــرجمُ بالأشـــعار مَـــن فســـقوا ... مَـــن خطـــبُ فِتنـــتهم – فـــي دارنـــا - عَمَـــم

مِـــن الـــذين ضُـــحىً بـــاعوا ضـــمائرهم ... ثـــم اســـتراحوا ، ومِـــن بُيـــوعهم غنِمـــوا

مـــن الـــذين – بهـــذا الشـــعر – كـــم مـــدحوا؟ ... ومـــن جميـــع كـــرام النـــاس كـــم نقمـــوا!

كـــم طوّعـــوا الشـــعر كـــي يُرضـــوا ضـــراغمهم ... مِـــن الـــذين - بغيـــر الـــوحي - قـــد حكمـــوا!

كـــم شـــوّهوا فـــي الـــورى فحـــوى تـــذوقهم! ... وكـــم علـــى الشـــعر فـــي ديوانـــه هجمـــوا!

توهّمـــــوا أنمـــــا أشـــــعارُهم دُرَرٌ ... فبـــئس مـــا كتبـــوا! وبـــئس مـــا وهمـــوا!

صـــاغوا القصـــائدَ فـــي تأليـــه طاغيـــةٍ ... وللقصـــائد – فـــي التطويـــع - مُعـــتلم

والأمســـياتُ – علـــى الأشـــهاد - مُعلنـــة ... كـــأن أصـــحابها – فـــي رهـــزهم - غـــنم

تســـابق الكـــل - بالأشـــعار - باهتـــة ... عِمادُهـــا الجهـــلُ والتضـــليلُ والغشـــم

لـــم يعـــرفِ الحـــقَ مَـــن قـــالوا ومَـــن ســـمعوا ... لأن جمعهـــمُ لمَـــن طغـــى خـــدم

فـــالحق أكـــرمُ مـــن غِـــر يُدنســـه ... والحـــق أشـــرفُ مـــا تســـعى لـــه قـــدم

يختـــالُ - فـــي عـــالم الأحيـــاء - مؤتلقـــاً ... كأنـــه الوابـــلُ المستشـــرفُ الـــرذم

والحـــق أســـمى مـــن البهتـــان منزلـــة ... والحـــق عِقـــدٌ بقـــول الصـــدق ينـــتظم

وللحقيقـــة - بـــين النـــاس - حمحمـــة ... بـــالرغم يســـمعُها مَـــن داؤه الصـــمم

وللحقيقـــة ألفـــاظ يجـــود بهـــا ... حتـــى الـــذي داؤهُ – بـــين الـــورى - الـــبكم

هـــذي الحقيقـــة مـــا جـــاء الكتـــابُ بـــه ... وسُـــــنة شـــــمختْ ، كأنهـــــا العَلـــــم

واضـــيعة الشـــعر ، قـــد ســـارت جنازتـــه ... وفوقـــــه دَفـــــتِ الجُعـــــلانُ والحلـــــم!

يـــا (جـــابرَ) الشـــعر أولـــى أن تبرئنـــي ... وأن تعاقـــبَ مَـــن يطغـــى ، ويجتـــرم

لـــو كنـــتُ أملـــك أن أجتـــث بـــاطلهم ... لكنـــتُ أهـــدرتُ مـــا خطـــوا ، ومـــا نظمُـــوا

لكننـــي قلـــمٌ فـــي كـــف مُجتـــرئ ... مـــا حِيلتـــي عنـــدما تُســـتأجَر الـــذمم؟

مـــا حيلتـــي عنـــدما يبيـــع ملتـــه ... مَـــن غـــرّه فـــي الـــورى الـــدهقانُ والصـــنم؟

مـــا حيلتـــي عنـــدما يغتـــالُ همّتـــه ... عبـــدٌ بضـــاعته الأرجـــاسُ والـــرمم؟

مـــا حيلتـــي عنـــدما الأيـــدي تـــوجهني ... فأكتـــب الكفـــر شـــعراً لـــيس ينـــبهم؟

مـــا حيلتـــي عنـــدما يخـــون مرتـــزقٌ ... عهـــدي ، فيطعننـــي التســـفيهُ والـــوَغم؟

مـــا حيلتـــي عنـــدما يحتـــال منتفـــعٌ ... فيكســـب القـــوتَ سُـــحتاً ، ثـــم يلـــتهم؟

مـــا حيلتـــي عنـــدما يقتـــاتُ منحـــرفٌ ... بـــي ، ثـــم بالقصـــص الرعنـــاء يأتـــدم؟

كـــم ضـــلل النـــاسُ بـــي فـــي الكـــون أدمغـــة! ... وكـــم أبيـــدتْ - بمـــا قـــد أحـــدثوا - هِمَـــم!

لكـــنْ علـــيهم إذنْ أوزارُ مـــا كتبـــوا ... ولا تـــراهم بمـــا جَنَـــوْهُ قـــد نـــدموا

لأنهـــــم حُمُـــــرٌ تســـــعى لمأكلهـــــا ... تُعينهـــا فـــي جنـــى أعلافهـــا الـــنعم

مهـــلاً (قميحـــة) ، إن الشـــعر مركبُنـــا ... فـــي غمـــرة التيـــه ، إن طفـــتْ بنـــا القحَـــم

وأنـــت - فـــي غـــرة الأجيـــال - فارســـه ... تـــذود عنـــه ، وبـــالرحمن تعتصـــم

وتُلقِـــمُ البُلـــةَ أحجـــاراً تُجمّعهـــا ... كـــيلا نـــرى النـــاسَ – للطـــاغوت - تحـــتكم

إمـــا تكـــنْ حيلـــة فـــ (الجبـــرُ) يُقـــنعهم ... وإن تعـــامَوْا هنـــاك الشـــعر والأكَـــم!

يـــا (جـــابر) البـــر لا تبـــرأ ، فـــداك دمـــي ... متـــى تشـــككتِ الرئبالـــة القِمـــم؟

إن كنـــتَ فـــي مصـــر فلتســـعدْ حواضـــرُها ... أو كنـــتَ فـــي مكـــةٍ ، حـــدا بـــك الحَـــرَم!

ودونـــك الشـــعر ، فاكتـــبْ وارو مُشـــترعاً ... بشـــرعة الحـــق ، نعـــم المـــنهجُ الـــتمم!

فاشـــحذ يراعـــك ، وافضـــحْ هجمـــة بزغـــتْ ... يقودُهـــــا العِيـــــرُ والفرعـــــونُ والعِمـــــم

تمكّنـــوا مـــن عقـــول النـــاس ، واختلقـــوا ... لهـــم ســـــبيلاً عليـــه الكـــلُ يختصـــم

فبـــيّنِ الحـــق ، وارجـــمْ زيـــفَ مـــن سَـــفلوا ... فـــإنهم - فـــي عيـــون النـــاس - قـــد عظمـــوا

هـــــمُ الأراذل ، لا تقـــــوى ولا رَشَـــــدٌ ... هـــــمُ الأشـــــحّة ، لا جـــــودٌ ولا كـــــرم

هـــمُ الجهالـــــة فـــــي أســـــمى معالمهـــــا ... ولـــيس - فـــي جـــيلهم - سِـــيما ولا شِـــيَم

هـــمُ الأصـــاغرُ ، وجـــه الأرض يَحقـــرهم ... ولا تـــــرى أشِـــــراً بـــــالحق يلتـــــزم

وأنـــت يـــا (جـــابرَ) التوحيـــد قـــدوتنا ... ونحـــــن خلفـــــك بالأشـــــعار نقـــــتحم

نخـــوض معمعـــــة الأشـــــعار ، نوقـــدُها ... ألا تـــرى الشـــعرَ – فـــوق البـــذل - يبتســـم

وكـــل شـــعر إذا لـــم تـــروهِ مُهَـــجٌ ... مِـــن اليقـــين رأيـــتَ الشـــعرَ ينهـــزم

لا يكتـــبُ الشـــعرَ إلا مَـــن يـــئنّ لـــه ... ومَـــــن تُعذبُـــــه القصـــــائدُ العُصُـــــم

ومـــن يُشـــخصُ مـــا يلقـــاه مِـــن مِحـــن ... ومِـــن نعـــيم ، فـــإن العـــيش ذا قِسَـــم

شـــتان بـــين قـــريض صَـــاغه ألـــمٌ ... والشـــعر يُكتـــبُ لـــم يبعـــثْ بـــه الألـــم!

كفى تبرجاً وقبحاً! (معارضة لرشيد سليم الخوري)

(أهدي هذه القصيدة لكل متبرجة زيّن لها الشيطان عملها السيئ فرأته حسناً ، وصدها عن السبيل ، وصرفها عن الشريعة الغراء ، فراحتْ ترى في العُرْي العجماوي البهيمي السافر لذة ومتعة ورقياً وحضارة. والإسلام هو الحضارة ، وأي شيء يُخالف هدي الإسلام فإنه لا يمت للحضارة بصِلة! وأعتب: ما هي العلاقة بين التقدّم والحضارة والرقي في جانب ولباس النساء في الجانب الآخر؟ أوَكلما ازداد الناس تقدماً ازدادت نساؤهم عُرياً وتبرجاً وقبحاً؟ إن التبرج والسفور والعُري من فطرة البهائم ، وليس من فطرة الإنسان! وكفى بكل متبرجةٍ خيبة وندامة أنها قدوة في السوء والشر والإفساد في الأرض بغير الحق! والحقيقة أن التهتك والإباحية لو كان فيهما من خير لنفعتْ أربابها في بلاد الغرب المُنحلّ الإباحيّ المتهتك. بل على العكس تماماً: وجدنا ثمرة الإباحية انفتاح الباب على مصراعيه لسُعار الشهوات وجحيم الغرائز وخضم المُجون وهاوية السفول! فهل من عودةٍ جادةٍ إلى الحق قبل فوات الأوان؟ وهل من توبة قبل الغرغرة؟ وهل من أوبة قبل عض أصابع الندم ، ولات ساعة مندم؟! عسى الله أن يكون ذلك قريباً! المهم أنني أسطر هذا العتاب الشعري لا أريد من ورائه إلا الهداية لنفسي ومن تقرأ من المتبرجات والمتهتكات! يقول محمد المنجّد في محاضرته: (غض البصر) ما نصه بتصرف: (وماذا جنى الغربيون بالتبرج والعري؟ ما حصل عندهم إلا السعار المجنون الذي لا يرتوي ولا يهدأ وإنما يعود إلى الظمأ والاندفاع ، وعندهم الأمراض النفسية والبدنية من البرود وغيرها ، وأنواع العقد والشذوذ الجنسي ، والتلهف على الجنس الآخر ، وشيوع الاغتصاب بالرغم من كافة أنواع الحريات المطلقة في تلك المجتمعات ؛ مما يدل دلالة على أن الله حكيم خبير وأنه لما شرع غض البصر ، وأمر بالحجاب ، ونهى عن الخلوة وسائر الاحتياطات والاحترازات ، إنما هو لمصلحة الناس أجمعين. إن الإسلام يهمه أن يمنع المنكر من جميع جهاته ، فليست القضية في غض البصر فقط ، وإنما أيضاً في تغطية العورة! ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان) يعني: زيّنها في أعين الناظرين ، ولذلك كانت عورة كلها من أعلى شيء في رأسها إلى أخمص قدميها. المرأة عورة بنص حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا احتجبت المرأة وراء الثياب أو الجدران فإلى أي شيء ينظر الناس ، ولو كان عند بعضهم رغبة في النظر. إذاً: فهذه احترازات عظيمة من الشارع سبحانه وتعالى ، وحتى الرجال لهم عورة يجب عليهم تغطيتها ، وكذلك قال صلى الله عليه وسلم: (لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة) ، مما يدل على أن لكل من الجنسين أمام بني جنسه عورة لا يجوز النظر إليها. وكذلك أمر بالزواج ، ورغب في الصيام لمن لم يستطعه! وحتى المتزوج له إجراء إذا وقع على شيء مما يثير الشهوة في نفسه ، ولذلك (كان صلى الله عليه وسلم جالساً في أصحابه فدخل ثم خرج وقد اغتسل ، فقلنا: يا رسول الله قد كان شيء؟ قال: أجل مرت بي فلانة فوقع في قلبي شهوة النساء فأتيت بعض أزواجي فكذلك تفعلون فإن من أماكن أعمالكم إتيان الحلال). وللحديث شاهد من حديث أبي الزهير عن جابر (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأة فأتى زينب - وهي تمعس منيئة - يعني: تدبغ أديماً أو جلداً فقضى حاجته - وقال: إن المرأة تُقبل في صورة شيطان وتُدبر في صورة شيطان ، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه). ونظره صلى الله عليه وسلم لم يكن عمداً إلى حرام أبداً وإنما حصل فجأة ، ثم إنه صلى الله عليه وسلم أنزه من أن تثور في نفسه شهوة لأمر محرم ، وإنما فعل ذلك لكمال إعفاف نفسه وتعليم الأمة ماذا يفعل أحدهم إذا وقع

بصره فجأة على امرأة فأعجبته ، أو رأى منظراً فجأة فثارت في نفسه الشهوة، فَعَلَّم الأمة).هـ. وسوف أضرب الذكر صفحاً عن السبب المباشر لتأليف هذه القصيدة مادام يتعلق بمُدرّسة صاحبة فضل عليّ من قريب أو من بعيد! ذلك أنني كنت في زيارة إلى القبور ، ووجدتُ قبرها عليه اسمها من بين القبور! وكنت قد طالعتُ مَطلعاً للشاعر بشارة الخوري في مجلة عربية أعجبني فجعلته مطلعاً لي مع فارق في بعض الكلمات بما يحافظ على المعنى! حيث كان المطلع يقول: (أفوق الركبتين تشمّرينا؟! بربك أي نهر تعبرينا؟!) ويحسن بنا أن نذكر النص كاملاً!

أفوق الركبتين تشمرينا *** بربّك أي نهر تعبرينا

جعلتُ ملابسي صوفاً طوالاً *** أخاف البرد يجعلني طعينا

وأنتِ هنيئة في شِبه عُري *** بجو باردٍ لا تشعرينا

وما الخلخال حين الساق صارت *** تُطوّقها عيون الناظرينا

عيون المعجبين لديك جمر *** ستشعل إن أردت هوى دفينا

فتاة الجيل مثلك لا يجاري *** سفيهات يبعنَ تقى ودينا

فبالتقصير طالتنا الأعادي *** وباللذات ضيّعنا العرينا

أبنت خديجة صوني حياءً *** كأمك تُنجبي جيلاً رزينا

خذيها قدوة ننهضْ جميعاً *** وتبق ديارُنا حِصناً حَصينا

ملاكَ حضارة الدنيا أفيقي *** بإخلاص يُزكّي العالمينا

ودين يُكسِبُ الإنسانَ نبلاً *** فيأبى أن يَضل وأن يهونا

ولا يشغلك قشرٌ عن لباب *** ولا تُضلك (صُوفياهم ولينا)

وهذا أذكره من باب الأمانة العلمية لئلا يُقال: سرقنا قصيدة الخوري! ونشيد بغيرة الرجل وشاعريته وتمكنه من الشعر ولا شك! وكنتُ قد ترددتُ كثيراً في وضع هذه القصيدة بين قصائد ديواني: (السليمانيات) حيث إنها إحدى قصائده! وكان ترددي نابعاً من احترامي للمعلمة التي كانت تدرسنا (التربية الفنية) والتي كانت متبرجة ، ثم بدلت وغيرتْ من حالها وأمرها ، ولبست السابغ من الثياب ، ورُزقتْ قبل موتها توبة! فكيف بي أعرّض بجنابها وقد تابت؟! لا يفعل هذا الشاعر المحترم! إنما يفعله الشاعر الوبش الحقير الذي يحب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا! ولكنني لم أشأ كذلك أن أحرم عشاق الأدب العربي المعاصر من هذه النفحة في ذم التبرج! وخاصة أن كثيراً من الناس يستشهدون بأبيات الخوري وهي قصيرة ، فأردتُ التفصيل أكثر ، وله السبقُ والفضل ، ولي شرف المحاولة! ولا شك أن الخوري قد اختصر المدى ، وأشهد بالله تعالى أن أبيات الرجل معجزة المعنى قليلة المبنى ، وهذا من بلاغة الشعر العربي

الأصيل! لقد انتفع بأبياته كثيرون غيري! وجعل الله لها قبولاً عجيباً ، حتى أنها لتردد في وطننا العربي من المحيط إلى المحيط! ويستشهد بها كثيراً على المنابر وفي الكتب ، وتكاد تملأ وسائل التواصل بصورةٍ كبيرةٍ جداً! فعجيبٌ أمرُك يا خوري! ماذا وضعت فيها لتجعلها بين أيدي الناس وفي أذهانهم وفي قلوبهم وعلى ألسنتهم ، بهذا الكم العجيب والمقدار الغريب! وعسى الله تعالى ألا يخرج علينا جاهل بالعروض والقافية ومتنطع يريد الإدانة للآخرين بغير حق ومتحذلق يريد الوصول على أكتاف الآخرين يقول: (هذه القصيدة معيبة بسناد الردف والتأسيس)! الأمر الذي أجازوه العروضيون الغابرون والعروضيون الحاضرون! فليس كل أنواع السناد مرفوضة! اقرأ وتدبر وتعلم أولاً! وهذا النوع المسموح به فعله قبلي كثيرون ومن المعاصرين: (حافظ إبراهيم شاعر النيل في عُمريته) وأين مثلي من صعاليك الشعراء ومبتدئيهم عندما يُقارن نفسه بحافظ الجهبذ العملاق؟؟! وإذن فإن جازت لحافظ فأنا بها أولى!)

لِحَـــــدّ الـــــركبتين تشـــــمّرينا؟! أســـــائلُ - أي بحـــــر - تعبُرينـــــا؟!

وأي رقيعـــــةٍ ضـــــحكتْ عليـــــكِ فصـــــرتِ تقلـــــدين الســـــاقطينا؟!

أفـــــي المكيـــــاج خيـــــرٌ للصـــــبايا؟ ألســـــتِ بقـــــبح وجهـــــكِ تُبصـــــرينا؟

وهـــــل نمـــــصُ الحواجـــــب فيـــــه زيـــــنٌ؟ ألســـــتِ - بشـــــين فِعلـــــكِ - تشـــــعرينا؟

وهـــــل ضِـــــيقُ الثيـــــاب بشـــــيرُ خيـــــر؟ ألســـــتِ بضـــــيق ثوبـــــكِ تضْـــــجَرينا؟

وهـــــل ســـــاقاكِ قـــــد هانـــــا عليـــــكِ فبـــــات العُـــــرْي طبعـــــاً مُســـــتبينا؟

وهـــــل وشـــــمُ الخـــــدود تـــــرين حُسْـــــنا؟ رأيـــــتُ الوشـــــم تشـــــويهاً لعينـــــا!

وهـــــل صـــــبغ الرمـــــوش لمُشـــــتهيهِ يروقـــــكِ؟ أي ديـــــن تـــــدّعينا؟

وهـــــل نـــــزعُ العبـــــاءة مِـــــن هُـــــدانا؟ أم أن العُـــــرْيَ سَـــــمْتُ الكافرينـــــا؟

وهـــــل ترصـــــيعُ ثوبـــــك بـــــاللآلي يَزينـــــكِ؟ أي زيـــــن تزعمينـــــا؟

وهـــــل حُسْـــــنٌ يجيـــــئ بوصـــــل شـــــعر؟ فـــــإن الوصـــــل هـــــديُ الفاســـــقينا!

وهـــــل تفلـــــيجُ سِـــــنكِ قـــــد أتانـــــا بـــــه القـــــرآنُ؟ فاســـــتهدي الأمينـــــا!

وهـــــل وَشْـــــرُ القواطـــــع قـــــد أتتـــــه قـــــديماً أمهـــــاتُ المؤمنينـــــا؟

وهـــــل ترجيـــــلُ شـــــعركِ للضـــــحايا يزيـــــد الحســـــنَ؟ أم يُـــــردي المئينـــــا؟

وهـــــل تلـــــوينُ خـــــدّكِ للبرايـــــا جميـــــلٌ؟ أم يُجرّعُنـــــا المُجونـــــا؟

وهـــــل كعـــــبُ الحـــــذاء يكـــــون شـــــبراً؟ رويـــــدك ، حـــــاولي أن تصْـــــدُقينا!

وكيـــــف يُشَـــــق فســـــتانٌ قصـــــيرٌ ... ليُظهـــــرَ عَـــــورة للمعجبينـــــا؟

وكيـــــف يَشِـــــفّ ثوبـــــكِ عـــــن قـــــوام؟ ... أراكِ جريئـــــــــة ، لا تســـــــــتحينا

وكيـــــف تـــــدوس سُـــــمعتكِ الرزايـــــا ... وأنـــــت - بمـــــوت قلبـــــكِ - تفرحينـــــا؟

وكيـــــف تلـــــوك طلعتـــــكِ الخطايـــــا ... ويصـــــعقُ دُعـــــرُ منظـــــركِ الجبينـــــا؟

ألـــــيس يَقـــــضّ مضـــــجعكِ التعـــــرّي؟ ... تعـــــري البنـــــت نهـــــجُ المجرمينـــــا!

ألا تخشـــــين مـــــا تُخفـــــي الليـــــالي ... وأقـــــدارُ المهـــــيمن تحتوينـــــا؟

عيـــــونُ التـــــافهين عليـــــكِ نـــــارٌ ... جواهـــــا يبعـــــث الحـــــب الـــــدفينا

فتنـــــتِ النـــــاس - عمـــــداً - بالتـــــدني ... فمـــــا اتبعـــــوا - وقـــــد نظـــــروكِ - دِينـــــا

فحينـــــاً كنـــــتِ فتنـــــة مَـــــن تمطـــــى ... وكنـــــتِ شِـــــراك مَـــــن يقلـــــوكِ حينـــــا

نشـــــرتِ القـــــبحَ بـــــين النـــــاس جهـــــراً ... فبـــــاؤوا – بالـــــدغاول - أجمعينـــــا

هـــــيَ الأزيـــــاءُ تمحـــــقُ كـــــل طهـــــر ... وتهـــــدمُ – رغـــــم قوّتـــــه - العرينـــــا

هـــــيَ المُوضـــــاتُ تـــــدحرُ كـــــل عِـــــز ... وتســـــعِدُ – فـــــي الـــــدنا - المتســـــكّعينا

ألا إن الكـــــــــوارث داهمتنـــــــــا ... وبـــــات العـــــيشُ منتكســـــاً دَجينـــــا

تمرّقـــــــتِ المبـــــــادئُ والســـــــجايا ... وصِـــــرنا – عـــــن هُـــــدانا - تائهينـــــا

وأودى بـــــالعُرَى تضـــــليلُ قـــــوْمي ... وأغـــــرق مـــــوجُ وطأتـــــه الســـــفينا

وأعـــــداءُ الحنيفـــــة مزقونـــــا ... وبتنـــــا فـــــي عِـــــداد الضـــــائعينا

لفظنـــــا الـــــوحي ، لـــــم نعمـــــل بحـــــق ... وللفجّـــــار أعلنّـــــا الركونـــــا

تبرّجـــــتِ النســـــاءُ فمـــــا غضـــــبنا ... وطالـــــتْ هـــــذه الفوضـــــى ســـــنينا

فـــــأعلنّ التهتـــــكَ والتـــــردي! ... وكـــــم حـــــاربْن سُـــــوْدَنا الرصـــــينا!

أبـــــيْنَ الســـــترَ ، فـــــاحتوتِ المَخـــــازي ... فريقـــــاً – للتحلـــــل - مُســـــتكينا

قـــــد انفلـــــتَ الزمـــــامُ ، فـــــلا احتشـــــامٌ ... ولا قِـــــيمٌ تســـــودُ العالمينـــــا

وأصـــــبحتِ النســـــا مِلكـــــاً مُشـــــاعاً ... وقـــــد نجحـــــتْ فلـــــولُ المُلحـــــدينا

وبنـــــتُ (خديجـــــةٍ) أمســـــتْ سَـــــراباً ... لـــــذا تبعـــــتْ دروب الهازلينـــــا

رأتْ فـــــي التيـــــه نهجـــــاً مســـــتقيماً ... وســـــارتْ خلـــــف قـــــوم مفســـــدينا

قـــــد اســـــتغنتْ عـــــن الأخـــــرى بـــــدنيا ... وكـــــم صـــــنعتْ صـــــنيعَ الأرذلينـــــا!

أبـــــتْ إلا التخـــــبط فـــــي الـــــدنايا ... كمـــــا يتخـــــبط القـــــومُ العَمونـــــا

نصـــــحتكِ لـــــو يُفيـــــدُ النصـــــحُ بَلهـــــا ... وفـــــي الـــــذكرى انتفـــــاعُ المؤمنينـــــا

ألا عـــــودي لربـــــك ، واســـــتقيمي ... فعَـــــوْدُكِ قـــــد يَســـــرّ المســـــلمينا

وتـــــوبي ، إنمـــــا التوبـــــة ذخـــــرٌ ... وإن الله مـــــولى التائبينـــــا

ولا تغـــــرُرْكِ مَـــــن ضـــــلتْ وخابـــــتْ ... ومَـــــن ســـــارتْ مســـــيرَ الخائبينـــــا

لقـــــد أمـــــلاكِ ربـــــكِ ، فاســـــتفيقي ... كمـــــا أملـــــى لمـــــن يســـــتكبرونا

وإمهـــــالُ المليـــــكِ لـــــه حـــــدودٌ ... وأخـــــذ الله يُـــــردي الظالمينـــــا

ألا ولتبـــــكِ مـــــا قصّـــــرتِ فيـــــهِ ... وجـــــدّي تلحقـــــي بالعائـــــدينا

ولا ألقـــــاكِ فـــــي ثـــــوب قصـــــير ... لأن الســـــتر دأبُ الصـــــالحينا

فـــــإني قـــــد أطلـــــتُ اليـــــوم ثـــــوبي ... خشـــــيتُ البـــــرد يتركنـــــي طعينـــــا

ولســـــتُ ألامُ إنْ قصّـــــرتُ ثـــــوبي! ... أظنـــــكِ مثـــــلَ هـــــذا تفقهينـــــا

كفـــــى بُعـــــداً عـــــن الإســـــلام يـــــا مـــــن ... مـــــلأتِ الأرضَ عُريـــــاً مســـــتهينا

رحـــــى الأقـــــدار دائـــــرة ، فتـــــوبي ... ألا ولتـــــذرفي الـــــدمعَ الســـــخينا

نصـــــحتُ ، وأجـــــرُ شِـــــعري عنـــــد ربـــــي ... تعـــــالى الله رب العالمينـــــا

لا يلعبن بك الأمل (معارضة للشافعي يا صاحب الهم)

(لا يزال الأمل يذهب بصاحبه مذاهب شتى. لذا أحذر أصحاب الآمال من الإسراف في الغفلة والإعراض والاسترسال في اتباع الأماني والأحلام والآمال! وآثرتُ أن أجعل قافيتي هذه المرة لفظ الجلالة المطلقة والجمال المطلق والكمال المطلق (الله)! وإن جازت للشافعي بالأمس ، فأنا بها اليوم أولى! وكم من شعراء كانت هذه قافيتهم وحازت قصائدهم القبول! وجعلت القصيدة على شكل نداءٍ حار للقلب لأنه بصلاحه تنصلح كل أعضاء الجسم ، وبفساده تفسد كل أعضاء الجسم! كما أخبر أبو القاسم – صلى الله عليه وسلم -.)

يـــا قلـــبُ ويحـــك ، لا تســـرفْ ، لـــك اللهُ ... إن الرقيـــــب علـــــى أعمالنـــــا اللهُ

أحســـنْ ، فـــإن سِـــني العمـــر قـــد ذهبـــتْ ... هـــذي ذنوبُـــك يُحصـــي عـــدّها الله

فأصـــلح القـــول والأعمـــال محتســـباً ... إن الـــذي يـــرزق التقـــوى هـــو الله

إمـــا عصـــيت فتـــبْ ، فـــاللهُ مطلـــعٌ ... وإن ظلمـــت فـــردْ: حســـبيَ الله

وإن مـــررت علـــى قـــوم بهـــم ســـفهٌ ... فاحمـــدْ إلهـــك ، قـــل: نجـــانيَ الله

وإن حللـــت علـــى مـــن أعرضـــوا وطغـــوا ... فـــادعُ المليـــك ، وقـــل: أعاذنـــا الله

وإنْ هممـــت بـــأن تســـعى لمعصـــيةٍ ... فـــاذكر عقوبتهـــا ، والصـــارفُ الله

وإن أكلـــت حقـــوق النـــاس رُدّ لهـــم ... مـــا قـــد أكلـــت ، وقـــل: يُعِيننـــا الله

وإنْ أصـــابك مكـــروهٌ ، فكـــن جـــبلاً ... مـــن التصـــبّر ، إن الكاشـــف الله

لا تلعـــبنّ بـــك الآمـــالُ يانعـــة ... كـــم مـــن مســـوّف تـــوب ردّه الله!

فـــإن صـــلحت أيـــا قلبـــي فقـــد صـــلحتْ ... بـــك الجـــوارحُ ، والهـــادي هـــو الله

وإن فســـدت فقـــد ضـــاعت جوارحنـــا ... ومِـــن فســـادك ينْجـــي حالنـــا الله

نعـــوذ بـــالله مِـــن آلام غفلتنـــا ... فمنقـــذ الـــنفس ـ مـــن إفراطهـــا ـ الله

كـــذاك نســـأله حُســـناً لخاتمـــةٍ ... إن الـــذي يمـــنح الحُســـنى هـــو الله

وصَـــل رب علـــى المبعـــوث ســـيدنا ... ومَـــن أطـــاع لـــه ، ومَـــن هـــدى الله

لآلئ الشعر (معارضة لقصيدة عدنان النحوي)

(كتب الدكتور الشاعر سماحة الوالد عدنان النحوي – حفظه الله ورعاه – قصيدته (لآلئ الشعر) ، وكانت المرة الأولى التي طالعتها فيها في مجلة (الأدب الإسلامي) في العدد السادس – السنة الثانية – والصادر في ذي الحجة 1415هـ مايو 1990م ، وهي في الرد على المُفلسين أذناب الحداثة من سَدَنة اللاشعر الحر ، وفي الانتصار للقصيدة التي نيل منها كثيراً في زماننا هذا القصيدة العربية الأصيلة! يقول مطلع قصيدة الدكتور عدنان:-

يقـــــولُ ترتجـــــلُ الأشـــــعارَ تنشـــــدُها وزنـــــاً وقافيـــــةً! قيـــــداً وإعســـــارا!

وكم أعجبتْني هذه المعلقة الانتصارية ، وعندما ذهب بيَ الإعجاب مذهبه رأيتُ أن أشرع في معارضتها ، وإنه حقاً لشرف كبير لمثلي من المستشعرين الذين قد لا يكون لأحدهم من الشعر والشعراء إلا التسمي ، أن أعارض فِطحْلاً من فطاحلة الشعر العربي المعاصر وجَهبذاً من جهابذته وقِمة من قممه وعبقرياً من عباقرته ، بحجم الدكتور عدنان النحوي ، ولا نزكي على الله ربنا أحداً. والحداثة ولدتْ في الغرب الذي كفر بالدين ، وأقصاه عن الحياة: يقول غالي شكري الشيوعي المصري وأحد منظري ورموز الحداثة العربية في كتابه "شعرنا الحديث إلى أين؟" صفحة 116: "إن المفاضلة بين الشعر التقليدي والشعر الحديث ، تصبح غير ذات موضوع ، لأنهما لا يملكان في حقيقة الأمر من عناصر الأرض المشتركة سوى اللغة ، كما أن محاولة تبرير الشعر الحديث بميراثنا التاريخي ، من حركات التجديد في الشعر العربي ، هي محاولة غير مُجْدية ، بل أصبحتْ ضارة إلى حدٍ ما ، فالنقد الحديث الذي يود أن يرافق شعراءنا الجدد ، عليه أن يلتفت إلى جوهر القصيدة الغربية الحداثية إذا أراد أن يكتشف جوهر القصيدة العربية الحديثة". ونقل صالح جواد - في مجلة فصول المجلد الرابع ، العدد الرابع ، صفحة 17 - عن جبرا إبراهيم جبرا من كتابه "الرحلة الثامنة" قوله: "حركة الشعر الجديد متصلة بحركة الفن الحديث في أوروبا أو قل في العالم كله أكثر من أي شيء آخر بغير مواربة ، ..... ومن العبث أن نستشهد بالقدامى ، ونستند في أحكامنا إلى سوابق لن تجدها في كتب الأدب التي وضعتْ قبل بضعة قرون على الأقل". وتتوالى الاعترافات من منظري الحداثة! فهذا محمد برادة يكتب مقالاً في مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد 3 صفحة 11 بعنوان "اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة" يؤكد فيه بأن الحداثة مفهوم مرتبط أساساً بالحضارة الغربية وبسياقاتها التاريخية وما أفرزته تجاربها في مجالات مختلفة ، ويصل في النهاية إلى أن الحديث عن حداثة عربية مشروطة تاريخياً بوجود سابق للحداثة الغربية وبامتداد قنوات للتواصل بين الثقافتين. والواقعُ أعظمُ شاهد على أن الحداثة العربية ابن غير شرعي للمفكرين الغربيين ، منذ بودلير ، وإدجار ألن بو ، حتى يومنا هذا ، ويكفيك للتأكد من ذلك أن تتصفح أي منشور حداثي: شعر أو رواية أو مسرحية أو قصة أو دراسة نقدية ، لتجدها تصرخ بقوة وتعلن أنها من نبات مزابل الحي اللاتيني في باريس ، أو أزقة سوهو في لندن ، عليها شعار الشاذين من أدباء الغرب الذين لا يكتبون أفكارهم إلا في أحضان المومسات أو أمام تمثال ماركس. كما بيّن الأستاذ عوض القرني في كتابه عن الحداثة! ويقول غالي شكري: "وعندما أقول الشعراء الجُدد ، وأذكر مفهوم الحداثة عندهم....أتمثل كبار شعراء الحركة الحديثة من أمثال: أدونيس ، وبدر شاكر السياب ، وصلاح عبد الصبور ، وعبد الوهاب البياتي ، وخليل حاوي....عند هؤلاء سوف نعثر على إليوت ، وإزرا باوند ، وربما على رواسب من رامبو ،

وفاليري ، وربما على ملامح من أحدث شعراء العصر في أوربا وأمريكا ، ولكننا لن نعثر على التراث العربي". فجزا الله خيراً الدكتور عدنان النحوي على نقده للحداثة والحداثيين ، وعلى بذله وأطروحاته ومفاجآته الشعرية التي يُتحفنا بها بين الحين والآخر. وقد اعتدت أن أسمع كلمة: (مبروك!) منه عندما أصدر ديواناً جديداً وأرسله له بعد مراجعته وتحقيقه وتدقيقه وإبداء ملاحظاته التي استجبتُ – بفضل الله – لكثير منها! كلمة (مبروك!) التي يقولها الدنيويون بعضهم لبعض لدنيا أصابها أحدهم أو لامرأة نكحها أو لصفقة أحرزها أو لمال ربحه! أما الشعراء فيعتبرون القصيدة فضلاً عن الديوان - يشخص آلام جراح أمة منكوبة ويصف العلاج والتداوي ويضع طريق الخلاص – سَبقاً وإنجازاً ومَكرُمة ونجاحاً وفلاحاً ونصراً يستحق صاحبه عليه التهنئة! فيا لله على هذا الأمر وعلى ذاك الإحساس الذي لا يعيشه إلا أهله فقط! ولقد قيلت لي كلمة: (مبروك!) على أموال ادخرتها أو ربحتها! وقيلت لشهادات نلتها! وقيلت لامرأة تزوجتها! وقيلت لابن رزقني الله إياه! وقيلت لابنة وحيدة على سبعة أبناء بارك الله فيهم جميعاً وغفر لي تقصيري في حقهم ، وأنجز لي فيهم من البركة والفلاح كربّ ما عجزت عنه كأب! وقيلتْ لي لدورات تدريبية عربية وشعرية وإنجليزية وفرنسية! وقيلت لي على ورش عمل علمية ودراسية وتربوية! وقيلت لي على سيارة اشتريتها ودار استأجرتها في غربتي ودار أخرى بنيتها في مصر! ولا زالت كلمة (مبروك!) تقال ، وستظل تقال! ولكن وقعها من الدكتور عدنان يُبارك شعراً أكتبه أو ديواناً أصْدِره لها وقعٌ آخر وتأثير آخر في النفس والقلب والروح والضمير! ولئن كان الإمام الذهبي قد قال في سير أعلام النبلاء ج17ص319ما نصه: (الكتابة مُسَلمة لابن البواب ، كما أن أقرأ الأمة أبي بن كعب ، وأقضاهم علي بن أبي طالب ، وأفرضهم زيد ، وأعلمهم بالتأويل ابن عباس ، وأمينهم أبو عبيدة ، وعابرهم محمد بن سيرين وأصدقهم لهجة أبو ذر الغفاري ، وفقيه الأمة مالك ، ومحدثهم أحمد بن حنبل ، ولغويهم أبو عبيد وشاعرهم أبو تمام ، وعابدهم الفضيل ، وحافظهم سفيان الثوري ، وإخباريهم الواقدي ، وزاهدهم معروف الكرخي ، ونحويّهم سيبويه ، وعروضيّهم الخليل ، وخطيبهم ابن نباتة ، ومنشئهم القاضي الفاضل ، وفارسهم خالد بن الوليد – رضي الله عمن كان منهم صحابياً ، ورحم من كان منهم تابعياً).هـ. أقول: لئن كان ذلك كذلك فإني أكاد أقطع بأنه في زمان أمتنا المعاصر يكون أقرأ الأمة عبد الباسط عبد الصمد ، وأفرضها محمد علي الصابوني ، وأعلمها بالتأويل وإنزال القرآن على الواقع صاحب المعالم والظلال ، وفقيهها صاحب فقه السنة ، ومحدثها أبو إسحق الحويني ، ولغويها مصطفى الغلاييني ، وشاعرها عدنان النحوي! ونقف عند الشعراء بأن ننزل الدكتور عدنان منزلته ونخلع عليه ما هو أهله ، فالرجل بدون مبالغة يُعتبر من أصدق الشعراء الذين عرفتهم ، وأغيرهم على الحنيفية السمحة والشعر العربي واللغة العربية ، ويُعد من أصدق الشعراء لهجة ، وأعزهم فخراً ، وأبرهم قلباً ، وأجلهم قدراً ، وأشرحهم صدراً ، وأعظمهم حساً وشاعرية ، وأوضحهم مذهباً ، وأوسطهم طريقة ، وأفضلهم حسباً ، وأعرقهم نسباً ، وأنبلهم سجية ، وأمضاهم عزيمة ، وأحسنهم هدياً ، وأقواهم بصيرة ، وأسدّهم رأياً ، وأكثرهم حِلماً ، وأجملهم طريقة ، وأظهرهم حجة ، وأكرمهم يداً ، وأطهرهم عِرضاً ، وأوصلهم رحماً ، وأعدلهم حكماً ، وأقومهم قيلاً ، وأرضاهم جبلة ، وأسماهم جانباً ، وأثبتهم جناناً ، وأبينهم خطاباً ، وأنقاهم سريرة ، وأتقاهم نفساً ، وأكثرهم محافظة على الوزن والقافية والوحدة الموضوعية وجودة النص وسلامته وقوة التركيب وطلاوته وجمال الحس والإحساس! ولقد يظن البعض أنني لفرط حبي للرجل قلت فيه مبالغاً هذا الذي قلت! والحقيقة

أن الراسخين في معرفته يدركون صدق كل حرف مما قلت ومطابقته للواقع ، ويعلمون جيداً أن الرجل كما رأيت ويزيد! ولا نزكّيه على الله ، إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين ، والله حسيبه ووكيله ، وإنما هذه شهادتنا عليه من ظاهر عمله وقوله! ونحسبه هكذا. وغفر الله له ما لا نعلم وجعله خيراً مما نظن ، ولا فتنه الله بما نقول! وإنما قلت ما قلت فيه لأخبره أني أحبه في الله! وأنا بهذا أمتثل أمر النبي – صلى الله عليه وسلم بأن المسلم إذا أحب أخاه المسلم فليعلمْه! وأعتقد أنني أعلمته من خلال الرسائل ومن خلال القصائد!)

إنـــا نُسَـــطر – فـــي القِرطـــاس - أشـــعارا ... فاضـــتْ علـــى الخلـــق رَيْحانـــاً وأنـــوارا

نســـوقها – فـــي دروب القـــوم - تبصـــرة ... ونتـــرعُ الـــدارَ تكريمـــاً وإكبـــارا

دنيـــا القـــريض - بمـــا نزجيـــه - شـــاهدة ... وطـــائر الشـــعر – بالـــذكرى - لقـــد طـــارا

نشـــخص الواقـــع المُعتـــلّ فـــي وضـــح ... والعقـــل - فـــي حالـــه المُعـــوَجّ - كـــم حـــارا!

ونجبُـــرُ الكســـر ، والقـــرآنُ عُـــدتنا ... وإن - فـــي الـــدار حـــين البـــأس - أنصـــارا

نعـــالج الـــداءَ تلـــو الـــداءِ فـــي ثقـــةٍ! ... وعـــزمُ صـــحوتنا نـــراه أقمـــارا

والشـــعرُ رائـــدُنا فـــي كـــل نازلـــةٍ ... وكـــم خطـــوب لنـــا تبيـــتُ أشـــعارا!

ولـــيس شـــعرٌ بـــلا وزن وقافيـــةٍ ... ولـــن يُقـــدّم هـــذا الإفـــكُ أفكـــارا

إن القـــــوافيَ والأوزان بوتقـــــة ... تُهـــدي القصـــائد أنغامـــاً وأزهـــارا

هـــيَ الحيـــاة - لشـــعر العُـــرب - قاطبـــة ... والشـــعرُ – مِـــن دونهـــا – يبيـــتُ أقفـــارا

فـــلا حيـــاة بـــه تُبـــدِي محاســـنه ... وكـــل لفـــظٍ حـــوى تِيهـــا وأوضـــارا

أصـــحابه أفلســـوا فـــي كـــل أمســـيةٍ ... واســـتعذبوا الغِـــش والتـــدليس والعـــارا

كـــم أحـــدثوا - بقـــريض العُـــرب - مـــن زلـــل! ... ثـــم اســـتباحوا الحِمـــى والـــدِينَ ، والـــدارا

حتـــى أتـــى أسَـــداً (عـــدنانُ) يَكْبـــتهم ... يَصـــبُ - فـــوق الغثـــاء الراكـــد - النـــارا

يُعَلِـــم البُلـــهَ أن الشـــعر يرفضُـــهم ... ولـــيس يقبـــل - مِـــن أعـــداءَ - أعـــذارا

إمـــا قـــريضٌ لـــه وزنٌ وقافيـــة ... وفكـــرة عَفـــة ، تمـــجّ إعصـــارا

تـــذكّر النـــاس بـــالرحمن خـــالقهم ... ومِـــن بحـــار التقـــى تُـــذيع أخبـــارا

عفـــتْ - عـــن الـــدنس المـــرذول - شـــامخة ... وأبحـــرتْ - فـــي ســـماء الرُشـــد - إبحـــارا

تـــرد حقـــاً إلـــى ركـــن يليـــق بـــه ... وتلقِـــم الباطـــلَ الملعـــونَ أحجـــارا

فـــذاك شـــعرٌ لـــه الجـــوزاءُ موعـــدة ... وخيـــرُهُ فـــاض عُمرانـــاً وأنهـــارا

ومـــا سِـــواه فألفـــاظ ملفقـــة ... تُحمّـــل الجيـــل آثامـــاً وأوزارا

يـــا (عـــدنُ) فاكتـــبْ ، لكـــي تنـــزاحَ فتنـــتهم ... ولا نـــرى مَجـــدَنا الصـــدّاحَ مُنهـــارا

واجعـــل ـ مـــن الشـــعر ـ طوفانـــاً ليُغـــرقهم ... وسَـــطر النقـــدَ أبوابـــاً وأســـفارا

ونقـــح الأدبَ المملـــوء تجربـــة ... واجعـــلْ ســـبائكه – للجيـــل ـ تـــذكارا

وجـــدّدِ العهـــدَ ، أن تحيـــا لـــتُعْلمهم ... أن القـــريض غـــدا – بـــالوزن ـ زخـــارا

ولا ســـبيل إلـــى نَيْـــل يُمزقـــه ... فـــإن تنـــوره ـ يـــا قومنـــا ـ فـــارا

وكيـــف تُطفـــئ شمســـاً جوقـــة هزلـــتْ؟ ... وإن للكيـــد ـ بعـــد العـــز ـ إدبـــارا!

ولا ســـبيل إلـــى غـــل يقيّـــدهُ ... كـــم يَحْطِـــمُ الشـــعرُ أغـــلالاً وأســـوارا

(عـــدنانُ) بـــيّنْ لهـــم فحـــوى حقيقـــتِهم ... مهمـــا أضـــلتْ رؤىً تهـــذي وأبصـــارا

وكـــم كتبـــتَ ، فمـــا كفـــوا دعـــايتهم! ... بـــل جهـــزوا النـــايَ والأرغـــول والـــزارا

وأوهمـــوا النـــاس ، أن الشِـــعر عَصـــرنة ... وأن مـــا قـــد مضـــى مِـــن عهـــده بـــارا

واستأســـدوا وقـــوى التغريـــب تكلأهـــم ... وجمعُهـــم – فـــي ســـبيل الغـــي – قـــد ســـارا

قـــالوا: الحداثـــة مِنهـــاجٌ يُجَمّلنـــا ... صـــدقاً ، وإن لهـــا – فـــي الـــدار ـ أثمـــارا

مـــاذا أخـــذنا – مـــن الأوزان ـ شاخصـــة ... خلـــف القـــوافي وعـــزمُ الشـــعر قـــد خـــارا؟

تقـــدّمَ الكـــلُ ، والأشـــعارُ خالفـــة ... ومـــاءُ رونقهـــا ـ فـــي ذلـــه ـ غـــارا

قلـــتُ: اخســـأوا فـــي ســـراب التيـــه وانجـــدلوا ... فـــإن ـ فـــي قـــولكم ـ إربـــاً وأوطـــارا

كُفـــوا الهُـــراءَ ، فـــإن الجيـــل ســـائلكم ... وقـــد صـــنعتم لـــه الإفـــلاسَ أطـــوارا

هـــيَ الحداثـــة لا تُبقِـــي علـــى قِـــيم ... وأهلهـــا أصـــبحوا – بـــالهزل ـ أغـــرارا

هـــمُ الضـــياعُ لمـــن يغشـــى محلـــتهم ... وقـــد نـــرى رأســـهم ـ فـــي البـــار ـ خمّـــارا

إن الحـــداثيَ – فـــي أهوائـــه - لجـــبٌ ... وقـــد يكـــون - لأهـــل الســـوء - زمّـــارا

هـــم خرّبـــوا الفكـــرَ والآدابَ أجمعَهـــا ... وحطمـــوا الشـــعر ، حتـــى بـــات أصـــفارا

خابـــت حـــداثتهم ، مـــن بعـــد رفعتهـــا ... إذ ترفـــع اليـــومَ (نِيقـــولا) و(جيفـــارا)!

ودمّـــــر الله إفلاســـــاً تـــــدلُ بـــــه ... كـــيلا تصِـــرّ – علـــى التخريـــب - إصـــرارا

يـــا (عـــدْنُ) أصـــدرْ لهـــم سِـــفراً يُسَـــفههم ... بوركـــت أصـــدرت فـــي الضُـــلاّل إصـــدارا

سِـــفر (الحداثـــة) نـــارٌ ســـوف تحـــرقهم ... تنســـابُ – فـــوق رؤوس العِيـــر - أمطـــارا

و(النقـــدُ) ســـيفٌ – علـــى أعنـــاقهم - نهـــمٌ ... وأنـــت – بالشـــعر – قـــد أعـــذرتَ إعـــذارا

و(الـــنهجُ) بـــيّنَ دربَ الحـــق فـــي زمـــن ... الحـــــق يَنشـــــد أبطـــــالاً وأخيـــــارا

و(موكـــب النـــور) جلّـــى كـــل غاشـــية ... وبـــات يكشـــف – للغـــادين - أســـرارا

و(مهرجـــانُ قصـــيدِ) الفـــذ يَبعثهـــا ... دُرّيّـــة تُشْـــهر الأشـــواق إشـــهارا

وفـــي (الملاحـــم) كـــم مـــن صـــيحةٍ بُـــذِلتْ! ... تعلّـــم الجنـــدَ تفضـــيلاً وإيثـــارا

وفـــي (الجـــراح) علـــى درب الهُـــدى طلعـــتْ ... شـــمسُ التباشـــير تـــذكيراً وأذكـــارا

منـــابعُ الفكـــر فيمـــا قـــد كتبـــتَ لنـــا ... وجنـــة الشـــعر - فيهـــا - الحـــورُ أبكـــارا

يراعـــة - مـــن ســـنا الفرقـــان - كـــم شـــربتْ ... وإن رأتْ مُنكـــــراً كوثْـــــه إنكـــــارا

هـــذي الـــدواوينُ نـــورٌ فـــي مرابعنـــا ... والشـــعرُ أمســـى - ببـــذل الخيـــر - مِعطـــارا

والبـــدرُ (عـــدنانُ) أهـــدى الكـــل تهنئـــة ... بنصـــرة الخيـــر نثـــراً ، ثـــم أشـــعارا

أعطـــى وأجـــزل ، لـــم يبخـــلْ بعزمتـــه ... وســـلّم الشـــاعرَ المِختـــار مِنظـــارا!

كـــان المهـــذبَ فـــي شِـــعر يُســـطره ... لـــيس (امـــرأ القـــيس) بـــل ولـــيس (بشـــارا)

وشـــعره طيّـــبُ الأعـــراق فيـــه تقـــىً ... يفـــوقُ فـــي حبكـــة التركيـــب (مِهْيـــارا)!

لـــم يُغـــره منصـــبٌ يُـــذلُ عِزتـــه ... فلـــيس مأربُـــه – فـــي العـــيش - دينـــارا

ولـــم تؤرجحْـــه دنيـــا مَـــن بهـــا افتتنـــوا ... مِـــن الـــذين غـــدَوْا عِيـــراً وأزيـــارا

رســـالة (العـــدْنِ) فـــي المـــأوى نهايتهـــا ... لـــذلك اختـــار ديـــنَ الســـلم مِعيـــارا

أردى الحداثـــة ، جلـــى قـــبح عورتهـــا ... وأرســـل النقـــدَ تلـــو النقـــدِ مِـــدرارا

وكـــان ينظـــر كونـــاً بالحداثـــة لـــم ... يعـــشْ نقيـــاً ، فقـــد زادتـــه أقـــذارا

يـــرى الحـــداثيَ مـــرذولاً ، فيمقتـــه ... يُؤتيـــه - مـــن عـــاطر التنظيـــر - قنطـــارا

ولا يخـــاف الـــذي قـــد كـــان نصّـــبه ... بـــين الخلائـــق دلاّلاً وسمســـارا

فـــإن فـــي قلـــب (عـــدن) حـــبّ خالقـــه ... وفـــي جوارحـــه – للضـــاد - مقـــدارا

لكـــنْ حـــداثيّهُم – فـــي الوحـــل - مـــرتكسٌ ... وإن – فـــي قلبـــه – عُـــوداً ودُولارا!

إذا علـــتْ قيمـــة تلقـــاه منخرســـاً ... وإن تسُـــدْ فتنـــة تجـــذْه مِجعـــارا

وكـــل داءٍ لـــه طـــبٌ يُعالجـــه ... إلا الحداثـــة فيهـــا الطـــب كـــم حـــارا!

دارتْ علـــى فلـــكِ التغريـــب فانشـــطرتْ ... وكـــم أقـــرّتْ دجـــى التضـــليل إقـــرارا!

وأهلهـــا خبثـــوا مـــن معشـــر فحُـــش ... قـــد احتـــوى صـــفهم حُمْـــراً وأعيـــارا

كـــم علمنـــوا العـــيش ، حتـــى صـــار يلعـــنهم! ... وأصـــبحوا فـــي حضـــيض التيـــه أثـــوارا

كـــم مزقـــوا الفكـــر ، حتـــى بـــات مســـخرة! ... مـــن بعـــد أن كـــان فـــي ماضـــيه مغـــوارا

كـــم حرّفـــوا الشـــعر حتـــى ضـــاع رونقـــه ... وأنزلـــوا بجَمـــال الشـــعر أضـــرارا!

كـــم قتلـــوا جهـــرة وزنـــاً وقافيـــة! ... وأهـــدروا - فـــي ريـــاض - النثـــر آبـــارا

وطوّعـــوا الشـــعر للأوهـــام ، فانحـــدروا ... وأحضـــروا - لغنـــاء الشـــعر - مزمـــارا

وأخضـــعوا الشـــعر للاشـــعر فانكفـــأوا ... يُخرّفـــون ، وأضـــحى الكيـــد بتـــارا

واســـأل (أدونـــيس) كـــم ياقوتـــة دُفنـــتْ! ... وإن - فـــي لحـــدها - المجهـــول ســـحّارا

يُبـــدّدُون ، ولا إنســـان يســـألهم ... ويَقصـــدون دهاقينـــاً وأحبـــارا

ويشْـــطرون لـــواء الشـــعر دون حيـــا ... وإن - فـــي كـــل كـــف كـــاد - منشـــارا

يُعربـــدون لهـــم ســـوقٌ تشـــجّعهم ... ويُســـدِلون – علـــى البهتـــان - أســـتارا

هـــي الحداثـــة فارجمْهـــا تعـــش ألقـــاً ... وتُمـــس – فـــي زمَـــر الأفـــلاك - ســـيّارا

لا تخـــدعنك ، هـــذي نبتـــة خبثـــتْ ... وقـد غـدا أهلهـا – فـي السـاح - فجّـارا

فـــي كـــل صُـــقع لهـــا ذيـــلٌ ينمّقهـــا ... وكـــل بالوعـــةٍ تضـــم (صرصـــارا)!

وكـــل دار بهـــا جيـــبٌ يُباركُهـــا ... وكـــل جيـــب يَمُـــجّ – الآن - آثـــارا

خابـــت دهاقنهـــا فـــي كـــل حاضـــرةٍ ... وإننـــي هـــا هنـــا أســـديتُ أحـــذارا

صـــرّحتُ ، لـــم أدخـــرْ نصـــحاً وتبصـــرة ... وعـــن حـــداثتهم أنـــذرتُ إنـــذارا

حتـــى رأيـــتُ أبـــي (عـــدنانَ) أتحفنـــا ... وقـــد أبـــان لنـــا – عـــن تلـــك - أخطـــارا

عـــرّى الحداثـــة ، لـــم يحفـــلْ بصـــولتها ... وجـــادل (العـــدنُ) مـــأجوراً وديّـــارا

وكـــم تعقبهـــا فـــي عُقـــر منشـــئها! ... وبعـــدُ زار لهـــا دُوراً وأمصـــارا

ونـــاقش (العـــدنَ) تضـــليلاً تتيـــه بـــه ... لـــذاك مـــزق – فـــي التنظيـــر - أوتـــارا

أبـــان سُـــبْل الهُـــدى لمـــن طغـــى وبغـــى ... وقـــال: كيـــف يكـــون القـــومُ أبـــرارا؟!

لكـــنهم أعرضـــوا عـــن هـــدي خـــالقهم ... وإن - فـــي رحـــم المجهـــول - أقـــدارا

فربمـــا خصّـــهم ربـــي بصـــاعقةٍ ... مثـــل التـــي أهلكـــتْ مـــن قبـــلُ كُفـــارا

وربمـــا سُـــلبوا فحـــوى مكـــانتهم ... وأصـــبحوا – فـــي ثـــرى البيـــداء - أبعـــارا

وربمـــا أخِـــذوا مـــن كـــل مَيســـرةٍ ... وإن - فـــي الكـــون - أحـــوالاً وأغيـــارا

وربمـــا أهلِكـــوا بســـوء عاقبـــةٍ ... لـــم تُبـــق مـــن جمعهـــم فـــي النـــاس مِسـعارا

وربمـــا اجتثـــتِ الســـوآى فضـــائحَهم ... حتـــى يُولـــوا مـــن الأكـــوان أدبـــارا!

ويصـــبحوا خبـــراً ماتـــت نكارتـــه ... فـــلا نعـــاني لـــه – فـــي الـــبُهم - إضـــمارا

يـــزول – بعـــد ظهـــور الحـــق - مُنتفضـــاً ... فـــلا يُعكّـــر أجيـــالاً وأعصـــارا

ولا تقـــوم لـــه – فـــي الـــدار - قائمـــة ... ولا يُناشـــد – للإفـــلاس - تجـــارا

هـــي الحداثـــة ليســـت تحتـــوي قيمـــاً ... لأنهـــا قطعـــتْ – فـــي الغـــي - مشـــوارا

(عـــدنانُ) أنـــت لهـــا ليـــث يُروّضـــها ... والليـــث إنْ يبـــدُ لـــم ترقـــبْ هنـــا فـــارا!

أوصـــيك واصـــلْ جهـــاداً طـــاب مســـلكه! ... عســـاك تلحـــق خبابـــاً وعَمّـــارا

فـــإن شـــعرك كهـــفٌ فـــاز ســـاكنه ... ويســـتزيد - مـــن الأفـــذاذ - عُمّـــارا

وإن بُليـــتَ فصـــبرٌ ، ثـــم ملحمـــة ... أمســـى عـــدوك – فـــي التغريـــر - مَكّـــارا

فـــدعْ قريضـــك فـــي الميـــدان ســـيف مضـــا ... يـــرد كيـــداً - علـــى الإســـلام - جـــرارا

وقـــرّ عينـــاً إذا نـــارُ القـــريض زكـــتْ ... تُحَـــرّق اليـــوم خوّانـــاً وغـــدّارا

تكلمـــتْ عنـــدما العـــدوانُ باغتهـــا ... فأخرســـتْه ، ويومـــاً كـــان ثرثـــارا

وقـــد عرفتُـــك يـــا (عـــدنان) مُعلنهـــا ... حربـــاً ضروســـاً ، تضـــم الجنـــد كُـــرارا

تُـــردي الحداثـــة ، لا تُبقـــي لهـــا أثـــراً ... وإن للشـــعر – فـــي الهيجـــاء - إغبـــارا

وإن للنقـــــد ترجيعـــــاً يؤرقهـــــا ... فتشـــتكي ألمـــا يكـــوي وأعســـارا

وأنـــت يـــا (عـــدنُ) أدرى بالـــذي صـــنعتْ ... وأنـــت أصـــدقُ مَـــن فـــي وجههـــا ثـــارا

فـــاغرسْ يراعـــك فـــي أعفـــان ســـادتها ... وحســـبُك الله فـــوق الكـــل قهـــارا

لا فـــض فـــوك! ولا انكســـرتْ يـــراعتكم ... وحســـبُك الـــرب – للـــزلات - غفـــارا

وإنْ تعقـــب مـــا ألفـــت مرتـــزقٌ ... فحســـبك الله – للحَوْبـــات – ســـتارا!

لماذا سقط آل عَبَّاد؟ (معارضة للمعتمد بن عبّاد)

(إن الطغيان عواقبه وخيمة. وليس أي طاغية في الأرض إلا انسانٌ أعزل لا يملك قوة ولا بأساً ولا سلطاناً. وإنما الذي يمنحه ذلك كله خنوعُ الجماهير له وغفلتها عنه وذلها بين يديه ورضاها بالهوان والضعة. كأنما أضحت هذه الجماهير كالحمير والدواب التي تمتطى فيركب الطاغية متبختراً ، وتمد له أعناقها فيجرها مترنحاً ، وتحني له رؤوسها فيستعلى عليها مذهولاً مزهواً ، وتتنازل عن حقها في أن تعيش عزيزة كريمة. فيطغى ويتكبر ويتغطرس. ولا يسود طاغية في أمة مؤمنة موحدة تؤمن بالله وتتوكل عليه وتثق به وتعز كتابه وسُنة نبيه وتحِل ما أحَل وتحرّم ما حرم وتأمر وتأتمر بما أمر وتنهى وتنتهي عما نهى. ومأساة المسلمين في الأندلس قديماً تتكرر اليوم مع ثبات الأمكنة وتغير الأشخاص. والحقيقة أن المؤرخين يكادون يُجمعون على أن فترة حكم آل عباد كانت شؤماً على الإسلام والمسلمين. إذ بدأت المحنة في عهد الطاغية المعتضد بالله عميد أسرة آل عباد ، وإلى آخر ملوكهم الذي هو المعتمد على الله محمد بن المعتضد بالله بن عباد. ويعلم الله أن الوالد ما اعتضد بالله ، وأن الابن ما اعتمد على الله! بل هذه مجرد أسماء وألقاب ليس لأصحابها منها نصيب! وقد خلف الابن أباه على إشبيلية في (461هـ) – وكذلك يرث الظالمون بعضهم بعضاً. وطغى المعتمد بن عباد طغياناً كبيراً ، وبغى في الأرض بغير الحق ، وأهدر الدماء المحصونة ، وقتل الأنفس البريئة ، وأشاع الهلع والذعر بين الآمنين ، واغتر بحاله وعتاد سلطانه! ولسان حاله يقول: (من أشد منا قوة). وظل الأمر هكذا إلى أن اجتمعت كلمة العلماء الموحّدين بالأندلس على خلع المعتمد ، وتنصيب (يوسف بن تاشفين) أميراً على المسلمين. وأعدّوا العُدة ، وجهزوا الجيش ، وسار المرابطون وباغتوا المعتمد بن عباد في إشبيلية إذ كان ساهياً غافلاً غافياً لاهياً بفتاةٍ تنادمه ، مخامراً للذاته وشهواته ، ملقىً بين جواريه. ولمّا بلغ الكتاب مداه صار المعتمد رهنا بما قدمت يداه. وجعله الله عِبرة هو وأهل بيته وأولاده وبناته. أما بناته فقد بتن يغزلن للناس بالأجْرة بعد عز الملك. وابنه (فخر الدولة) صار أجيراً في دكان صائغ على قارعة الطريق ، وأما ابنه (المأمون) وابنه الثاني (الراضي) فقد قتلا شر قتلة ، وأخذ (المعتمد) مُكبلاً بالحديد إلى سجن (أغمات) وظل سجيناً إلى أن مات ، ونودى في جنازته بالصلاة على (الغريب). تلك كانت النهاية المأساوية. أما إن عدنا إلى تاريخه لنقرأ بعض الصفحات ، فمنها صفحة محزنة مبكية يوم أخِذ من سجنه في حراسة مشددة وهو مقرّن في أصفاد الحديد ، وأدخل على بناته في يوم عيد ، وقد غزلت إحداهن غزلاً بالأجرة لشرطي كان في خدمة أبيها لمَا كان في عزه ، فرآهن في أطمارهن الرّثة وحالهن السيئة فأنشد يقول مستروحاً أرج الملك المفقود والمجد الموءود:-

فيمـــا مضـــى كنـــت بالأعيـــاد مســـرورا ... فســـاءك العِيـــد فـــي (أغمـــات) مأســـورا

تـــرى بناتِـــك - فـــي الأطمـــار - جائعـــة ... يغـــزلن للنـــاس ، مـــا يملكْـــن قِطميـــرا

بـــرزن نحـــوك - للتســـليم - خاشـــعة ... أبصـــارُهن حســـيراتٍ مكاســـيرا

يطـــأن فـــي الطـــين ، والأقـــدامُ حافيـــة ... كأنهـــا لـــم تطـــأ مِســـكاً وكـــافورا

أفطـــرت فـــي العيـــد لا عـــادت إســـاءته فكـــان فِطـــرك ـ للأعيـــاد ـ تفطيـــرا

لا خـــدّ إلا تشـــكّى الجـــدبَ ظـــاهره ولـــيس إلا ـ مـــع الأنفـــاس ـ مطمـــورا

قـــد كـــان دهـــرك إن تـــأمرْه ممتـــثلاً فـــردّك الـــدهرُ منهيـــاً ومـــأمورا

مـــن بـــات بعـــدك فـــي مُلـــك يُســـرّ بـــه فإنمـــا بـــات ـ بـــالأحلام ـ مغـــرورا

لقد كان المعتمد فوق كل ما ذكَرتُ أميراً خادعاً متآمراً مع الصليبين ضد المسلمين. وأيضاً وزيراه (ابن عمار) و(ابن زيدون) كانا عضداه في الإفساد في الأرض وظلم المسلمين وإضاعة الدولة. وكانت النهاية أن سقط آلُ عباد ، وأذاقهم الله من ذات الكأس التي أذاقوا منها أهل الإسلام في الشرق والغرب ، ولا يظلم ربك أحداً. هذا الذي عليه كثير من المؤرخين وأهل المغازي والسير في القديم والحديث ، ولا تغرنا بعض المواقف الشجاعة والكلمات النبيلة للمعتمد بن عباد ، فإن الغالب على سيرته هو الظلم والبغي والعربدة والخنوع للصليبين والتآمر على الإسلام وأهله. كما أن الذي يدمغ سيرته أكثر هو تعطشه لسفك الدماء إلى أن منّ الله على المسلمين بيوسف بن تاشفين الذي أسس دولة المرابطين الموحدين ، فكانت صفحة بيضاء في تاريخ الأندلس. والعجيب أن الذي صد الصليبين في المشرق صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة 585هـ . والذي صد الصليبين في المغرب يوسف بن تاشفين سنة 479هـ. واما أمر المعتمد بن عباد فعجيب وغريب. ففى الوقت الذي يُعطى ألفونسو الصليبي الكافر المشرك الهبات والعطايا تجنباً لبطشه ، شأنه في ذلك شأن ملوك الطوائف الآخرين ، نرى ابن عباد الذليل الخانع لألفونسو رفض طلب ألفونسو في رسالة منه أن تدخل امرأة الفونسو إلى جامع قرطبة لتلد فيه حسب إشارة القساوسة بذلك ، فرفض المعتمد وقتل الرسول وصلبه منكوساً بقرطبة ، وأمر بمن معه من الفرسان فقتلوا. ولكن كما أسلفنا ليس هذا بمبرئ له من تعطشه لسفك الدماء وإفساده في الأرض وإهداره للحقوق. إن كثيراً من الكُتاب والروائيين والدارسين قد ينخدعون بموقف معين أو بقول معين لأحد الناس ثم هم يبنون عليه الأحكام بعد ذلك. والأصل هو الإحاطة الشاملة الكاملة الجامعة المانعة لهذا الإنسان للوصول إلى الحقيقة بدون زيادة ولا نقصان بكل حَيدةٍ وموضوعية. وإذن فالمعتمد بن عباد سيرته واضحة فلماذا المغالطة؟ إن سيرته من وجهة نظري لتشبه سيرة الحجاج بن يوسف فى العراق مع فارق في المكان والزمان. وإننا لواجدون في سيرة الحجاج بعض الخير. ذلك الخير الذي منه أنه أي الحجاج أول من كتب على الدينار لا إله إلا الله ، وأنه ذات يوم أغاث المرأة التي صاحت تستنجد به قائلة: (واحجاجاه!) ، ومنها تمثله لبعض الحكم وأبيات الشعر الجميلة في مواقف معينة. حتى طالعتُ كتابا عنوانه: (مغالطات يجب أن تمحى من التاريخ) وفيه يدافع المؤلف عن الحجاج دفاعاً مستميتاً للغاية. إننا يجب أن ندرس قواعد الجرح والتعديل قبل الحكم على الأشخاص ، كما أننا يجب أن لا نغفل عن الحسنات لكثرة السيئات ولا العكس. وآل عبَّاد تجاوزوا للحد الذي كانوا فيه أقرب إلى الطواغيت منهم إلى الأئمة المسلمين المُقسطين. عموماً عندما شرعتُ في الكتابة عن سقوط آل عباد نازعتني قافيتان وبحر. فأما القافيتان فهما الدالية والرائية...فأما الدالية لتطابُق الاسمين (المعتضد الأب ، والمعتمد الابن) وأما الرائية فتلك التي رثا بها المعتمد بناته! فآثرت أن اكتب على ذات بحره ورويه. وأما البحر فهو البسيط ذلك البحر

الذي يروق لي كثيراً في عرض الأحداث. ومن هنا كتبت القصيدتين. فعنونت للأولى بـ (لماذا سقط آل عباد؟) والثانية بـ (من شابه أباه فما ظلم). وكنت قد كتبت عن الأندلس قديماً في أوائل التسعينات عن الأندلس بعنوان (الأندلس: الأرض والفتاة). وإذن فليست هذه المرة الأولى التي أكتب فيها عن الأندلس. وكنت قد كتبت قصيدة منذ سنين تحمل عنوان (الأندلس بين المجد والفقد) وكانت في ديوان (القوقعة الدامية) ، وأوردتُ في التقديم وفي القصيدة ما يشيد بآل عباد ويجعلهم سنا الأقران ووجهاء الناس وذلك جرياً على ما ارتآه فيهم الوزير أبو بكر محمد بن عيسى المعروف بـ (ابن اللبانة) فهو يزكي القوم ويرثيهم في مملكتهم التي اغتصبها النصارى ، فيصور لنا بكاء السماء على العظماء آل عباد فيقول:-

تبكـــي الســـماء بـــدمع رائـــح غـــادِ علـــى البهاليـــل مِـــن أبنـــاء عبّـــادِ!

وربما يكون الوزير قد خدع في القوم أو جاملهم إبقاء على وزارته ، وربما يكون بنو عباد في أول أمرهم أفضل منهم في آخره ، إذ بدأوا مجاهدين مخلصين ، ثم تحولوا بعد الملك والتمكن والهيمنة إلى جبارين متآمرين مفسدين فأذلوا العباد وسلموا البلاد. غير أنهم في النهاية كان لهم نصيب كبير من الوصف الأخير ، أو يكون الوزير ابن اللبانة قد علم خبراً وغابت عنه أخبار (مثلي عندما أثنيت عليهم لخبر ما أو لقول ما ، ولم أكن قد درست تاريخهم ، ووقعتُ من خلال دراسة ذلك التاريخ على أسْود أخبارهم وسيئ صفاتهم). وإن التاريخ خير شاهد على ما نقول ونثبت ولنا الظاهر والله يتولى السرائر. والحقيقة أننا يجب أن نستقي من التاريخ العِظات والعِبر حتى نستعين بها على المستقبل. ذلك أن التاريخ فعلا يُعيدُ نفسه ولو بعد حين كما يقولون. ويقول شوقي في ذلك:

اقـــرأوا الـــتـــاريـــخ إذ فـــيـــه الـــعـــبـــرْ ضـــل قـــوم لـــيـــس يـــدرون الـــخـــبـــرْ

ومن هنا وجب على كل أمة أن تتعرف على ماضيها لتستلهم الدروس لحاضرها الذي تعيشه ومستقبلها الذي هو آت لمحالة! وصدق أرسطو عندما قال: (اعتبر بمن مضى قبلك ، ولا تكن عِبرة لمن بعدك). والحقيقة أنني توقفت كثيراً عند المآسي التي ذاقها المسلمون في الأندلس. إنها مأساوية بكل ما تحمله الكلمة في طياتها من المعاني. بعد هذا التقديم التاريخي الطويل يطيب لي أن أطالع مع القارئ الحبيب ما أنشدته في سقوط آل عباد!)

كـــم عشـــتَ تســـمُرُ - بالأعيـــاد - مَحبـــورا لمَّـــا حَكمـــت بمـــا تهـــوى الجمـــاهيرا!

كـــم احتفيـــتَ بمـــا يُشـــجيك مُغتبطـــاً إذ أمّـــروك - علـــى الســـادات – تـــأميرا!

كـــم اعتليـــتَ سِـــنام العِـــز مُزدهيـــاً لمّـــا غـــدا صـــوتك المَطعـــونُ مَشـــهورا!

كـــم اجتنيـــت خيـــوراً لا حُـــدود لهـــا والـــدربُ عطـــره العبيـــدُ تعطيـــرا!

كـــم قلـــدوك - مِـــن الألقـــاب - أفخمهـــا وســـاق كـــلٌ – لمـــرآكَ - التباشـــيرا!

كـــم وقـــروك لكـــي ترضـــى ، فتكـــرمهم ومـــا أهـــانوك ، بـــل وُقـــرْت تـــوقيرا!

كـــم عـــزروك - لوجـــه الله - فـــي مـــلأ إذ عـــزروا قبلـــك الأفـــذاذ تعزيـــرا!

كـــم أكرمـــوك ، لكـــي تقـــيمَ شِـــرعتهم ... فـــيهم لتحيـــا - مـــدى الأيـــام – مشـــكورا!

كـــم أخلصـــوا – لـــك - إحســـاناً وتكرمـــة ... لكـــي تعـــيش - علـــى الأعـــداء - منصـــورا!

كـــم أحســـنوا البـــذل فـــي ســـر وفـــي علـــن ... وعَمّـــروا الـــدارَ - بالطاعـــات – تعميـــرا!

كـــم ناصـــحوك ، ومـــا ضـــنوا بموعظـــةٍ ... وحـــذروك - مِـــن الكُفـــار - تحـــذيرا!

كـــم جـــادلوك - بشـــأن الحـــرب - تشـــعلها ... وتصـــحبُ الصـــفوة الصِّـــيدَ المَغـــاويرا!

كـــأنهم فيـــك يـــا دهقـــانُ كـــم خـــدعوا ... أو أحســـنوا الظـــن تســـهيلاً وتيســـيرا!

كـــأنهم أمَّلـــوا فـــي الـــذي قـــد ارتـــأوه مَـــدىً ... مِـــن عـــالم الطهـــر ، يزجـــي الخيـــر والنـــورا

كـــأنهم ظلَمـــوا - بالعمـــد - أنفســـهم ... إذ نصـــبوك ، فـــزادَ الحَـــيْنُ تعســـيرا

كـــأنهم حطمـــوا آمـــالَ أمّـــتهم ... ودمّـــروا عزهـــا الميمـــونَ تـــدميرا

كـــأنهم خـــالفوا شـــروط مِلـــتهم ... إذ أســـلموك القـــرى والمـــالَ والـــدُورا

كـــأنهم نصّـــبوا مَـــن خـــان شِـــرعتهم ... وحوّلـــوا الـــدار - للأوبـــاش - مـــاخورا

كـــأنهم أخطـــأوا التقـــدير ، فانجـــدلوا ... يـــا ليـــتهم قـــدّروا الأمـــور تقـــديرا!

كـــأنهم غلبـــوا الأهـــواء جامحـــة ... لمّـــا أقـــاموا - علـــى الأمصـــار - شِـــريرا

كـــأنهم غفلـــوا عمّـــا يُحـــاك بهـــم ... مِـــن المكائـــد تُزجـــي الظلـــمَ والـــزورا

كـــأنهم جهلـــوا أحـــوال مَـــن فســـقوا ... حتـــى استســـاغوا شـــقيَّ الحـــال مخمـــورا

كـــأنهم فتنـــوا عـــن حقهـــم فـــأتوا ... مـــن الأباطيـــل مـــا قـــد بـــات منظـــورا

كـــأنهم أخِـــذوا بمـــا كتبـــت لهـــم ... إذ بـــايعوك علـــى مـــا كـــان مســـطورا

يـــا ليـــت شـــعري ، فهـــل نافقـــت مَـــن وثقـــوا ... فيـــك اعتمـــاداً علـــى مـــا كـــان مســـتورا؟

أو ليـــت شـــعري ، فهـــل راهنـــت دون حيـــا ... علـــى العمالـــة حتـــى صِـــرت مثبـــورا؟

أو ليـــت شـــعري ألـــم تـــرحم مَـــن اغتُصـــبتْ ... حقـــوقهم مـــذ غـــدا القـــرآنُ مهجـــورا؟

أو ليـــت شـــعري ، أمـــا عاينـــت مِحنـــتهم ... حتـــى تُغيِّـــر هـــذا الحـــال تغييـــرا؟

أو ليت شعري ، أما أبكاك موقفهم ... حتى تزيل الأسى والقهر والجُورا؟

أو ليت شعري ، أما أدركت ما صنعتْ ... أيدي الأعادي فلا تستأمن البورا؟

أو ليت شعرى ، أما استحييت من مدن ... ضاعت وتبّرها الأعداءُ تتبيرا؟

أو ليت شعري ، أما ساءلت (مَرْسِية) ... أو (البطاحَ) أو الثكلى (أغاديرا)؟

أوليت شعري ، أما أبكتْ (بَلنسية) ... قلوبَ مَن سَطروا الأحداث تسطيرا؟

أو ليت شعري أما ساءتك (قرطبة) ... إذ أصبحت خبراً يحوي الأساطيرا؟

أو ليت شعري وهل (جيَّان) قد رضختْ ... وسَلمتْ - للطواغيت - المقاصيرا؟

يا آل (عّبادٍ) التاريخ حاكَمَكم ... إذ حَبّر السِيَرَ الشوهاءَ تحبيرا

ولم يفته - عن الباغين - مِن خبَر ... يُعَيّرون به - في الناس - تعييرا

ولم يُجاملْ - مِن العادين - مِن أحدٍ ... إذ إنه ليس - إما خطَ - مأجورا

يا آل عبادٍ الطغيانُ مَخبثة ... تردِي النفوسَ ، وتجتاحُ الأساريرا

والظالمُ الدهرَ مأخوذ بما كسبتْ ... يداه ، والناسُ لا تألوه تثبيرا

وقد يموت ويبقى شؤمُ نِقمتهِ ... إذ لا يردّ الرعاديدُ المقاديرا

يفنى ، ويذكرُ أهلُ الأرض بطشته ... وقد يذوقون ذماً عنه مَسعورا

جزاء ما قدمّ الشقي مِن مِحَن ... إذ عاش مُنعدمَ الإحساس شِنفيرا

يا آل عبادٍ الأخبارُ قد رُصدتْ ... ولم يزدْها هواة السرد تزويرا

فكم ظلمتم عباد الله ، حُجتكم ... تأديبُ مَن سَعّروا الفتونَ تسعيرا!

وكم قتلتم - بلا حق - رعيتكم ... ثم اتخذتم - مِن الثأر - التدابيرا!

وكم ذبحتم - مِن الأبرار - كوكبة ... كأنهم أصبحوا - صدقاً – عصافيرا!

وكم عصيتم مليك الناس في ملأ ... وما ادخرتم - لأهل العلم – توقيرا!

وكم دفعتم - من الأموال - في سَفهٍ ... كي تسمعوا صادحاً يشدو وطنبورا!

وكم بذلتم - مِن الآلاف - هينة ... تُبَذرون - على اللذات – تبذيرا!

وتنفقــون - علــى الغنــاء - فــي ســرفٍ ... وتكْرمــون الألــى ارتــادوا المــواخيرا

وتغــدقون - علــى الفسّــاق - مَــن عزفــوا ... واستصــحبوا - للتواشــيح - المزاميــرا

وأوغــروا لــيلهم مِــن بعــد غــدْوتهم ... وبــدّدوا - فــي المَواويــل - الغباشــيرا

وعِليــة القــوم - فــي قعــر الخنــا - رتعــوا ... وأوقــدوا - للــذي يهجــوه - تنــورا

وشــرّدوا مــن ســعى جهــراً ينــاوئهم ... وللــدعاة أعــدوا الســيف والكــورا

كــأنهم - فــي الــورى - بــاتوا فراعنــة ... إذ نصــبوا ملِكــاً فظــاً وتيهــورا

فهــل غــدا فــي الــدنا النمــرودَ قــد خضــعت ... لــه الممالــكُ حتــى زادهــا (أورا)؟

يــا آل عبــادٍ المُلــكُ انتهــى ، ومضــى ... ترفــعٌ كــان - فــي الأمصــار - مــذكورا

لمّــا أتــت جوقــة الــذؤبان غازيــة ... تزجــي الصــليب علــى الرايــات منظــورا

تحتــلّ مــا تشــتهي بــلا مقاومــةٍ ... حتــى رأى النــاسُ مــا قــد كــان محــذورا

وضــاع مجــدٌ ، وأخــلاقٌ ، ومملكــة ... وأصــبح الســؤدَدُ المِغــوارُ مــدحورا

وبــات - فــي القيــد والأغــلال - (معتمــدٌ) ... كــم عــاش يأســر ، حتــى بــات مأســورا!

وجــاء (ألفــونسُ) ، والأخبــار تســبقهُ ... ويــحَ العُلــوج غــزت لــم تُــؤوِ مَوْتــورا!

ويــح المفــاليس يجتــاحون خندمــة! ... كــم دبّــروا أمرهــا بالكيــد تــدبيرا!

لكــنهم غفلــوا جــداً إذ اعتقــدوا ... بــأن أهــل التقــى صــاروا شــحاريرا

توهمــوا أن كــل النــاس (معتمــدٌ) ... لــذا فشــأنهمُ قــد بــات مبتــورا

لكــنّ (يوســف) فــي الآفــاق لاح بهــم ... مهنــداً مِــن ســيوف الله مشــهورا

قــاد الجيــوش ، وصــاغ النصــر ملحمــة ... وقــال قــولاً - مــدى الأيــام - مــأثورا

لــن نســتكين لهــم ولا (لمعتمــد) ... ثــم امتطــى أبلقــاً - فــي الحــرب - مئشــيرا

يطــوى البيــاديَ ، لا يبــدو العَجَــاجُ لــه ... كأنــه بــات - فــي الجــوزاء - زرزورا

وجُنــدُه الأسْــدُ - فــي الهيجــاء - ثــائرة ... ومَــن يطيــقُ لبــأس الأسْــد تصــويرا؟

تطيـــرُ مُرعِـــدة ، ترجـــو فريســـتها ... ولا تُخيّرهـــا - فـــي الخنـــق - تخييـــرا

حتـــى لتجعلهـــا تفـــرّ لائـــذة ... يـــا للأســـود إذا لاقـــت خنـــازيرا!

وكـــان (يوســـفُ) يُزجـــي الصـــف محتســـباً ... وعـــاد - مِـــن حـــرب أهـــل الكفـــر - منصـــورا

وبـــات رأســـاً علـــى أتبـــاع مِلتـــهِ ... إذ أمّرتـــه جيـــوشُ النصـــر تـــأميرا

واقتِيـــدَ للســـجن بعـــد المُلـــك (معتمـــدٌ) ... إذ هجّـــروه - مِـــن الـــديار - تهجيـــرا

ولـــم يكـــن فـــي دجـــى (أغمـــاتَ) مِـــن فـــرَح ... ولا بُلهينـــــةٍ تُســـــتاق تيســـــييرا

و(فخـــرُ دولتـــه) يقتـــاتُ مرتزقـــاً ... مِـــن الصـــياغة لمّـــا صـــار مـــأجورا

ومـــات - فـــي حربـــهِ - (المـــأمونُ) مُلتمســـاً ... رضـــا أبيـــه الـــذي أعمـــاه تبريـــرا

وفـــي الجـــلاد قضـــى (الراضـــي) فهـــدّ أبـــاً ... كـــم عـــاش ينتظـــرُ الأنبـــاء تبشـــيرا!

أمـــا البنـــات فكـــم عـــانين متربـــة! ... إذ بـــتن يغـــزلن للشـــرطي طرطـــورا

مَـــن كـــان يخـــدمُ قبـــل اليـــوم (معتمـــداً) ... يَســـتخدمُ اليـــومَ بنـــتَ العِـــز تســـخيرا!

يـــا نـــاسُ هـــذي مِـــن الجبّـــار موعظـــة ... تزيـــدُ مَـــن يبتغـــي - فـــي العـــيش - تبصـــيرا

وسُـــنة - فـــي الـــورى - يـــأتي بهـــا قـــدَرٌ ... وكـــانَ أمـــرُ إلـــه النـــاس مَقـــدورا

لهذا انحنيت! (معارضة لقصيدة لماذا انحنيت؟ لجابر قميحة)

(نشرت مجلة المجتمع الكويتية في عددها 1094 ، والصادر في يوم 5- 4- 1994م ، قصيدة عنوانها: (لماذا انحنيت؟) للدكتور الشاعر جابر قميحة – حفظه الله - ، وكنتُ قد سمعتها منه في أمسية تجمعه والدكتور العشماوي والدكتور البارود ، وذلك في أحد الكاسيتات. ولمّا انفعلت بالقصيدة رحتُ أعارضها! أما عن مناسبة كتابة الدكتور قميحة لقصيدته فترجع بنا إلى الوراء حيث كان الشاعر الجاهلي الأسعر الجحفي مرثد بن أبي حُمران غلاماً عندما قتل أبوه ، ورأى إخوته الكبار يأكلون دية أبيهم ، ويبيعون فرسه ويُسمّنون أمّهم ، ثم زوّجوها بعد ذلك لرجل غريب سيء الخلق خشن الطباع ، فنظم قصيدة يهجو فيها إخوته الكبار الذين فرّطوا في أمّهم وتركة أبيهم! ورثا لذلك وانفعل انفعالاً مريراً ، إذ لم يكن يتصور أن يفعل إخوته ذلك أبداً ، فقال فيما قال:

باعوا جوادهمُ لتسمن أمُهم ... ولكي يعود على فراشهمُ فتى

وذكر بعد ذلك أبيات يعف الديوان عن ذكرها! ومن أرادها فليطالعها في ديوان الأسعر الجحفي. وهنا تأثر الدكتور قميحة وتخيل طيف الأب المقبور يواجه الابن الأكبر الذي تولى كبر الإجرام في حق أبيه وأمه وأهله بعد مماته فكانت القصيدة! والتي يقول مطلعها:

ألم أوصك الأمس قبل الممات ... فأين وصاتي التي قد أضعتْ؟

وفيها سطرت تزولُ الجبال ... ولا تنحني أبداً فانحنيت

ويستمر الطيف الذي تخيله الدكتور قميحة في توجيه اللوم والعِتاب لذلك الابن الأكبر فيقول:

أأبكي عليك؟ أأبكي إليك؟ ... أأبكي علينا لما قد جنيتْ؟

ففي غدك المستباح الجريح ... ستصرخ: يا ليتني ما انحنيت!

ثم يختم الدكتور قميحة عتاب الطيف الأبوي هذا للابن الأكبر المخمور بقوله:-

وما دمتَ قد بعت حتى الحطام ... ولم تبق أماً وأرضاً وبيتْ

فإنيَ أخشى أن تبيع ... عظامي وقبراً به قد ثويت!

ولما عشتُ مع خيال الدكتور قميحة ، وأدركتُ ما لعتاب طيف الأب الميت من مغزى ، رحتُ أتصور الابن الذي كان سكراناً مأخوذاً بحب المال ، ولو على حساب النفس والأهل والعشيرة والقبيلة والمجد ، تخيلته قد أفاق وأدرك خطأه لكن بعد فوات الأوان ، فراح يعتذر لأبيه ، فكانت قصيدتي ذلك الاعتذار الطويل على لسان الابن لأبيه ، يُبين له لماذا انحنى وخالف وعودَه التي قالها لأبيه! وعموما قصيدة الدكتور قميحة كاملة كان قد ضمّنها ديوانه بعد ذلك ، فالحصول عليها له مصدران: (مجلة المجتمع وقد ذكرتُ العدد – وديوان الدكتور جابر قميحة) وأما قصيدتي فقد ضمنتها ديواني (ترنيمة على جدار الحب) ولم أشرع في نشرها في أي صحيفة أو مجلة لطولها من جهة ، وأيضاً لأن التقديم لها حقاً يطول شرحه! فقلتُ: الديوان الكامل أولى

بها مهما طالت! وأنا معجبٌ جداً بهذه القصيدة الفذة المعبرة عنا وعن حال أمتنا كل التعبير! وهذا ابن الجوزي - رحمه الله - في صيد الخاطر قال: (من أظرف الأشياء إفاقة المحتضر عند موته ، فإنه ينتبه انتباهاً لا يُوصف ، ويقلق قلقاً لا يُحد ، ويتلهف على زمانه الماضي ، ويود لو تُرك كي يتدارك ما فاته ويصدق في توبته على مقدار يقينه بالموت ، ويكاد يقتل نفسه قبل موتها بالأسف ، ولو وجد ذرّة من تلك الأحوال في أوان العافية حصل له كل مقصود من العمل بالتقوى ، فالعاقل من مثّل تلك الساعة وعمل بمقتضى ذلك ، فإن لم يتهيأ له تصويرُ ذلك على حقيقته تخيله على قدر يقظته ، فإنه يكف الهوى ويبعث على الجدّ).هـ. وفي محاضرة (لو تكلم الموتى) للأستاذ سليمان الماجد يتساءل ويرد فيقول ما نصه: (تصورْ لو أن أهل القبور خرجوا من قبورهم ، خرجوا بأكفان بالية ووجوهٍ مغبرّة ، خرجوا من سكون القبور وظلمتها إلى ضجيج الأرض وأضوائها ، فركوا عيونهم ، عركوا آذانهم ثم انطلقوا في أنحاء المدينة أشباحاً مهيبة ليُحدثونا عن هول ما رأوْا! فماذا عساهم أن يقولوا بعد هول المطلع وسؤال منكر ونكير وحساب عسير ، وكيف يا ترى سيكون حديث الأموات للأحياء؟ هذا فتىً مات في ريْعان شبابه اختطفه الموت وهو أوسع الناس أملاً في العيش وأكثرهم رجاءً في متاع الدنيا ، مات على إسراف منه بالمعاصي ، فماذا يقول لأبيه المفرّط؟ لعله أن يقول له: يا أبتي لقد رأيت ثمار ذنوبي وهي آثار تربيتك).هـ.)

أبـــي ســـوف أحكـــي لمـــاذا انحنيـــتْ ... وســـوف أقـــصّ لمـــاذا اعتـــديتْ

لمـــاذا أضـــعتُ وصـــاة أبـــي ... وبعـــتُ التـــراث وسِـــرجَ (الكُمَيـــت)!

وبعـــتُ القـــريضَ بـــلا درهـــم ... وبعـــتُ الـــديار بنقطـــة زيـــت!

وبعـــتُ الكرامـــة ، مـــا صُـــنتها ... وبالســـاحر الســـامريّ اقتـــديت

وســـلمتُ أرضـــي لأعـــدائها ... ولـــم يبـــق لـــي – فـــي الـــدهاليز – بيـــت!

وزوّجـــتُ أمـــي لمـــن عابهـــا ... وفـــي مَوْبـــق الـــذل – ويحـــي - ارتميـــت

وهـــدّمتُ داري ليرضـــى العِـــدا ... لأنـــي رضـــاءَ الأعـــادي ارتضـــيت

وفرّقـــتُ شـــملاً رعـــاه أبـــي ... وخنـــتُ أمانتـــه ، مـــا رعيـــت

وعشـــتُ حقيـــراً بـــلا غايـــةٍ ... لأنـــي لظـــل الأعـــادي انحنيـــت

وحطمـــتُ ســـيف أبـــي عابثـــاً ... وخلـــف الســـراب المريـــر مشـــيت

ألا إنهـــا قصـــة خضّـــبتْ ... بروحـــي ، فـــإني – عليهـــا - جنيـــت

ســـعيتُ – إلـــى المـــوت – فـــي خِســـةٍ ... فيـــا ليتنـــي – يـــا أبـــي – مـــا ســـعيت!

وأردَيـــتُ شِـــعرك ، لـــم أعتبـــرْ ... ويلعننـــي كـــل شـــطر وبيـــت!

وضـــــــحّيتُ بـــــــالعِز مســـــــتهتراً ... فـــــوا حســـــرتاه علـــــى مـــــا أتيـــــت!

وأخلفـــــتُ وعـــــدي ، معـــــاذ الوفـــــا! ... ومـــــن نـــــار خلـــــف الوعـــــود اكتويـــــت

وخنـــــتُ العهـــــود ، وعُـــــذري الهـــــوى ... وفـــــي هُـــــوة الســـــحق – وحـــــدي - هَويـــــت

وبـــــددتُ – فـــــي شـــــهوتي - ديـــــة ... أتتنـــــا بموتـــــك يـــــوم قضـــــيت

فصـــــرتُ أســـــيراً بأيـــــدي العِـــــدا ... وفـــــي رحلـــــة المُخزيـــــات ازدهيـــــت

وغابـــــت – عـــــن العـــــين - حُريتـــــي ... فـــــلا أملـــــك الـــــرأيَ إمـــــا ارتأيـــــت

ولا أشـــــرب المـــــاء عنـــــد الظمـــــا ... ولا أملـــــك – اليـــــوم – حتـــــى البُييـــــت

ولا أبـــــذل الـــــدمع عنـــــد البكـــــا ... ولكـــــنْ دمـــــوعي دمٌ إن بكيـــــت

أنـــــنّ فيجرحنـــــي خـــــاطري ... فيـــــا ليتنـــــي - يـــــا أبـــــي – مـــــا عصـــــيت

فخففْ عِتابـــــك عـــــن حيرتـــــي ... فـــــإنيَ - مـــــن لـــــوم نفســـــي - اكتفيـــــت

وتاركـــــتُ داري للقيـــــا الرخـــــا ... وجـــــاوزتُ حتـــــى تخـــــوم (الكويـــــت)!

وســـــاءلتُ نفســـــي: لمـــــاذا الأســـــى؟ ... وهـــــل يُرجـــــع الحـــــزنُ مـــــا قـــــد رميـــــت؟

ألا إننـــــي أســـــتحق الـــــردى ... فـــــإني صـــــروحَ الهـــــوان ابتنيـــــت

وإنـــــي رضـــــيتُ بعـــــيش الخنـــــا ... فـــــوا أســـــفاه علـــــى مـــــا ارتضـــــيت

وأهـــــلُ الصـــــليب اســـــتماتوا علـــــى ... ضـــــياعي ، وإنـــــي إلـــــيهم أويـــــت

وكـــــم دمّـــــروا فـــــيّ معنـــــى الإبـــــا ... لأنـــــي بنـــــار الخنـــــوع اصـــــطليت!

وكـــــم حطمـــــوا فـــــيّ حـــــب الهـــــدى ... بـــــ (فلـــــم) و(مـــــاتش) وكيـــــتَ وكيـــــت!

وكـــــم قالـــــت الموبقـــــاتُ: اســـــتبقْ! ... وقالـــــتْ غـــــواني الـــــدهاقين: هيـــــت!

وكانـــــت شِـــــبَاكاً تصـــــيد الـــــذي ... يحـــــنّ إليهـــــا ، لـــــذا مـــــا وعيـــــت

قهـــــرتُ علـــــى أن أطيـــــع الهـــــوى ... لأنـــــي – مـــــن الموبقـــــات - ارتويـــــت

أكلـــــتُ الحـــــرامَ ، فضـــــاع الحيـــــا ... وعاثـــــت بـــــيَ الخمـــــرُ حتـــــى زنيـــــت!

فهـــوّنْ عليـــكَ ، كفـــاني جـــوىً ... فعينـــــك إن أبصـــــرتني رثيـــت

حنانيـــــك أنـــــت لنـــــا والـــــدٌ ... وإنـــــي طموحَـــــك فينـــــا اقتفيـــت

ترفـــــقْ ، ســـــؤالك أهمـــــى دمـــــي ... أتســـــأل مثلـــــي: (لمـــــاذا انحنيـــت)؟

لأنـــــي انحرفـــــتُ ، فلـــــم أســـــتقمْ ... وحـــاك الأعـــادي الـــذي مـــا دريـــت

وخيّـــــرتُ بـــــين وصـــــاة أبـــــي ... وبـــين العُـــروض التـــي قـــد رأيـــت

فخالفـــــتُ مـــــا أنـــــت أوصـــــيتني ... وقارفـــتُ مـــا أنـــت عنـــه نهيـــت

ورحّبـــــتُ بـــــالهزل دون حيـــــا ... وبـــــالزور والبهرجـــــات احتفيـــت

وأشـــــعلتُ للكـــــأس ســـــيجارة ... وبـــين المخـــاليق – عمـــداً - غويـــت

وأرهفـــــتُ ســـــمعي لقـــــيح الغِنـــــا ... ومِـــن أهلـــه كـــل فكـــري اســـتقيت

ولـــم أحـــم نفســـيَ مـــن غابـــة ... وإرثَ أب ميّـــتٍ مـــا حميـــت

فبعـــتُ اليهـــودَ ديـــاري التـــي ... ورثـــتُ ، وفـــي نـــار بيعـــي انشـــويت

وأمســـكتُ – فـــي الـــزار - قيثـــارتي ... ولحّنـــتُ أغنيـــة مـــا اســـتحيت

وأعطيـــتُ أهـــلَ الصـــليب اللـــوا ... وبـــالكفر والكـــافرين احتميـــت

وعِشـــنا ســـوياً نضِـــلّ الـــورى ... وفـــي سُـــلم الفاســـقين ارتقيـــت

وكنـــتُ ارتشـــفتُ ضـــلالاتهم ... شـــربتُ السُـــلافة حتـــى انتشـــيت

وطاحـــت - بعقلـــي - خمـــورُ الهـــوى ... ومـــا زرعـــتُ أرانـــي اجتنيـــت

ومَـــن لامنـــي خِلتـــه قـــاتلي ... وفـــي عـــالم المغريـــات اســـتميت

وبعـــتُ القبيلـــة فـــي محفـــل ... ونفســـي مـــن الأقـــربين افتـــديت

نصـــبتُ المـــزاد ، فمـــا ردّنـــي ... هُمـــامٌ ، فبعـــتُ الـــذي مـــا اشـــتريت

و(شـــايلوكُ) أدى إلـــيّ الـــذي ... أمـــام جميـــع القطيـــع ابتغيـــت

و(جينـــا) تغنـــي لمَـــا أحـــرزتْ ... مـــن النصـــر ، يـــا ليتنـــي مـــا انثنيـــت!

و(نِيـــرمين) تـــرقصُ مزهـــوّة ... لأنـــي إلـــى (البـــار) والمجـــرمين اهتـــديت

و(رونـــــا) تعِـــدّ كـــــؤوس الطِـــــلا ... لأنـــــي إليهـــا اختمـــاري اشـــتكيت

و(مِيرنـــــا) تحِـــد شِـــفار المُـــدى ... لـــــذبحي ، لأنـــــي إليهـــا جريـــت

و(راجـــــــي) يُجهّـــــــز دبابـــــــة ... لخـــوض الغِمـــار ، لأنـــي طغيـــت

و(فيـــــــرو) يُلمّـــــــعُ رشاشـــــــه ... لأنـــي رصـــاصَ اليهـــود اشـــتهيت

أبـــي ليتنـــي مـــا نســـيتُ الـــذي ... نصـــحتَ ، ويـــا ليتنـــي مـــا افتريـــت!

أبـــي ليتنـــي مـــا نســـيت غـــدِي ... وأمسِـــي ، وأرضـــاً عليهـــا ارتعيـــت

أمـــا زلـــتَ تـــذكُر أصـــقاعنا ... وصـــحباً – مـــن المكْـــرَمِين – اصـــطفيت؟

أمـــا زلـــتَ تـــذكُر بيـــداءنا ... ويـــوم انزعجـــتَ لأنـــي اختفيـــت؟

أمـــا زلـــت تـــذكر ضـــبحَ الظبـــا ... وبيتـــاً وراء الكثيـــب بنيـــت؟

أمـــا زلـــت تـــذكر أمـــي التـــي ... لهـــا المجـــدَ – بـــين الغـــواني - اشـــتريت

أمـــا زلـــت تـــذكرنا يـــا أبـــي؟ ... أتـــذكُر أيـــامَ كنـــتُ اســـتويت؟

أمـــا زلـــتَ تـــذكر أعرابنـــا ... وكـــم مـــن بطـــون الكِـــرام احتويـــت؟

أمـــا زلـــت تـــذكر أســـفارنا ... وكـــم مـــن أراضـــي العَنـــاء طويـــت؟

أمـــا زلـــت تـــذكر فـــي دارنـــا ... خِيامـــاً بهـــا فـــي البرايـــا ثويـــت؟

أمـــا زلـــت تـــذكر أقصوصـــة ... لنـــا – فـــي مِهـــاد التصـــابي – رويـــت؟

أمـــا زلـــت تـــذكر تاريخنـــا ... وكـــم قصـــة – عـــن بـــلادي – حكيـــت؟

أمـــا زلـــت تـــذكر جيراننـــا ... وكيـــف لـــبعض الخِيـــار اجتبيـــت؟

ألا كـــل هـــذا بقلبـــي انـــزوى ... لأنـــي - وراء الســـراب - انزويـــت

إلـــى أن قـــرأتُ قـــريض أخـــي ... وكـــم مـــن كتـــاب لـــذاك اقتنيـــت!

لأعـــرف عـــن شِـــعر أعرابنـــا ... فأدركـــتُ أنـــي هنالـــك ميْـــت

وكنـــتُ اعتزمـــتُ بـــأنْ لا هُـــرا! ... فـــوا خيبتـــاه علـــى مـــا انتويـــت!

شـــــوى نـــــاظريّ قـــــريضُ أخـــــي ... وأيقنـــــتُ أنـــــي – بهـــــذا - انتهيـــــت

فرفقـــــــاً بقلـــــــب كســـــــير هـــــــوى ... إلـــى وهـــدةٍ – فـــي جواهـــا - اشـــتويت

فيـــــا ليتنـــــي لـــــم أطـــــع جهلـــــه! ... ويـــــا ليتنـــــي للأســـــى مـــــا مضـــــيت!

ويـــــا ليتنـــــي مـــــا لفظـــــتُ الهُـــــدى! ... ويـــــا ليتنـــــي للســـــنا مـــــا ازدريـــــت!

فهـــــل يُرجـــــع الـــــدمعُ عـــــزاً مضـــــى؟ ... وهـــــل تنفـــــع - اليـــــومَ - آلافُ (ليـــــت)؟

نويـــــتُ بـــــأن لا أطيـــــل الجـــــوى ... فهـــــل بـــــيْ اقتـــــدارٌ علـــــى مـــــا نويـــــت؟

وهـــــل أســـــتطيع بُلـــــوغ الـــــذرى؟ ... وهـــــلا توثقـــــتُ ممـــــا افتريـــــت؟

وهـــــل أكمـــــلُ اليـــــوم درب العُـــــلا ... وأنجـــــز مـــــا فـــــي صـــــداه بـــــديت؟

وهـــــل أنبـــــري لوَصـــــاة أبـــــي؟ ... وذي خيـــــرُ شـــــئ إليـــــه انبريـــــت!

وكـــــم قـــــد نُصـــــحتُ بتطبيقهـــــا! ... ولكـــــنْ لأنـــــي الشـــــقيّ أبيـــــت

يمينـــــاً أنـــــافح عـــــن هِمّتـــــي ... وأبصـــــرُ - مـــــن حجتـــــي - مـــــا لويـــــت

وعهـــــداً أعـــــود ســـــريعَ الخطـــــا ... لـــــدار عليهـــــا نيـــــاقي رعيـــــت

وأحفـــــظ عهـــــداً أبـــــي خطـــــه ... وأرجـــــع للأهـــــل مـــــا قـــــد ســـــبيت

وأصـــــغي إلـــــى مـــــا أبـــــي قالـــــه ... فـــــإني بنـــــار العنـــــاد انكويـــــت

وأكـــــبحُ ريـــــحَ اللجـــــاج التـــــي ... ســـــقتني الأباطيـــــل حتـــــى التهيـــــت

وأطـــــرحُ عنـــــي جبـــــالَ الشـــــقا ... فـــــإني بكيـــــد الـــــبلاء اكتويـــــت

وأخلـــــعُ عنـــــي صِـــــمات الـــــدُمى ... وثوبـــــاً مـــــن الجُـــــبن كنـــــتُ ارتـــــديت

وألقِـــــي عـــــن القلـــــب أغلالـــــه ... وبُـــــرداً مـــــن الزيـــــف كنـــــتُ اكتســـــيت

وأرمِـــــي الحـــــرام للاعـــــودةٍ ... وأرضـــــى بمـــــوتي ، وآبـــــى السُـــــحَيت

كفـــــى مـــــا جـــــرى مـــــن ضـــــياعي ، كفـــــى! ... مـــــن اليـــــوم نـــــارَ الضـــــياع اتقيـــــت

ألا يـــــا ضـــــياعي الرعيـــــبَ انقشـــــعْ ... فإنـــــك دهـــــراً علـــــيّ قضـــــيت

ويُســـــــعدني – الآن – أنـــــــي أرى ... شـــــموخي ، لأنـــــي بعـــــزي اختليـــــت

أبـــــي أنـــــتَ شـــــمسٌ علينـــــا أتـــــت ... وأنـــــت الإبـــــاءُ إذا مـــــا انجليـــــت

أفقـــــتُ أبـــــي ، فارتقـــــبْ صـــــحوتي ... وخيـــــري التمســـــتُ ، وصـــــحبي انتقيـــــت

وأســـــرجتُ خيلـــــي أريـــــدُ المضـــــا ... ترانـــــي مُتـــــونَ الجيـــــاد اعتليـــــت

وراجعـــــتُ ماضـــــيَ عمـــــري الـــــذي ... بكـــــل احتيـــــال مَقيـــــتٍ زويـــــت

فكفكـــــفْ غمومَـــــك ، لا تبتـــــئسْ! ... بلومِـــــك قلبـــــي الكســـــيرَ شـــــويت

فهـــــوّنْ عليـــــك ، كفانـــــا النـــــوى ... فإنـــــا افتقـــــدناك منـــــذ نأيـــــت

وعظـــــت الكثيـــــر فبصّـــــرتنا ... وكـــــم مـــــن مَعـــــين الرشـــــاد ســـــقيت!

وأفـــــدي بروحـــــي وصـــــاة أبـــــي ... ونصـــــحَ الغطـــــاريف إنـــــي فـــــديت

رعـــــاك المليـــــك أبـــــاً مخلصـــــاً ... وصَـــــيتُك ـ فـــــي النـــــاس ـ أطيـــــب صَـــــيْت

ولا غـــــاب عنـــــا الـــــذي قلتـــــه ... مـــــن النصـــــح واللـــــوم مهمـــــا انتحيـــــت

وإنـــــا علـــــى العهـــــدِ مهمـــــا جـــــرى ... نقيمُـــــك يـــــا عهـــــدُ ، مهمـــــا التويـــــت

ليل الهموم (معارضة لامرئ القيس)

(فن المعارضة الشعرية لا يدل على ضعف الشاعر كما يصور بعض النقاد ، ولا يزال الشعراء على ذلك. عارض امرؤ القيس ـ الذي يعتبر أمير الشعراء في العصر الجاهلي بعد زهير بن أبي سُلمى – غيره من الشعراء. إنني هنا أتحدث عن ليل الهموم الذي اجتاحني على حين غِرة وعلى غير تدبير مني. إن ليل امرئ القيس الذي كان مع الصيد سواء صيد الظباء أو النساء ، ليلٌ موغلٌ في الجاهلية زمانًا واعتقادًا. ولكن الليل الذي أعنى فهو يحمل همومي في المصاب الذي أودى بالمُقلة المبتلاة ، ومصابي في الأمة المسلمة التي بليَّتها ليس لها حدود ، إنها تخرج من محنة إلى محنة أشد وأنكى ، والله المستعان على كل حال. وامرؤ القيس سُلَّمٌ أصعد عليه ، ونافذة أطل منها على الأحداث ، وآلة تصوير أتناول بها الأمور وأصورها. إنه الليلُ الذي أظلمتْ عَيني اليُسرى فيهِ لأولِ مرة. وتذكرتُ ليلَ امرئ القيس ـ الشاعر الجاهلي المعروف ـ واستعرتُ بيتَه الأول وجعلتُه مستهلَ قصيدتي. وبعد قليل تذكرتُ مَنْ هو أفضلُ مِنِ امرئ القيس دِينًا وخُلُقًا وفضلًا ونورًا وشاعرية وشعورًا ، إنه الإمام شمسُ الدين ابنُ القيم الجوزية ، حيث يقول في ميميته مُحذرًا الغفلةَ وليلَ الهوى وضياع الوقت فيما لا فائدة فيه:

فيا ساهيًا في غَمْرة الجهل والهَوَى ... صريعَ الأماني ، عَنْ قَريبٍ ستنْدَمُ

أَفِقْ قد دنا اليومُ الذي ليس بعدَه ... سوى جنةٍ أو حَرِّ نارٍ تَضَرَّم

وبالسُنّةِ الغَراءِ كُنْ متمسِّكًا ... هِيَ العُروةُ الوُثقَى التي ليس تُفْصَم

تَمَسَّك بها مَسْكَ البخيل بمَالِهِ ... وعَضَّ عليها بالنواجِذِ تَسْلَم

ودعْ عنكَ ما قَدْ أَحْدَثَ الناس بعدها ... فمَرْتَعُ هَاتِيكَ الحَوادِثِ أَوْخَم

وَهَيِّئْ جَوابًا عندما تَسْمَعُ النِّدا ... مِنَ الله يومَ العَرْضِ مَاذَا أَجْبتُمُ؟

به رسلي لمَّا أتوْكُم فمَن يكن ... أجاب سواهم سوف يَخْزَى ويَنْدم

وخُذْ مِن تُقَى الرحمن أعظمَ جُنّةٍ ... ليوم به تبدو عيانًا جَهَنّم

وللأمانة وللتاريخ تأثرت بأبيات ابن القيم رحمه الله، ولكن كان تأثري بامرئ القيس أقوى من ناحية الصياغة. أما أبيات ابن القيم فأعطتني الإيحاء والفكرة!

في مقالة عن السهر في الليل ، يقول الأستاذ إبراهيم بن محمد الحقيل ما نصه: (إن الأصل في السهر أنه مذموم إلا لمصلحة راجحة ، وبشرط أن لا يخل بشعيرة واجبة ؛ لأن عمومات القرآن دالة على أن الله تعالى جعل الليل للسكن والنوم ، وجعل النهار للحركة والانتشار ، ثم جاءت السنة النبوية تعزز هذه الآية الربانية في البشر لتجعلها وفق الفطرة السوية. فعَنْ أَبِي بَرْزَةَ رضي الله عنه «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ العِشَاءِ وَالحَدِيثَ بَعْدَهَا» (متفق عليه). وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: "مَا نَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ ، وَلَا سَمِرَ بَعْدَهَا" (رواه أحمد). فهذا هديُه الدائم عليه الصلاة والسلام ، وما نُقل من سهره وحديثه بعد العشاء فهو عارض لحاجة دعت لذلك. ولذا كان صلى الله عليه وسلم يذم السهر ويعيبه ؛ كما روى أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْدِبُ لَنَا السَّمَرَ بَعْدَ الْعِشَاءِ" أي: يعيبه ويذمه. ولم يرخص صلى الله عليه وسلم في السهر إلا لمن له حاجة تدعو للسهر كمن يصلي أول الليل يخشى أن لا يقوم آخره فيقدم الوتر ، أو من كان مسافراً ؛ لأن المسير في الليل أبرد وأهون ، وفيه تطوى الأرض ، ويقل

العطش ، أو لحديث يذكر بالآخرة كما فعل النبي عليه الصلاة والسلام غير مرة ، أو لعمل لا بد منه كحراسة أو نحوها من مصالح المسلمين ، أو لعمل لا يمكن إنجازه إلا في الليل ، أو لا يحتمل التأخير ، أو لتفقد أحوال الرعية من الإمام المسلم أو نوابه ، أو لحفظ الأمن والأعراض من أهل الحسبة والشرط ونحوهم).هـ. فقلت جاعلاً بيت امرئ القيس مفتتحاً لقصيدتي:)

«وَلَيْـلٍ كَمَـوْجِ البَحْـر أرخَـى سُـدُولَهُ ... عَلَـيَّ بـأنواع الهُمُـومِ ليَبْتَلِـي»

نَعَـمْ أغرقَـتْ قلبـي الـدماءُ غَزِيـرةً ... وقـد خَمَّشـتْ وجهـي ولمَّـا تـرقَّ لـي

وعَيْنِـي تَحَـدَّتْها الـدماءُ فَسَـلّمَتْ ... وإنَّ الـدموع الهُـوجَ لَـمْ تَتَحَمَّـلِ

وَهَبَّـتْ رِيـاحُ الـوَهْمِ تَمْسَـحُ دَمْعَتِـي ... بمِنْـديلها ، والـدمع فـي كـل منـزل

وربِّـي يُحِـبُّ العَبـدَ يحتمـلُ الأذى ... وإنِّـي ضـعيفٌ قـدْ جفـاني تحمّلـي

أبَـا الحـارث: اكتمْهـا فليلْـكَ مُنْتَـهٍ ... وسـاعاتُه سَـيْفٌ علـى المترهـل

أراكَ اعْتليْـتَ المَـتْنَ مـتْنَ جـوادِكمْ ... وتصـطادُ فـي البيـداء مـن كـل قِصـمَل

فمـا رَدَّكَـمْ بَـأسُ القـوارع مَـرَّةً ... فـأنتمْ علـى بـأس العِـدَا كالجَحْفَـل

فهَـلْ يُبْكِـيَنَّ الليـلُ مثلَـكَ لحظـةً ... وعبـرَ الـدُجُنِّ السـيفُ فـي كـل مِفصَـل؟

وهـلْ لَيْلُـكَ الـداجي سـيُرخي سُـدُولَهُ ... عليـك بـأنواع الهُمُـومِ ليِبْتَلِـي؟

وفـيمَ ابـتلاءُ الليـلِ؟ أنـتَ غَضَـنْفَرٌ ... فهَتِّـكْ سُـدُولَ الليـلِ لِيلِـكِ ، وارحَـل

وَيَـا أيُّهـا الكِنْـدِيُّ كُـفَّ عـن الهَـوَى ... فكـم للهـوى مِـنْ ضَـائعٍ مُتَبَـذَّل!

ولـولا الإلَـهُ الحَـقُّ ضَـيْعنِي الهَـوَى ... وأبـئسْ بقلـب مـن دجـى الشـر مُثقَـل!

وإنِّـي ، وإنْ لـمْ أصْـطَبِغ بَمَـراره ... ولكـنْ طـواني فِيـه بعـض ترهُّلـي

أبَـا الحـارِث: انجـابَ الكَـرى بمحمـدٍ ... علـى ديـنِ (إبـراهيمَ) لـمْ يَتَحَـوَّل

هَـدانِي إلَـهُ الكـون ، لسـتُ بفاسِـقٍ ... ولا آهـة (الكنـدي) تعلـو بمَحفَـل

ولكـنْ حَنِيـفٌ مُسْـلِمٌ ومُوَحِّـدٌ ... وقـرآنُ ربِّـي فيـه كُـلُّ التفضـل

وبيْنِـي وبـيْنَ الجاهليـة حِقبـةٌ ... وعَمَّـتْ فـؤادي هِمَّـةَ المُتَبَتِّـل

أي بُنيّ! (مُحاكاة للامية ابن الوردي)

(لم يكن لي ولعٌ أبداً بمعارضة لامية ابن الوردي! وليس ذلك زهداً في قصيدته ، لا وربي! ولكن لأنها دسمة ويصعبُ استيعابُ فكرتها واستقصاءُ مرماها واعتلاءُ مَتنها بسهولة! هذا فضلاً عن مُساجلتها أو مُحاكاتها أو مُعارضتها! وذات يوم فوجئتُ بإعجاب أحد أبنائي بها ، وقال لي ألا تُحاكيها؟ فقلتُ: ولم؟ قال: ابن الوردي شاعر يُوصي ابنه! فلماذا لا توصيني كما فعل ابن الوردي مع ابنه؟! فقلت: أفعل إن شاء الله! ولا شك أنني لا أدّعي لنفسي أن مُحاكاتي لابن الوردي في لاميته أفضلُ مِن لاميته! بالطبع لا! فله السبقُ والفضل ، ولي شرفُ المحاولة! وأنا أحترمُ ابن الوردي – رحمه الله – وأكادُ أجزمُ بأنني استمعتُ وطالعتُ لاميته مئاتِ المرات على مدى عِقدين من عمري! وكل شاعر لا يحترمُ الشعراءَ الآخرين من أتباع مِلته وأنصار عقيدته يسقط من نظري بمقدار عدم تقديره لهم! وأعتبره شاعراً وَضيعاً وخسيساً مَن يُحاول أن يصل على أكتاف الشعراء الآخرين! لقد حاول هذه المحاولاتِ الدنيئة القذرة شعراء كثيرون ومستشعرون أكثر ومتشاعرون أكثر وأكثر على مدار التاريخ! وباءت محاولاتهم بالفشل الذريع المريع ، وباؤوا بالخيبة المضحكة المبكية! لأن الشعراء والنقاد والكُتاب والأدباء كانوا لهم بالمرصاد! فغربل ما كتبوه بغربال النقد الموضوعي المنصف ، ونخل ما كتبوه بمنخل النقد المحايد المتجرد! ووضع كل ما خلفوه من نتاج شعري منتحل فوق مجهر النقد والتحليل! وعندنا ولله الحمد من المحيط إلى الخليج نقادٌ نحاريرٌ نفارير ، وأكاد أقطع بأنهم كانوا في الغالب الأعم منصفين متجردين مبينين للحق وناشرين للحقيقة بحيدة وموضوعية! ومعاذ الله أن أنال من القاضي الفقيه النحوي الشاعر عمر بن الوردي ، في محاولةٍ رخيصةٍ مكشوفةٍ ماكرةٍ خبيثةٍ لأظهرَ وأشتهر! يشهد الله تعالى أنني لا أحب الظهور ولا أهل الظهور ، ولا أحب الشهرة ولا أهل الشهرة! بل سيظل ابن الوردي الشاعرُ الفقيهُ النحويُ البلاغيُ المؤرخ العظيم في مقامه السامي ومنزلته الرفيعة! وستظل قصيدته اللامية من عيون شعر العرب! وسوف أظل أراوحُ في مكاني ، وقصيدتي ستظل كشاعرها تراوح هي الأخرى في مكانها! وتحت عنوان: (شاعر وقصيدة - لامية ابن الوردي لعمر بن المظفر , ابن الوردي) ، يقول الدكتور بدر عبد الحميد هميسه ما نصه بتصرف: (<u>أما الشاعر</u>: فهو عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس. أبو حفص زين الدين بن الوردي المصري الكندي. 691 - 749 هـ / 1292 - 1349هـ , ولد في معرة النعمان غرب حلب. تولى قضاء حلب ثم قضاء منبج. وهو فقيهٌ وأديبٌ وشاعر. أجاد المنظوم والمنثور. من تصانيفه (تتمة المختصر في أخبار البشر) ، لخص فيه كتاب (المختصر في أخبار البشر) لأبي الفداء ثم أضاف إليه أحداث عشرين سنة من (729 - 749ه) ، وله (خريدة العجائب وفريدة الغرائب) ، أكثره في الجغرافية ، وفيه كلام عن المعادن والنبات والحيوان ، ولكن تغلب عليه الصفة الأدبية الخيالية. وكتاب (المنح). وله في الفقه (المسائل المذهبية) ، وله كتب في اللغة والنحو والشعر وعدد من المقامات , منها مقامة في الطاعون العام , مقامة الصوفية , المقامة الدمشقية المسماة (صفوة الرحيق في وصف الحريق) ، أي حريق دمشق. انظر ترجمة ابن الوردي في: الوافي بالوفيات 26/7 , العبر للذهبي 150/4 , الأعلام للزركلي67/5. <u>وأما القصيدة</u>: فهي قصيدة (اللامية) المشتهرة بلامية ابن الوردي , وتعد من أروع قصائده!).هـ. ولا ينبغي أبداً أن يُهمل الشعراءُ المعاصرون لامية ابن الوردي ، بل عليهم أن يُحاكوها ، ويهتموا بها ، ويكتبوا على غِرارها! فما أحوجَ الشباب والأولاد والبناتِ اليوم إلى مثل هذه الوصايا والنصائح التي تفوقُ الدرر جمالاً وحلاوة وعذوبة!

وأتمنى ألا تكون محاولتي الأخيرة من نوعها! بل على كل شاعر نحرير نفرير غيور على القيم والأخلاق والمبادئ ، أن يُشمّر عن ساعد الجد ويكتبَ لنا المحاكاة تلو المحاكاة عن قصيدة ابن الوردي – رحمه الله تعالى رحمة واسعة! وأعتقد – في ضوء اطلاعي على الأدب الإنجليزي وأخيه الفرنسي وأخيهما الروسي وأخيهم الأمريكي – أن عمر بن الوردي لو نبغ في إنجلترا أو فرنسا أو روسيا أو أمريكا لكان له شأن أعظم بكثير من شأنه في أمته! ولكن الآخرة خير وأبقى! وتتم الفائدة وتزداد المتعة بهذه القصيدة ، إذا استمعنا للامية ابن الوردي قبلها! وأسأل الله تعالى كما وفقني لإنجاز هذه القصيدة ، أن يوفق ابني للعمل بما حوته من الحق وتجنب ما حوته من الباطل ، وأسأله تعالى مثلَ ذلك لمن قرأ وعمل ونشر! هو سبحانه وتعالى ولي ذلك والقادر عليه! والآن لنطالع ما من الله تعالى به عليّ في محاكاة لامية عمر بن الوردي!)

أي بُنـــيّ اســـمعْ وَصـــاتي ، واعتـــدلْ ... والتـــزمْ مـــا جـــاء فيهـــا مـــن مُثَـــلْ

كـــم ســـهرتُ الليـــل فـــي تأليفهـــا ... واصـــطفيتُ الـــنصَ كـــي لا أرتجـــل!

وانتقيـــتُ اللفـــظ عـــذباً ســـائغاً ... ثـــم رشّـــحتُ تقاســـيمَ الجُمـــل

وانتخبـــتُ البحـــرَ يُشـــجي لحنُـــه! ... إن شـــدا اللحـــن نـــأى عنـــك المَلـــل

ذلـــك البحـــرُ ترانيمـــاً حـــوى! ... هـــل يُبـــارى - فـــي التـــرانيم - (الرمـــل)؟

لـــيس نظمـــاً صُـــفدتْ أنغامـــه! ... مـــا اســـتوى الـــنظمُ بتاتـــاً بالرتـــل!

ثـــم ضـــمّختُ وَصـــاتي بالشـــذى ... شـــافعاً نصـــي بنســـرينٍ وفـــل!

بـــاذلاً أســـمى تجـــاريبي التـــي ... عِشـــتُها ، فـــانظرْ وقـــدّرْ مـــا بُـــذِل!

ناصـــحاً ، والنصـــحُ حَـــتمٌ لازمٌ ... كـــم بنصـــح زال عـــن قـــوم خلـــل!

واعظـــاً وعظـــاً يُسَـــلي خـــاطراً ... ربمـــا أنجـــاك وعظـــي مِـــن زلـــل!

تاركـــاً بعـــدي وَصـــاتي للفتـــى ... مِشـــعلاً يهـــديك إن عـــم الضـــلل!

أي بُنـــيّ ، اللهَ فاعبـــدْ وحـــدهُ! ... كـــافرٌ عبـــدٌ بمولانـــا عـــدل!

واذكـــر الله ، وزدْ فـــي حمـــده ... وزدِ الشـــكرَ تُـــنعّمْ وتُجَـــل!

ولـــهُ الأعمـــالَ أخلـــصْ ، واجتهـــدْ ... وفـــق شـــرع الله يـــا نِعـــمَ العمـــل!

واســـتعنْ بـــالله ، وانشـــدْ عونـــه ... واســـأل المـــولى ، فـــأوفى مَـــن سُـــئِل!

لا تســـبّ الـــدهرَ ، هـــذا مَطعـــنٌ ... يطعـــنُ التوحيـــدَ فـــي قلـــب الرجـــل

والتـــــزمْ بـــــالأمر ربـــــي سَـــــنهُ ... والتـــــزمْ بـــــالنهي حتـــــى تعتـــــدل

واحتـــــرمْ يـــــا فـــــذ كـــــل الأنبيـــــا ... لا تُفـــــرّقْ يـــــا فتـــــى بـــــين الرســـــل

ثـــــم آمـــــن بـــــالنبي المصـــــطفى! ... خـــــاتمُ الرسْـــــل ، ومولانـــــا الأجـــــل!

لا تُؤلهْـــــهُ ، ولا تحلـــــفْ بـــــهِ ... مثلمـــــا يفعـــــلُ أربـــــابُ الـــــدجل!

وقـــــر الأصـــــحابَ ، واقـــــدرْ شـــــأنهم! ... خيـــــرُ جيـــــل لهُـــــدى الله امتثـــــل!

جاهـــــدوا خلـــــف النبـــــي المُجتبـــــى ... ضـــــد أهـــــل الكفـــــر والقـــــوم الســـــفل!

واحتـــــرمْ أســـــلافنا ، وارفـــــقْ بهـــــم ... وادحـــــض البهتـــــان عـــــنهم يُفتعـــــل

واحْـــــيَ بـــــالقرآن لا تنصـــــتْ إلـــــى ... خـــــائض فيـــــهِ ، فهـــــذا مُختبـــــل!

واتـــــلُ واعمـــــلْ ، واتبـــــعْ أخلاقـــــه ... وبتفســـــير لمَـــــا يحـــــوي احتفـــــل!

إن نويـــــت الفعـــــلَ أقـــــدِمْ واســـــتخِرْ ... وعلـــــى الله اعتمـــــدْ ثـــــمّ اتكـــــل

وانتقـــــلْ مِـــــن بُقعـــــةٍ فيهـــــا الأذى ... بُغيـــــة الـــــدين ، فمـــــا أحلـــــى النقـــــل!

لا تقـــــلْ: كـــــان أبـــــي فـــــي شـــــعره! ... بعـــــدهُ كـــــنْ أنـــــت - فـــــي الشـــــعر - المَثـــــل!

فـــــانظم الشـــــعرَ ، وعـــــشْ مســـــتعففاً ... واصـــــبرنْ يـــــا صـــــاحبي صـــــبرَ الجمـــــل!

واحمـــــل الـــــذات علـــــى حـــــب التقـــــى! ... وارق بـــــالروح لكـــــي لا ترتـــــذل

واردع الـــــنفسَ ، وزد فـــــي كبحهـــــا ... إن أرادت بـــــالهوى أن تســـــتظل!

واطلـــــب العِلـــــمَ ، وكـــــنْ مـــــن أهلـــــه! ... كـــــل إشـــــكال لـــــه بـــــالعلم حَـــــل!

واقـــــتن الكُتْـــــب ، وطـــــالعْ مـــــا حَـــــوتْ ... مِـــــن صـــــحيح العلـــــم للصِـــــيد الأوَل!

وانهـــــل العلـــــمَ صـــــواباً خالصـــــاً ... لـــــم يُخالطـــــه هُـــــراءٌ ، أو خبـــــل

إن فعلـــــت صِـــــرت حقـــــاً عالمـــــاً ... واســـــتمى مـــــا حُـــــزت مِـــــن خيـــــر النهـــــل

وتواضـــــعْ للـــــورى ، وارأفْ بهـــــم ... تغـــــدُ فـــــي نعمـــــى رضـــــاهم وتُجَـــــل

واحتـــــرم شـــــيخاً لـــــه أســـــفارُه ... ولـــــه جمـــــعٌ - إلـــــى العلـــــم - ارتحـــــل

واعـــــفُ عـــــن أخطائـــــه مهمـــــا اســـــتمتْ ... ربمـــــا الشـــــيخ بمـــــا يُفتِـــــي جهـــــل

لا تؤاخـــــــذهُ علـــــــى زلاتـــــــه ... هـــــذه الـــــزلاتُ يومـــــاً تنـــــدَمِل

لحـــمُ أهـــل العلـــم مســـمومٌ ، فـــلا ... تنشـــر العيـــبَ ، فـــذا خطـــبٌ جَلـــل!

أنـــت مُحتـــاجٌ إلـــى مـــا عنـــدهم ... إن مـــا حصّـــلته جهـــدُ المُقِـــل!

علمهـــم بحـــرٌ ، فخـــضْ أمواجـــه ... هـــل عـــن الـــدأماء يُغنيـــك الوَشَـــل؟!

قيمـــة المـــرء اتبـــاعٌ للهُـــدى! ... فـــإذا لـــم يتبـــعْ خيـــرَ المِلـــل

فهْـــو ممقـــوتٌ وإنْ حـــاز الـــدنا! ... لـــو أراد الخيـــرَ يومـــاً مـــا هـــزل!

واحضُـــر (الجُمْعـــاتِ) ، واشـــهدْ نورَهـــا ... وادعُ رب النـــاس فيهـــا ، وابتهـــل!

واشـــهدِ (العيـــدين) ، هـــذي سُـــنة ... وتعطـــرْ ، ثـــم بكّـــرْ ، واغتســـل

وصُـــم الشـــهرَ ، وقـــمْ فـــي ليلـــهِ ... كـــي تعـــافَ الـــنفسُ تخـــذيلَ الثِقـــل

وتصـــدقْ تُغـــن بعـــضَ الفقـــرا ... تعـــسَ القـــوتُ! بـــه المـــرءُ اســـتُذِل!

حُـــج بيـــت الله ترجـــعْ طـــاهراً ... مِـــن ذنـــوب وخطايـــا كالجبـــل

وأدمْ ذكـــرَ الـــردى دومـــاً تفـــز! ... ذِكْـــرُه عـــالي الصُـــوى لا تســـتقِل!

إنمـــا الـــذكرى كقطـــراتِ النـــدى! ... والنـــدى مِـــن طيـــب الـــذكرى خَضِـــل

لا يـــدومُ الحـــالُ ، هـــذي فريـــة ... إنمـــا الأيـــامُ – صـــدقني – دُوَل!

فـــاغتنمْ عمـــرَك ، وانشـــط ، واســـتقمْ! ... لـــيس يرقـــى المـــرءُ يومـــاً بالخمـــل

وبســـيف الحـــق جاهـــدْ واعتـــزمْ ... أمْ حُســـامُ الحـــق أضـــناهُ الفلـــل

واســـعَ للمجـــد إذا مِـــت بقـــيْ ... لا يُحـــاز المجـــدُ – كـــلا – بالعَجَـــل!

نـــمْ وقـــمْ وانشـــط ، وكـــن مســـتيقناً ... أن هـــذا العـــيش محتـــومُ الأجـــل

أطفـــئ المصـــباحَ إن نمـــت ، فـــذي ... سُـــنة صَـــحّتْ ، وفـــاز الممتثـــل!

وإذا اســـتيقظت كـــنْ مســـتغفراً ... واذكـــر المَـــولى ، وسَـــبّحْ فـــي وجـــل!

واحـــكِ للأحبـــاب رؤيـــا شُـــفتها! ... فـــي ســـنا التأويـــل بُشـــرى أو أمـــل!

لا تُـــر العينـــين مـــا لـــم تريـــا ... كـــذبٌ هـــذا ، فـــدعْ عنـــك الـــدجل!

واصـــحب الأفـــذاذ مِـــن أهـــل الهُـــدى ... واهجـــر الحمقـــى ، ولا تـــؤوي الهمَـــل!

وأخـــو التوحيـــد فاســـلكْ دربَـــهُ ... إنـــه إنْ دارتِ الأيـــام خِـــل

لا تقـــل كـــل البرايـــا إخـــوة ... هـــل تســـاوت أسْـــد غـــاب بالجُعَـــل؟!

لـــيس يُعلـــي النـــذلَ مـــالٌ أو غنـــىً! ... قـــدمٌ حـــافٍ ، وأمســـى المُنتعـــل!

وانـــأ عـــن أهـــل انتفـــاع ، إنهـــم - ... إن أردت الوصـــف حقـــاً – أهـــل غِـــل

طلـــبُ الحاجـــات أقصـــى جهـــدهم! ... فـــإذا نيلـــتْ تحلـــوْا بالبَخَـــل!

وتجنـــبْ كـــل نـــذل حاقـــدٍ ... لا تُصـــاحبْ أي شـــخص مُختتـــل!

صـــاح فـــي مَشـــيك فاقصـــدْ ، واتئـــدْ! ... خرقـــك الأرضَ مُحـــالٌ ، فاعتـــدلْ

فـــالهُوَيني سِـــرْ ، وأقصـــرْ فـــي الخطـــا! ... واحـــذر المَشـــيَ كمـــا يمشـــي الحَجَـــل!

واغضـــض الصـــوتَ لتلقـــى مُصـــغِياً ... فعُلـــوُ الصـــوت يُـــزري بالرجـــل

أنكـــرُ الأصـــوات تـــدريها لمـــن؟! ... لحميـــر الأرض ، والقـــوم الســـفل

واحـــذر الغِيبـــة ، واهجـــرْ أهلهـــا ... أكـــلُ لحـــم المـــرء مَيْتـــاً هـــل يَحِـــل؟!

وابتعـــد عـــن هـــامز أو لامـــز! ... وإذا النمـــام وافـــى فـــاعتزل!

وقـــل الحـــق ، وإن ضـــجّ الـــورى ... قولـــك الحـــقَ بـــه العـــدلُ اكتمـــل

صـــاحبُ الحـــق قـــويٌ قلبُـــه ... لا يســـود الحـــق – كـــلا – بالوَهَـــل!

وأنـــا أدري: عزيـــزٌ مَطلبـــي! ... مطلـــبٌ – والله لـــو تـــدري - عَضِـــل

كـــل حـــق يبتغـــي ليـــثَ الشـــرى! ... هـــل تســـاوى الليـــث يومـــاً بالحَمَـــل؟!

وزر المرضـــى ، وكـــنْ بـــراً بهـــم ... وإذا مـــا زرت خفـــفْ لا تُطِـــل

وادعُ للمرضـــى جميعـــاً بالشـــفا ... ســـيجيبُ الله عبـــداً إن ســـأل

واحمـــل المَيّـــت للقبـــر وحُـــز ... عِبـــرة تُحْيـــي فـــؤاداً قـــد غفـــل

واشـــهدِ الـــدفنَ بعينَـــي راحـــل ... وعلـــى المَيْـــت ســـتارٌ ينســـدل

صـــــفحة بـــــالموت لاقـــــتْ طيَهـــــا ... إن للمـــــــــوت اعتبـــــــاراً لا يُمـــــــل

واســـــــأل التثبيـــــــت للمجنـــــــوز إنْ ... أصـــــبحَ القبـــرُ - عـــن البيـــت - البـــدل

حالـــــه يُبكـــــي عيونـــــاً مـــــا بكـــــتْ ... رحـــــــمَ الله الـــــــدفينَ المرتحـــــــل!

كـــــان بـــــين النـــــاس نجمـــــاً ســـــاطعاً ... لكـــــن الـــــنجمُ – عـــــن الـــــدنيا – أفـــــل!

أوحـــــشَ القبـــــرُ ، وســـــادت ظلمـــــة ... وتـــــرابُ القبـــــر يُـــــؤذي والجَـــــرَل!

واعتـــدى الخـــوف ، فهـــل مـــن مـــؤنس؟! ... إنمـــا يـــؤنسُ – فـــي القبـــر – العمـــل!

أي بُنـــــي امـــــزحْ ، ولكـــــنْ صـــــادقاً! ... مِزحـــــة الكـــــذاب يعلوهـــــا الخطـــــل

إن تكـــــنْ تُضـــــحكُ غِـــــراً لا يعـــــي ... كيـــف ينـــأى عـــن أباطيـــل الســـفل

لكـــــن المِزحـــــة أوهـــــتْ عزمَـــــه ... فـــــانبرى يُشـــــجيه تلفيـــــقُ الزجـــــل

واستضـــفْ أهـــلَ التقـــى ، وابـــذلْ لهـــم ... مِـــن لذيـــذ الشـــرب ، أو أشـــهى الأكُـــل

كـــنْ لهـــم - إمـــا استُضِـــيفوا – خادمـــاً! ... أو كغيـــثٍ - فـــي بيادينـــا - هطـــل!

أكـــــرم الضـــــيفَ ، فهـــــذي مِدحـــــة ... وتكلـــــفْ طيّـــــبَ العُقبـــــى تنـــــل!

وابســـــطِ الوجـــــه ، ورحّـــــبْ عنـــــدما ... ضـــــيفك الشـــــهمُ بـــــأرض الـــــدار حـــــل

لـــــم يكـــــنْ يَنشُـــــدُ لقيـــــا أو قِـــــرى! ... إنمـــــا – فـــــي الـــــدار – للحُســـــنى نـــــزل

أهـــــدِ مَـــــن أحببـــــت تأســـــرْ قلبَـــــه ... وهـــــدايا الحِـــــب تُؤويهـــــا المُقَـــــل!

واجتهـــدْ فـــي العـــيش ، واكـــدحْ ، واكتســـبْ! ... مَـــــدّك الكـــــفَ لقـــــوتٍ لا يَحِـــــل!

عِـــشْ عزيـــزَ الـــنفس شـــهماً طيّبـــاً ... لـــم يخُـــنْ صـــحباً ، ويومـــاً مـــا خـــذل

وتـــــداوى إنْ تـــــداعتْ عِلـــــة! ... إنمـــــا – بالطـــــب - تُســـــتجلى العِلـــــل

وارحـــــم الأيتـــــامَ ، واجبُـــــرْ كسْـــــرَهم ... وكُـــــــن الأبّ ، إذا الأبّ رحـــــــل

وامســـــح الدمعـــــة ســـــالتْ تشـــــتكي ... لمليـــــك النـــــاس أوجـــــاعَ الغِيَـــــل

وامســـــح الـــــرأسَ تُلـــــنْ قلبـــــاً قســـــا ... ونمـــــتْ أشـــــواكه مثـــــل الأســـــل

أي بُنـــــي الشـــــعرَ صُـــــغه ســـــالماً ... مِـــــن عيـــــوب أســـــلمتْهُ للشـــــلل

واجعـــــل الشـــــعر حُســـــاماً قاصـــــلاً ... يـــــردعُ الخصـــــمَ بـــــلا أدنـــــى خجـــــل

ويُفيـــــقُ الخصـــــمَ مِـــــن أهوائـــــه! ... كـــــم أفـــــاق الشـــــعرُ مـــــن غِـــــر ثمِـــــل!

لـــــيس شِـــــعرُ الحـــــق يومـــــاً كـــــالهُرا! ... هـــــل تســـــاوى الـــــوردُ يومـــــاً بالبصـــــل؟!

واحـــــذر الســـــطوَ علـــــى شـــــعر الـــــورى ... مـــــا اســـــتوى الشـــــعرُ لنـــــا والمنتحَـــــل!

لا تكـــــنْ فـــــي نشـــــره مُســـــتعجلاً ... رُب ريـــــثٍ جـــــاء مِـــــن بعـــــد العَجَـــــل!

قولـــــك الأشـــــعارَ مَجـــــدٌ ، فاصـــــطبرْ ... ونـــــوالُ المجـــــد يـــــأتي بالمَهـــــل!

واحـــــذر الســـــاحرَ ، أبطـــــلْ ســـــحرَه ... فبـــــنصّ الـــــذكر يغـــــدو كالطلـــــل

ومـــــدى الـــــدهر اجتنـــــبْ أكـــــلَ الربـــــا ... وعلـــــى التحـــــريم نـــــصٌ يَشـــــتمل

وتجنـــــبْ خمـــــرة تســـــبي الحِجـــــا ... واقـــــرأ الآيـــــاتِ جـــــاءتْ بالفِصَـــــل

وعلـــــى الأهـــــل فغِـــــرْ كـــــي يعلمـــــوا ... أنـــــك الليـــــثُ غيـــــوراً لـــــم تـــــزل

تعـــــسَ الـــــديوثُ يُخـــــزي أهلـــــه ... إذ أقـــــرّ الفحـــــشَ يُـــــودي بالأهَـــــل!

لا تُصـــــدّقْ كاهنـــــاً مهمـــــا غـــــلا! ... كـــــاذبٌ غـــــال ، وبـــــالجن اتصـــــل

واحـــــذر الإســـــبالَ ، هـــــذا للنســـــا! ... فـــــإذا مـــــا سِـــــرن جـــــرّدن الســـــبل

واحـــــذر الغِيـــــدَ وربـــــاتِ الهـــــوى ... كـــــم بعشـــــق الغِيـــــد هيْمـــــانٌ قتِـــــل!

كـــــم حِســـــان لـــــم يُغلـــــبْن الحيـــــا ... لـــــم يُـــــرعْهُن المَصـــــيرُ المُقتبـــــل!

ســـــافراتٌ بعْـــــن دينـــــاً وتقـــــىً! ... واتبـــــاعُ الحـــــق يَشـــــفي مِـــــن غلـــــل

فانـــــأ عـــــنهن ، وجاهـــــدْ فتنـــــة! ... مَـــــن يخـــــضْ بحـــــراً تســـــلى بالبلـــــل!

هـــــذه الأعـــــراضُ خانـــــت هـــــديَها! ... مَـــــن أطـــــاعَ الحـــــق - فـــــي الـــــدنيا - نبَـــــل

ذا جمـــــالٌ لا يســـــاوي نظـــــرة! ... أم دهـــــى العينـــــين - فـــــي البلـــــوى - الحَـــــوَل؟!

إنْ غضضـــــت الطـــــرف تخـــــرجْ ســـــالماً ... لـــــيس جـــــد المـــــرء يُفضـــــي للفشـــــل

إن هـــــذا الحســـــن يغتـــــالُ الفتـــــى ... كاغتيـــــال الـــــذئب غـــــدراً بالوَعَـــــل!

وعيـــونُ الغيـــد تُـــودي بـــالنهى! أعـــينٌ صـــادتْك حَســـناءٌ نُجُـــل

فـــاذكر الحـــوراءَ فـــي المـــأوى غـــداً! مـــا اســـتوى الشـــمعُ لـــدينا بالشـــعَل!

إن حُـــور العِـــين أعلـــى رُتبـــة مـــا اســـتوى الحَلْـــيُ – لـــدينا – بالعَطـــل!

لا تُقـــارنْ بـــاللواتي فـــي الـــدنا مهـــرُهن الجـــد فـــي خيـــر العمـــل

إن حُـــور الطـــين أدنـــى فـــي الحَـــلا أم تســـاوى الكُحْـــلُ – صـــرّحْ – بالكَحَـــل!

نظـــرة للغِيـــد قـــد تُـــردي كمـــا تفتـــكُ الأســـدانُ فتكـــاً بالإبـــل!

غـــضّ مِـــن إبصـــار عـــين تشـــتهي! تحتـــرقْ بالنـــار حتمـــاً إن تُطِـــل!

خـــاب حُســـنٌ لـــم يُغلفـــهُ الحيـــا لـــم يُسَـــترْه خِمـــارٌ مُنســـدل!

زِينـــة الحســـناء سِـــترٌ ســـابغٌ عاصـــمٌ مِـــن كـــل عـــين لا تكِـــل

وترفـــعْ عـــن جمـــال مُـــزدرىً! كيـــف تحظـــى منـــك هـــذي بـــالغزل؟!

هـــل تســـاوتْ هـــذه فـــي سِـــترها بـــالتي الحُســـنُ لـــديها مُبتـــذل؟!

إنمـــا الفـــرقُ تســـامى وصـــفه هـــل تســـاوى الشـــيخُ يومـــاً بالعســـل؟!

احـــذر العِشـــقَ زهـــتْ أرجاسُـــه! جُـــرحُ هـــذا العشـــق لـــيس المُنـــدمل!

اعشـــق الغـــادة زكّاهـــا الحَيـــا وفـــق شـــرع الله ، لا شـــرع الســـفل!

والأغـــاني لا تُعِـــر أذنـــاً لهـــا وإلـــى الأنغـــام يومـــاً لا تمِـــل

ذهـــب اللحـــنُ بقلـــب والنهـــى ودهـــى المُغـــرمَ بـــاللحن الهبـــل!

ومؤدّيهـــا نشـــازٌ صـــوتهُ كلمـــا رجّـــعَ أنغامـــاً سَـــعَل!

ولـــه فـــي كـــل حفـــل مظهـــر! ولـــه فـــي كـــل تكـــريم بِـــدَل؟!

وتأمـــلْ فـــي البرايـــا ، واعتبـــرْ! أيـــن عبـــدٌ جـــارَ مِـــن عبـــدٍ عـــدل؟!

أيـــن عبـــدٌ غـــرّدتْ أملاكُـــه وببـــذل القـــوت للجـــوعى بخِـــل؟

أيـــن عبـــدٌ ضـــوعِفتْ أموالـــه لـــم يكـــنْ يُعطـــي ريـــالاً إن سُـــئل؟!

أيـــــن ذو الـــــرأي مضـــــتْ آراؤه! مَـــــن إذا رأيٌ تخطـــــاهُ انفعـــــل!

فتفكـــــرْ فـــــي مـــــآلات الـــــورى فـــــي تقـــــي بالمعـــــالي مُشـــــتغل

وشـــــقي ســـــادرٌ فـــــي غيّـــــهِ! نحَـــــلَ العـــــزمُ كمـــــا الجســـــمُ نحـــــل!

كـــــل عبـــــدٍ منهمـــــا أفضـــــى إلـــــى كـــــل مـــــا قـــــدّم مِـــــن سُـــــوءٍ وحِـــــل

أيـــــن غابـــــا ، لـــــم يعـــــودا بيننـــــا؟! غيّبـــــا بـــــالمُنتهى منـــــذ الأزل!

وســـــألنا: أيـــــن؟ والـــــرد: قضَـــــوْا! وســـــألنا: كيـــــف؟ والـــــرد: لعـــــل!

أيـــــن ذو الصـــــولة ولـــــى مـــــدبراً تاركـــــاً قصـــــراً و(كابـــــاً) والحُلـــــل؟!

أيـــــن أصـــــحاب التجـــــارات التـــــي جابـــــت الـــــدنيا وصـــــارت فـــــي (زحـــــل)؟

أيـــــن أصـــــحابُ العِمـــــارات التـــــي زايلوهـــــا ، واســـــتقلوا بالقلـــــل؟

أيـــــن أصـــــحابُ المعاصـــــي والهـــــوى؟ أيـــــن أصـــــحابُ المعـــــالي والثِقـــــل؟

أيـــــن أهـــــل الحَـــــل والعقـــــد الألـــــى بالـــــذي اختـــــاروه قـــــد كـــــان العمـــــل؟!

أيـــــن أهـــــلُ الحِســـــبة انصـــــاعتْ لهـــــم زمـــــرُ النـــــاس لـــــذا الأمـــــرُ اعتـــــدل؟!

أيـــــن قـــــومٌ عربـــــدوا فـــــي ذي الـــــدنا وأحلـــــوا قـــــومهم أشـــــقى الســـــبل؟!

أيـــــن قـــــومٌ أصـــــلحوا أعمـــــالهم لـــــم يَشُـــــبْها مـــــن عيـــــوب أو حِيَـــــل؟!

أيـــــن (عـــــادٌ) أو (ثمـــــودٌ)؟ أهلكـــــوا! رغـــــم نحْـــــتٍ لبيـــــوتٍ فـــــي الجبـــــل!

أيـــــن غـــــارت (مَـــــدْينٌ) لمّـــــا عَتـــــتْ! رجفـــــة أودتْ بكيـــــدٍ مُضـــــمحل!

أيـــــن (كِســـــرى) فـــــي مَغـــــاني فـــــارس ولـــــهُ كبـــــرُ الملـــــوك المُشـــــمَعِل؟!

أيـــــن فـــــي (رومـــــا) (هرقـــــلُ) حـــــاكِمٌ ولـــــهُ فـــــي كـــــل إقلـــــيم (فِلـــــل)!

أخبرونـــــا (قيصـــــرٌ) أيـــــن ثـــــوى وجيـــــادٌ فـــــي مَغانيهـــــا ذلـــــل؟!

أيـــــن (فرعـــــونُ) ومـــــا كـــــان ادعـــــى دون خـــــوفٍ أو حيـــــاءٍ أو خجـــــل

قـــــال للآنـــــام: إنـــــي ربكـــــم وإلـــــهٌ للقطيـــــع المُســـــتذل!

أيـــــن ولـــــى؟ أيـــــن ولـــــى مـــــا ادّعـــــى؟ أيـــــن قـــــومٌ ذلـــــك الطـــــاغي قتـــــل؟!

أيـــــن (قـــــارون) وأمـــــوالٌ غـــــدتْ ... مصـــــدرَ الكِبْـــــر ونـــــاقوس الخبـــــل؟!

غيـــــرُ مســـــبوق لعبـــــدٍ مِثْلُـــــه ... مـــــا لعبـــــدٍ مثـــــلُ هـــــذا مـــــن قِبَـــــل!

أيـــــن (هامـــــانُ) وبـــــأسٌ حـــــازهُ ... فغـــــدا - فـــــي النـــــاس - جبـــــاراً يُـــــذِل؟!

خبّرونـــــي أيـــــن ولـــــى (هتلـــــرٌ)؟ ... أيـــــن مَـــــن ولاهُ رأســـــاً أو عـــــزل؟!

أيـــــن (بســـــمارك) ومجـــــدٌ قـــــد بنـــــى؟ ... مجـــــدُه اليـــــومَ ببـــــرلين طلـــــل!

أيـــــن فـــــي (صـــــنعاءَ) ولـــــى (تُبّـــــعٌ) ... وحُـــــروبٌ خاضـــــها الشـــــهمُ البطـــــل؟

اليمـــــانيُ ازدهـــــى فـــــي مُلكِـــــهِ ... وبإســـــلام لـــــه المُلـــــكُ اكتمـــــل

لا تســـــبّوا تُبعـــــاً يـــــا قومَنـــــا! ... نـــــصُ مـــــا قـــــال الحـــــديثُ المُتصِـــــل

إذ رواه (أحمـــــدٌ) عـــــن (أحمـــــدٍ) ... لســـــتُ أروي الـــــنصَ عنـــــهُ لـــــم يَقـــــل!

(ســـــبأ) تـــــروي لنـــــا عـــــن (تُبّـــــع)! ... (تُبّـــــعٌ) ولـــــى ، وصِـــــيتٌ قـــــد فَضَـــــل!

يَمَـــــنُ (التبّـــــع) ولـــــتْ وانقضـــــتْ! ... رب أرجعْهـــــا لمـــــاض قـــــد رحـــــل!

أيـــــن (بلقـــــيسٌ) بهـــــا المُلـــــك شـــــدا ... يـــــومَ قالـــــت أســـــلمتْ والخيـــــرُ حـــــل؟!

و(ســـــليمانُ) دعاهـــــا مُخلصـــــاً ... فاستشـــــارتْ قومَهـــــا لـــــم ترتجـــــل

فاهتـــــدتْ للحـــــق لمّـــــا أذعنـــــتْ ... ليـــــت شِـــــعري ، ســـــبقَ الســـــيفُ العـــــذل!

(ســـــبأ) تحكـــــي لنـــــا أخبارهـــــا ... اقـــــرأوا القـــــرآنَ والســـــبعَ الطـــــول!

لســـــتُ أنســـــاها وأجنـــــاداً لهـــــا ... أقبلـــــوا فـــــي مَشـــــهدٍ فـــــذٍ حَفِـــــل!

ســـــورة (النمـــــل) تُســـــلي مَـــــن تـــــلا ... إن يكـــــنْ بالـــــذكر حقـــــاً يَشـــــتغل

أيـــــن (دِيهيـــــا) والأمـــــازيغ لهـــــا ... وهبـــــوا المـــــالَ رخيصـــــاً والحِلـــــل؟

و(زنوبيـــــا) أيـــــن ولـــــى عهـــــدُها؟! ... اســـــألوا (الشـــــامَ) عـــــن الســـــحر بطـــــل!

أيـــــن (كوبابـــــا)؟ فهـــــل مِـــــن عِبـــــرةٍ؟! ... ســـــائلوا (بغـــــدادَ) تحكـــــي مـــــا حصـــــل!

تعـــــسَ الملـــــك يُدسّـــــي عنـــــدما ... يُصـــــبحُ المعبـــــودُ (لاتـــــاً) أو (هُبَـــــل)!

أيـــن (سُـــولونُ)؟ مضـــى إجرامُهـــا؟! و(أثينـــا) ترتـــدي البُـــردَ السَـــمِل

أيـــن (بطليمـــوسُ) فـــي تنجيمـــه يرقـــبُ الأفـــلاك ، يُمْســـي فـــي شُـــغل؟!

و(كُليـــبٌ) أيـــن فـــي أعرابـــه؟! أيـــن بـــأسُ الملـــك تُؤويـــه الثِلـــل؟

وانبـــرى (الجسّـــاسُ) للظلـــم عتـــى واضـــعاً بالســـيف حَـــداً للمَيَـــل!

وإذا (بكـــرٌ) تُلاحـــي (تغلبـــاً) فـــي ســـني أربعـــين الســـعيُ ضـــل!

وألـــوفٌ أزهِقـــوا فـــي ناقـــةٍ أوَلـــيس القـــومُ فـــيهم مَـــن عَقـــل؟!

وكـــذا (الحجـــاجُ) بالســـوآى مضـــى ودمـــاءُ الأبريـــا فـــي الجيـــد غَـــل

أيـــن أجنـــادٌ أطـــاعوا أمـــره؟ فـــي يـــدٍ سَـــوط ، وفـــي الأخـــرى كَبَـــل!

أيـــن بطـــشٌ؟ أيـــن قهـــرٌ؟ أخبـــروا! أيـــن جبـــارٌ لـــه أعتـــى النكَـــل؟!

أيـــن (حتشبســـوتُ) والمُلـــك ازدهـــى؟! مارســـتْ دَور الرجـــال المُكْتمـــل!

أصـــلحت داراً وأرضـــاً وقـــرىً! واقـــرأ التـــاريخ ، وادرُسْ واســـتدل!

كيـــف ســـادت قومَهـــا فـــي عِـــزةٍ واســـتهانت بالبلايـــا والغِيَـــل؟!

لـــم تقـــلْ: أنثـــى ومـــا لـــي حِيلـــة مثلمـــا الغيـــرُ تســـلى بالعِلـــل

إنمـــا فاقـــت ببـــأس غيرهـــا مـــا تســـاوى التمـــر يومـــاً بالـــدقل

أيـــن (كليوبـــاتراْ) بـــالحُكم اســـتمتْ؟ مـــا لهـــا – عـــن سُـــدة الحكـــم – حِـــوَل!

أيـــن مَـــن قـــد صـــاغ شِـــعراً ســـاقطاً؟! غـــازل الحِسْـــنا ، وأهـــداها القبَـــل

وصـــفَ الموعـــدَ جـــاءتْ قبلـــه فـــي الرواحـــات وإن حلـــتْ أصُـــل!

وصـــفَ القـــدَ ، وجَلـــى مَيْسَـــهُ ذهـــب الخِـــبُ ، ويبقـــى مـــا هـــزل

وصـــفَ الصـــوتَ يُناديهـــا بـــه همِـــسَ الصَـــبُ ، وأحيانـــاً زَجِـــل

وصـــفَ القلـــبَ دهـــاهُ حبهـــا وَيـــحَ قلـــب بـــالتجني قـــد تُبِـــل!

جعـــلَ الشـــوهاءَ أحلـــى غـــادة وهْـــي عجفـــا قـــد أصـــيبتْ بالطحَـــل!

جَـــرّد الحُســـن مِـــن الثـــوب ، ومـــا راجـــعَ الـــنفسَ وأبـــدى مِـــن ذعـــل!

فـــإذا الهيفـــاءُ تُبـــدي مـــا اختفـــى ... مِـــن بقايـــا الجســـم بـــالثوب المُخِـــل!

أمَـــــة كانـــــت ، وهـــــذا ســـــيدٌ ... فلـــــه الطاعـــــة ، والحُسْـــــنُ ابتُـــــذل

هـــو قـــد ولـــى ، ويبقـــى شِـــعرُهُ ... بجميـــع القـــبح والســـوآى حَفَـــل

أيـــن مـــن خـــط الروايـــاتِ التـــي ... رَوّجـــتْ للفِســـق دهـــراً والـــدغل؟!

أيـــن مـــن ألـــف أفكـــاراً غـــوتْ ... واضـــعاً فيهـــا خبيثـــات النِحَـــل؟!

تُرجمـــتْ للنـــاس فـــي كـــل الـــدنا ... طافـــتِ الـــدنيا جنوبـــاً والشَـــمَل!

أيـــن مَـــن سَـــب (النبـــيَ المصـــطفى)؟ ... ولـــه الأعـــوانُ ذادُوا والشِـــلل

فـــي الهجـــا والطعـــن أضـــحى ضـــيغماً ... حولـــه الحمقـــى تـــداعَوْا والشُـــبُل!

صـــاغ فـــي الشـــتم كلامـــاً فاحشـــاً ... والشـــبابُ مِـــن لظـــى الســـب اكتهـــل!

أيـــن أهـــلُ العلـــم بثـــوا عِلمهـــم ... ذهبـــوا ، والعلـــمُ بـــاق لـــم يَـــزل

أيـــن أهـــلُ الجـــود جـــادوا حِســـبةً؟ ... كـــل مِعطـــاءٍ علـــى الأجـــر حصـــل

ســـيُعيدُ الله يومـــاً خلقـــهُ ... وســـيُجزى كـــل عبـــدٍ مـــا عمـــل

أي بُنـــيَ اعلـــمْ بـــأني راحـــلٌ ... فاطلـــب الحُســـنى لأبّ قـــد رحـــل

واســـأل المـــولى لـــه خيـــرَ الجـــزا ... عنـــد لقيـــاهُ إذا جـــاءَ الأجـــل

ثـــم لابـــن الـــورديْ لا تـــنسَ الـــدعا ... وَرْدُه فـــاح ، وورْدي قـــد ذبُـــل

ولـــيَ العُـــذرُ إذا حاكيتُـــه ... نصـــهُ الصَـــبُ ، ونصـــي المُكتهـــل

ولربـــي الحمـــدُ إذ وَفقنـــي ... فرأيـــتُ الـــنص بـــالخير اكتمـــل

إن يكـــن فـــي الـــنص خيـــرٌ يُجتنـــى ... هـــو مِـــن توفيـــق مَـــولايَ الأجـــل

أو يكـــنْ فـــي الـــنص شَـــرٌ يُتقـــى ... هـــو مِـــن تـــدليس شـــيطاني الأذل

قـــيّضَ الله لنصـــي مَـــن إذا ... أدرك الخيـــرَ بـــه أعطـــى الأمـــل

وأذاع الخيـــرَ يرجـــو أجـــرهُ ... ودعـــا المـــولى دعـــاءَ المُبتهـــل

أو رأى سـوءًا لينصـحْ مُخلصـاً وعلـيّ – فـي الـورى لـم يَسـتطل

آدمـيٌ قـد بَـدتْ أخطـاؤه مثلمـا آدمُ يـا قـومي أكـل

آدمـي إن تعـدّى أو عصـى صَـدّقوني: آدمـيٌ لـم يـزل!

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

وصاة: وصية. مُثُل: مبادئ وقِيم. اصطفيت: أي اخترت. أرتجل الكلام: أقوله على غير استعداد. يُشجي: يُطرب. نأى: ابتعد. ضمختُ: صببتُ عليه العطر. الشذى: رائحة العطر الفواح. نسرين: زهر عطري. تجاريب: تجارب. خلل: عيب. الضلل: الضلال. ترانيم: أنغام. يبارى: يُقارن. صفدت: وضعت عليها الأصفاد أي القيود لتظل في قيد الأسر. الرمل: هو البحر العروضي الذي صيغت عليه قصيدتنا (محاكاة لامية ابن الوردي). نظم: نسق يأخذ شكل القالب الشعري ، ولكن ليس فيه خيال ولا صور ولا محسنات. الرتل: النظم المسجوع. عدَل بمولانا: أي أشرك مع الله إلهاً آخر ، والفعل مأخوذ من قول الله تعالى: (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون). تُنعّم: يصيبك النعيم. تُجَل: يصيبك الجلال والهيبة والوقار. فأوفى من سُئل: أي أن الله تعالى يوفي للمتضرع له بالدعاء فيستجيب دعاءه. سَنَهُ: شرعه. الفذ: هو الذكي العبقري من الناس. مولانا الأجل: أطلقت في هذه القصيدة في سياقين الأول عنيتُ به الله رب العالمين باعتبار أن (المولى) اسم من أسماء الله تعالى ، والثاني عنيتُ به النبي – صلى الله عليه وسلم -. لا تؤلهه: لا تعبده. أرباب الدجل: أصحاب الخرافات من ذوي العقائد الفاسدة والنحل البائدة. وقر الأصحاب: اقدر شأنهم واحترمهم. القوم السفل: أي السفلة من الناس ، الذين ليس عندهم قيم ولا مبادئ. خائض: قائل بغير علم. بُغية الدين: من أجل الدين. النقل: جمع نقلة وتعني الانتقال من مكان إلى آخر. مستعففاً: مستغنياً عن الناس. انهل العلم: ارتشف العلم طبعاً على الاستعارة. هُراء: هو القول الذي لا صحة له. واستمى: علا شأنه. النهل: الارتشاف والشرْب بنهم. نعمة: نعمة. أسفاره: كتبه. ارتحل: شد الرحال في طلب العلم. زلات: أخطاء وهنات. تندمل: تبرأ. خطبٌ جلل: مصيبة عظيمة. الدأماء: هو البحر العظيم. الوَشَل: قليل الماء. الهُدى: الإسلام. خير الملل: الإسلام. ممقوت: مغضوب عليه ومستهجن ومبغوض. صل خمساً: المراد الصلوات الخمس في اليوم والليلة. مشرع النفل: أي السنن الرواتب المشروعة المسنونة قبيل وبعيد الصلوات الخمس. الجمعات: المراد صلوات الجمع. العيدين: يوم الفطر ويوم الأضحى. بكّر:

اذهب مبكراً. تعاف: تستهجن وتستقذر. الثقل: لها في القصيدة معنيان ، الأول: أصحاب الثقل أي القوم لهم النفوذ والجاه ، والثاني: تخذيل الثقل أي تثبيط التثاقل والكسل. الردى: الموت. الصُوى: المَعْلم. خضِل: مبتل بالماء. فرية: كذبة. الأيام دول: أي يوم لك ويوم عليك. الخمَل: أي الخمول والكسل. اعتزم: اعزم على الأمر. الفلل: مأخوذة من انفلال السيف أي تكسيره. اعَجَل: العجلة والسرعة في عمل الشيء. احتمل: أي تحمّل. محتوم الأجل: محدد النهاية. الممتثِل: المتبع. الوجل: الخوف الشديد. شفتها: رأيتها! وبعض طلبة العلم خصوصاً والناس عموماً يتصورون أن الفعل (شاف – يشوف – شوفاً) عامي دارج ، وهذا غير صحيح ، بل هو من الفصيح ومعناه رأى ونظر. التأويل: تعبير الرؤيا. الهَمَل: هم القوم لا يعيشون لغاية وجود ولا يدركون من سبب حياتهم شيئاً! البرايا: الناس. أسْد: أسود. الجُعَل: الصراصير والجُعلان. المنتعل: الذي يلبس النعال. خِل: صاحبٌ وفي. البَخَل: هو البُخل. مختتل: فيه الخلل والعيب. محال: مستحيل. الهوينى: الإمهال. الحجل: طائر متبختر في مشيته كالطاووس ، وأحياناً يمشي على رجل واحدة. مصغياً: مستمعاً بجدية. يُزري بالرجُل: يعيبه! الوَهَل: الضعف. عَضِل: شديد وصعب. الحَمَل: صغير الخراف. المجنوز: الميت. أفل النجم: أي غار وانطفأ. الجَرَل: الحجارة. الخطل: الخلل والعيب. الغِر: السفيه الأحمق. هطل الغيث: أي نزل منهمراً. العُقبى: العاقبة والجزاء. علة: أي مرض. الأبّ: هي لغة في الأب ، وكثير من الناس يتصورونها عامية! وهذا غير صحيح ، بل (الأبّ والأخّ والدمّ) هكذا بالتشديد لغة في (الأب والأخ والدم) بالتخفيف! وبيننا القواميس ومعاجم اللغة ، وكونها تجري على ألسنة العامة ليس دليلاً على دارجيتها وعاميتها! فيرجى التفطن! وكم من ألفاظ وكلماتٍ يطلقها العوام ونظنها عامية فإذا بها عربية أصيلة! حَل ضيفاً: نزل ضيفاً على قوم في دارهم. ينشُد: يرجو ويريد ويطلب. قِرى: طعام الضيف. للحُسنى: الإحسان. أهدِ: أعطه الهدية. المُقل: جمع مقلة ويراد بها هنا العيون. مَدك الكف: كناية عن تسولك من الناس. تُستجلى العِلل: تبرأ وتُشفى بإذن الله ، وإنما الأدوية والعلاجات والمشافي والعيادات أسباب. الغِيَل: المحن والمصائب. الأسل: شجر صحراوي شائك. حسام قاصل: سيف ماض قاطع. ثمل: سكران لعبت الخمر بعقله. الشعر المنتحل: المسروق من الشعراء الآخرين. ريث: تعطيل ، والفكرة في البيت مأخوذة من المثل العربي الجاهلي الشهير الجهير: (رب عجلةٍ تهبُ ريثاً). المهل: التأني في فعل الشيء. يُرعْهن: أي يُخيفهن. المصير المقتبل: أي الذي يكون من عاجل العقوبة في الدنيا أو المؤجل إلى يوم القيامة. غلل: غليل. نبَلَ: ارتقت أخلاقه وصار نبيلاً شهماً. الحَوَل: هو تحول الإبصار. الوَعل: التيس الصغير الضعيف. الغيد: النساء الجميلات. أعين نُجُل: واسعة جميلة. الحوراء: عروس الجنة من الحور العِين. المأوى: الجنة. الشعَل: جمع شعلة. رُتبة: أي منزلة ومكانة. العَطل: عكس الزينة بالذهب ، فالمرأة العطل هي المرأة لا تتزين بالذهب. الحَلا: الجمال والحلاوة والعذوبة. الأسْدان: الأسود. مزدرى: محتقر. الجمال المبتذل: المتاح لكل من رآه. الهبل: الجنون ، وهذه كلمة عربية أصيلة ليست عامية دارجة كما يظن البعض. ذو الصولة: صاحب القوة والجبروت. كاباً: كلمة من الدخيل تعني غطاء الرأس. القلل: شعاف الجبال. أهل الحل والعقد: كانوا قديماً في الأمة كالعافية للجسم وكالهواء للدنيا ، يرتبون أمور العباد من أتفه الأمور إلى أسماها وأعلاها وفق المنهج الرباني. أهل الحسبة: كانوا قديما يقومون اعوجاج الناس وفق المنهج الرباني. زمَر: جماعات وأفواج. فرعون وقارون وهامان: جبابرة قدماء. عاد وثمود ومدين: أقوام عتوا عن أمر ربهم وعصَوا رسله. كيد مشمعل: شديد الحيلة والدهاء.

هرقل: عظيم الروم. قيصر: عظيم الروم. فلل: كلمة من الدخيل مفردها فلة وهي بيت كبير متأنق من طابق واحدٍ وأحياناً من طابقين. تبع: أحد ملوك اليمن أسلم وحسن إسلامه وحكم رعيته بالعدل. الحديث المتصل: أعني اتصال سنده ، وهو حديث: (لا تسبوا تُبّعاً فقد أسلم) والذي رواه الأمام أحمد في مسنده وحسنه الألباني – ورحم الله الجميع وصلى وسلم وبارك على نبيه-. بلقيس: هي بلقيس بنت شراحيل ملكة يمنية حكمت سبأ ، وقصتها مذكورة في سورة النمل ، وأسلمت وحسن إسلامها. ديهيا: ملكة أمازيغية قديمة. زنوبيا: ملكة شامية قديمة. كوبابا: ملكة عراقية قديمة. سولون: ملكة يونانية قديمة كانت جبارة. بطليموس: عالم إغريقي معروف اشتهر بالتنجيم والفلك وغيرهما. كليب: ملك عربي قديم ، تعالى على قومه من العرب ، وقتله جساس بن مُرة لأن الأول رمى ناقة (البسوس) بروح فقتلت وكانت سببا لنشوب حرب بين قبيلتي بكر وتغلب دامت أربعين سنة وأزهقت فيها أرواح الآلاف وأريقت فيها الدماء! التِلل: جمع تلة وهي الجماعة من الناس. المَيَل: هو الميل والانحراف. الكَبَل: هو القيد يوضع في اليد أو الرجل. النكَل: هو النكال والانتقام. أجناد: جند أو جنود. حتشبسوت: ملكة مصرية قديمة أصلحت اقتصاد بلادها ونهضت بها بين الأمم ، وعنيت بشؤون الصناعة والزراعة والتجارة ولو كانت مسلمة لترحمنا عليها! والتاريخ سجل لها ذلك ، فلا تزال المراجع العربية والأجنبية تمدح هذه الملكة جداً! كليوباترا: ملكة قديمة. حِوَل: تحوّل. الخِب: المخادع المراوغ. الدغل: الإفك والمغالطة. الشِلل: الجماعات من الناس تلتف حول بعضها البعض. بثوا علمهم: نشروه. الدقل: ردئ التمر. كمُل: تم. السبع الطول: السور السبه الطويلة في القرآن الكريم: (البقرة – آل عمران – النساء – المائدة – الأنعام – الأعراف – الأنفال). الجياد الذلل: أي المذللة الخاضعة. الشبُل: الأشبال أو صغار الأسود ، والعرب تقول: (هذا الشبل من ذاك الأسد). نحل الجسم: أي ضعف وأصابه الهزال والضعف. نصلَ: تنصّل. هُبل: صنم. لات: صنم. الحُلل: فاخر الثياب (البدل). الحِلل: المنازل والدور. فضلَ: بقي. البُرد السمِل: الثوب البالي. الذعل: الإقرار بعد الجحود. أصُل: جمع أصيل وهو وقت العشي. زجل: مصوّت. شَمَل: شمال. ثُبلَ القلب: أي أصيب هذا القلب. مشهد حفِل: حافل. مال من قِبَل: أي من طاقة!

محاورة شعرية (محاكاة للمهلهل التغلبي – الزير سالم)

(ما أحلى الحوارَ إذا كان مع الشعراء! إنه ليُثري الأدب والشعر معًا كما ألمحنا في قصيدة أخرى ، وعلى مدى التاريخ الأدبي كله ، في فترات قوته ، وفي فترات ضعفه ، نجد أن المحاورات التي كانت تتم بين الشعراء ، والمناظرات والمعارضات والمجادلات ، كانت في كل مرة في صالح العربية شعرًا ونثرًا. وأحاول في حواري هذا ، أن أعيش مع من اخترته مادة للمناظرة ، وأجعل القارئ يدرك معي ، كيف تكون التصورات والمبادئ ، إذا كانت بعيدة عن شاطئ الهداية وساحل العقيدة الصحيحة. وكم من قصائد صاغها الشعراء الأوائل يمتدحون في أغلبها القتل والسلب والنهب والغصب والهيجاء والإغارات على القبائل وسفك الدماء وهتك الأعراض بغير حق! إن مناظرتي في سبيل القيم والفضائل. والحِوارُ الشعري يختلف عنْ أيِّ حِوار فِي أنه حوارٌ ذُو لُغةٍ تُخاطِبُ العاطفةَ والحِسَّ والشعور. ولقدْ كان مُصَابي هذا فاتحةَ خير وانطلاقةً جادةً في عالمِ الشعرِ والشعراءِ بالنسبةِ لي. لقدْ عِشتُ معَ أبي الطيب المُتَنَبِّي مَثَلًا وهو يَشْحَذُ وازع الهِمَم ويثير انتباه العزائم والنوايا ويداعب المشاعر الجياشة بقوله:

على قَـدْرِ أهْـلِ العـزم تـأتي العـزائمُ ... وتـأتي علـى قَـدْر الكِـرامِ المَكَـارِمُ
وتَكبُـرُ فـي عَـيْن الصـغير صـغارُها ... وتصْـغُرُ فـي عـين العظـيم العَظَـائِم

وعِشتُ مع شاعر آخر يضرب على ذات الوتر فيرفعُ الخاطر والعاطفة فيقول:

ومـا الـنفسُ إلا حيـثُ يجعَلُهـا الفَتَـى ... فَـإنْ أطْمِعَـتْ تَاقَـتْ ، وإلاّ تَسَـلّتِ
وكانـتْ علـى الآمـال نفسـي عزيـزةً ... فلمَّـا رأتْ عَزْمِـي علَـى التَّـرْكِ وَلّـتِ

وعشتُ مع ثالث يُقَوي العَزيمةَ ويثير روح التحدي والبسالة في النفس بقوله:

لأستسـهلنَّ الصَّـعبَ أو أدرك المُنَـى ... فمـا انقـادتِ الآمـالُ إلا لصَـابِرِ

وآخر يضرب على ذات الوتر من استجاشة النفس نحو الاستبسال فيقول:

حُـبُّ السَّـلامةِ يُثْنِـي عـزمَ صـاحبه ... عَنِ المعـالي ويُغْرِي المَـرْءَ بالكَسَـل

وخامس يقولُ مُتحدثًا عن أصحاب الهمم العالية والعزمِ الراقي والروح الفذة:

ولـمْ أجـدِ الإنسـانَ إلا ابْـنَ سَـعْيِهِ ... فمَـنْ كـان أسـعَى كـانَ بالمجدِ أجْدَرا
وبالهمَّـةِ العليـاءِ تَرقَـى إلـى العُـلا ... فمَـنْ كـان أعْلـى همـةً كـانَ أظْهَـرا
ولـمْ يَتَـأخّرْ مَـنْ أرادَ تَقَـدُّمًا ... ولـمْ يتقـدمْ مَـنْ أرادَ تَـأخّرًا

وفي قصيدة طويلة للمُهَلْهِلِ التَّغْلَبِي يرثي أخاه كُلَيْبًا ـ ومعروفٌ أنَّ المُهَلْهِلَ التَغلبيَّ شاعرٌ جاهليٌّ تُوفي سنة 531م ـ نلاحظ أنه رفعَ كليبًا فوق ما يُوصف! فليكن حزن على موت أخ ، ولكن ليس بالحد الذي يستمر أربعة عقود من القتل والنهب والسلب! يجلي لنا حقيقة الحزن في الإسلام الدكتور أحمد السعدي إذ يقول: (الحزنَ في المنظور القرآني عاطفةٌ سلبيَّةٌ يقصِدُ الإسلامُ إلى رفْعِها ـ أو التخفيفِ منها على الأقل ـ وهي انفعال لا قِبَل للمرء بردِّه ؛ فلذلك لا يتعلَّق به لذاتِهِ ثواب ولا عِقاب ، لكن قد يكون مُثاباً عليه بما يدلُّ عليهِ من سلامةِ الصدرِ وصدقِ النيَّةِ إن كان حزناً على تفويتِ طاعةٍ ، أو فواتِ ثواب ، أو اغتمامٍ من حالٍ لا يكون الإسلامُ فيها على ما يرجو المؤمِنُ ، كضلالِ النَّاسِ وابتعادِهم عنه. لذلك نجد القرآن يُخفِّفُ عن

النبيِّ صلى الله عليه وسلَّم أحزانَهُ الناشئةَ عن حرصِهِ على هداية الناسِ وإيصالِهم إلى الخير مع إعراضِهم مِنْ مِثْلِ قولِهِ سبحانه: {فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ} ، وقولِهِ له أيضاً: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا}. وإشارة القرآن لحزنِ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم دليلٌ على أنَّ الحزنَ كما أنه ليس مطلوباً لذاته ، كذلك هو ليس مرفوضاً لذاتِهِ ، وإلا لم يقع به الأنبياء ، بل إنَّ القرآن قد أظهر لنا بعضَ الأنبياء وقد أخذ منهم الحزنُ كلَّ مأخذٍ ، انظر لقولِهِ سبحانه عن سيدنا يعقوب عليه السلام: {وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فهو كظيم}. وهذا كلُّه يشير إلى أنَّ الحزن شيءٌ طبعيٌّ ينتاب الناسَ جميعاً حتَّى الأنبياء ، والمهم أن لا يكون دافعاً لسلوكٍ يتنافى مع العبودية لله سبحانه ، ولا مانِعاً من عملٍ يُشارِكُ فيه الإنسان في عمارة الكون وخدمة الإنسانية).هـ. جزى الله خيراً الدكتور السعدي على هذه النفحة البيانية البديعة التي إن دلت على شيء فإنما تدل على عمق فهم السعدي للإسلام! وعلى مدى تمكنه من اللغة العربية. والمهم أنني رُحتُ أحاور المهلهل التغلبي من فوق سرير المَرض ، وأنا أقرعُ الحُجةَ بالحُجة ، وأبين له عظمة ديننا في وسطية الحزن والتعبير عنه ، وأوضح له الاعتدال في الأمور وضبط العاطفة بالعقيدة الإسلامية ، واستعرتُ بيتَهُ الأول:)

«أهـــاجَ قـــذاءَ عَيْنِـــيَ الأدكَـــارُ ... هُـــدوءًا ، فالـــدُّموعُ لَهـــا انْهِمَـــارُ»

لَمَـــاذا يـــا مُهَلْهِـــلُ كُـــلُّ هَـــذا ... أكـــانَ كُليـــبُ غِطْرِيفًـــا يَغَـــارُ؟

فـــلا واللهِ ، مَـــا أطربـــتَ سَـــمْعِي ... وقـــولٌ مِثْـــلُ قولِـــكَ لا يُـــدَار

تَحَولَـــتِ الرِّجـــالُ إلـــى نِسَـــاءٍ ... تَـــولّى أمْـــرَكمْ فِـــيكُم حمـــار

تَحَيَّـــرَ فِـــي بُكائِـــك كُـــلُّ فِكْـــرِي ... ومـــا عَقْـــلٌ بـــأمركمُ يَحَـــار

كُلَيْـــبٌ فِـــي التُّـــراب ، ولا يُســـاوي ... ولـــمْ ينفعْـــهُ حَـــجُّ ، ولا اعتِمَـــار

فكفكـــفْ يـــا مُهَلْهِـــلُ دَمْـــعَ عَـــيْنٍ ... فـــدمعُ العـــين غـــالٍ ، ثَـــمَّ عَـــار

وإنـــي قَـــدْ فَقَـــدتُ ضِـــيَاءَ عَيْنِـــي ... فمَـــا مِـــنْ صُـــحْبَتِي أَحَـــدٌ مُثَـــار

وَمَـــا عَرَفُـــوا لِبَيْتِـــي مِـــنْ طَرِيـــق ... وهُـــم فِـــي مِعْصَـــمِ الأَعْـــدا سُـــوَار

وقـــدْ شَـــمَتُوا ، وبَـــاعُوا كـــل حَـــقٍّ ... ودُنيـــاهمْ تَغَشَّـــاهَا البَـــوَار

وَمَحْظَـــوظَ كُلَيْـــبٌ كـــل حَـــظَ ... فـــإنَّ شَـــقِيقَهُ نعْـــمَ المُشَـــار!

لَكُـــمْ أحـــزانُكُمْ ، ولِـــيَ اصـــطبارِي ... وإنِّـــي قَـــدْ رَضِـــيتُ ، ولا خِيَـــار

وإنَّ اللهَ أَكْـــرَمُ مَـــنْ أنَـــاجِي ... ولَيْلِـــي طَـــالَ ، واللّقْيَـــا النّهَـــار

ولَيْـــتَ اللهَ يَرْضَـــى بعـــدُ عَنِّـــي ... فَـــإنْ غَضِـــبَ المُهَـــيْمِنُ فَالخَسَـــار

ويُسْـــعِدُ مُهْجَتِـــي بشِـــفَاءِ عَيْنِـــي ... فـــإنَّ العَـــيْنَ للمَـــرْءِ المَنَـــار

وإنَّ اللهَ ذُو سَـــعَةٍ ويُســـرٍ ... وعِنْـــدَ اللهِ للعَـــيْنِ اليَسَـــار

مداعبة شعرية! معارضة للبارودي (لكل دمع جرى!)

(البارودي ، وما أدراك ما البارودي ، ذلك الشاعر الفحل الذي الشعرُ فنه وسيفُه ، ومن سماه فارس السيف والقلم أو رب السيف والقلم ، أراه لم يكن قد بالغ قط. إنَّ شعر البارودي يدل دلالة قاطعة على تمكُّن من الشعر منقطع النظير ، هذا ولقد كانت لي جولة مبكرة مستفيضة في شعر البارودي ، فألفيته شاعرًا قديرًا بكل ما تعنيه الكلمة من معان ، وأثرت في قلبي بائيتُه التي نقشها ونحتها في المنفى ، على صخور الغربة والنفي هناك في سرنديب ، ولقد أصبحتْ من عيون الشعر العربي في العصر الحديث ، ولو لم يُسرف البارودي في التعصب للطين ، لكان له باعٌ ومكانة بين الشعراء الإسلاميين. ولكن القومية حجَّمتـه! قال الإمام الشاطبي في الاعتصام في التعليق على حديث: (إن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء) ما نصه: (قالوا: يا رسول الله كيف يكون غريباً؟ قال: كما يقال للرجل في حي كذا وكذا: إنه لغريب. وفي رواية: أنه سئل عن الغرباء؟ قال: الذين يُحيون ما أمات الناس من سُنتي. وجملة المعنى فيه من جهة وصف الغربة ما ظهر بالعِيان والمشاهدة في أول الإسلام وآخره: وذلك أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعثه الله تعالى على حين فترة من الرسل ، وفي جاهلية جهلاء ، لا تعرف من الحق رسماً ، ولا تقيم به في مقاطع الحقوق حكماً ، بل كانت تنتحل ما وجدت عليه آباءها ، وما استحسنه أسلافها ، من الآراء المنحرفة ، والنحل المخترعة ، والمذاهب المبتدعة. فحين قام فيهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فسرعان ما عارضوا معروفه بالنكر! وغيروا في وجه صوابه بالإفك. ونسبوا إليه ـ إذ خالفهم في الشرعة ونابذهم في النحلة ـ كل محال ، ورموْه بأنواع البهتان ، فتارة يرمونه بالكذب وهو الصادق المصدوق ، الذي لم يجربوا عليه قط خبراً بخلاف مخبره ، وآونة يتهمونه بالسحر وفي علمهم أنه لم يكن من أهله ولا ممن يدعيه. وكرة يقولون: إنه مجنون مع تحققهم بكمال عقله وبراءته من مس الشيطان وخبله. وإذا دعاهم إلى عبادة المعبود بحق وحده لا شريك له ، قالوا: (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب) ، مع الإقرار بمقتضى هذه الدعوة الصادقة: (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين). وإذا أنذرهم بطشة يوم القيامة ، أنكروا ما يشاهدون من الأدلة على إمكانه ، (وقالوا أئذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد). وإذا خوفهم نقمة الله ، قالوا: (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) ، اعتراضاً على صحة ما أخبرهم به مما هو كائن لا محالة. وإذا جاءهم بآية خارقة ، افترقوا في الضلالة على فرق ، واخترقوا فيها بمجرد العناد ما لا يقبله أهل التهدي إلى التفرقة بين الحق والباطل. كل ذلك دعاء منهم إلى التأسي بهم والموافقة لهم على ما ينتحلون ، إذ رأوا خلاف المخالف لهم في باطلهم رداً لما هم عليه ، ونبذاً لما شدوا عليه يد الظنة ، واعتقدوا إذ لم يتمسكوا بدليل أن الخلاف يوهن الثقة ويقبح جهة الاستحسان ، وخصوصاً حين اجتهدوا في الانتصار بعلم فلم يجدوا أكثر من تقليد الآباء).هـ. رحم الله تعالى الإمام القرطبي إذ جلى لنا بكل وضوح معالم غربة الإسلام وأهله. وعموماً كثيرةٌ هي الأشعارُ التي قِيلتْ في الغُربة وجراحاتها ، وعبْر خلوةٍ مع النفس رُحْتُ أعيشُ مع أشعارٍ أذكرها في أثَر الغُربة في نفس الشاعر ، وعلى سبيل المثال قُول بعضهم يبين سلوك المغترب في دار غربة أهلها غير محترمين:

إن تَرْمِـــكَ الغربـــةُ فـــي مَعْشَـــرٍ قـــد جُبـــلَ الطبـــعُ عَلَـــى بُغْضِـــهِمْ

فـدارهم ، مـا دُمـتَ فـي دارهـمْ وأرضِـهِم ، مـا دُمْـتَ فـي أَرْضِـهِم

وكذلك قول شاعر آخر في الاغتراب ولواعجه وكيفية معاملة أهل دار الغربة:

لا تُعـادِ النـاسَ فـي أوطـانِهِمْ قَلّمـا يُرْعَـى غَرِيـبُ الـوَطَنِ
وإذا مَـا شِـئْتَ عَيْشًـا بَيْـنَهُمْ خَـالِقِ النّـاسَ بخُلـقٍ حَسَـن

وكذلك قولُ شاعر آخر يَحرص على البقاء بسلام وسْط أغراب قد لا يقدّرونه:

وإذا نزلـتَ بـدارِ قـوم دارِهِـمْ فلهُـم عليـكَ تَعَـزُّزُ الأوطَـانِ

وكذلك قول الشافعي الشاعر الفقيه في مدح الغربة والاغتراب يحبذهما لطالب العلم:

سَـافِرْ تجـدْ عِوَضًـا عَمَّـنْ تُفارقُـه وانْصَبْ ، فإنَّ لذيذَ العَيشِ في النّصَبِ
إنِّـي رأيـتُ وُقُـوفَ المـاءِ يُفْسِـدُهُ إنْ سـال طـاب ، وإنْ لَـمْ يَجْـرِ لَـمْ يَطِـب
والشـمسُ لـو بَقِيَـتْ فِـي الأفـق واقفـةً لمَلّهَـا النـاسُ مِـنْ عُجْـمٍ ومِـنْ عَـرَب

وقولُ الشافعي في مدح الغربة وذلك في طلب المعالي مبيناً فوائد السفر والغربة:

تغربْ عنِ الأوطـانِ فـي طلـب العُلا وسـافرْ ففـي الأسـفارِ خمسُ فوائـدِ
تَفـرُّجُ هَـمٍّ واكتِسَـابُ معيشـةٍ وعِلـمٌ وآدابٌ وصُـحْبَةٌ مَاجِـد

وعِشت مع البارودي في منفاه في سَرَنْدِيبَ وَبَكيتُ عيني ، فكانت قصيدتي هذي ترجمة لهذا الهاجس النفسي ، وكنت قد اقتبست بيته الأول وسرت عليه:)

«لكـلِ دَمْـعٍ جَـرَى فـي مُقْلَـةٍ سَـبَبُ وكيـفَ يَملِـكُ دَمْـعَ العـيْنِ مُكتئـبُ»
العَـيْنُ تُـدمِعُهَا الأحـزانُ لاعجـةً بـلْ ، والهَـوانُ ، ومـا قَـدْ حَـلَّ ، والنّـوَبُ
والقلـبُ داعَـبَ شـعرًا يانعًـا ألقـاً حتـى رأيـتُ دمـوعَ القلـبِ تَلْتَهِـب
طالَعْـتُ مـا كتبـتْ يُمنـاكَ فـي دَعَـةٍ أحسَسْـتُ أنَّ بُكـائي هَـزَّهُ الأدب
لـولا انْسِـكَابُ دمِـي مـا هزنـي ألمـي إنـي لفـي أسَـفٍ ، أبكـي وأنْتَحِـب
والقـومُ أَعْجَـبَهُمْ دمعـي وتضـحيتي والـنفسُ داميـةً ، تشـكو وتَضـطَرِب
فـي غَربتـي شَـقِيتْ نفسـي وأمنيتـي بالنـاس وانتحـرتْ لكُربتـي الكُتُـب
أواه مِـنْ رفقـةٍ ماتـت ضـمائرها كـلٌّ إلـى جهـةٍ لمَّـا دَعَـا الأرب!
أيـنَ الكِتـابُ - إذن - والسُّـنةَ انتصـروا؟ أمَ أنكـمْ بُهُـمٌ؟ أوْ أنّكُـمْ خُشُـب؟
مـا لِـي هنـا أحـدٌ ، والله مُطّلِـعٌ إنِّـي لِمَـا فعلـوا آسـي وأحتسـب

أَبكـــي مُكابـــدتي فـــي القـــوم منفطـــرًا غابـــتْ حنيفتُنـــا ، والقَـــوْمُ والعَـــرَب

«بَـــارودُ» مُنتبـــهٌ ، يرنـــو لِمَـــنْ رحلـــوا يُؤذيـــه مـــا فَعَلـــوا ، يأســـى لِمَـــنْ هَرَبُـــوا

أَمَّـــا أنَـــا فَلِمَـــنْ أَبْكِـــي المصـــاب هنـــا والعـــينُ فـــي كَمَـــدٍ ، فِـــي جُرْحِهَـــا تَجِـــب

للهِ خَالِقِهَـــــا أدعـــــو يُنَوِّرُهـــــا كـــم قـــد شَـــقِيتُ بَهَـــا ، وجُرْحُهُـــا السَّـــبَب!

مصطفى مصطفى! (معارضة لأحمد اليافعي)

(أردتُ وصف أخلاقه – صلى الله عليه وسلم – وخِلاله الجميلة ، ومدح رسالته الفضيلة ودعوته الجليلة ، وذلك في نص بسيط قصير سهل ممتنع كما يقولون ، ليس يُلجئ القارئ أو السامع إلى القاموس! فاخترتُ قصيدة الشاعر اليمني الكبير أحمد بن سالم اليافعي: (مصطفى مصطفى)! وذلك لعذوبتها وجمالها وبساطتها! وحاولتُ جاهداً ألا أقع فيما وقع فيه بعض الشعراء في القديم والحديث ، من الغلو الذي يتطرق إلى الشرك بالله وذلك بإخراج النبي – صلى الله عليه وسلم – عن بشريته! بل حاولتُ التوسط والاعتدال ، وآملُ أن أكون قد وفقتُ في ذلك! ولقد راجعتُ النص ودققته وحققته عدة مرات قبل إخراجه للعلن! وأعلم علم اليقين أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم – لا يُحب الإطراء المتجاوز للحد! وأضيف هنا أن المدح والإطراء ليس محظوراً كله في شريعتنا! بل الذي ذمه النبي – صلى الله عليه وسلم – هو المدح الذي يُفضي إلى البطر والرياء وفساد النفوس وحملها على الكِبْر والغطرسة! ومن هنا احتاج الأمر إلى تفصيل يحسُن بنا أن نورده في هذه المقدمة وإن طال نسبياً! ولما كنتُ من غير المتخصصين في الشريعة ، عمدتُ إلى الإتيان بالنصوص وبيان ما حوت من مصادرها ، وتطفلتُ على أهلها قاطفاً بعض الورود والزهور من بساتينهم العطرة! جاء في إسلام ويب ما نصه: (المدح والثناء من الأمور التي تُسَرُّ بها النفوس ، وتحفزها على زيادة العطاء ، فيحتاجه الأب في بيته ، والداعية مع طلابه ، والرئيس مع مرؤوسيه ، فيُثني على من يستحق الثناء ، ويُشيد بعمله تحفيزًا له على الزيادة والاستمرار فيه ، وحثًّا لغيره لينافسه في البذل وحسن العمل ، ولذلك كان المدح وسيلة تربوية اتبعها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع صحابته ـ رضوان الله عليهم ـ. والمدح في سنة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ منه ما هو محمود مباح ، ومنه ما هو مذموم منهي عنه ، والأمثلة والصور على ذلك من سيرته وحياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثيرة ، منها: <u>المدح المحمود</u>: فمن المدح المحمود: مدح الشخص بما فيه قبل توجيهه ونصحه ، فيقدم الناصح بين يدي نصيحته الثناء على المنصوح ، وذكر بعض الخير الذي فيه ، ثم يحفزه للكمال بفعل بعض المأمورات أو ترك بعض المنهيات ، فهذا مظنَّة الاستجابة للنصيحة ، فقبل أن يوجه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ إلى قيام الليل قال: (نِعم الرجلُ عبد الله ، لو كان يصلي من الليل، فكان بعدُ لا ينام من الليل إلا قليلاً) رواه البخاري. ومنه ما رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقف يوماً بين أصحابه ، فقال: (من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما على من دعي من هذه الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحدٌ من تلك الأبواب كلها؟ ، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: نعم وأرجو أن تكون منهم) رواه البخاري. قال ابن بطال في شرحه للحديث: "أنه يجوز الثناء على الناس بما فيهم على وجه الإعلام بصفاتهم ، لتُعرف لهم سابقتُهم وتقدمُهم في الفضل ، فينزلوا منازلهم ، ويُقدَّموا على من لا يساويهم ، ويُقتدى بهم في الخير ، ولو لم يجز وصفُهم بالخير والثناء عليهم بأحوالهم لم يُعلم أهل الفضل من غيرهم ، ألا ترى أن النبي ـ عليه السلام ـ خصَّ أصحابه بخواص من الفضائل بانُوا بها عن سائر الناس وعُرفوا بها إلى يوم القيامة ". وكذلك مدح النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه

ـ في حضوره فقال: (ما رآك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك) رواه البخاري. قال ابن حجر: "وهذا من جملة المدح ، لكنه لما كان صِدقاً محضاً ، وكان الممدوح يؤمَن معه الإعجاب والكِبْر مُدِحَ به ، ولا يدخل ذلك في المنع ، ومن جملة ذلك الأحاديثُ المتقدمة في مناقب الصحابة ووصف كل واحد منهم بما وصِف به من الأوصاف الجميلة". المدح المذموم: فمن المدح المذموم: المغالاة في المدح التي تؤدي إلى التعدي ومجاوزة الحقيقة ، وقد نهى النبي ـ صلى الله عليه وسلم – عنها ، فقال: (لا تُطروني كما أطرت النصارى عيسى ابنَ مريم ، فإنما أنا عبدٌ ، فقولوا عبد الله ورسوله) رواه البخاري. ومعنى (لا تطروني) أي: لا تجاوزوا في مدحي. وعن الربيع بنت معوذ ـ رضي الله عنها ـ قالت دخل عليَّ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ غداة بني علي ، فجلس على فراشي كمجلسك مني وجويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر ، حتى قالت جارية: (وفينا نبي يعلم ما في غد) ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (لا يعلم ما في غدٍ إلا الله! لا تقولي هكذا ، وقولي ما كنت تقولين) أي: من الشِعر الذي لا مغالاة فيه رواه البخاري. وفي هذا براءة نبوية من كثير مما يصنعه ويقوله عنه بعض المسلمين ، كادعاء بعضهم أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعرف الغيب ، أو أنه يقدر على دفع الضر أو جلب النفع لهم ، وغير ذلك مما لم يثبت له ولا عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ.قال ابن حجر: "وفي هذا الحديث جواز مدح الرجل في وجهه ما لم يخرج إلى ما ليس فيه..وإنما أنكر عليها ما ذكر من الإطراء حين أطلق علم الغيب له ، وهو صفة تختص بالله تعالى". ومن صور المدح المذموم: مدح من يُخْشى عليه الفتنة ، فيعتقد فضله ، وربما تطرق لقلبه الكِبْر والرياء ، وأن له حقًّا على الناس وقدرًا ، وربما ظن أنه فاق غيره من السابقين واللاحقين في الفضل ، فاتكل على ذلك وترك العمل أو قصَّر فيه ، ويحمل عليه حديث أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: (سمع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجلاً يثني على رجل ويطريه في المدحة، فقال: أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل) رواه البخاري. قال المهلب: "وإنما قال هذا ، والله أعلم ، لئلا يغتر الرجل بكثرة المدح ، ويرى أنه عند الناس بتلك المنزلة ، فيترك الازدياد من الخير ويجد الشيطان إليه سبيلاً ، ويوهمه في نفسه حتى يضع التواضع لله". وقال ابن حجر: "قال ابن بطال: حاصل النهي هنا أنه إذا أفرط في مدح آخر بما ليس فيه ، لم يأمن على الممدوح العُجْب لظنه أنه بتلك المنزلة ، فربما ضيع العمل والازدياد من الخير اتكالاً على ما وُصِفَ به". وكذلك من الصور المذمومة للمدح: مدح من لا يستحق المدح من الفساق والظالمين ، فمدحهم والثناء عليهم يغرهم ويغريهم بالمزيد ، وهذا ما يجعل المادح شريكاً في الظلم والفسق ومعيناً عليه ، وقد قال تعالى: {وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ }. وعن بريدة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (لا تقولوا للمنافق: سيدنا ، فإنه إن يك سيدَكم فقد أسخطتم ربكم عزَّ وجل) رواه أبو داود. وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس) رواه الترمذي. قال ابن حجر: "وقال الغزالي في الإحياء: آفة المدح في المادح أنه قد يكذب ، وقد يرائي الممدوحَ بمدحه ، ولا سيما إن كان فاسقاً أو ظالماً". ومنها: مدح الرجل بما لا يدري حقيقته على وجه الجزم ، كالحكم على معَيَّن أنه من الصالحين أو الأتقياء ، وهذا مما لا يمكن لأحد القطع فيه ، فهو غيب لا يعرفه إلا الله ، لذلك ينبغي أن يضيف المادح ما يعلق مدحه بالظن ، كقوله: أحسبه تقياً ، أو أظنه من الصالحين. عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ ،

عن أبيه: أن رجلاً ذكر عند النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأثنى عليه رجل خيراً ، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (ويحك ، قطعت عنق صاحبك ـ يقوله مراراً ـ إن كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل: أحسب كذا وكذا ، إن كان يرى أنه كذلك ، وحسيبه الله ، ولا يزكي على الله أحداً!) رواه البخاري. قال ابن حجر: "أي لا أقطع على عاقبة أحد ولا على ما في ضميره لكون ذلك مغيباً عنه ، وجيء بذلك بلفظ الخبر ومعناه النهي أي لا تزكوا أحدا على الله ، لأنه أعلم بكم منكم". وإذن فالأحاديث التي تمنع المدح وتذمه لا تتعارض مع الأحاديث الأخرى التي تفيد الإباحة ، وقد جمع بينهما النووي في شرحه لمسلم فقال: "قال العلماء: وطريق الجمع بينها أن النهي محمول على المجازفة في المدح ، والزيادة في الأوصاف ، أو على من يخاف عليه فتنة من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح ، وأما من لا يخاف عليه ذلك لكمال تقواه ، ورسوخ عقله ومعرفته ، فلا نهي في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة ، بل إن كان يحصل بذلك مصلحة كنشطه للخير ، والازدياد منه ، أو الدوام عليه ، أو الاقتداء به ، كان مستحباً. والله أعلم". وإذا كان المدح للناس شهادة نشهدها لهم بين يدي الله ـ عز وجل ـ ، وشهادة لهم عند الناس ، تُبنى عليها بيوت وتجارات وغيرُها من المصالح ، فقد تعلمنا من هديه وسنته ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن لا نشهد إلا عن عِلم ، وأن لا نمدح ونثني إلا بحق ، وأن ننأى عن المبالغة في المدح ، وأن لا نمدح إلا بما نعلم ، وأن لا نقطع بحكم وغيب لا يعلمه إلا الله).هـ. وإذن فالأمر الآن قد وضح من أن المدح المذموم هوا لمدح الذي يجعل الممدوح يطغى ويتكبر ويظن نفسه فوق الكل مميزة بما مدح به! ومن هنا كان حظر المدح والإطراء والحال هكذا! وتحت عنوان: (ذم التمادح) يقول الأستاذ محمد المنجد ما نصه: (مشكلة المديح) ما نصه بتصرفٍ زهيدٍ: (إحدى المشاكل الاجتماعية التي هي واقعة بكثرة في حياة المسلمين اليوم ، شيء مما يتعلق بعيوب اللسان ، وهذه الآفة تؤدي إلى مخاطر كثيرة ، هذه الآفة التي هي مسألة التمادح! كثير من الناس اليوم يطلقون ألفاظ المديح والثناء ويكيلونها على كل أحد ، يكيلونها لكل أحد حتى ولو لم يكن أهلاً لها ، فتجد هذا يقول: فلان الفلاني كذا وكذا وكذا من ألفاظ المديح ، وهذا الرجل من أفجر الناس ومن أفسق الناس ، وقد يكون منافقاً أو كافراً والعياذ بالله ، هذه المسألة ألا وهي كيل الثناء والمدح لمن ليس له بأهل ، تؤدي إلى مخاطر كثيرة ، سواء على الصعيد الاجتماعي في قضايا الزواج مثلاً ، أو التعامل والوظائف ؛ لأن الإنسان إذا مدح رجلاً فإنه يوثقه عند الآخرين فقد يستخدمونه وهو ليس بأهل للاستخدام في الجانب هذا ، وقد يؤدي إلى إفساد قلب الرجل ونيته ؛ لأن كيل ألفاظ الثناء والمدح مما يخرب الإخلاص ، ويجرحه تجريحاً ، ولذلك كان لا بد من إلقاء الضوء على هذه المسألة بحسب ما جاء في سيرة رسول الله ﷺ وأحاديثه وما ذكر العلماء في هذه القضية. ولقد ورد في الحديث الصحيح عن همام بن الحارث أن رجلاً جعل يمدح عثمان ، فعمد المقداد أحد الصحابة وكان جالساً في المجلس فجثى على ركبتيه وكان رجلاً ضخماً ، فجعل يحثو في وجه المادح الحصباء ، وهي الحصى الصغير مع التراب ، فقال له عثمان: ما شأنك؟ ماذا جرى لك؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: إذا رأيتم المدّاحين فاحثوا في وجوههم التراب. رواه مسلم. وعن عبد الرحمن بن جبير بن نفير قال: مدحك أخاك في وجهه كإمرارك على حلقه موسى رهيصاً. كأنك تمر على حلقه موساً شديداً وحاد جداً. ومدح رجل ابن عمر في وجهه فقال ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب ، ثم أخذ ابن عمر التراب فرمى به في وجه المادح ، وقال: هذا في وجهك ، هذا في وجهك ، هذا في وجهك ، ثلاث مرات ، قال في الصحيحة: السند

جيد. وإذن فحث التراب في وجوه المداحين من سنة رسول الله ﷺ! ولكن لا بد عند تطبيق الأحاديث من مراعاة أحوال الناس ، فهذا لا يقول لك: بأنه إذا جاءك رجل يمدحك الآن فإنك تأخذ التراب وترميه في وجهه مهما كان حاله ، كلا ، فلا بد من مراعاة حال المادح ، فقد يكون جاهلاً لأحكام المدح وما يترتب عليها، ثم إن ابن عمر من فقهه أنه علم الرجل أولاً ، وقرأ عليه الحديث ثم حثا في وجهه التراب ، ثم أنك إذا رأيت بأن حثو التراب في وجه هذا المادح قد يباعد فيما بينك وبينه ويصده عن الإسلام ويمنعه عن التأثر بك أو الاقتداء بك ، فإن من الحكمة في هذه الحال عدم استعمال هذا ، ليس تعطيلاً للحديث وإنما حكمة في الدعوة إلى الله ، وترفقاً بالجاهل ، فإن رسول الله ﷺ يقول في هذا الحديث: احثوا في وجوه المداحين ، وأتى بصيغة المبالغة المداحين الذين يكثرون المدح ، ويستعملونه بكثرة ، فيجعلونه صنيعهم ودأبهم الدائب. قال ابن العربي رحمه الله: وصورة تطبيق هذا الحديث أن تأخذ كفاً من تراب وترمي به بين يديه ، ليس في وجهه فتعمي به عيناه ، كلا ، ليس في وجهه فتعمي به عينيه ، وإنما ترميه أمامه ، لماذا؟ فإنك تقول له: ما عسى أن يكون مقدار من خلق من هذا ، فمن الحكم أنك تأخذ التراب وترميه أمامه ، وتقول له: أنا خلقت من هذا التراب ، فهل أنا أهل لهذا المديح ، وما خلقت إلا من الطين ، وأنت كذلك ما خلقت إلا من هذا التراب ، فاربأ بنفسك عن هذه الآفات التي تعرضك إلى ما لا يحمد عقباه ، وتعرف المادح قدرك وقدره. قال النووي رحمه الله: ومدح الإنسان قد يكون في غيبته وهو غير موجود ، وفي وجهه ، ففي الحالة الأولى إذا مدح وهو غائب عن المجلس فإن هذا المدح لا يمنع منه ، إلا إذا دخل المادح في الكذب فإنه يمنع من المدح حتى ولو كان الممدوح غير موجود ؛ لأنه يدخل في الكذب ، لا لكونه مدحاً. ويستحب كذلك أن الإنسان إذا مدح أن لا يبالغ حتى ولو كان الممدوح أهلاً لهذا المدح. وقد بين ﷺ خطورة المدح فقال: إياكم والتمادح فإنه الذبح ، فإنه في خطورته مثل الذبح ، مدحك لأخيك في وجهه مثل أن تذبحه بالسكين ، رواه ابن ماجه وهو في صحيح الجامع. وقال أيضاً: ذبح الرجل أن تزكيه في وجهه هذا قوله وهو حديث مرسل تشهد له أحاديث أخرى ، وهو في صحيح الجامع. هذا المدح يسبب عللاً كثيرة ، وآفات كبيرة في دين المادح والممدوح فلذلك سماه ﷺ ذبحاً ؛ لأنه يميت القلب ويخرج الممدوح عن دينه ، وفيه ذبح للممدوح أيضاً من جهة أنه يغره بأحواله ، ويغريه بالعجب والكبر ، ويرى نفسه أهلاً للمدحة لا سيما إذا كان من أبناء الدنيا ، لذلك قال بعض السلف: لو أن إنساناً صنع إليك معروفاً ، وهو يحب المدح ويحب الثناء ويحب الظهور بين الناس ، فلا تمدحه على صنيعه ، لا تمدحه ، ولكن قل له أدعية ، مثلما قال: من صنع لأخيه معروفاً فقال له: جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء. الدعاء له لا بأس به ، أما لو شعرت أن هذا الرجل الذي صنع لك معروفاً إنما يحب من وراء هذا المعروف أن تمدحه وتثني عليه في المجالس وتذكر سيرته أمام الناس ففي هذه الحالة لا تمدحه ، ولذلك قال ﷺ ناهياً عن الإطراء: وهو الزيادة في المدح ، قال: لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ، ما قال: لا تمدحوني ، ولكن قال: لا تطروني ، مع أن الرسول ﷺ يستحق المدح أحق الاستحقاق على خلاف حال المسلمين ، ومع ذلك فقد أوصانا بعدم إطرائه ، والإطراء هو المبالغة في المدح حتى يرفع فوق قدره ومنزلته التي أنزله الله إياها. ولذلك قال بعض العلماء: ويحرم مجاوزة الحد في الإطراء في المدح وترد به الشهادة. كان قضاة المسلمين إذا جاء رجل معروف بالإطراء والزيادة في المدح ، وعادته الثناء على الناس بما هم ليسوا له بأهل كانوا

يردون شهادته ولا يقبلونها ، وهذه الحالة معروفة في الشعراء كثيراً ، ولذلك قال بعضهم: لا تؤاخي شاعراً فإنه يمدحك بثمن ، ويهجوك مجاناً ، يمدحك ويأخذ أجراً على هذا الشعر ، ولكنه إذا أراد أن يهجوك هجاك مجاناً ، ولذلك وقع من جراء التمادي في المدح في بعض أشعار السابقين واللاحقين أشياء لا يرضاها الله تعالى ، فمن ذلك قول الشاعر ابن هانئ الأندلسي وهو يمدح المعز العبيدي الخبيث مخاطباً له ، وقد وصل به الإطراء إلى درجة أنه قال له هذا البيت:

ما شئت لا ما شاءت الأقدارُ! فاحكم فأنت الواحد القهارُ!

وهذه الصفات لا تكون إلا لله ، هو الذي يشاء مهما شاء البشر فمشيئته نافذة ، وهو الذي يحكم وهو الواحد القهار ، وصل الحال بهذا الشاعر لدرجة أن خرج عن الملة بإطلاق هذه الألفاظ على عبد من العبيد. وروى البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن أبي موسى قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يثني على رجل ويطريه في المدحة ، يبالغ في المدح ، فقال: أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل ، وترجم عليه رحمه الله البخاري في صحيحه باب ما يكره من الإطناب والمدح ، في كتاب الشهادات ، قال معنوناً: باب ما يكره من الإطناب والمدح. وعن أبي بكرة أن رجلاً ذكر عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجل خيراً فقال النبي ﷺ: ويحك ، ويحك ، ويحك قطعت عنق صاحبك يقول ذلك مراراً ، يقول له: ويحك قطعت عنق صاحبك ، إن كان أحدكم مادحاً يقول موجهاً الأمة: إن كان أحدكم مادحاً لا محالة لا بد أن يمدح فليقل: أحسب كذا وكذا ، إن كان يعلم ذلك منه ، ليس فقط أن يقول المدح وهذا لا يستاهل المدح ، حتى لو قال: أحسبه كذا وهذا الرجل لا يستاهل هذا ، لا ، لا بد أن يكون أهلاً لذلك ، لا بد أن يكون مصلياً حتى تقول: أحسبه أنه من أهل الصلاة ، أما إن كان ليس بمصلٍ فلا يجوز أن تقول: من أهل الصلاة حتى لو قلت قبلها أحسبه ؛ لأنه ليس من أهل الصلاة. فيقول: إن كان يرى أنه كذلك ، والله حسيبه ولا يزكي على الله أحداً ، ولذلك إن رأى الإنسان أن يمدح إنساناً لحاجة شرعية ، أو مصلحة شرعية ، فليقل في مدحه: أحسبه والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً أن الرجل هذا من أهل كذا وكذا ، وبوب النووي رحمه الله تعالى على هذا الحديث باب كراهة المدح في الوجه لمن خيف عليه مفسدة من إعجاب ونحوه ، وجوازه يعني بلا كراهة لمن أمن ذلك في حقه ، وذلك لكمال تقواه ورسوخ عقله ومعرفته ، وشرط الجواز حينئذ ، شرط جواز المدح أن لا يكون فيه مجازفة ، أن لا يكون فيه مجازفة، فإذا كان فيه زيادة عن حال الرجل ومجازفة فإنه عند ذلك لا يجوز مطلقاً. وكذلك من أفرط في مدح آخر بما ليس فيه فإن الممدوح لا يأمن على نفسه العجب فربما ضيع العمل والازدياد من الخير اتكالاً على ما وصف به ، لو أنك مسكت إنساناً ومدحته ، قلت: أنت كذا وكذا ، أمام الناس ، أو بمفرده ، ماذا يحصل لهذا الرجل؟ يحسب بسبب مدحك إياه بأنه قد وصل إلى منزلة عالية من الخير ، وأنه الآن عند الله في كذا وكذا ، وأنه من أهل الجنة مثلاً ، وهذا الشيء يدفعه إلى ترك العمل ؛ لأنه يشعر بأنه قد أمن على نفسه ، وبأنه قد أصبح في المنزلة العالية فلماذا يعمل ؛ لذلك قال العلماء: فإن الرجل لا يعمل إلا إذا أحس بالتقصير ، فأنت إذا مدحته مدحاً زائداً فإنك تزيل عنه التقصير من نفسه ، تزيل عنه الإحساس بالتقصير ، فلذلك يتكاسل عن العمل ويتوانى ، هذا من أضرار الإفراط في المدح. وأما من مدح إنساناً بما فيه , وكان هذا الرجل من أهل الصلاح والتقوى , ولا يوجد عنده حب للظهور ، أو لا يوجد عنده اغترار بالكلام الذي سيمدح به فإنه والحالة هذه لا يكره مدحه ، ولكن هذا الأمر لعمر الله يحتاج إلى فراسة إيمانية ، لا تتوفر لكثير من الناس ، ولذلك فالأحوط أن لا تبالغ في

المدح ، ولا تمدح إلا للضرورة الشرعية. قال ابن حجر رحمه الله في الفتح: وقد ضبط العلماء المبالغة الجائزة من المبالغة الممنوعة بأن الجائزة يصحبها شرط أو تقريب ، والممنوعة بخلافها ، يعني أنت أحياناً تضطر إلى المدح فماذا تقول في مدحك: فلان إن شاء الله من أهل الخير ما دام متمسكاً بالدين , أو ما دام متبعاً لسنة الرسول ﷺ، فهذا الشرط أو التقريب مهم جداً لكي يكون المدح شرعياً , وإلا فإطلاق المدح والتزكية بدون قيد أو شرط ؛ يخشى أن يكون مما لا يرضي الله ، فتقول: فلان نحسبه من كذا على سبيل التقريب ، نحسبه من أهل كذا ، هذه الصيغة لا بأس بها إذا احتاج الإنسان إليها. وكذلك فإن المادح نفسه يتضرر من وراء هذا المدح ، فيضطر للكذب في المدح وقد يضطر للرياء ، وقد يرتكب منهياً عظيماً من المنهيات وهو يمدح إنساناً فاسقاً أو ظالماً ، وقد يطلق الكلام لا على سبيل التحقق ، يقول: فلان من أهل كذا ، وفلان صفته كذا وهو ما تحقق ولا تأكد خصوصاً أن بعض الأشياء التي يمدح بها بعض الناس لا سبيل إلى التأكد منها مطلقاً ؛ لأنها قد تكون أشياء قلبية ، كيف اطلعت على قلبه لتقول: هذا الرجل من المخلصين ، إيمانه كامل ، وكذا وكذا ، والإيمان محله القلب ويصدقه العمل ، فكيف أنت تحكم بالعمل فقط ، ولم تتطلع على قلبه ، وتحكم لفلان من الناس بكمال الإيمان وهي مسألة مستحيلة الحكم بها ؛ لأنها تحتاج على اطلاع على القلب وهذا ليس إلا لله. وبعض الناس قد يقول: فلان ورع ، فلان تقي ، فلان زاهد ، هذا المدح ليس بصحيح ، هذا بخلاف ما إذا قال: رأيت فلاناً يصلي ، رأيت فلاناً يحج ، رأيت فلاناً يزكي ، لو طلب منك شهادة في فلان في مسألة زواج مثلاً لا تقول: فلان ورع ، وتقي ، وعابد ، وزاهد ، وكامل الإيمان ، تقول مثلاً: أنا رأيته يصلي ، رأيته من الدعاة إلى الله ، يدعو إلى الله على بصيرة ، رأيت فيه علماً ، هكذا تقول ولا تطلق الألفاظ ، تقول هذا الكلام مما يسهل الاطلاع عليه ؛ لأنه يسهل الاطلاع على فلان أنه من أهل الصلاة ، يسهل الاطلاع على فلان أنه من أهل العلم ، وهكذا. وكذلك قال بعض السلف: إذا مدح الرجل في وجهه فليقل: اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون ، واجعلني خيراً مما يظنون. أخرجه البيهقي في الشعب. ماذا تقول إذا مدحك إنسان في وجهك؟ تقول: الله اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون ، واجعلني خيراً مما يظنون ، وتستنكر هذا المدح ، وتنكر على هذا الرجل ، هذا الكيل المتدفق في المدح ؛ لأنه مخالف لسنة رسول الله ﷺ. وعلماؤنا من السلف رحمة الله تعالى عليهم كانوا لا يكيلون المدح جزافاً ، ولا يطلقونه إطلاقاً ، بل إنك إذا رجعت إلى كتب الجرح والتعديل التي فيها تقييم لرجال الحديث ، لوجدت العلماء من السلف في هذا الجانب يدققون جداً ، لا يقولون: فلان إمام عدل ثقة ثبت ورع زاهد تقي عابد ، كلا ، إلا إذا كان من أهل هذه المنزلة فعلاً ، أما إذا كان فيه شيء آخر ، فإنهم يبينونه ، فلذلك مثلاً ، يقول الذهبي رحمه الله في ترجمة إسماعيل بن سميع الكوفي: ثقة فيه بدعة ، كونه ثقة ما منع الذهبي أن يقول: فيه بدعة ، وكونه فيه بدعة ما منع الذهبي أن يقول عنه: ثقة ، لا بد وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ ، قال عنه: ثقة فيه بدعة ، وقال في ترجمة أبو سليمان داود المدني: ثقة مشهور له غرائب تستنكر مع أنه ثقة مشهور لكن عنده غرائب تستنكر منه ، ما منع الذهبي ثقة الرجل وشهرته أن يضيف هذه الإضافة ، له غرائب تستنكر ، لا بد من إنزال الناس منازلهم ، عدم إطلاق ألفاظ الثناء عليهم. وهذا مثال أخير: قال الذهبي رحمه الله في ترجمة طلق بن حبيب: من صلحاء التابعين إلا أنه يرى الإرجاء. وقال ابن حبان في نفس الرجل: كان عابداً مرجئاً ، الإرجاء بدعة أي قولٌ مبتدعٌ في الدين ، مذهب باطل ، إلا أنهم لما ترجموا لهذا الرجل قالوا: من صلحاء

التابعين ، هو صالح نعم ، لكن عنده في فكره انحراف منهجي في قضية الإرجاء ، فكان لا بد من التنبيه. ومن أعظم المصائب في قضية المدح مدح المنافق والفاجر أو الكافر بقول: سيد ، قال ﷺ في الحديث الصحيح ، الذي يرويه أحمد وأبو داود عن بريدة وهو في صحيح الجامع: لا تقولوا للمنافق سيدنا فإنه إن يكن سيدكم فقد أسخطتم ربكم ، قال العلماء في شرح الحديث: إذا قلت للمنافق يا سيدنا أو يا سيدي وهذا الرجل سيد فعلاً عنده عبيد وعنده أموال وعنده جاه ومنصب فإن قلت له: يا سيدي وهو منافق فعلاً فقد أسخطت ربك ، فكيف إذا كان هذا المنافق ليس بسيد أصلاً بل هو من عامة الناس وهو منافق وأنت تقول له: يا سيد ، أو يا سيدي؟ ولذلك قال النووي رحمه الله معنوناً على هذا الحديث: باب النهي عن مخاطبة الفاسق والمبتدع ونحوهما بسيد ونحوه ، قال الشارح في دليل الفالحين: ونحوهما يعني الفاسق والمبتدع ونحوهما يعني من الظلمة وأعوانهم ، وبعض الناس اليوم عندما يخاطب الكفار يقول له بلهجته أو بلغته الأجنبية ، نعم يا سيد ، كما يقول بعض الطلبة للمدرس الكافر يقول له: يا سيد ، هذا داخل في الحديث ، حتى ولو قالها بلغة الكافر ، وهذه اللفظة شائعة على ألسنة كثير ممن يتعاملون مع الكفرة ، لماذا هذا النهي وهذا التعظيم ، وقول الرسول ﷺ: لقد أسخطتم ربكم؟ قال الشارح رحمه الله: لأن فيه تعظيم لمن أهانه الله، الله يهين منافقاً أو مبتدعاً أو فاجراً ويتوعده في كتابه بالنار والعذاب والإهانة في الدنيا والآخرة وأنت أيها المسلم تأتي وترفع هذا الرجل إلى مرتبة السيادة! إنه لأمر عجيب فعلاً. وهذا الشيء مقيد بمن لا يكون على نفسه ضرر في أهله أو ماله فلا كراهة حينئذ ، وقوله: فقد أسخطتم ربكم أي: عظمتم من خرج عن عبودية الله ، واتخذ له ضداً ونداً ، وكذلك العصاة! ومما يتعلق بالموضوع كذلك ما تراه أيها المسلم أحياناً في نعي الجرائد، فإن كثيراً من الناس إذا ذهب ينشر نعياً عن ميت من أصحابه أو من أهل تراه يقول مثلاً في مطلع النعي: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ، أو يقول: لقد انتقل إلى رحمة الله فلان ، أو يقول: المغفور له فلان قد مات في كذا وكذا ، أو يقول: الشهيد فلان ، أو مات شهيداً ، ونحو ذلك ، أو يقول ، إلى آخر ذلك من الآيات التي يصدر بها النعي ، وإلى آخر ذلك من الألفاظ ، المرحوم فلان ، يا أخي المسلم ما يدريك أنه مرحوم ، ما يدريك بأنه انتقل إلى غضب الله وعذابه بدلاً من ينتقل إلى رحمته ، ما يدريك بأن نفسه أمارة بالسوء وليست نفساً مطمئنة ، كيف تحكم عليه بهذه الأحكام فتقول: هذا صاحب النفس المطمئنة ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ، ما يدريك بأنه قد دخل الجنة عندما مات ، ما يدريك بأن الله قد غفر أو لم يغفر له ، ما يدريك بأنه شهيد ، ربما كان غير شهيد ، فلذلك أقرأ عليكم أيها الإخوة هذا الحديث الذي رواه البخاري رحمه الله الذي يوضح لك بجلاء خطأ ونكارة ما يفعله الناس اليوم في هذه الأمور: عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أم العلاء الأنصارية امرأة من الأنصار قالت: بايعت رسول الله ﷺ ، وأخبرت أنهم اقتسموا المهاجرين قرعة ، لما هاجر المهاجرون من مكة إلى المدينة كانوا فقراء ليس عندهم مأوى ولا مكان يبيتون فيه ، فإخوانهم الأنصار كانوا يحرصون عليهم أشد الحرص فتقول المرأة: اقتسموا المهاجرين قرعة ، كل واحد من الأنصار يقول: أنا أريد فلان ، أنا أريد فلان ، والمهاجرين قلة في العدد أقل من الأنصار ، فماذا فعل الرسول ﷺ؟ قسمها بالقرعة ، يأتي برجل من المهاجرين فيقرع بين الأنصار فيخرج أن هذا من نصيب فلان ، فيأخذه معه إلى بيته ويسكنه في بيته ويكرمه ويطعمه ، قالت هذه المرأة رضي الله عنها: فطار لنا عثمان بن مظعون ، طار لنا في القرعة صار من نصيبنا عثمان بن مظعون المهاجري رضي الله تعالى

عنه ، وأنزلناه في أبياتنا ، أكرمناه ، فوجع وجعه الذي توفي فيه ، نزل به المرض والوجع الذي أدى به إلى الوفاة ، فلما توفي غسل وكفن في أثوابه ، فدخل رسول الله ﷺ ، فقالت المرأة: ما علمت منه إلا كل خير ، ما رأته إلا عابداً مجاهداً في سبيل الله ، تقول: رحمة الله عليك يا أبا السائب ، وهي كنية عثمان بن مظعون ، رحمة الله عليك يا أبا السائب ، حتى هنا الكلام صحيح ، دعاء بالرحمة له ، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله ، أشهد أن الله قد أكرمك ، فقال رسول الله ﷺ: وما يدريك أن الله أكرمه؟ فقلت: بأبي أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله؟ فقال رسول الله ﷺ: أما هو فقد جاءه اليقين جاءه الموت ، والله إني لأرجو له الخير! انظروا إلى التصحيح والتعليم ، المرأة قالت: شهادتي عليك لقد أكرمك الله ، ماذا قال الرسول ﷺ؟ والله إني لأرجو له الخير ، فلو قلت مثلاً: أرجو أن يكون فلان من أهل الجنة ، أرجو أن الله قد أكرمه ، نسأل الله أن يغفر له ذنوبه ، نسأل الله أن يبلغه عليين ، إلى آخر ذلك من ألفاظ الدعاء للميت ، نعم ، لا بأس ، لكن إطلاق الحكم له بالجنة ، وإطلاق الحكم له بالمغفرة أو الشهادة هذا مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة ؛ لأن من عقيدتهم أنهم يقولون: لا يجوز الحكم لمعين بجنة أو نار إلا ما حكم له الوحي ، فإذا حكم الوحي لأبي بكر أنه من أهل الجنة نحن نقطع أنه من أهل الجنة ، إذا حكم القرآن أن أبا لهب في النار قطعنا بأنه في النار، أما غير ذلك من الأشخاص لا نقطع لهم بجنةٍ أو بنار إلا ما ورد في الوحي ، بل نقول: أن فلاناً عمله من عمل أهل الجنة ، وفلان عمله من عمل أهل النار ، وهكذا ، ثم قال ﷺ مكملاً حديثة: والله إني لأرجو له الخير ووالله ، انظروا أيها الإخوة إلى هذه العبارة ووالله ما أدري وأنا رسول الله ماذا يفعل بي؟ ولذلك تقول هذه المرأة: فما زكيت بعده أحداً أبداً. وعموماً النهي عن المدح لا يعني الجفاف في المعاملة! وتلك نقطة أخيرة في هذه الموضوع ، عندما نقول بالنهي عن المدح والتمادح والثناء ، إننا لا نعني بأي حال من الأحوال ، الجفاف في معاملة الناس ، وعدم الثناء على من يستحق الخير ، وأنه إذا ورد أمامنا ذكر عالم أو رجل من المخلصين أن لا نقول له كلمة مدح أو ثناء البتة ، كلا. ولا يعني ذلك أيضاً بأننا في حال الدعوة إلى الله نترفق بالناس ونستثير كوامن الخير في أنفسهم بالثناء على ما فيهم من الخير ، أنت كداعية عندما تريد أن تدعو الناس لا تذهب للرجل وتقول له في وجهه: افعل كذا وكذا بدون مقدمات تستثير بها عاطفته ، تفتح قلبه ، فمثلاً تقول للرجل: أحسب أنك من أهل الخير هلا فعلت كذا وكذا ، أحسب أنك من أهل طاعة الله لم لا تفعل كذا ، أو تقول مثلاً للرجل وهو يصلي ، تقول له: يا أخي أنت من أهل الصلاة والحمد لله وفيك خير كبير وفيك إيمان ما دمت من أهل الصلاة لماذا لا تكمل هذا الإيمان بالإقلاع عن المعصية الفلانية والفلانية ، وقد قال الشاعر:

ولم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام

هذا الأسلوب مطلوب ، تشجيع طلبة العلم أثناء تعليمهم ، بقول المعلم للرجل: أحسنت. مثلاً ، والثناء عليه لا بأس بذلك ، تشجيع الناس الذين يفعلون الخير بالكلمات الطيبة لا بأس بها بشرط أن يؤمن بأنهم لن يأخذوا كلامك هذا ويفسد نياتهم ويتركون العمل ، وذلك بأن تقتصد في المدح وتعطي كل رجل الألفاظ المناسبة لحاله بغير أن تخرجه عن الحد المشروع ، ولذلك أبو سفيان المشرك لما أسلم كيف أسلم؟ من الأسباب التي دعته للإسلام أن الرسول ﷺ أنزله منزلة فيها إظهار لبعض قدره حتى يؤلف قلبه على الإسلام ، فلذلك قال مخاطباً أهل مكة:

من دخل المسجد الحرام فهو آمن ، ومن دخل بيته فهو آمن ، ومن دخل دار أو بيت أبي سفيان فهو آمن ، لماذا قال هذه الجملة؟ أعطى هذا الرجل شيئاً من المنزلة لعل الله أن يهديه ، فأعطى أبا سفيان هذه المنزلة تأليفاً لقلبه ، وهذا قدوة نقتدي بها أيها الإخوة في باب الدعوة إلى الله.)

مصـــــــــــطفى ، مصـــــــــــطفى جاءنـــــــــــا بالشـــــــــــفا

والإخـــــــــــا والصـــــــــــفا والعطـــــــــــا والوفـــــــــــا

****

مُرســـــــــــلٌ بالهُـــــــــــدَى مَـــــــــن أطـــــــــاعَ اهتـــــــــدَى

فـــــــــــاجتنى الســـــــــــؤددا والتســـــــــــامي غـــــــــــدا

****

دربُـــــــــــه مُســـــــــــتقيمْ ذو صـــــــــــراطٍ قـــــــــــويمْ

كـــــــــم يُحِيـــــــــرُ الخصـــــــــوم! كـــــــــم يُبيـــــــــدُ الهمـــــــــوم!

****

رحمـــــــــــة للبَشَـــــــــــرْ خصـــــــــــه المقتـــــــــــدرْ

هـــــــــلّ مثـــــــــل القمـــــــــر والضـــــــــياءُ انتشـــــــــر

****

جاءنـــــــــــا بالرَشَـــــــــــدْ مِـــــــــن مَليـــــــــكٍ صـــــــــمدْ

فاســـــــــــتمى ، واجتهـــــــــد واقتـــــــــدى ، واقتصـــــــــد

****

شـــــــــــرعُهُ مُكتمِـــــــــلْ خـــــــــاتمٌ للرســـــــــلْ

كـــــــم هـــــــدى مِـــــــن ضـــــــلل! كـــــــم دعـــــــا ، واعتـــــــدل!

****

وهْـــــــو أوفـــــــى رســـــــولْ مِـــــــن إلـــــــهٍ جليـــــــل

قـــــــد هـــــــدانا الســـــــبيل ثـــــــم كـــــــان الـــــــدليل

****

وهْـــــــو أســـــــمى نبـــــــيّ مِـــــــن إلـــــــهٍ علـــــــيّ

عقلـــــــــــــهُ ألمعـــــــــــي مـــــــا لـــــــه مـــــــن سَـــــــمِي

****

مســـــــــــتجابُ الـــــــــدعا صـــــــائنٌ مـــــــا وعـــــــى

للمعـــــــــــالي ســـــــــعى بـــــــــاذلاً طيّعـــــــــا

****

مســـــــــــتبينُ الســـــــــننْ عزمُـــــــه مـــــــا وهـــــــن

صـــــــــادقٌ مـــــــــؤتمن ســـــــــره والعلـــــــــن

****

هديُـــــــــهُ مســـــــــتنيرْ ذا بشـــــــــيرٌ نـــــــــذيرْ

والســـــــــراجُ المنيـــــــــر شـــــــافعٌ فـــــــي النشـــــــور

****

خـــــــص هـــــــذي الـــــــدنا والـــــــورى بالهنـــــــا

هديـــــــــهُ كالســـــــــنا يرشـــــــــد الـــــــــديّنا

****

مُفصِـــــــــحٌ إن خطـــــــــبْ مُنصِـــــــــفٌ إن غضـــــــــبْ

طيّـــــــــبٌ إن أحـــــــــب مُحسِـــــــــنٌ إن صـــــــــحب

****

كـــــــم دعـــــــا للســـــــلامْ والإخـــــــا والوئـــــــامْ!

فاســــــــــــــتقام الأنـــــــــــــام حيـــــــــــــث زال الظـــــــــــــلام

****

سَـــــــــــــــمتُه مُســـــــــــــــتبينْ خيـــــــــــرُ هَـــــــــدْي ودِيـــــــــنْ

بأسُـــــــــــــــه لا يلـــــــــــــين رغـــــــــــم حِلـــــــــم ولِـــــــــين

****

رب صـــــــــــــــلي عليـــــــــــــهْ واســـــــــــقنا مـــــــــن يديـــــــــهْ

مـــــــــــاءَ نهـــــــــــر لديـــــــــه ثـــــــــم ســـــــــلم عليـــــــــه

مع الله عز وجل (معارضة لعمر بهاء الدين الأميري)

(أعجبتني قصيدة (مع الله) للأستاذ عمر بهاء الدين الأميري في تصويرها للمعية الإلهية المقدسة. كما أعجبني أسلوب الشاعر عبد المعطى الدالاتي في معارضته البديعة للأستاذ الأميري ، وإن لم يُشر هو إلى أنه عارض الأميري ، والحقيقة أنني لم أعلم ذلك عنه. ورحت أعارض الأميري معترفاً له بالفضل ومقدماً بين يديه شرف المحاولة. والحقيقة أنني تأثرت بالقصيدتين قصيدة الأميري وقصيدة الدالاتي . ولكن عندما وضعت قلمي لكي أستخرج من فؤادي هذه القصيدة العظيمة ، لم أقتبس من أيٍّ منهما ، على عادة الشعراء في المعارضات الشعرية. ولكنني وضعت يراعتي على وريقات كانت معي ، ولم أرفعه إلا بعد تمام هذه القصيدة ، والتى أبياتها ستة وثلاثون. ألا إن معية الله التي أعني هي التي أشارت إليه الآية: (وهو معكم أينما كنتم). معية الإحاطة والعلم والإدراك على عقيدة أهل السنة. وليست معية الذات أو تعدد الذات الإلهية حِسّياً وتجزئتها حكراً على عقيدة المتصوفة أو الاستشراقيين الغنوصيين. فهي من باب: اللهم آنس وحشتي في قبري ، واعصمني من المعصية. أما الأستاذ الأميري فبدأ قصيدته بقوله:

مـــــع الله فـــــي سَـــــبَحاتِ الفكَـــــرْ مـــــع الله فـــــي لمحـــــات البصـــــرْ

مـــــع الله فـــــي مُضـــــمرات الكَـــــرى مـــــع الله عنـــــد امتـــــداد الســـــهر

مـــــع الله والقلـــــب فـــــي نشـــــوةٍ مـــــع الله ، والـــــنفسُ تشـــــكو الضـــــجر

مـــــع الله فـــــي أمســـــيَ المنقضـــــى مـــــع الله فـــــي غـــــديَ المنتظـــــر

مـــــع الله فـــــي عُنفـــــوان الصـــــبا مـــــع الله فـــــي الضـــــعف عنـــــد الكِبَـــــر

مـــــع الله قبـــــل حيـــــاتي وفيـــــ ـــــها ومـــــا بعـــــدها عنـــــد سُـــــكنى الحُفـــــر

مـــــع الله فـــــي الجـــــد مِـــــن أمرنـــــا مـــــع الله فـــــي جلســـــات الســـــمر

مـــــع الله فـــــي حـــــب أهـــــل التقـــــى مـــــع الله فـــــي ذكـــــره مَـــــن فجـــــر

مـــــع الله فيمـــــا بـــــدا وانتشـــــر مـــــع الله فيمـــــا انطـــــوى واســـــتتر

وأما قصيدة الشاعر المحترم عبد المعطي الدالاتي والتي هي 25 بيت فبدأ بقوله:

مـــــع الله فـــــي القلـــــب لمَـــــا انكســـــرْ مـــــع الله فـــــي الـــــدمع لمّـــــا انهمـــــرْ

مـــــع الله فـــــي التـــــوب رغـــــم الهـــــوى مـــــع الله فـــــي الـــــذنب لمّـــــا اســـــتتر

مـــــع الله فـــــي الـــــروح فـــــوق الســـــما مـــــع الله فـــــي الجســـــم لمّـــــا عثَـــــر

ثم اختتم الدالاتي قصيدته بالتركيز على مزايا الربوبية وعطاءاتها للناس جميعاً بقوله:

مـــــع الله قبـــــل انبثـــــاق الحيـــــا ةِ ، وبعـــــد الممـــــاتِ وتحـــــت الحُفـــــرْ

مـــــع الله حـــــين نجـــــوز الصـــــراط نلـــــوذ نعـــــوذ بـــــه مـــــن سَـــــقَرْ

مـــــع الله فـــــي ســـــدرة المنتهـــــى مـــــع الله حـــــين يطيـــــب النظـــــر

وقبل أن نطالع قصيدتنا (مع الله) ، يحلو لي أن أشير إلى قضية مهمة من عدة محاور. أما القضية فهي استهجان بعض الناس للمعارضة الشعرية. وأما المحاور فأولها أن الشاعر ليس مسؤولاً عن جهل من يتصدى لنقده أو تقييمه. إذ فن المعارضة من فنون الشعر العربي الأصيل ، ولا يزال الشعراء في كل جيل وفي كل مصر يعارض بعضهم بعضاً ، ولا ينكر أحد عليهم ذلك الأمر. كما أن الشعر وعاء للجميع فكذلك هو مظلة تظل الجميع. ومن هنا فليس وارداً أبداً أن يُنكر أحد الناس معارضة زيد لعمرو. وثانيها أنني كشاعر يجب أن يعلم الكل أنه يَسَعُني اليومَ ما وسع غيري بالأمس ، وسيظل يسعهم أبد الآبدين ودهر الداهرين ، مادام في الأرض شعر وشعراء. وثالثها أن المعارضات الشعرية أثرت الشعر العربي الأصيل على مدى تاريخه الطويل. ومن هنا فهي باب خير للشعر. ورابعها أنني إذ أعارض الأستاذ الأميري والأستاذ الدالاتي ، فإنني أناشد الشعراء على اختلاف مستوياتهم أن يعارضوا قصيدة (مع الله) إذ إنها من المدائح الإلهية الربانية التي يجب أن يتغنى بها كل شاعر مسلم مؤمن موحد في الأرض. فليس أحد المُدحةُ أحبُّ إليه من الله – عز وجل. روى البخاري ومسلم عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا أحد أغيَر من الله عز وجل ، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب إليه المدح من الله ، من أجل ذلك مدح نفسه ، ولا أحد أحب إليه العذر من الله ، من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين). والتعبير بقوله: (لا أحد أغير من الله عز وجل) بأفعل التفضيل من الغَيرة ، وهي الأنفة والحمية في حق المخلوق ، وفي حق الخالق تحريمه ومنعه أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه ، والمعنى أن الله تعالى شديد الغيرة على عباده ، ولا أحد أشد منه غيرة عليهم ، وغيرة الله عز وجل على العباد معناها أنه لا يرضى أن يمسهم أحد بسوء ، ولا أن يلحق بهم أي ضرر أو عدوان أو يصيب أحداً منهم بأذى في دينه أو نفسه أو عرضه أو عقله ، فحرّم الزنا غيرة على أعراض الناس وأنسابهم ، وحرّم السرقة والغصب والربا غيرة على أموال الناس أن يُعتدى عليها ، وحرّم شرب الخمر غيرة على عقول الناس ومحافظة على سلامتها ، وجميع ما حرمه الله من الفواحش إنما حرمه غيرة على حقوق عباده وحماية لها ، (من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن) أي أنه عز وجل إنما حرم الفواحش غيرة على عباده ، وحفظاً لمصالحهم. ثم قال: (ولا أحد أحب إليه المدح من الله) ، أي لا أحد أشد حباً للمدح والثناء الصادق الصحيح من الله تعالى ، فإنه عزّ وجل يحبُّ الثناء والشكر من عباده بالطاعة والعبادة والذكر ، ويكافئوهم عليه بزيادة النعمة ، كما قال تعالى: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} ، (من أجل ذلك مدح نفسه) أي ومن أجل ذلك أثنى على نفسه بنفسه ليعلّم عباده كيفية الثناء عليه ، فقال عز وجل: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}. ومن هنا دارت رحى الخلاف بين العلماء: أيهما أحب إلى الله تعالى الذكر شاملاً المدح والثناء أم الدعاء؟ وكان الترجيح بأن الثناء على الله ومدحه أحب. وفي حديث الشفاعة الطويل يلهم الله نبيه مدحاً خاصاً به سبحانه فيقوله ثم يقال له: يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفّع! (ولا أحد أحب إليه العذر من الله ، من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين) ، أي لو لم يكن الإعذار وبلوغ الحجة وقيامها على العباد محبباً إلى الله عز وجل ، لما أرسل الرسل وأنزل الكتب ، فإن الله عز وجل بإنزاله الكتب وإرساله الرسل قد أقام الحجة على جميع العباد ؛ لأن الله تعالى يقول: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} ، والله تعالى غني عن عذاب عباده ، ولذلك لا يعذبهم إلا بعد قيام الحجة عليهم ، وأخذ العذر عنهم ولهم ، وهو كقوله تعالى: {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ

عَلَى الله حُجّةٌ بَعْدَ الرُّسُل}. وحاولتُ في قصيدتي هذي أن أشير إلى توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات ، الأمر الذي أراه فات الأميري والدالاتي! إن توحيد الألوهية هو الفيصل بين المؤمنين والكافرين! ذلك أن أغلب الكفار والمشركين الأوائل والأواخر لم تكن مشكلتهم في الربوبية! بل كانت في الألوهية! من المعبود المطاع؟ ومن المستحق للعبادة بحق في السماوات والأرض؟ إنه الله رب العالمين! وشرط أساس في هذا التوحيد هو خلع الأنداد والأصنام والأوثان والآلهة والأرباب والطواغيت ، فلا يعبد المسلم المؤمن القانت إلا الله وحده! (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم). أخرج البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال سعد بن عبادة رضي الله عنه: "لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح" ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أتعجبون من غيرة سعد ، فوالله لأنا أغير منه ، والله أغير مني ، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا شخص أغير من الله ، ولا شخص أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك بعث الله مبشرين ومنذرين ، ولا شخص أحب إليه المدحة من الله ، من أجل ذلك وعد الله الجنة). فليُدل كل شاعر بدلوه فيها! والآن لنطالع ماذا قلت؟ وماذا قصدت من كتابتي؟ والله سبحانه من وراء القصد! ومرة أخيرة المعارضة فن من فنون الشعر العربي! ولا يزال الشعراء يعارض بعضهم بعضاً من عهدِ امرؤ القيس ، وإلى يوم الناس هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها!)

مـــــع الله ربِّ القـــــوى والقَـــــدَرْ مـــــع الله خـــــالق كـــــل البَشَـــــرْ

مـــــع الله إن جـــــنّ ليـــــلُ الـــــدجى مـــــع الله إمـــــا نويـــــتُ الســـــهر

مـــــع الله إمـــــا قصـــــدتُ البقـــــا مـــــع الله إمـــــا بـــــدأتُ الســـــفر

مـــــع الله إمـــــا طـــــواني الشـــــقا مـــــع الله إمـــــا حَـــــداني السَّـــــمر

مـــــع الله عنـــــد حُلـــــول القَضـــــا مـــــع الله عنـــــد نـــــزول القَـــــدر

مـــــع الله إمـــــا قلانـــــي الـــــورى مـــــع الله إن كـــــان عنـــــدي زُمـــــر

مـــــع الله إن زار قلبـــــي الهنـــــا مـــــع الله إمّـــــا الفـــــؤاد انكســـــر

مـــــع الله إن كنـــــتُ مستوحشـــــاً مـــــع الله إن حطمتنـــــى الغِيَـــــر

مـــــع الله إن كنـــــتُ مستبشـــــراً مـــــع الله إمـــــا اعترانـــــي الضـــــرر

مـــــع الله إن ظلمـــــة خيَمـــــتَّ مـــــع الله عنـــــد بـــــزوغ القمـــــر

مـــــع الله إمـــــا اســـــتبد العِـــــدا مـــــع الله عنـــــد مجيـــــئ الظفـــــر

مـــــع الله إمـــــا درســـــتُ الهُـــــدى مـــــع الله إمـــــا تلـــــوتُ الســـــور

مـــــع الله إن أشـــــرقت نجمـــــة مـــــع الله إمـــــا تهـــادى الشـــجر

مـــــع الله إن حـــــل فصـــــل الشـــــتا مـــــع الله عنـــــد انهمـــــار المطـــــر

مـــــع الله إمـــــا خبـــــتْ همتـــــي مـــــع الله إن كـــــان لـــــي مُزدجَـــــر

مـــــع الله إن زار طيـــــفُ الكـــــرى مـــــع الله عنـــــد انبجـــــاس السَّـــــحر

مـــــع الله إن هـــــد عزمـــــي الأســـــى مـــــع الله إن أطربتنـــــي البُشُـــــر

مـــــــع الله إن أينعـــــــتْ وردة مـــــع الله عنـــــد ازدهـــــاء الزَّهَـــــر

مـــــع الله إن كنـــــتُ فـــــي نعمـــــة مـــــع الله إمـــــا المـــــزاجُ اعتكـــــر

مـــــع الله إمـــــا بلغـــــتُ الصـــــبا مـــــع الله فـــــي أخريـــــات العُمُـــــر

مـــــع الله إن نـــــال مِنِّـــــي الغُثـــــا مـــــع الله عنـــــد تحـــــدي الغَجـــــر

مـــــع الله إن كنـــــتُ مســـــتيقناً مـــــع الله إن حـــــذرتني النّـــــذر

مـــــع الله إن كنـــــتُ مســـــتوثقاً مـــــع الله إمـــــا اصـــــطحبتُ الحَـــــذر

مـــــع الله مهمـــــا أتـــــاني الهـــــوى مـــــع الله - بعـــــد الخَطـــــا - أعتـــــذر

مـــــع الله مهمـــــا ضـــــميري قســـــا مـــــع الله لـــــو كـــــان قلبـــــي الحجـــــرْ

مـــــع الله لـــــو كنـــــتُ فـــــي رحمـــــةٍ مـــــع الله لـــــو عـــــاق خطـــــوي الخطـــــر

مـــــع الله لـــــو كنـــــت فـــــي غَنْيـــــةٍ مـــــع الله رغـــــم النصـــــيب العَسِـــــر

مـــــع الله إن مُـــــتُّ فـــــي ليلتـــــي مـــــع الله حتـــــى وإن أحتضـــــر

مـــــع الله يغســـــلني غاســـــلي مـــــع الله فـــــي الكفـــــن المُختمِـــــر

مـــــع الله صـــــلى علـــــيّ الـــــورى مـــــع الله يحملنـــــي مَـــــن حَضـــــر

مـــــع الله أدفَـــــن بعـــــد الـــــردى مـــــع الله يـــــؤنس مَـــــن فـــــي الحُفـــــر

مـــــع الله إن جـــــاءني ســـــائلي مـــــع الله إمـــــا ذكـــــرتُ الخبـــــر

مـــــع الله يرحمنـــــي خـــــالقي مـــــع الله يُنقـــــذ مَـــــن قـــــد قبـــــر

مـــــع الله يـــــوم انفطـــــار الســـــما مـــــع الله يـــــوم قيـــــام البشـــــر

مـــــع الله يُنقـــــذني مـــــن لظـــــى مـــــع الله يَرحمنـــــي مِـــــن ســـــقر

مـــــع الله يُـــــدخلني جنـــــة مـــــع الله رب القُـــــوى والقُـــــدر

مـــــع الله أعبـــــده وحـــــده تبـــــارك ربـــــي الأجـــــلّ الأبـــــر

وأعلـــــنُ توحيـــــده فـــــي الـــــورى ولســـــتُ أبـــــالي بمـــــن قـــــد كفـــــر

ولســـــتُ أطيـــــع ســـــوى أمـــــره ولســـــتُ أخـــــالف عمّـــــا أمـــــر

وألـــــزم نفســـــي بمـــــا ســـــنه مـــــن الشـــــرع ، هـــــذا الســـــبيل الأغـــــر

مـــــع الله أخـــــتم تغريـــــدتي أســـــبّح فـــــي نصّـــــها المقتـــــدر!

هذا بعضُ ما أعيش! (معارضة للأميري: أين الضجيج العذب؟!)

(عندما يرحل فلذات الأكباد يتعذب الأب ، إذ يبقى وحيداً يغالب جوى الأشواق إليهم ولواعج الترقب لعودتهم. إن مثل هذا الشعور عند الشاعر جدير بأن يجعله في انتظار قصيدة يرفرف صداها على وحدته ومعاناته. فبعد أن نقشتُ هذه القصيدة رحتُ أرجّع ألحانها وأعيد النظر فيها مرة بعد مرة. فألفيتها قد أخرجتْ ما بي من ألم الفراق على قرطاسي الحزين. وصارت بعد ذلك رسالة شعرية يتمثلها كل من رحل عنه أحبابه وصغاره وعاش ما عشتُ من الشجن. والشاعر حالب والقارئ شارب! حقيقة إنه بعد رحيل الأحباب يشعر الإنسان بالفراغ القاتل! لكن الشعراء - والشعراء الموحدين فقط - لا يقتلهم الفراغ بقدر ما يُسليهم ويمتع أدبهم وينمي شعرهم ، فإذا الفراغ القاتل طريق إلى إثراء الأدب ووسيلة من وسائل تحويل الوحدة إلى شعر موحد مؤمن تصل النفس عن طريقه إلى اليقين في الله عز وجل. وقد رحل الرياحينُ الثلاث: (عبد الله – عبد الرحمن – عمر الفاروق) ومعهم أمهم الغالية. وأحسستُ بالوحدة ، وتذكرتُ ما عاشه الشاعر عمر بهاء الدين الأميري وهو يعيش الموقف ذاته ويطرح عدة أسئلة يعنون لها بـ (أين الضجيج العذب والطربُ؟) ليَخرج بقصيدة متفردة من اللون الواقعي الأسري الاجتماعي لم يسبقه إلى مثلها سابق فيما أعلم! فقلتُ في نفسي لأشاطرن الأميري ولأعارضنه وعلى ذات بحره ورويه ، فعساني بذلك أطفئ لهيب الوحدة وأكبت ألم الفراق ، فكانت قصيدة (هذا بعض ما أعيش ترجمة لهذا الشعور! وأعلم علم يقين أن الأيام تمر ، والمناسبات تنقضي ، والظروف تتحول عن الزمان والمكان ، ويبقى الشعر الذي يتناوله من بعدي ابنٌ أو حفيد! وتكون رسالتي قد وصلت عندما تكون قصائدي بين يدي حفيد يعطيها قدرها من الاحترام ، وليس كاحترام المشاعر! وهنا أعارض بهاء الدين الأميري ، فله السبق والشكر معاً!)

****

أيـــــن انســـــجامُ العـــــيش والأربُ؟ أيـــــن انبســـــاط الـــــروح والطـــــربُ؟

أيـــــن ابتســـــامُ القلـــــب يُبهجنـــــي؟ أيـــــن التئـــــامُ الشـــــمل والرغـــــب؟

أيـــــن اجتمـــــاعُ الأهـــــل يُســـــعدني؟ أيـــــن القـــــريضُ العـــــذبُ والأدبُ؟

أيـــــن الرجـــــالُ الصِـــــيدُ يُطربنـــــي مـــــنهم كـــــلامٌ بعضُـــــه الرطـــــب؟

هـــــم ســـــاعدي فـــــي غربـــــةٍ قطعـــــتْ منـــــي العُـــــروق ، فبـــــتّ أحتســـــب

هـــــم بســـــمتي ، إن كنـــــتُ مبتئســـــاً هـــــم فرحتـــــي ، إن بـــــتّ أنتحـــــب

إنـــــي أراهـــــم فـــــي دجـــــى ألمـــــي نـــــوراً يُضـــــئُ ، كـــــأنهم شُـــــهُب

فـــــي كـــــل ركـــــن خلفـــــوا طلـــــلاً يبكـــــي علـــــى تصـــــويره العجـــــب

فالـــــدارُ مـــــن بعـــــد الضـــــياء دجـــــىً حتـــــى يـــــراعُ الشـــــعر يكتئـــــب

والـــــنفسُ - مـــــن بعـــــد الصـــــفا - كـــــدرٌ والقلـــــبُ - مـــــن فـــــرط الجـــــوى - لجـــــب

****

والـــــروح – ممـــــا نالهـــــا - تعبـــــتْ ... والحـــــسّ أضـــــنى شـــــعرَه الخبـــــب

إنـــــي افتقـــــدتُ الزهـــــر يُتحفنـــــي ... عطـــــراً وريحانـــــاً لـــــه أرَب

هـــم - فـــي حيـــاتي - الأنـــسُ يُؤنسُـــني ... هـــم - فـــي حيـــاتي – العِـــز والنســـب

هـــم - فـــي حيـــاتي - النـــورُ مُؤتلقـــاً ... هـــم فـــي حيـــاتي الصـــحبُ والحَســـب

هـــم فـــي حيـــاتي الفـــرْحُ إن صـــمتوا ... حتـــى وإنْ - فـــي هجعتـــي - شـــغبوا

هـــم – فـــي حيـــاتي – الشـــوق يغمرنـــي ... حبـــاً ، وإن جـــدّوا وإن لعبـــوا

هـــم باقـــة مـــن ورد (عَزتنـــا) ... منهـــا الشـــذى الفـــوّاحُ يُجتلـــب

إنـــي – مـــن الأعمـــاق - أكْبـــرهم ... إذ إنهـــم فتياننـــاً النجُـــب

فـــيهم كتبـــتُ الشـــعر مـــرتجلاً ... حتـــى حـــوتْ أشـــعارَهم كتـــب

أبنـــي علـــيهم كـــل أمنيـــةٍ ... أن يُصـــبحوا ذخـــراً لـــه الغلـــب

أعـــددتُ للهيجـــا ثلاثـــتهم ... والـــزادُ – فـــي الهيجـــاء - يُطلـــب

ناشـــدتُ رب النـــاس يجعلهـــم ... شُـــمّا إذا حلـــوا ، وإن ذهبـــوا

عَبـــدان للمـــولى ، وذا عُمـــرٌ ... والأمّ - فـــي عِـــز الإبـــا - ســـبب

والشـــهمُ (عبـــد الله) ممـــتحنٌ ... لمّـــا يَشُـــقه اللهـــو واللعِـــب

لمّـــا رأى الإســـلام مبتئســـاً ... أفضـــى إليـــه الضـــيقُ والغضـــب

فاختـــار أن يحيـــا لنصـــرته ... فالفـــذ – للإســـلام - ينتســـب

يـــا عابـــد الـــرحمن ، يـــا أملـــي ... خـــلّ الـــدُمى ، فالســـلمُ مُكتئـــب

قـــمْ عَطـــر الـــدنيا بشـــرعته ... حتـــى يـــزول الحـــزنُ والرهَـــب

واستنصـــر القهـــار فـــي لجـــأ ... إذ نصـــرُه – للهَـــدي - يقتـــرب

يـــا أيهـــا الفـــاروق: أمتنـــا ... أودتْ بهـــا الشـــحناءُ والريَـــب

قـــم خلـــصِ الـــدارَ التـــي أسِـــرتْ ... والطغمـــة العـــادون كـــم غصـــبوا!

حـــرّرْ بســـيف الحـــق مَقدسَـــها ... فالمســـجدُ الأقصـــى بهـــا خـــرب

طهّـــرٍ بقـــاع الســـلم يـــا عمـــرٌ ... فالسِـــلّم فيهـــا بـــات يغتـــرب

واقمـــع دهـــاقينَ الفجـــور بهـــا ... لا يَصـــرفنّك الخـــوفُ والنـــوب

وحّـــدْ (أبـــا حفـــص) كتائبنـــا ... غـــال علينـــا الجمـــعُ واللقـــب

واهـــزمْ طواغيـــت الضـــلال ، كفـــى ... مـــا أفســـدوا ، فالـــدارُ تضـــطرب

تفـــديك نفســـي لا أضـــنّ بهـــا ... يُهـــديكها – عنـــد النـــزال - أب

(عُمَـــرَ الهُـــدى) أرجـــعْ خلافتنـــا ... مـــن بعـــد أن أدمـــى العُـــرى اللهـــب

أســـميتك (الفـــاروق) ، أقصـــدها ... يرضـــاك أهـــل الحـــق والعَـــرَب

يـــا مـــن كتبـــتُ الشـــعر فيـــه صـــدىً ... غنـــتْ بـــه الآكـــامُ والخشُـــب

لـــم يَرْعـــه الأهلـــون أجمعهـــم ... فاستســـخروا حتـــى بـــدا الكـــذب

إذ إنهـــم - فـــي المـــال - قـــد غرقـــوا ... وزخـــارفَ الـــدنيا لقـــد طلبـــوا

إنـــي لفظـــتُ الأمـــس زخرفهـــا ... واليـــوم طمّـــت بيننـــا الحُجُـــب

مَرضـــاة بارينـــا إذن أملـــي ... والجنـــة الفيحـــاء والعُـــرُب

إنـــي لأدعـــو أن يُجنـــبكم ... ربـــي هـــوى الـــدنيا ، فـــذا النصـــب

إنـــي أرى – فـــي حـــبكم - هـــدفي ... يـــا مـــن علـــى آدابكـــم نثِـــب

كونـــوا – لهـــذا الـــدين – مَأســـدة! ... مـــا خـــاب مَـــن فـــي الله يحتســـب!

المسألة مسألة كرامة – معارضة للشاعر حامد زيد

(الحب عاطفة سامية أقرتها الشريعة كتاباً وسنة. وناقشنا هذا من قبل في عدة قصائد. ولكن عندما تستتباحُ الكرامة في سبيل الحب يصبح الحب وثنا يعبد ، وهذه قصيدة نبطية مطولة جداً ألفها شاعر الكويت النبطي حامد زيد ، ولفرط إعجابي بها رأيت أن أعارضها ولكن باللغة العربية. وسوف أورد نص حامد زيد على طوله ونبطيته احتراماً وحباً له وللجمهور ، وليدرك القراء مدى نجاحي في التحويل أو إخفاقي فيه! ويحسُن أن أضع نص الأستاذ الشاعر حامد زيد (تبيني صدق ولا ما تبيني) أولاً:-

(تبيني صدق وإلا ما تبيني . . قبل لا أبهذلك وتبهذليني ..

وقبل لا أفقد شموخي واحترامي . . وقبل لا أشمت العذال فيني ..

أنا داخل عليك من الفضايح . . تبيني صدق والا ما تبيني ..

أنا ماني بلعبه في يدينك متى ما تعشقيني تعشقيني ..

أبيك ان كان جيتيني حبيبه . . تجيني بصدق ولا لا تجيني ..

أنا ما أجرح مشاعر من عشقتي . . ولا أرضى لي عشقتك تجرحيني ..

ما دام أني عطيت بكل قلبي . . مثل ما عطيك من قلبي عطيني ..

وإذا بعت العذارى واشتريتك . . تبيعين الرجال وتشتريني ..

عشان أكون صادق لي عشقتك . . وعشان أريحك واتريحيني ..

دخيل الله وقولي وبصراحه . . تبيني صدق والا ما تبيني ..

أنا ما جيت ابي ألعب وتسلا . . أنا جيت أحتويك وتحتويني ..

تبيني مثل كل الناس والا . . تبيني أقدرك واتقدريني ..

مثل ما استحملك لامن زعلتي . . إلى مني زعلت استحمليني ..

عرفتيني وأنا رجال وافي . . وأنا وافي قبل لا تعرفيني ..

أحب الصدق لو هو من عدوي . . وأعاف الكذب لو من والديني ..

مثل ما أقبل بليني وبشموخي . . لو أكره رحت بشموخي وليني ..

إذا عن عاذلي ديني ودينه . . وإذا عن غيرتي دينه وديني ..

أنا لي ثارت الغيره بقلبي . . تقول الجن الأزرق معتريني ..

أبي وأنتي معي منتي لغيري . . وإذا كنتي لغيري جنبيني ..

أغيب وتذكريني بالحشيمه . . ولا أمرح في ذراك وتلعنيني ..

طويلين الشوارب ما احقروني . . تبيني أنتي تجين وتحقريني ..

إذا نفسي رضت لي بالمذله . . أبذبحني قبل لا تذبحيني ..

مادام أني وفي كوني وفيه . . لاني ما أخدعك ولا تخدعيني ..

أنا لي أخذت قدري واحترامي . . خذيني مثل ما تب تاخذيني ..

تبين بخوتي سيف(ن) مجرب . . وإذا بمروتي ليث بعريني ..

ويأتي نص عربي فصيح أيضاً للأستاذ حامد زيد ، أراه في غاية الإبداع والجمال! ولكن هذا النص لم أطالعه عام 2007م ، إنما اطلعتُ عليه فيما بعد! ولكن للأمانة العلمية ينبغي إيراده هنا ، لنعلم أن الأستاذ حامد زيد أيضاً حول قصيدته النبطية إلى شعر عربي فصيح! وأوافق عليه كله إلا قوله: (لعمري) فليقل: (وربي)! يقول في نصه الفصيح:

فأن ألفيتني شهماً شجاعاً .. فليس البر أن تستضعفيني ..
فإني ضقت بالآلام ذرعاً .. وما في الغدر قمع يتقيني ..
أكف الدمع حزناً بعد حزن .. عشقت القمع حيناً بعد حيني ..
لعمري كم بلوت الناس قلباً .. وما في الناس قلب يحتويني ..
أنا الحزن الذي لا حزن بعدي .. ولا يغني حنين عن حنيني ..
فلا من كان قبلي كان قبلي .. ولا من قد يليني .. قد يليني ..
أنا المملوء حزناً وانكساراً .. وما فرطت في عرضي وديني ..
أنا المختال من فخري بفقري .. وتبت كل عين تزدريني ..
أنا من ذاق ملئ الأرض هوناً .. وما أخضعت للدنيا جبيني!
فإن جاءت بيَ الأقدار يوماً .. أجوب الأرض خوفاً من أنيني ..
فرقي واحفظي لي ماء وجهي .. ولا تخشيني واخشي الله (فيني) ..
فلو أني رجوت الله شيئاً .. فأرجو الله أن لا تظلميني ..

وعاد الأستاذ إلى النبطية في بقية الأبيات الجميلة التي تنم عن أن المسألة بينه وبين من يحب مسألة كرامة ليس إلا ، فيقول مستأنفاً الطلب منها:

عشان ان عشقت اعشقك كلي . . أبيك كلك تجين وتعشقيني ..
فلا تقفي عيونك عن عيوني . . ولا تجفي يدينك عن يديني ..
أكون أقرب لقلبك من عروقك . . وأحسك بين شرياني وبيني ..
اسامح لك خطاك اليا خطيتي . . وأنا لا من خطيت تسامحيني ..
ولك مني عهد ما أصد عنك . . وأبي منك عهد ما تخذليني ..
عشان أبقى معاك العمر كله . . وأشيل محبتك برموش عيني
أنا بحلف يمين أني لصونك فلا أخونك ولا أرد بيميني..
وعساني للهلاك أن خنت . . وأنتي عسى الله يلعنك لو تتركيني!)

وأوافق على هذا التذييل النبطي أيضاً إلا كلمة هي: (يلعنك) وكان يمكنه قول: (يسامحك)! وطبعاً عانيت الأمرين واستعنت بإخوة كويتيين لمعرفة بعض المعاني ولما أدركت المعاني كتبت! والنص الذي استمعت إليه من حامد زيد كان أسبق بسنين من النص الذي قرأته كاملاً ، وعموماً يعتبر الأستاذ الشاعر حامد زيد من الشعراء الذين توقفتُ أمامهم طويلاً ، وذلك لعمق ما ألمسه من التجربة الشعورية الصادقة والحس المرهف وانتقاء الألفاظ والتراكيب والصور

الجميل'! ويتميز عن سواه بأنه يجيد الكتابة على النمطين النبطي والفصيح! وتلك مقدرة وموهبة قليلة في كثير من الشعراء! ولذا فإنني أفضل هنا أن أعرض النص الذي سمعته منه أول مرة كذلك ، وفيه بعض الاختلاف:-

والله وصرتي تستهينين فيني

الشاعر الأستاذ: حامد زيد

والله وصرتي تستهينن فيني — وانا الذي سويت قدرك بأيدي
تدرين ويش كنت قبل تعرفيني — أن قلتلك كنتي ولا حاجة شوي
أنا الذي فرشت لك رمش عيني — وعملت منك شيء وانت ولا شي!
جيت أعشقك ما جيت لك تجرحيني — جيت أسكنك بسما ما هو بسكنك غي
لاصرت عاملك قدر قدريني — ترى الكرامة صفحة ما لها طي
مادام ماجتي غلا لا تجيني — نار الجفا عندي ولا الذل بالفي
والله لهجرك قبل لا تهجريني — أجل تبيعيني واجي لك برجلي
يا تتركين الكبر يا تتركيني — لان المحبة شي والمهزلة شي
أن كانت الدعوة غلاي وحنيني — بكرة يزول الحقد ويشعشع الظى
أما حكاية ينحني لك جبيني — في ذمتي ما ينحني لك وأنا حي

وهذا تعريف بحامد زيد لمن لا يعرفه! وكنتُ قد حصلت على هذه الترجمة جاهزة من موقعه: (هو حامد زيد سعدون فارس العازمي ، ولد في محافظة الأحمدي بدولة الكويت في 4 فبراير عام 1977م – متزوج وله 6 أبناء ويكنى بـ أبو عبد العزيز ، وهو عضو في ديوانية شعراء النبط بدرجة شاعر (أ) ممتاز ، وله ألقاب عديدة أطلقتها عليه الصحف منذ بداية ظهوره الإعلامي عام 1995م ومنها (أسطورة الشعر – شاعر الجيل – شاعر المطولات) ، هواياته (الشعر – ركوب الخيل – الرماية – الغوص). كانت بداية ظهور الشاعر حامد زيد إعلامياً في سبتمبر ١٩٩٥م وكان في الثامنة عشرة من عمره! وذلك من خلال برنامج ديوانية شعراء النبط مع الشاعر القدير حمد العزب الذي توسّم فيه علامات الإبداع والتميّز رغم صغر سنه ثم انتسب لعضوية الديوانية بعد اجتياز اختبار القبول بدرجة شاعر (ب) وسرعان ما انتقل إلى درجة (أ) ثم إلى (أ - ممتاز) له حرفية يعرفها الناس عند قراءة أي قصيدة يكتبها حامد زيد قبل أن يعرفوا شاعرها ، واتبع أسلوبه الكثير من الشعراء الشباب اللذين انضموا إلى مدرسته الشعرية وتأثروا به ، وله الفضل في إعادة مجد القصائد المطولة لمجدها بعد أن سادت القصائد القصيرة لفترة طويلة).هـ. ويبدو أن حامد زيد اعتنى كثيراً بالأمسيات فمثلاً أمسياته داخل الكويت فمنها: (أمسية هلا فبراير بتاريخ 5 فبراير 2001م بمشاركة كل من الشاعرين: ضيدان بن قضعان وعياد الشمري. - أمسية هلا فبراير بتاريخ 9

فبراير 2002م بمشاركة كل من الشاعرة بشاير الشيباني والشاعر حمد السعيد. - أمسية هلا فبراير بتاريخ 16 فبراير 2004م بمشاركة الشاعر خالد المريخي. - أمسية الهيئة العامة للشباب والرياضة بالتعاون مع جريدة السياسة في 12 يونيو 2000م وكان عريف الأمسية علي المسعودي. - أمسية معرض الكتاب وكانت بمشاركة الشاعر رجا القحطاني في عام 2000م - الملحمة الوطنية وكانت بمناسبة مرور عشر سنوات على تحرير الكويت وأربعون سنة على الاستقلال). وأما الأمسيات خارج دولة الكويت فكان منها: (أمسية مهرجان عبادة واستفادة في المدينة المنورة في 25 يونيو 2001م - أمسية مهرجان صيف الطائف بتاريخ 5 يوليو 2001م - أمسية اتحاد طلبة الكويت بالقاهرة في أكتوبر 2000م - أمسية عنيزة في ختام مهرجان القصيم السياحي والتي وصل جمهورها إلى 8000 شخص في تاريخ 31 يوليو 2003م - أمسية أبوظبي في 15 أكتوبر 2003م - أمسية صيف أبها في 7 أغسطس 2004م - أمسية واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية. وكانت من تنظيم اتحاد طلبة الكويت فرع الولايات المتحدة - أمسية مانشستر سيتي بالمملكة المتحدة البريطانية. وكانت من تنظيم اتحاد طلبة الكويت فرع المملكة المتحدة. - أمسية رأس الخيمة بالإمارات العربية المتحدة. أسأل الله أن يأجره على أشعاره وأمسياته! والآن هذه قصيدتنا التي عارضنا فيها الأستاذ الشاعر حامد زيد! وقد حظيت بالنشر عدة مرات ولله الحمد! وعرضتُها على الأستاذ فمدحها وأجازها!)

لقد استبحتِ كرامتي وكياني ... وأزلتِ بالبطر المَقيتِ صِياني

وطعنتِ سُمعة من أحبّك مُخلصاً ... وهتكتِ عِرض العاشق الولهان

ثم استهنتِ بحُبهِ وبقلبه ... ورميتهِ بالزور والبُهتان

وسَخرتِ منه ، وكنتِ في صف العِدا ... وأدرتِ طوعاً دَفة العدوان

ونسجتِ مِن كذب الوُشاة عباءة ... مَوْشية بالحقد والشنآن

وانصعتِ - للمستهزئين - تكلفاً ... وغرقتِ في منظومة الهذيان

وعليكِ هُنتُ وما لديكِ مُبررٌ ... وهزلتِ في سِر وفي إعلان

وأعانكِ الحُسّادُ حتى بعتني ... بيعَ الرقيق بأبخس الأثمان

والعِير حولكِ يضحكون سفاهة ... في موقفٍ يدعو للاستهجان

وظللتِ وحدكِ تحت مِطرقة الهوى ... وأنا كذلك في الوغى وحداني

خصمان في الهيجاء نرتقبُ الردى ... فإلى متى يتقاتل الخصمان

وأراكِ صدّقتِ الوقيعة بيننا ... لمّا غزتكِ وساوسُ الشيطان

وذكرتُ من ماضيك ما قد راعني ... من ذكرياتٍ كُللتْ بهوان

وأنـــا الـــذي طـــرزتُ عيشـــك بالهنـــا ... وغمرتُـــــه بأطايـــــب الألحـــــان

وأنـــا الـــذي أعليـــتُ شـــأنكِ فـــي الـــورى ... أوَلـــمْ يكـــن يُخزيـــكِ أرذلُ شـــان؟

وأنـــا الـــذي أثقلـــتُ وزنـــكِ بـــاذلاً ... مـــا حُـــزتِ مـــن عِـــز ومـــن سُـــلطان

وأنـــا الـــذي ثمّنـــتُ وزنـــك بالـــدِما ... ومَحبتـــي لـــكِ أنصـــعُ البرهـــان

وأنـــا الـــذي أهـــديتكِ النـــورَ الـــذي ... يـــدعوكِ للخيـــرات والإحســـان

وأنـــا الـــذي بيـــدِي أعرتـــكِ مُهجتـــي ... كـــي تمكثـــي فـــي غِبطـــةٍ وأمـــان

وأنـــا الـــذي أحببـــتُ حبـــاً طـــاهراً ... يَطغـــى علـــى شخصـــيتي وكِيـــاني

وأنـــا الـــذي أكرمـــتُ قومـــكِ مُكرهـــاً ... ومَنحـــــتُهم بتقـــــرب وتفـــــان

وأقـــول: مـــاذا كنـــتِ قبـــل لقائنـــا ... ســـأقول قـــولاً لـــيس فـــي الحُســـبان

أوَلـــم تكـــوني - فـــي الخلائـــق - طفلـــة ... تلقـــى - مـــن الأهلـــين - كـــل طعـــان؟

أوَلـــم تكـــوني كالإمـــاء رخيصـــة ... أو - فـــي المذلـــة والشـــقا – كعـــواني؟

أوَلـــم تكـــوني مثـــل كَـــمٍ مُهمـــلٍ ... مُتبـــذل - بـــين الأنـــام - مُهـــان؟

أوَلـــم يُـــذقك الأهـــل كـــأس تهكـــمٍ ... مُلئـــتْ بـــأقبح كُنيـــةٍ ومَعـــان؟

أوَمـــا خـــدمتِ الكـــل دون تلكـــؤ ... وأجبـــتِ مـــا طلبـــوه دون تـــوان؟

أوَمـــا أطعـــتِ أوامـــراً لـــم تحتـــرمْ ... ديـــنَ الهُـــدى أو حُرمـــة الإنســـان؟

أوَمـــا افتقـــدتِ - مـــن الجميـــع - حنـــانهم ... مـــا العـــيشُ دون محبـــة وحنـــان؟

أوَمـــا ابتـــذلتِ بـــدون حـــق بيـــنهم ... والأمـــرُ مشـــتهرٌ لـــدى الجيـــران؟

إن قلـــتُ: أنـــكِ كنـــتِ أرخـــصَ ســـلعةٍ ... فـــي ســـوق مـــن وضـــعوك فـــي الميـــزان

أو قلـــتُ: أنـــك كنـــتِ أشـــقى مـــرأةٍ ... عاينتهـــا فـــي زمـــرة النســـوان

أو قلـــتُ: إنـــك عشـــتِ أبـــأسَ فتـــرةٍ ... فـــي عُمـــر مـــن أتـــتِ الحيـــاة تعـــاني

أو قلـــتُ: لـــم تـــكُ هـــذه إنســـانة ... تحيـــا كمثـــل فلانـــةٍ وفـــلان

أو قلتُ: عن كل الحقوق تنازلتْ! وتنازلتْ حتى عن الرُجْحان

أو قلت: قد سحق المَرار حياتها وتمرغتْ في حَماة الأشجان

أو قلتُ: ما ارتضت الإباءَ طريقة فأذاقها التعييرَ كلُ جبان

أو قلتُ: هذي غامرتْ بحياتها واستسلمتْ للظلم والطغيان

أنا ما كذبتُ ، وفي الحياة شواهدي والحق ما أعلنتهُ بلساني

وسَطرْته شعراً لأصقلَ فكرتي وأعيرها لوناً من التبيان

وعَمدتُ للوزن الذي أحببته ما الشعرُ دون ترنم الأوزان؟

وأتيتُ بالألفاظ عاطرة الشذى أندى من النعناع والريحان!

حتى أبيّن عنك كل حقيقةٍ بالشعر إذ هو حُجّتي وبَياني

هذا الذي أنا قلته ، وتفطني هو بعض وصفكِ ، إنني حقاني

أنا لم أبالغ فيه ، بل أنا صادقٌ لم يختلفْ في سردِ ذاك اثنان

هذا قليلٌ من كثيرٍ صدّقي وسلي صريح الأهل والخِلان

واستشهدي ، إن الشهودَ تجهزوا والشاهداتُ إذا أردتِ دواني

أنا كل جُرمي أنْ عشقتكِ زوجة عشقاً يُوافقُ سورة الرحمن

أنا لستُ أرضى بالتحلل مَنهجاً حاشايَ أن أنقادَ للعصيان

أحببتُ أفترضُ الخيورَ جميعَها في غادةٍ عربيةٍ وحَصان

وفق الكتاب ، ووفق سُنة (أحمدٍ) وعلى هُدىً من قدوتي (العدنان)

أنا ما عشقتكِ غادة ألهو بها مُتغزلاً في حُسنها الفتان

أنا ما عشقتكِ شهوة مسعورة يُزْكِي لظاها منظرُ الفستان

أنا ما عشقتكِ للتسلي لحظة أو للتجوّل في الدنا لثوان

أنا ما عشقتكِ كي أكلم صورة مغلوطة القسمات والألوان

مـــا دمـــتِ غلبـــتِ الكرامـــة مـــوئلاً ... فلـــمَ التمـــادي فـــي دُجـــى الرّوغـــان؟

ولـــمَ اعتبـــاري عاشـــقاً متكلفـــاً ... فـــي الحـــب والإحســـاس والوجـــدان؟

فلتقـــدُري قـــدْري ، وإلا فـــارحلي ... ولتُتركـــي فـــي عـــالم النســـيان!

إن الكرامـــة فـــوق مَـــتن وِدادنـــا ... وجميـــع مـــا دون الكرامـــة فـــان

وكرامتـــي دومـــاً أقـــدّمها علـــى ... مـــا أشـــتهي مـــن عيشـــةٍ وأمـــان

نـــارُ الجفـــا عنـــدي أقـــلُ ضـــراوة ... مـــن نـــار ذلٍ فـــي المحبـــة شـــاني

والهجـــرُ أفضـــلُ مِـــن وصـــال شـــائن ... يُفضـــي إلـــى التعـــذيب والحرمـــان

فـــيم التعلـــق بـــالتي بـــي أشـــمتتْ ... كـــل العِـــدا حتـــى صـــرختُ: كفـــاني؟!

آثـــرتُ هجـــركِ ، إنّ هجـــركِ مُنقـــذي ... مـــن عـــالم الأحقـــاد والأضـــغان

إنْ بعتنـــي يومـــاً فمـــا أنـــا مُشـــترٍ! ... تـــا الله إن الخيـــر فـــي الهجـــران

وتكّبـــري مـــا شـــئتِ أن تتكبـــري ... واســـتفرغي مـــا فـــيّ مِـــن ســـلون

تجديـــهِ يُهلـــكُ كـــل مـــن وُصـــفت بـــه! ... إذ يـــذبحُ الحمقـــاءَ كالقربـــان

إمـــا تركـــتِ الكِبـــر ، أو عنـــى اذهبـــي ... لا ترجعـــي - بعـــد الجفـــا - لمكـــاني

وتعمّـــدي نســـيان حـــب بيننـــا ... أمســـى يُـــراوحُ فـــي الحمـــيم الآن

إنـــي كرهتـــكِ والـــدروبُ شـــواهدي ... يـــا ذي الحبيبـــة مَزقـــي عُنـــواني

أنـــا لـــن أطـــأطئ للحبيبـــة هامـــة ... سَـــجدتْ لربـــي الواحـــد الـــديان

من وحي العيد (معارضة للمتنبي 2: عيد بأية حال)

(إن موقف سحرة فرعون الذين كانوا في أول النهار كفرة فجرة أتوا للانتصار لمجد فرعون الزائف الزائل ، وأتوا لدحر الحق الذي مع موسى وهارون – عليهما الصلاة والسلام – نعم أتوا لنصرة الباطل على الحق قائلين: (بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون) ، إن موقفهم بعد خوض المناظرة ورؤية البرهان الموسوي العظيم ، وإيمانهم اللحظي الذي لم يكن قد استغرق كبير وقت ولا كبير جهد ، إن موقفهم لأعظم بكثير من موقف المرتزقة الذين يأكلون على كل مائدة اليوم ، وهم يطوعون الدين كتاباً وسُنة للظالمين. باذلين في ذلك الغالي والنفيس ، كي يضفوا الشرعية على انحراف الطواغيت وظهور الجاهلية! وأعود إلى يوم العيد. إنه يوم الزينة الذي وعده موسى نبي الله وكليمه عليه السلام فرعون عدو الله عليه اللعنة: (فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سُوى ، قال: موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى)! وانتصر الحق ولله الحمد! وصدق الأستاذ علي نايف الشحود إذ قال: (إن الناس يقيسون بفترة قصيرة من الزمان ، وحيز محدود من المكان. وهي مقاييس بشرية صغيرة. فأما المقياس الشامل فيعرض القضية في الرقعة الفسيحة من الزمان والمكان ، ولا يضع الحدود بين عصر وعصر ، ولا بين مكان ومكان. ولو نظرنا إلى قضية الاعتقاد والإيمان في هذا المجال لرأيناها تنتصر من غير شك. وانتصار قضية الاعتقاد هو انتصار أصحابها. فليس لأصحاب هذه القضية وجود ذاتي خارج وجودها. وأول ما يطلبه منهم الإيمان أن يفنوا فيها ويختفوا هم ويبرزوها! والناس كذلك يُقصِرون معنى النصر على صور معينة معهودة لهم ، قريبة الرؤية لأعينهم).هـ. وهي معادلة حقيقية تعني انتصار الحق في جميع الأحوال!)

أواه ، أواه ممـــــا فيـــــك يـــــا عيـــــدُ ... تزهـــو الحواضـــرُ - فـــي الزينـــات - والبيـــدُ

ويُحشـــــر النـــــاس مـــــن رهـــــو وباديـــــةٍ ... ويُهـــدَرُ اليـــومَ – فـــي الآفـــاق - توحيـــد

يُمســـي الجميـــع علـــى مَغنـــىً وتصـــديةٍ ... وأنـــت – فـــي ثقـــةٍ – تختـــال يـــا عيـــد

تعبـــئ الخمـــر فـــي أفـــواه مَـــن ســـكروا ... وتـــرقص – الآن – فيـــك الخـــرّد الغِيـــد

وفـــوق وجهـــك مســـحُ الجـــوخ ملحمـــة ... وسُـــوقُ شـــعر ، كـــذا فلتشـــمخ الجيـــد

مـــن كـــل مُرتـــزق – بالمـــدح - مُلتحـــفٍ ... فـــي موكـــب الـــدعر تســـعى خلفـــه الخـــود

أيـــام هـــزل – علـــى التضـــليل – قـــد طبعـــتْ ... والحـــق نـــاءتْ بـــه أيامُـــه الســـود

كـــذاك فرعـــون فـــي أجنـــاده ألـــقٌ ... تعطيـــه قوّتـــه أجنـــادُه الصـــيد

أمـــا الكلـــيمُ فـــلا ذِكـــرٌ ولا خبـــرٌ ... بـــين الطغـــام ، ومـــن يُســـلمْ فمفقـــود!

والنـــاس قـــد حُشـــروا فـــي ســـاحةٍ عظمـــتْ ... أكـــلٌ وشـــربٌ وأنغـــامٌ وتغريـــد

علـــى حســـاب الفـــراعين الـــذين طغـــوا ... سِـــحرٌ ومَكرمـــة ، مـــا ذلـــك الجـــود؟!

سَـــادتْ شـــوارعَهم أنـــوارُ فـــرحتهم ... حتـــى الأفـــاعي ســـعى مِـــن خلفهـــا الـــدود

يُحـــاربون الهُـــدى فـــي عُقـــر دارهـــمُ ... صـــرعى الضـــلال بهـــا كـــأنهم هُـــود

تجمّـــع الكـــل ، والآمـــالُ تـــرقبُهم ... وقـــال موســـى: ألا عـــن ديـــنكم ذودوا

ألقـــوْا حِبـــالهُمُ حتـــى إذا انتفشـــتْ ... خـــاف الكلـــيم ، وبـــأسُ الله موجـــود

لا تخـــش مـــا فعلـــوا ، فـــإنهم بشـــرٌ ... ألـــق العصـــا ، لا تخـــفْ ، فالنصـــرُ معقـــود

حتـــى إذا ألقيـــتْ طاشـــتْ بمـــا صـــنعوا ... وأكبـــرَ الكـــل ، والفرعـــونُ جلمـــود

والســـحر قـــد ســـجدتْ أربابـــه طمعـــاً ... فـــي رحمـــة الله ، إن النـــور مولـــود

فصـــاح فرعـــون فـــي الأرحـــاب مـــنفعلاً ... يقـــول: قـــد مكـــروا ، والكيـــد عنقـــود

ســـأذبح الكـــل ، لـــن أرضـــى بكـــم أبـــداً ... عنـــدي الســـكاكين ، بـــل عنـــدي الأخاديـــد

فـــأعلن الحـــق أن الهـــدْي منتصـــرٌ ... تـــزول دنيـــاك والجنـــدُ الصـــناديد

ويـــدخل الجنـــة الزهـــراءَ مؤمننـــا ... ويـــدخل النـــار كُفـــارٌ مناكيـــد

تأمـــلِ الخلـــق: مَـــن تـــابوا ومَـــن كفـــروا ... تلـــق الجميـــع مضـــوْا ، والكـــل موعـــود

تـــزول أنـــت وأحفـــادٌ – بنـــا - مكـــروا ... يُحْيُـــون ذكـــراك فـــي الـــدنيا رعاديـــد

كـــأنهم ورثـــوا مـــا قلـــت ، وامتثلـــوا ... مِيعـــادَ عيـــدك ، والـــدنيا مواعيـــد

دنيـــاهمُ غـــادة ، فـــي العشـــق غاديـــة ... فيهـــا الحنـــين ، ويُزْكِـــي حُســـنها العـــود

يومـــاً تمـــوتُ ، وعِيـــدُ الـــذل منتحـــرٌ ... فـــلا تكـــون لكـــم فيـــه التحاميـــد

فالحمـــد لله: رب الكـــون خالقنـــا ... تبـــارك الله ، فـــوق العـــرش معبـــود

والموعـــد الحشْـــرُ ، والمَبعـــوث شـــاهدنا ... واليـــوم يـــوم الجـــزا ، واللهِ مشـــهود

ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لشوقي: ولد الهدى)

(تأتي هذه القصيدة النبوية المحمدية معارضة لمعلقة شوقي وملحمته: (ولد الهدى فالكائنات ضياء) ، وكنا قد تكلمنا عن فن المعارضات الشعرية ، ولا نريد أن نكرر الكلام مخافة السآمة! ولا يزال فن المعارضات الشعرية يلمع ويسطع نجمه. ولا يزال الشعراء يعارض بعضهم بعضاً من عهد امرؤ القيس إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض بما عليها وبمن عليها! وكثير من الجهلاء يعتقد أن الشاعر الذي يُعارض الآخر يكون شاعراً ضعيفاً غير مجيد! وكبرت كلمة ينطق بها اليوم من يهرف بما لا يعرف! وإذا كان شوقي نفسه قد عارض البوصيري في بردته فلماذا هي مباحة لشوقي وتحرم على غيره! وهذا لا ينقص من مكانة شوقي ومقدرته الفائقة وشاعريته الفذة! والذي يُعارض شوقياً اليوم في همزيته النبوية ليس بالشاعر الهين ولا الضعيف! وأستغفر الله أن أمدح نفسي ، وإنما هو فضل الله ونعمته أنعم بها على عبد فهو يحدّث بنعمة الله عليه ليس إلا! إن هو إلا العمل بالآية الكريمة والأمر الرباني: (وأما بنعمة ربك فحدث)! وقصيدة شوقي قوامها وعدتها 131 بيت من الكامل على القافية الهمزية المضمومة! وأما قصيدتي فقوامها 148 بيتا أيضاً من الكامل على الهمزة المضمومة! وكانت لا تتجاوز الأبيات العشرة ، بمناسبة الحديث عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في إذاعتنا المدرسية ، واليوم يوم اللغة العربية والتربية الإسلامية ، فطلب مني الأساتذة الزملاء أن (أتحفهم بشيء من شعري) على حد تعبيرهم فاللفظ لهم في هذه المناسبة الجميلة! فاعتذرت مِراراً ، ذلك أنني أتوق دائماً للجديد ، فلا أحب أن ألقي شعراً أنشدته من قبل! فيتعين عليّ إذن أن أكتب نصاً جديداً بكراً ، الأمر الذي يحتاج إلى وقت كافٍ! وأمام إصرارهم أمسكتُ القلم الرصاص ورحت أكتب ما يمليه علي ربي من الثناء على نبيه – صلى الله عليه وسلم - ، فأنشدتُ على غرار همزية شوقي النبوية في عُجالة من أمري! وبعد أن أنشدتُ هذه المقطوعة كان تعليق الزملاء والزميلات أنها مقطوعة فقط (رغم أن المقطوعة هي ما قلّ عن الأبيات السبعة)! فقلت: لقد كنتُ على عجل! وردد البعض: هذا آخر ما عنده! فقلت: لا ، بل سأعارض شوقياً ، وسوف أثبت له وللتاريخ وللأجيال سابقها وحاضرها وتاليها ، أن فن المعارضة لا يزال حياً نابضاً ، وأن مقدار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عندي كبير وعظيم! وأن شعري يسمو إذا تناول الرسول الكريم والنبي العظيم محمداً – عليه أفضل الصلوات وأتم التسليمات -. وأن شعري يسمو إذا يعارض أمير شعراء العصر الحديث أحمد شوقي! ومن هنا شرعتُ في معارضة شوقي ، متناولاً سِيرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بدون إسراف في الإطراء ولا مغالاة في المدح! ولشوقي بالطبع السبق والمقام الأرفع ، ولي شرف المحاولة ولا شك. فتناولتُ مولد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – واعتبرت ميلاده ميلاداً لأمته! فكأن هذه الأمة المسلمة المحمدية قد ولدت يوم ولد نبيها – صلى الله عليه وسلم -. وتناولت حَسبه ونسبه وقبيلته وبلده والبيت الهاشمي ، وتناولت حياته العطرة قبل وبعد البعثة. كما تناولتُ الإسرار بالدعوة الإسلامية ، ثم الجهر بها ، وبيان ما بين المرحلتين ، كما تناولت موقف المشركين المخزي من الدعوة والداعي والمدعوين! فوصفت تعذيبهم للمسلمين وتحديهم للنبي – صلى الله عليه وسلم – ومحاولات اغتياله التي تجاوزت الثلاث عشرة محاولة. كما تناولت دار الأرقم وأحوال النبي والصحابة فيها ، وتناولت الأمر بالهجرة إلى الحبشة. وتناولت إسلام حمزة بن عبد المطلب – رضي الله عنه – وإسلام عمر بن الخطاب – رضي الله عنه -. وتناولت المقاطعة القرشية للمسلمين وحصارهم. وتناولت عام الحزن الذي مرّ به النبي – صلى الله

عليه وسلم – العام الذي توفي فيه أبو طالب وخديجة بنت خويلد – رضي الله عنها -. وتناولت دعوة النبي – صلى الله عليه وسلم – لأهل الطائف وأمرهم صبيانهم وغلمانهم أن يقذفوه بالحجارة حتى دميت قدماه الشريفتان – صلى الله عليه وسلم -. وتناولت أمر المشركين للنبي – صلى الله عليه وسلم – أن يشق القمر إلى نصفين ، فلما شق عليهم وهم ينظرون قالوا: سحرنا محمد! وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً. وتناولت الإسراء والمعراج وعرض النبي – صلى الله عليه وسلم – نفسه على القبائل. وتناولت الهجرة إلى المدينة ، وبيعتا العقبة ، ودار الندوة وما تم فيها من الائتمار على قتل النبي – صلى الله عليه وسلم -. وتناولت بناء مسجد قباء والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار. كما تناولت بعض الغزوات مثل بدر وأحد والأحزاب. وتناولت موت رقيه بنت محمد – رضي الله عنها وصلى على أبيها وسلم. وتناولتً مقتل أبي جهل وموقف يهود بني قينقاع وموقف ابن سلول شيخ المنافقين وحامل لوائهم. وتناولت محاولة زينب اليهودية من اغتيال النبي – صلى الله عليه وسلم – بالسم المدسوس في ذراع الشاة! وتناولت فتح مكة وحجة الوداع وموت النبي – صلى الله عليه وسلم -. ولو شئتُ لعرّجتُ على كل آثار النبي – صلى الله عليه وسلم – وأيامه ومواقفه والأحداث التي مر بها! ولكنني خشيت الملالة والسآمة والطول المفرط للقصيدة أو الركاكة التي قد تلحقها من تكرار بعض الأفكار ، فاكتفيت بما شعرت أنه نقطة جوهرية جديرة بالتناول! أما لماذا همزية شوقي فلأنها الوحيدة التي حضرتني وأنا أعد نصاً للإذاعة المدرسية ليس إلا! وأعود للمعارضة الشعرية فأقول بأنه فن شعري وليس تقليداً أو غيرة أو سرقة لأفكار أحد! وتحت عنوان: (المعارضة الشعرية ، من لها؟ المعارضة الشعرية هل هي مظهر من مظاهر التقليد؟ أم فن وإبداع؟ يجيبنا عن هذا السؤال الدكتور الأديب الناقد عبد الله التطاوي: (المعارضة ليست أبداً من مظاهر التقليد ، لأنَّ مجرد قول الشاعر قصيدة في بحر قصيدة أخرى وقافيتها وموضوعها لا يدل على تقليد مطلق للشاعر السابق. فالمعارضة مظهر من مظاهر الإبداع ، وصورة من صور التفوّق ، لا سيَّما في مراحلها الأخيرة. فقد يبدو الشاعر مقلداً ، وتكون المعارضة مظهراً من مظاهر هذا التقليد ، لكنَّه لن يجرؤ على معارضة كبار الشعراء إلا بعد أن تستوي لديه مَلَكَةُ الشعر ، فيحاول مجاراة أعلام الشعراء ومضاهاتهم . وتنتهي هذه النزعة وتستوي على ساقها حين يدرك مرتبة أولئك الشعراء الذين بدأ معجباً بهم. ومن هنا نقرر بأنَّ المعارضة حالة تتجاوز التقليد إلى الإبداع والمتابعة إلى الابتكار والشاعر يمزج فيها بين القديم والجديد). وقد نسأل أنفسنا ما المقصود بالمعارضة الشعرية؟ ألا إن الدلالة المعجمية للفظة "المعارضة" لها معان كثيرة ، منها: عارضته معارضة في الرأي إذا خالفته وناقضته. ومنها: جانبته وعدلت عنه. وقريب من هذا قولنا: عارضته بمثل صنيعه أي فعلت مثل فعله وأتيت إليه بمثل ما أتى به. ويتضح من هذه الدلالة الاخيرة معنى المحاكاة والتقليد لشيء سابق. إن المعارضة بوجه عام قد تكون أثراً أدبياً أو فنياً أو موسيقياً يحاكي فيه صاحبه أسلوب أثر سابق. يقول الأستاذ عبد الرحمن بن إسماعيل آل إسماعيل: (اعتاد النقاد ودارسو الأدب في العصر الحديث على ربط كلمة "معارضة" بفن الشعر حتى شاع مصطلح "المعارضات الشعرية" وأصبح يشير إلى فن قائم بذاته انتشر في فترات مختلفة في العصور الأدبية ، وكان مجالاً للتنافس بين الشعراء لإظهار قدارتهم الإبداعية في محاكاة بعض القصائد المشهورة التي انتشرت بين الناس بسبب جودتها وتميزها. والمعنى اللغوي لكلمة "معارضة" لا يحمل تخصيصاً بشعر أو نثر بل يعني بشكل عام المحاكاة والمجاراة. وقد استعمل النقاد

ودارسو الأدب في القديم كلمة "معارضة" قي مجالي الشعر والنثر على حد سواء قبل أن تكتسب معناها كمصطلح شعري معروف). وإذاً فالمعارضة الشعرية: هي محاكاة قصيدة لأخرى موضوعاً ووزناً وقافية).هـ. وأنا هنا أحاول أن أثبت شرعية فن المعارضة الشعرية ، وأفتح الباب أمام الشعراء ليحيوه في عالم الشعر المعاصر! ولقد كتب الأستاذ الناقد الأدبي المتبحّر إبراهيم إبراهيم الوكيل أبو مهند تحت عنوان: (تعريف المعارضات ونشأتها) ، وقد رجع الأستاذ إلى مراجع عظيمة في محاضرته مثل: (تاريخ المعارضات في الشعر العربي: للأستاذ محمود محمد قاسم نوفل - والشاعر أبو إسحاق الأطعمة ومعارضاته الشعرية: للأستاذ أمين علي سعيد – بالإضافة إلى ديوان المتنبي) وكان مما قال بالنص: (المعارضة مأخوذة من مادة (عرض) لغة: ظهر ، و(عارضه) سار حياله ، أو أتى بمثل ما أتى به. و(عارض) الكتاب بالكتاب: قابله. وقد جاء في معجم (لسان العرب) أن (المعارضة) هي المحاذاة. واصطلاحاً: هي أن يقول الشاعر قصيدة في موضوع ما ، فيأتي شاعر آخر ، فينظم قصيدة أخرى على غرارها محاكياً القصيدة الأولى في وزنها ، وقافيتها ، وموضوعها ، مع حرصه على التفوق. وهكذا تقتضي (المعارضة) وجود نموذج فني ماثل أمام الشاعر المعارض ، ليقتدي به ، ويحاكيه ، أو يحاول تجاوزه. ولهذا لم تكن في الشعر الجاهلي (معارضات) لأن المثال (أو النموذج) الشعري قبله كان مجهولاً. وأما عن تاريخ المعارضات: فالشعر الجاهلي هو أقدم شعر وصل إلينا. ولهذا اتخذ مثلاً و(نموذجاً) ينبغي احتذاؤه ، دون أن تجد فيه ذكراً لمعارضات شعر قبله ، بل فيه ، من ذلك حادثة الاحتكام إلى أم جندب (زوجة امرؤ القيس) ، والتي كانت بين زوجها وعلقمة بن عبدة (الفحل) ، حيث قالت لهما: قولا شعراً تصفان فيه فرسيكما ، على روي واحد ، وقافية واحدة. فقال امرؤ القيس قصيدته التي مطلعها:

خليليَّ مُرّا بي على أمّ جندب ... لنقضي لباناتِ الفؤادِ المعذّبِ

حتى وصل إلى قوله:

فللسوطِ ألهوبٌ وللساقِ درّةٌ ... وللزّجْرِ منه وقعُ أهوج منعب

ثم أنشد علقمة قصيدته التي مطلعها:

ولم يكُ حقاً كلُّ هذا التجنبِ ... ذهبتَ من الهجران في كل مذهبِ

حتى وصل إلى قوله:

فأدركهن ثانياً من عنانه ... يمرُّ كَمرّ الرائح المتحلبِ

فقالت لامرئ القيس: علقمة أشعر منك. فقال: وكيف ذاك؟ قالت لأنك جهدت فرسك بسوطك ، ومريته بساقك. أما علقمة فقد أدرك طريدته وهو ثان من عنان فرسه ، لم يضربه بسوط ، ولا مراه بساق ، ولا زجره. فقال امرؤ القيس: ما هو بأشعر مني ، ولكنك له وامقة. فطلقها وخلف عليها علقمة فسمي (الفحل)! وعلى الرغم من أن أثر التكلف والوضع في هذه القصة فإنها ذات دلالة واضحة. أما الشعر في صدر الإسلام فيبدأ بالبعثة النبوية (13هـ) ، وينتهي بآخر الخلفاء الراشدين ، وقيام الدولة الأموية (40هـ). وفيه انصرف الشعراء إلى القرآن الكريم يستلهمونه

كتعويض فني عن الشعر ، وعلى الخصوص عندما نزلت الآيات التي تسفّه الشعر (وما هو بقول شاعر) ، و(الشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون. وأنهم يقولون ما لا يفعلون. إلا الذين آمنوا....."". والأحاديث النبوية: (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً). ولهذا صمت بعض الشعراء مثل: لبيد الذي قال: لقد عوضني الله عن قول الشعر بالقرآن. وتحوّل بعضهم عن القيم الجاهلية إلى القيم الإسلامية ، فناصر الدين الجديد بشعره ، كما فعل حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، ممن جندوا شعرهم في سبيل الدين الجديد ، ومن هنا تشجيع النبي صلى الله عليه وسلم لحسان وقوله له: "اهجهم ومعك جبريل روح القدس. والق أبا بكر يعلمك تلك الهنات" وتزويجه إحدى الجاريتين اللتين أهداهما له المقوقس ، فولدت له عبد الرحمن. ومن هنا أيضاً استماعه إلى كعب بن زهير يلقي مدحته ، بعد أن كان قد أهدر دمه. واستمر الخلفاء الراشدون على ذلك ، فعمر بن الخطاب ينهى الناس عن أن يتناشدوا ما كان بين الأنصار ومشركي قريش من مناقضات ، ويرى في ذلك إثارة للعصبية وتجديداً للضغائن. ولما جاءت الفتوح ، تشاغلت العرب عن الشعر بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهيت عن الشعر وروايته ، كما يقول ابن سلام ، ولم يتح للمجاهدين الإخلاد إلى نفوسهم ، فقد حرمتهم التعبئة المستمرة ساعات الفراغ ، وملأت حياتهم ، فانطلقوا في البلدان يشرعون سيوفهم في سبيل الله. والواقع أن الفتوح ينبغي أن تثري الشعر عندما تتيح للشاعر أن يشهد ما لم يشهده من بلدان بعيدة ، وطبيعة جميلة ، وحروب شديدة. وحنين إلى أهله وذويه. ولكن الحركة الدائبة ، والتنقل المستمر لم يتيحا له قول الشعر إلا على عجل. ومن هنا برزت ظاهرة فنية جديدة في شعر الفتوحات هي أن هذا الشعر أصبح شعر مقطوعات لا قصائد وأن الشاعر لم يعد بحاجة إلى مقدمات طللية ، وإنما هو يهجم على موضوعه ، دون تمهيد ، كما يضرب المحارب بسيفه. وأما العصر الأموي فيبدأ سنة 40هـ ، وينتهي سنة 132هـ ، وقد استرد الشعر فيه مكانته ، بعد أن هدأت موجات الفتوح ، وعادات العصبية القبلية وتوجهت الحراب إلى الداخل ، بدل توجيهها إلى الخارج. وظهرت الأحزاب السياسية: الأمويون والزبيريون والهاشميون والخوارج. ولكل حزب أدباؤه. وإذا كانت (النقائض) قد استعرت في العصر الجاهلي بسبب العصبية القبلية ، وفي العصر الإسلامي بسبب الرد على قريش ، وبلغت أوجها في العصر الأموي ، فإن (المعارضات) لم تكن قد عرفت بعد باستثناء حادثة بين جميل بن معمر ، وعمر بن أبي ربيعة ، فقد قال جميل بثينة:

عرفـــت مصـــيف الحـــي والمتربعـــا كمـــا خطّـــتِ الكـــفُّ الكتـــابَ المرجعـــا

فقال عمر بن أبي ربيعة معارضاً:

ألـــم تســـألِ الأطـــلالَ والمتربعـــا بـــبطنِ حليـــات دوارس بلقعـــا

فقد جاءت الألفاظ في القصيدة الثانية شبيهة بالقصيدة الأولى المعارضة ، وهذا لا ينقص من قدر القصيدة الثانية. والقصيدتان تعارضان قصيدة الصّمّة القشيري (95هـ) التي مطلعها:

حَنَنْـــتَ إلـــى ريّـــا ونفسُـــكَ باعَـــدَتْ مـــزارَكَ مـــن ريّـــا وشـــعباكما معـــا

والحق أن عمر بن أبي ربيعة قد تأثر بشعر جميل بثينة ، فأبدى إعجابه برائيته التي منها قوله:

أغـــاد أخـــي مـــن آل ســـلمى فمبكـــر؟ أبـــن لـــي أغـــاد أنـــت أم متهجـــر؟

فعارضها عمر برائية لا تقل عنها روعة وجمالاً ، تبعه فيها وزناً وقافية ورويا وموضوعاً ، ومنها قوله:

أمِـــنْ آلِ نُعْـــم أنـــتَ غـــادٍ فمبكـــرُ غـــداةَ غـــدٍ أم رائـــحٌ فمهجّـــرُ؟

وأما العصر العباسي فقد بدأ سنة 132هـ وانتهى سنة 656هـ وفيه اتسعت رقعة الخلافة ، وضعف دور الخلفاء ، فاستقلت كل دولة ببلادها: البويهيون في الديلم ، والعراق وفارس ، والحمدانيون في شمالي الشام ، والإخشيديون في مصر ، والفاطميون في مصر ، والسلاجقة في العراق ، والأيوبيون في مصر والشام.. إلخ. وفي هذا العصر نشب الصراع بين القدماء والمحدثين ، وانصبت في نهر العربية الكبير روافد ثقافات عديدة ، وحضارات أمم منهارة. واستفاد الشعراء اللاحقون من السابقين: فقد اقتفى شعراء الغزل أثر جميل بن معمر وعمر بن أبي ربيعة من العصر الأموي ، وأفاد شعراء الخمرة والمجون من خمريات أبي نواس ، ونهج بديع الزمان الهمذاني في (مقاماته) نهج أستاذه أحمد بن فارس في مقاماته ، واحتذى الحريري حذو البديع في مقاماته. ولم تكن (المعارضات) قد عرفت بعد على نطاق واسع ، كما عرفت (النقائض) في العصور الجاهلية والإسلامية والأموية ، باستثناء حوادث فردية تأثر فيها الشعراء بقصائد معاصرة ، فحاكوها ، مثال ذلك أن أبا نواس عندما قال قصيدته:

يـــا ريـــم هـــاتِ الـــدواةَ والقلمـــا أكتـــب شـــوقي إلـــى الـــذي ظلمـــا

عارضه الشاعر الخراز بقصيدة التزم فيها الموضوع والوزن والقافية وحركة الروي ، قال فيها:

إن بـــاح قلبـــي فطالمـــا كتمـــا مـــا بـــاح حتـــى جفـــاهُ مَـــنْ ظلمـــا

ولم تكثر (المناقضات) الشعرية تلك ولا (المعارضات) تلك في الشعر العباسي ، وإنما كثرت (المطارحات) الشعرية التي هي قريبة من باب (المعارضات) ، والتي ازدهرت في مجال الأنس والسمر والشراب ، من ذلك قصيدة أبي نواس الهمزية في وصف الخمر ، والتي مطلعها:

دَعْ عنـــك لـــومي فـــإنّ اللـــومَ إغـــراءُ وداونـــي بـــالتي كانـــت هـــي الـــداءُ

فعارضه الحسين بن الضحاك (الخليع) بقوله:

بُـــدّلت مـــن نفحـــات الـــوردِ بـــالآء ومـــن صـــبوحك درّ الإبـــل والشـــاءِ

فقد تابعه الخليع في ذكر الخمر والشعوبية. كما عارضه ابن المعتز في قصيدة يقول فيها:

أمكنـــت عـــاذلتي مـــن صـــمت أبـــاء مـــا زاده النهـــي شـــيئاً غيـــر إغـــراء

كما عارض أبو تمام قصيدة أبي نواس التي مطلعها:

يـــا دارُ مـــا فعلـــتْ بـــكِ الأيـــامُ ضـــامتْكِ والأيـــامُ لـــيس تُضـــامُ

فقال أبو تمام:

دِمَـــنٌ ألـــمّ بهـــا فقـــال ســـلامُ كـــم حـــلّ عقـــدةَ صـــبره الإلمـــامُ

وعندما قال أبو تمام قصيدته الرائعة التي مطلعها:

الســـيفُ أصـــدقُ أنبـــاءً مـــن الكتـــب فـــي حـــدّه الحـــدُّ بـــين الجـــدّ واللعـــبِ

عارضه ابن القيسراني بقصيدة مطلعها:

هـــذي العـــزائمُ لا مـــا تـــدعي القُضُـــبُ وذي المكـــارمُ لا مـــا قالـــت الكتـــبُ

وأما المتنبي فقد عارضه الكثير من الشعراء باعتباره (مالئ الدنيا وشاغل الناس). فعندما قال قصيدته في مدح سيف الدولة:

علـــى قَـــدْرِ أهـــلِ العـــزم تـــأتي العـــزائمُ وتـــأتي علـــى قـــدر الكـــرامِ المكـــارمُ

عارضها ابن زريك (ت 556هـ) بقصيدة مطلعها:

ألا هكـــذا فـــي الله تمضـــي العـــزائمُ وتقضـــي لـــدى الحـــرب الســـيوفُ الصـــوارمُ

كما عارضه أسامة بن منقذ بقصيدة مطلعها:

لـــك الفضـــل مـــن دون الـــورى والأكـــارم فمَـــنْ حـــاتمٌ؟ مـــا نـــال ذا الفخـــر حـــاتمُ

وعندما قال المتنبي قصيدته التي يمدح بها سيف الدولة ، ومطلعها:

أعلـــى الممالـــك مـــا يُبنـــى علـــى الأسَـــلِ والطعـــنُ عنـــد محبـــيهن كالقبـــلِ

عارضه عبيد الله الموصلي بقصيدة مطلعها:

ظبـــا المواضـــي وأطـــراف القنـــا الـــذبل ضـــوامنٌ لـــك مـــا جـــازوه مـــن نفـــل

وعندما قال المتنبي بائيته التي مطلعها:

بـــأبي الشـــموس الجانحـــات غواربـــا اللابســـات مـــن الحريـــر جلابيـــا

عارضه صفي الدين الحلّي بقصيدة مطلعها:

أســـبلن مـــن فـــوق النهـــود ذوائبـــاً فجعلـــن حبـــاتِ القلـــوب ذوائبـــا

ولعل (المعارضات) الحقيقية بدأت في الشعر الأندلسي عندما شعر الأندلسيون أنهم دون المشارقة علماً ، فاعترفوا بفضل المشرق عليهم ، وقام الكثير من أدبائهم وشعرائهم بمعارضة الأدباء والشعراء المشارقة الذين يعتبرونهم أساتذتهم ، فمحمد بن عبد ربه يضع كتابه (العقد الفريد) ليشابه كتاب (عيون الأخبار) لابن قتيبة ، والصاحب بن عباد يقول عندما يطلع عليه:

(هذه بضاعتنا رُدّت إلينا). كما صنفوا شعراءهم تصنيفاً يتصل بشعراء المشرق ، فقد لقبوا ابن دراج القسطلي بمتنبي الأندلس ، ومثله ابن هانئ ، وابن زيدون بحتري الأندلس من ذلك معارضة أبي بكر الأشبوني لرائية أبي فراس الحمداني التي مطلعها:

أراك عصـــيّ الـــدمع شـــيمتك الصـــبرُ أمـــا للهـــوى نهـــيٌ عليـــك ولا أمـــرُ؟

فقال الأشبوني:

وليـــل كهـــمّ العاشـــقين قميصُـــهُ ركبـــتُ دياجيـــه ومركبُـــهُ وعْـــر

ومعارضة ابن دراج القسطلي لأبي نواس التي يمدح فيها الخصيب، ومطلعها:

أجـــارةُ بيتينـــا أبـــوك غيـــورُ وميســـورُ مـــا يُرجـــى لـــديك عســـيرُ

فعارضه ابن درّا ج بقصيدة يمدح فيها المنصور بن أبي عامر، مطلعها:

ألـــم تعلمـــي أنّ الثـــواءَ هـــو الثـــرى وأنّ بيـــوتَ العـــاجزين قبـــورُ

وعارض أبو الحسن البغدادي (الفكيك) مسلم بن الوليد في قصيدته في مدح الرشيد والتي فيها:

أديـــرا علـــيّ الكـــأسَ لا تشـــربا قبلـــي ولا تطلبـــا عنـــد قـــاتلتي ذحلـــي

فقال الفكيك معارضاً:

لأيـــة حـــال عـــن سُـــنّةِ العـــدل ولـــم أصـــغ يومـــا فـــي هـــواك إلـــى العـــذل

كما عارضها محمد بن عبد ربه بقوله:

أتقتلنـــي ظلمـــاً وتجحـــدني قتلـــي وقـــد قـــام مـــن عينيـــك لـــي شـــاهد عـــدل

وعارض أبو بكر بن نصر الإشبيلي أبا تمام في رائيته التي يمدح بها المعتصم والتي مطلعها:

رقّـــتْ حواشـــي الـــدهر فهـــي تمرمـــرُ وغـــدا الثـــرى فـــي حليـــه يتكسّـــرُ

فقال الإشبيلي:

انظـــرْ نســـيمَ الزهـــر رقّ فوجهـــهُ لـــك عـــن أســـرّته الســـرية يُســـفرُ

وعارض ابن خفاجة أبا تمام في رائيته التي يمدح بها المعتصم، ويقول فيها:

الحـــقُ أبلـــجُ والســـيوفُ عـــوارِ فحـــذارِ مـــن أسْـــدِ العـــرين حـــذارِ

فقال ابن خفاجة معارضاً:

ســـمح الخيـــال علـــى النـــوى يـــزار والصـــبح يمســـح عـــن جبـــين نهـــار

وعارض ابن هانئ الأندلسي (الذي يفتخر بلقبه: متنبي الأندلس) المتنبي الذي يمدح ابن عامر الأنطاكي بقوله:

أطـــاعنُ خـــيلاً مـــن فوارســـها الـــدهرُ وحيـداً ، ومـا قـولي كـذا ومعـي الصـبرُ!

فعارضه ابن هانئ برائيته يمدح فيها المعز لدين الله الفاطمي لفتح مصر من حكم العباسيين:

تقـــول بنـــو العبـــاس هـــل فتحـــت مصـــر فقـــل لبنـــي العبـــاس قـــد قضـــي الأمـــرُ

وعارض ابن عبدون المتنبي في بائيته التي يمدح بها كافوراً ، ومطلعها:

كفـــى بـــكَ داءً أن تـــرى المـــوتَ شـــافيا وحســـبُ المنايـــا أن يكـــنّ أمانيـــا

فقال ابن عبدون معارضاً:

وإنـــي لأســـتحيي مـــن المجـــد أن أرى علـــيّ لمـــأمول ســـواك أياديـــا

أما (معارضات) الشعراء الأندلسيين لبعضهم بعضاً فأكثر من أن تحصى ، ولا سيما في (الموشحات). ولم تقتصر (المعارضات) على الشعر ، فقد تعدته إلى النثر ، فشملت الرسائل والمقامات ، كتلك التي ظهرت بين الخوارزمي (ت 383هـ) وبديع الزمان الهمذاني (ت 398هـ) في مجال الرسائل. وكما عارض ابن شرف الأندلسي بديع الزمان الهمذاني في مقاماته ، فعمل مقامة في ذكر الشعر والشعراء ، وكما عارض الهمذاني أندلسيون كثيرون. وأما عصر الدول المتتابعة فيبدأ بسقوط بغداد عام 656هـ وينتهي سنة 1220هـ ، وهي سنة قيام محمد علي باشا في مصر. وفيه سيطر العنصر التركي ، وساد المماليك في العالم الإسلامي. ويمتاز هذا العصر بظهور الموسوعات الأدبية ، وانشغل الشعراء بالمحسنات البديعية في الأساليب لتغطية خواء المضامين الشعرية. ولعل هذا العصر من أغزر عصور الأدب العربي (معارضات) شعرية ، بسبب ضعفه السياسي والحضاري الذي انعكس ضعفاً فنياً فتوخى الشعراء فيه سابقيهم ، يعارضونهم ويحاكونهم. وأما عصر النهضة الحديثة فيبدأ منذ 1220هـ إلى يومنا هذا. ويمتاز بالنهضة في كل مناحي الحياة ، وبظهور أجناس أدبية حديثة كالقصة والرواية والمسرح. وقد كثرت فيه (المعارضات) الشعرية ، لا سيما مع البارودي رائد مدرسة الإحياء ، وشوقي رائد مدرسة الاتباعية (الكلاسيكية) الجديدة. وهكذا كثرت (المعارضات) عندما وجدت أمام الشعراء نماذج شعرية ذات مستوى فني عال، تستحق أن يجرد لها الشاعر التالي عبقريته معارضاً ، ومحاكياً ، وطامحاً إلى أن ينسج على منوالها ، إثباتاً لمقدرته الفنية).هـ. وتحت عنوان: (المعارضة الشعرية بين المطابقة والمفارقة) يقول الأستاذ سوف عبيد بالنص: (أما في الشعر فإن ـ المعارضة ـ هي ضرب من الأساليب الشعرية التقليدية الموغلة في القدم ويمكن أن نجد لها أصلا في المساجلات بين الشعراء منذ العصر الجاهلي مثل تلك التي وقعت بين اِمرئ القيس وعلقمة الفحل وغيرها. وقد حظيت كثير من القصائد الشهيرة بالنسج على منوالها مبنى ومعنى وقد يتراوح المضمون في المعارضة من الاِحتذاء والمطابقة إلى التشابه والمقاربة وقد يصل إلى الاِختلاف والمفارقة ، غير أن الاِلتزام بالبحر والقافية وببعض

تضمينات القصيدة الأصلية يظل من أهم خصائص المعارضة. ومن أوّل الشعراء الذين عارضوا علي الحصري في قصيده ـ ياليل الصب الشاعر ناصح الدين الأرجاني وهو معاصر للحصري حيث أنه من شعراء النصف الثاني من القرن الخامس والنصف الأول من القرن السادس الهجري من بلاد فارس ، فيبدو أن القصيدة قد اِشتهرت في زمانها وتجاوزت شهرتها بلاد الأندلس وإفريقية ومصر والحجاز بل وطبقت آفاق بلاد الشام والعراق حتى وصلت بلاد فارس. ومن شعراء القرن التاسع الهجري في الشام الذين عارضوا القصيدة الشاعر اِبن مليك الحموي وقد مدح اِبن فرفور بقصيدة فجاءت في نحو ثلاثين بيتا أغلبها في الغزل على نفس سياق الحصري تقريباً غير أن اِبن مليك الحموي جعل من السّمرة إحدى أهم خصائص المتغزل به. أما بقية القصيدة فهي في نفس معاني الحصري تقريبا إذا اِستثنينا الإِعتذار الوارد في ـ يا ليل الصب ـ وقد سار على منوال القصيدة ذاته جميع الشعراء القدامى الذين توصّلنا إلى معارضاتهم مثل الشاعر اِبن الأبّار وهو من شعراء بلنسية بالأندلس في القرن السابع الهجري وهاجر إلى تونس هاربا من الإسبان وقد مدح الأمير أبا زكرياء الحفصي بمعارضته هذه لكنه مات مقتولا بطعنه بالرماح حيث نجحت السعايات ضده لدى الأمير ولم يجده الإِعتذار، أما قصيدته فقد حافظ هو أيضا فيها على صيغة التذكير في الغزل).هـ. وهذه القصيدة ليست من قبل الإطراء المبالغ فيه للنبي – صلى الله عليه وسلم – لا! بل وصفت النبي – صلى الله عليه وسلم – بما يليق به فقط! عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت النبي ـصلى الله عليه وسلم- يقول: (لا تُطْروني كما أَطْرت النصارى ابنَ مريم ؛ إنما أنا عبده ، فقولوا: عبد الله ورسوله). رواه البخاري. والحقيقة الواضحة التي لا يختلف عليها اثنان ولا يتناطح عليها عنزان أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحرصاً منه على توحيد الله – تعالى – والإيمان الكامل به سبحانه ، وخوفاً على أمته المسلمة المؤمنة الموحدة من الشرك الذي وقعت فيه الأمم السابقة رغم تحذير أنبياؤها ورسلها ، حذَّرها من الغلو فيه ، ومجاوزة الحد في مدحه والثناء عليه مثل وصفه بأوصاف الله – تعالى ـ وأفعاله الخاصة به وأسمائه العلية الحسنى التي تفرد بها سبحانه وتعالى ، كما غلت النصارى في المسيح بوصفه بالألوهية والبنوة لله – تعالى ـ ، فوقعت في الشرك كما قال تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}! وإلا فإن الدعوة العيسوية كانت في أصلها ديناً توحيدياً خالصاً لله تعالى! (ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بالبينات من ربكم)! (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ). وفسر الإمام ابن كثير على هذه الآية بقوله: (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أي بإبلاغه: أن اعبدوا الله ربي وربكم أي: ما دعوتهم إلا إلى الذي أرسلتني به وأمرتني بإبلاغه: (أن اعبدوا الله ربي وربكم) أي: هذا هو الذي قلت لهم (وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم) أي: كنت أشهد على أعمالهم حين كنت بين أظهرهم (فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد). قال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة قال: انطلقت أنا وسفيان الثوري إلى المغيرة بن النعمان فأملاه على سفيان وأنا معه ، فلما قام انتسخت من سفيان ، فحدثنا قال: سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بموعظة ، فقال: "يا أيها الناس ، إنكم محشورون إلى الله ، عز وجل ، حفاة عراة غرلا كما

بدأنا أول خلق نعيده ، وإن أول الخلائق يكسى إبراهيم ، ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: أصحابي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح: (وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم). فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم. ورواه البخاري عند هذه الآية عن الوليد ، عن أبي شعبة - وعن محمد بن كثير ، عن سفيان الثوري ، كلاهما عن المغيرة بن النعمان).هـ. وعلق الإمام الطبري على ذات الآيات من خواتيم المائدة بقوله: (قال أبو جعفر: وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قول عيسى ، يقول: ما قلت لهم إلا الذي أمرتني به من القول أن أقوله لهم ، وهو أن قلت لهم: (اعبدوا الله ربي وربكم) ، (وكنت عليهم شهيدًا ما دمت فيهم) يقول: وكنت على ما يفعلونه وأنا بين أظهرهم شاهدًا عليهم وعلى أفعالهم وأقوالهم ، فلما توفيتني ، يقول: فلما قبضتني إليك كنت أنت الرقيب عليهم ، يقول: كنت أنت الحفيظ عليهم دوني ، لأني إنما شهدت من أعمالهم ما عملوه وأنا بين أظهرهم. وفي هذا تبيانُ أن الله تعالى ذكره إنما عرّفه أفعالَ القوم ومقالتهم بعد ما قبضه إليه وتوفاه بقوله: أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّه. وأنت على كل شيء شهيد يقول: وأنت تشهد على كل شيء ، لأنه لا يخفى عليك شيء ، وأما أنا، فإنما شهدت بعض الأشياء ، وذلك ما عاينت وأنا مقيم بين أظهر القوم ، فإنما أنا أشهد على ذلك الذي عاينت ورأيتُ وشهدت. وبنحو الذي قلنا في قوله: (كنت أنت الرقيب عليهم) ، قال أهل التأويل: حدثني محمد بن الحسين قال ، حدثنا أحمد بن مفضل قال ، حدثنا أسباط, عن السدى: " كنت أنت الرقيب عليهم " ، أما "الرقيب" ، فهو الحفيظ. حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال ، حدثني حجاج, عن ابن جريج: "كنت أنت الرقيب عليهم" ، قال: الحفيظ. وكانت جماعة من أهل العلم تقول: كان جواب عيسى الذي أجاب به ربَّه من الله تعالى ، توقيفًا منه له فيه. حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن معمر ، عن ابن طاووس ، عن أبيه: أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ، قال: الله وقَّفَه. حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا أبو داود الحفري قال ، قرئ على سفيان ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه طاوس قال: احتج عيسى ، والله وقّفه: أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، الآية. حدثنا ابن وكيع قال ، حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن ميسرة قال: قال الله تعالى ذكره: (يا عيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) ؟ قال: فأُرعدت مفاصله ، وخشى أن يكون قد قالها ، فقال: سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ).هـ. وإذن فلم تكن قصيدتي أبداً من قبيل المغالاة الصوفية أو الغلو الممقوت المذموم! ولنتذكر جميعاً قول النبي – صلى الله عليه وسلم - : «فإنما أنا عبده ، فقولوا عبد الله ورسوله». أي: فصفوني بالعبودية والرسالة كما وصفني الله – تعالى – بذلك ، ولا تتجاوزوا بي حدود العبودية إلى مقام الألوهية أو الربوبية كما فعلت النصارى ، فإن حق الأنبياء العبودية والرسالة ، أما الألوهية فإنها حق الله وحده ، ومع هذا التحذير فقد وقع بعض الناس فيما حذر منه رسول الله - صلى الله عليه وسلم – منه ، فلنحذر من أن نكون منهم! وإنني لأعتذر عن طول هذه المقدمة التي كان لا بد منها لإيضاح أننا إذ نعارض فنحن لا نسرق أفكار غيرنا ولا نعمد إلى التقليد ولا المحاكاة أبداً! بل المعارضة الشعرية فن مستقل عمد إليه الشعراء في القديم والحديث!وما وسع الشعراء جميعهم بالأمس ،

منذ عهد امرئ القيس ، مروراً بعهد صدر الإسلام والتابعين ، إلى يوم الناس هذا ، فليسعني ، مادمتُ واحداً منهم! وما جاز لهؤلاء الشعراء يجوز ليَ اليوم! وما مارسوه باسم الشعر وكان رائجاً مستساغاً لهم لي مثله اليوم! فلستُ أبداً بدعاً من الشعراء ولا متطفلاً على موائدهم يأكل الفتات! بل كوني واحداً منهم يكفي لأن يكون لي اليوم ما كان لهم بالأمس! وهذا يكفي لئلا نتعرض لجاهل لا يعرف الشعر ولا الشعراء يقول: إن معارضتك لشوقي كانت لعجزك عن الإتيان بمثل ما قال! فهل كان شوقي ضعيفاً عندما عارض البوصيري؟)

ولـــــد الهُـــــدى ، فأضِـــــيئتِ الغبـــــراءُ ... ووهادُهـــــا ، ورياضُـــــها الغنـــــاءُ

وجبالهـــــا وســـــهولها ومُروجُهـــــا ... وبحارُهـــــا وتلالهـــــا الشـــــمّاء

وبلادُهـــــا وقِفارُهـــــا وســـــماؤُها ... ونجومُهـــــا – فـــــي الليـــــل - والأنـــــواء

وربيعُهـــــا وخريفهـــــا قـــــد أشـــــرقا ... والصـــــيفُ ضـــــاء ، وضـــــاء بعـــــدُ شـــــتاء

والليـــــلُ زايـــــل دُلجـــــة وحُلوكـــــة ... وتـــــلألأ الإصـــــباحُ والإمســـــاء

ولـــــد النبـــــي (محمـــــدٌ) ، فلتبتشـــــرْ ... هـــــذي الســـــما والنـــــاسُ والغبـــــراء

فعليـــــه مِـــــن رب الســـــما بركاتـــــه ... وصـــــلاته وســـــلامه الوضـــــاء

ولـــد الهُـــدى نســـبٌ إلـــى العليـــا اســـتمى ... ضَـــمّته – فـــي آفاقهـــا - الجـــوزاء

مُتفـــــرداً بالمجـــــد مُحـــــتفلاً بـــــه ... وعليـــــه مـــــن حُلـــــل الجمـــــال بهـــــاء

مُترفعـــــاً عـــــن كـــــل عيـــــب أو هـــــوى ... حتـــــى نـــــأتْ عـــــن ســـــاحه الأهـــــواء

مُتوشـــــحاً بالمَكرمـــــات يزفهـــــا ... للعـــــالمين تحوطهـــــا الأضـــــواء

متبرئـــــاً مـــــن كـــــل إفـــــكٍ مفتـــــرى ... والصـــــدقُ يَقْـــــدُر قـــــدرَه العظمـــــاء

متقلبـــــاً فـــــي طهـــــر أرحـــــام النســـــا ... شـــــهدتْ بـــــذلك رَجْلـــــة ونســـــاء

وسَـــــمتْ بـــــه نطـــــفُ الرجـــــال شـــــرافة ... حتـــــى ليغـــــبط شـــــأوَه الشـــــرفاء

فـــــأبوه بيـــــنهمُ بآمنـــــةٍ بنـــــى ... طـــــاب القِـــــرانُ ، وطـــــاب بعـــــدُ بنـــــاء!

مَـــــن ذا يُضـــــارعُه صُـــــوىً أو مَحتِـــــداً ... حـــــاز الســـــموّ ، فدونـــــه العليـــــاء

فهـــــو الخِيـــــارُ مِـــــن الخيـــــار مِـــــن الخيـــــا ... ر ، وإنْ مـــــدحتُ فدونـــــه الإطـــــراء

والجاهليـــــة جُنـــــدلتْ وتصـــــرّمتْ ... وبكـــــل بـــــأس سُـــــربل الكُبـــــراء

وأقلـــــتِ البطحـــــاءُ أطهـــــر أمـــــةٍ ... ســـــعدتْ ببـــدء وجودِهـــا البطحـــاء

فـــي بطـــن مكـــة بـــدء أمـــة (أحمـــدٍ) ... ومخـــاضُ مولـــدها ارتـــآه (حِـــراء)!

اقـــرأ (محمـــدُ) ، قـــال: لســـتُ بقـــارئ ... فـــي موقـــفٍ عَظمـــتْ بـــه البأســـاء

مَـــن قـــال: لســـت بقـــارئ مِـــن عِلمـــه ... يـــــتعلم الكُتـــــابُ والقـــــراء!

ودعـــا - إلـــى الله - الأنـــام ، فأســـلمتْ ... فئـــة ، وأخـــرى جُلهـــا سُـــفهاء

وأقـــيم ديـــنُ الله فـــي دنيـــا الـــورى ... وانجابـــتِ الأصـــنامُ والظلمـــاء

وتفيّـــأ النـــاسُ الحضـــارة مَنهجـــاً ... والـــدينُ ســـاد ، وتمّـــتِ النعمـــاء

وأظـــل ديـــنُ الله أصـــناف الـــورى ... التـــابعون ومـــن قلـــوه ســـواء

لا جبـــرَ ، لا إكـــراهَ ، بـــل حريـــة ... كفلـــتْ لكـــلٍ مـــا يـــرى ويشـــاء

عشـــرون عامـــاً والنبـــي مجاهـــدٌ ... لتكـــون شِـــرعته هـــي العليـــاء

لـــم يـــألُ جهـــداً فـــي هدايـــة قومـــه ... ولـــه اهتمـــامٌ بـــالغ ودعـــاء

حتـــى الألـــى لـــم يؤمنـــوا وتمـــرّدوا ... ذهبـــتْ بمـــا طمحـــوا لـــه الهيجـــاء

وإذا تـــرى ملـــك الجبـــال مُخيّـــراً ... حتـــى تبـــاد الطغمـــة الجُهَـــلاء

فيقـــول: (أحمـــد): لا ، وربـــي مُخـــرجٌ ... مـــنهم أناسِـــياً هـــمُ الصـــلحاء

هـــو رحمـــة للعـــالمين ونجـــدة ... والتـــابعون لـــه هـــمُ الســـعداء

هـــو منـــذرٌ خلقـــاً بـــه لـــم يؤمنـــوا ... وهـــو الـــذي ممـــا افتـــروه بـــراء

ومُبشـــرٌ مَـــن آمنـــوا وتمثلـــوا ... أخلاقـــه حقـــاً هـــمُ العقـــلاء

هـــو شـــاهدٌ يـــوم الجـــزاء وشـــافعٌ ... والمقتـــدون بـــه هـــمُ الشـــهداء

وشـــفيعُ أمتـــه إلـــى رب الســـما ... إن قـــل فـــي يـــوم الجـــزا الشـــفعاء

صـــلى عليـــه الله جـــل جلالـــه ... مـــادام فـــي الكـــون الوســـيع ســـماء

الصـــادق الشـــهم الأمـــين نعوتـــه ... أدلـــى بـــذا الأحبـــابُ والأعـــداء!

ورأوْه أفضـــل مِـــن جميـــع رجـــالهم ... صـــدعوا بحـــق لـــيس فيـــه خفـــاء

حتـــى إذا أتـــت النبـــوة أنكـــروا ... وتـــذمّروا ، واســـتكبروا ، وأســـاؤوا

فـــدعا لـــدين الله مُعتـــزاً بـــه ... ســـراً ، وواســـى مـــن إليـــه أفـــاؤوا

مُســـتلهماً ســـيَر الكِـــرام المرسليـــ ... ـــن بهـــا ســـبيلُ المُهتـــدين تضـــاء

لـــم يخـــشَ بـــأس أولـــي التعنـــت لحظـــة ... مـــا للتعنـــت – فـــي الصـــراع – بقـــاء!

فتعقبـــوا المستضـــعفين ، وأســـرفوا ... فـــي بطشـــهم ، واســـتفحل الإيـــذاء

واســـألْ بـــلالاً والرُّبـــا وسُـــمية ... عمـــا جنـــاه الطغمـــة البلهـــاء

واســـألْ كـــذلك آل ياســـرٍ الألـــى ... شـــهدتْ - بمـــا فجعـــوا بـــه - الأفيـــاء

ولـــديك فـــي (أم الشـــريك) إرادة ... صـــمدتْ ، ولـــم تـــذهبْ بهـــا الأرزاء

ناهيـــك عـــن (زنيـــرة) وثباتهـــا ... لمّـــا اســـتهان - بصـــبرها - الأعـــداء

ونبينـــا مَكـــروا بـــه وبأهلـــه ... مَكـــراً تبـــدّى ، لـــيس فيـــه خفـــاء

يـــا دار (أرقـــم) خبّرينـــا بالـــذي ... قـــال النبـــي وحولـــه النصـــراء

ومهـــاجرين إلـــى (الجنـــوب) تجشـــموا ... عِـــبء الرحيـــل ، وبـــالقلوب رجـــاء

سَـــعياً إلـــى الملـــك (النجاشـــي) العظيـــ ... ـــم ليســـلموا ، ويـــزول بعـــدُ شـــقاء

وإذا بحمـــزة يـــوم أســـلم زادَهـــم ... بأســـاً ، وســـادت عِـــزة قعســـاء

واستبشـــروا بـــالخير يطـــرق سُـــوحُهم ... وغـــزا القلـــوبَ تـــآلفٌ وصـــفاء

والصـــف زادَ تماسُـــكاً وتـــآزراً ... يـــوم اهتـــدى (عمـــرٌ) ، وزال الـــداء

وانفضـــتِ المِحـــنُ التـــي علقـــتْ بهـــم ... وشـــدا منـــاخ بالهنـــا وفضـــاء

وإذا بأهـــل الشـــرك يُجمـــعُ صـــفهم ... وتكلـــم الســـاداتُ والزعمـــاء

وإذا بهـــم قـــد قـــاطعوا أهـــل التقـــى ... والحقـــدُ عـــمّ ، وطمّـــتِ الشـــحناء

وحِصـــارُهم للشِـــعب كـــان نكايـــة ... وكأنمـــا أهـــل التقـــى غربـــاء

ونبينـــا فـــي الشِـــعب عـــفٌ صـــامدٌ ... ولـــه ابتهـــالٌ مُخبـــتٌ وبُكـــاء

وإذا بعـــام الحـــزن يُقبـــل مجهـــزاً ... جبـــراً عليـــه ، فـــزادتِ الـــلأواء

ماتـــت (خديجـــة) ، وانقضـــت أيامُهـــا ... والحـــزنُ قـــد سُـــمعتْ لـــه أصـــداء

فعليـــكِ أم المـــؤمنين ســـحائبُ الـــ ... ـــرضوان ، هـــذي دعـــوة وحُـــداء

والعـــمّ مـــات ، وكـــان دِرعَ نبينـــا ... فاهتاجـــتِ البأســـاءُ والضـــراء

(والطـــائفُ) انطلقـــتْ خِـــلافَ نبينـــا ... بحجـــارةٍ ألقـــى بهـــا الأبنـــاء

وأتـــاه (عـــدّاسٌ) يُجفـــفُ دمعـــه ... ويقـــول: أنـــت مِـــن الســـباب بـــراء

فـــي كفـــه عنـــبٌ ، ويـــذكر (نينـــوى) ... ويجـــودُ جـــوداً خطـــه الكرمـــاء

ويعـــودُ (أحمـــدُ) للـــديار وأهلهـــا ... وتســـيلُ مـــن قـــدم النبـــي دمـــاء

والمشـــركون أتـــوْا إليـــه ، وجـــادلوا ... ولكـــل فـــردٍ – فـــي الجـــدال - دهـــاء

قـــالوا: تشـــق لنـــاظر بـــدر التمـــ ... ـــام لقطعتـــين - لـــدى العيـــون - ســـواء

حتـــى إذا مـــا انشـــق هـــا هـــم أعرضـــوا ... وتنكبـــتْهم فتنـــة عميـــاء

والله فـــرّج عـــن فـــؤاد نبيـــه ... حتـــى أتـــى المعـــراجُ والإســـراء

أســـرى بـــه المـــولى ، وأكـــرم شـــأنه ... وحَلـــتْ لأحمـــد ليلـــة لـــيلاء

والمســـجدان فمـــؤئلان لرحلـــةٍ ... ســـعدتْ بهـــا الآفـــاق والأجـــواء

وإذا بمعـــراج النبـــي إلـــى الســـما ... وتشـــرفت بقدومـــه الزرقـــاء

ويعـــود مبتشـــراً بنصـــرة دينـــه ... وعليـــه مـــن حُلـــل الثبـــات رداء

وعلـــى القبائـــل راح يعـــرضُ نفســـه ... ويجـــود يغـــبط جـــوده الـــدأماء

ويريـــدهم لله أخلـــصَ أعبُـــدٍ ... وبهـــم تعـــز الشـــرعة الســـمحاء

والله مـــنّ علـــى الجميـــع بهجـــرةٍ ... جـــاءتْ بهـــا الخيـــرات والآلاء

أمـــن الجميـــعُ ، ومُكّنـــوا فـــي (يثـــرب) ... والـــدينُ عـــز ، ولـــم يشـــبْه خفـــاء

وتفيـــأ الإســـلامُ ظِـــل شَـــرافة ... مُتقـــدماً لمّـــا يَعقـــه وراء

والبيعة انعقدتْ ، وأشرقَ نورُها ... والدار عمتْ سوحَها الأضواء

هي بيعة الرضوان خلد ذكرها ... أبداً ، وقلدها الجمالَ وفاء

واحتار أهلُ الشرك في صدّ الورى ... عن دعوة الإسلام ، ثم استاؤوا

فتجمّعوا في دار ندوتهم ضحىً ... ولجمعهم في الملتقى خيَلاء

واختار مُجتمعوه قتل (محمدٍ) ... حَلاً رَمته فِراسة وذكاء!

ألقاه إبليسٌ لهم متخفياً ... أملاه نصاً ، فاستمى الإملاء

ومضى وخلّفهم على ما قاله ... والدارُ تشهدُ ما أتى الأعضاء

لكنهم شهدوا نجاة نبينا ... بعيونهم ، وقلا العيونَ عماء

وبنى النبي (قباءه) في (يثرب) ... طاب البناءُ ، وأفلح البنّاء!

أرسى دعائمه على تقوى المليـ ... ـك بساعديه ، فحبذا الإرساء!

وأتى فآخى بين كل مهاجر ... ونصيره ، هل مثل ذاك إخاء؟

مَن قسّموا الدور التي فيها أوَوْا ... والمال قسّم بينهم ونساء!

وهناك في (بدر) بدتْ نفحاتهم ... إذ ساقهم نحو القتال نداء

هم قد أرادوا العِير دون تلاحم ... فالعيرُ يعقبها غِناً ورخاء

وقضى الإله خِلاف ما طمحوا له ... وإذا قضاه فلا يُرد قضاء

كرهوا لقا الأعداء ، فاقتيدوا له ... والنصرُ أدركهم ، فطاب لقاء!

وإذا (أبو جهل) يُجابه مَصرعاً ... فهذى ، وهل ينجي القتيلَ هُراء؟

ومضى يُنددُ بالنهاية أجهزتْ ... فوراً عليه ، ونال منه فناء

خبراً غدا وحديث قوم جاهدوا ... ولهم بتعزيز النبي ولاء

وقبيل (بدر) فارقته (رُقية) ... وأتى الصحابُ لهم جوىً وعَزاء

ويهود قد نقضوا العهودَ ، وأجرموا ... لا يُرتجى مِن غادرين وفاء

ونبينا أجلاهمُ عن (يثرب) ... حتى يسود - من الفتون - نجاء

وتـــــآمر الأحـــــزابُ ، بـــــان نفـــــاقهم ... صِـــــنوان هـــــم والطغمـــــة الأعـــــداء!

فـــــي غـــــزوة (الأحـــــزاب) جُنـــــدِل صـــــفهم ... إذ كـــــان فـــــي عصـــــف الريـــــاح جـــــزاء

والله ردّ الكـــــــــــافرين بغـــــــــــيظهم ... لمّـــــا ينـــــالوا الخيـــــرَ إذ هـــــم جـــــاؤوا

فاســـــتدرجوا لهلاكهـــــم فـــــي غـــــزوةٍ ... بـــــل بالمصـــــائب والهـــــزائم بـــــاؤوا

وابـــــن الســـــلول يقـــــود أشـــــرس حملـــــةٍ ... وخِلافـــــه – فـــــي الحَملـــــة - الســـــفهاء

فـــــي (حـــــادث الإفـــــك) الـــــذي هـــــو فتنـــــة ... للمـــــــــؤمنين ومحنـــــــــة وبـــــــــلاء

والله أوهـــــن كيـــــد مـــــن حـــــاكوا الفِـــــرى ... إذ عِـــــرض (عـــــائشَ) طـــــاهرٌ وبـــــراء!

واحتـــــار أهـــــل الشـــــرك كيـــــف خلاصُـــــهم ... مـــــن (أحمـــــدٍ) ، وتـــــآمرَ الزعمـــــاء

والســـــمّ دُسّ بشـــــاة (هـــــودٍ) غِيلـــــة ... وقِـــــرى الضـــــيوف الأكـــــرمين شِـــــواء

فـــــي بيـــــت (هـــــودٍ) غـــــدرة وخِيانـــــة ... لحـــــمٌ بســـــم قاتـــــل ، وحســـــاء!

وتكلمـــــتْ تلـــــك الـــــذراعُ ، وأفصـــــحتْ ... عمـــــا احتـــــوتْ ، وزوى القـــــدورَ خِبـــــاء

والله أنقـــــذ (أحمـــــداً) مـــــن كيـــــدهم ... الـــــداء منـــــه ، ومنـــــه كـــــان دواء!

وأتـــــى لمكـــــة فاتحـــــاً مستبســـــلاً ... وعليـــــه مـــــن أرَج اليقـــــين بهـــــاء

والعشـــــرة الآلاف فـــــوق خيـــــولهم ... الســـــلمُ غـــــايتهم ، أو الهيجـــــاء

ونبينـــــا فـــــيهم يُخيّـــــرُ قومَـــــه ... مـــــاذا ارتـــــأيتم أيهـــــا الغوغـــــاء

مـــــاذا ظننـــــتم بالـــــذي أنـــــا فاعـــــلٌ؟ ... فـــــإذا الجـــــواب يزفـــــه الفصـــــحاء

قـــــالوا: نـــــراك أخـــــاً كريمـــــاً طيبـــــاً ... وأبـــــوك يمـــــدحُ جُـــــودَه الآبـــــاء

فيُعقـــــب (المختـــــارُ) يـــــا قـــــومي اذهبـــــوا ... رَبـــــحَ الخِيـــــارُ ، فـــــأنتمُ الطلقـــــاء!

مَـــــن كـــــان فـــــي (البيـــــت الحـــــرام) فـــــآمنٌ ... إنـــــا - علـــــى أرواحكـــــم - أمنـــــاء

ومَـــــن اغتـــــدى فـــــي بيتـــــه هـــــو آمـــــنٌ ... ولـــــه الســـــلامة جُنـــــة ووِجـــــاء

أو كـــــان فـــــي مـــــأوى (أبـــــي سُـــــفيانَ) بعـــــ ... ـــــدُ فـــــآمنٌ ، إنـــــا - بكـــــم - رحمـــــاء

وأتـــى إلـــى الأصـــنام يَحطِمهـــا ضـــحىً ... الشـــــركُ زال ، وأدبـــــر الشـــــركاء

والله مكّـــــن للحنيفـــــة والهُـــــدى ... وأقامـــــه الرئبالـــــة الحُنفـــــاء

لا قهـــرَ ، لا طـــاغوتَ ، بـــل حُريـــة ... والنـــاسُ دانـــوا بالـــذي هـــم شـــاؤوا

حتـــى إذا حـــج النبـــي مُودّعـــاً ... بكـــتِ الحيـــاة عليـــه والأحيـــاء

نصـــح الجميـــعَ نصـــيحة مَشـــفوعة ... بـــالحِرص يفقـــه كُنههـــا البُلغـــاء

والله خيّـــــره فـــــآثرَ قربَـــــه ... ورحيـــلُ (أحمـــدَ) نكبـــة دهيـــاء

والنصـــرُ جـــاء وفـــتحُ مكـــة بعـــده ... والنـــاسُ أفواجـــاً لســـلم جـــاؤوا

ورحيـــلُ (أحمـــدَ) سُـــنة حتميـــة ... مـــا للخلائـــق – فـــي الحيـــاة - بقـــاء

ســـبحان مَـــن يبقـــى ويَســـأل يومهـــا ... وهـــو العلـــيمُ بمـــا يـــرى ويشـــاء

المُلـــكُ – هـــذا اليـــومَ – حقـــاً مُلـــكُ مَـــن؟ ... فمـــن الـــذي يصـــبو إليـــه نـــداء؟

فيجيـــبُ رب النـــاس: إن المُلـــك لـــي! ... والخلـــقُ لـــي والعـــيشُ والإفنـــاء

للواحـــد القهـــار ، لـــيس كمثلـــه ... شـــيء ، فمـــن تصـــويره الأشـــياء

نشيد أفلا يأتي! (معارضة لنشيد تراثي قديم)

(المنشدون المسلمون على ثغر من ثغور الإسلام. ولقد استمعت ذات يوم إلى أناشيد (البحرين) ولم يكن لي كبير الولع والتأثر بالأناشيد الإيمانية. وهذا يعود لسنة 1985م. أو قبل ذلك والله أعلم. وتأثرت جداً بهذا النشيد الذي يحمل عنوان (أفلا يأتي) فأخذت أنسج على مِنواله قصيدتي هذي. وإنني لأنظر إلى الحياة التي نعيش من عل ، بكل عزة بهذا الدين الذي أعزنا الله عز وجل بالانتساب إليه. وقد ابتعد الناس عن الشريعة وأصبحت الهوة بعيدة بين الأمة وبين دينها. وتساءلتُ: (أفلا يأتي يوم نحيا فيه حياة إسلامية؟). وهل ستظل الأمة تتخبط بين التيه والظلام ، وبين غي المعاصي وضنك الموبقات. في كتابه القيم: (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) ، قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى – ما نصه: (ولَمَّا علم الموفَّقون ما خُلقوا له ، وما أريد بإيجادهم ، رفعوا رؤوسهم ، فإذا علم الجنة قد رُفِعَ لهم ، فشمروا إليه ، وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم فاستقاموا عليه ، ورأوا من أعظم الغبن بيع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، في أبد لا يزول ولا ينفد ، بصبابة عيش إنما هو كأضغاث أحلام ، أو كطيف زار في المنام ، مشوب بالنقص ممزوج بالغصص ، وإن أضحك قليلاً أبكى كثيراً ، وإن سرّ يوماً أحزن شهوراً ، آلامه تزيد على لذاته ، وأحزانه أضعاف أضعاف مسرّاته ، أوله مخاوف وآخره متالف ، فيا عجباً من سفيه في صورة حليم ، ومعتوه في مسلاخ عاقل ، آثر الحظ الفاني الخسيس على الحظ الباقي النفيس ، وباع جنة عرضها السموات والأرض بسجن ضيق بين أرباب العاهات والبليات ، ومساكن طيبة في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار ، وأبكاراً عرباً أترابا كأنهن الياقوت والمرجان ، بقذرات دنسات سيئات الأخلاق ، مسافحات أو متخذات أخدان ، وحوراً مقصورات في الخيام ، بخبيثات مسيبات بين الأنام ، وأنهاراً من خمر لذة للشاربين بشراب نجس مذهب للعقل مفسد للدنيا والدين ، ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم بالتمتع برؤية الوجه القبيح الذميم ، وسماع الخطاب من الرحمن بسماع المعازف والغناء والألحان ، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد ؛ بالجلوس في مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد ، ونداء المنادي: يا أهل الجنة إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا ؛ وتحيوا فلا تموتوا ، وتقيموا فلا تظعنوا ، وتشبوا فلا تهرموا ، بغناء المغنين. وإنما يظهر الغبن الفاحش في هذا البيع يوم القيامة ، وإنما يتبين سفه بائعه يوم الحسرة والندامة ، إذا حشر المتقون إلى الرحمن وفداً ، وسيق المجرمون إلى جهنم ورداً ، ونادى المنادي على رؤوس الأشهاد: ليعلمَنّ أهل الموقف من أولى بالكرم من بين العباد. فلو توهَّم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد الله لهم من الإكرام ، وادَّخر لهم من الفضل والإنعام ، وما أخفى لهم من قرة أعين ، لم يقع على مثلها بصر ، ولا سمعته أذن ، ولا خطر على قلب بشر ، لعلم أي بضاعة أضاع ، وأنه لا خير له في حياته وهو معدود من سقط المتاع ، وعلم أن القوم قد توسطوا ملكاً كبيراً لا تعتريه الآفات ، ولا يلحقه الزوال ، وفازوا بالنعيم المقيم في جوار الكبير المتعال ، فهم في روضات الجنة يتقلبون ، وعلى أسرتها تحت الحجال يجلسون ، وعلى الفرش التي بطائنها من إستبرق يتكئون ، وبالحور العين يتنعمون ، بأنواع الثمار يتفكهون. تالله لقد نودي عليها في سوق الكساد ، فوا عجباً لها كيف نام طالبها ، وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها ، وكيف طاب العيش في هذه الدار ، بعد سماع أخبارها ، وكيف قرّ للمشتاق القرار دونها أعين المشتاقين ، وكيف صبرت عنها أعين الموقنين ، وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين ، وبأي شيء تعوضت عنها نفوس المعرضين).هـ. وصدق النبي

الكريم – صلي الله عليه وسلم - إذ يقول: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي). والله نسأل أن تعود أمتنا لدينها فتعمل به وتدعو إليه وتجاهد في سبيله وتفتح البلاد وقلوب العباد له. لأن شوقنا طال لأن نعيش حياة نظيفة وفق هُدى المهيمن العزيز الجبار المتكبر – سبحانه وتعالى – وسُنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – بعيداً عن الهوى والنفاق والرياء والجاهلية قِوامُها العدل و الحق. ألا وإن الطريق إليها شاق عسير وليس مفروشاً – كما يريده كثير من المتسرعين – بالورود والرياحين ، بل مفروش بالجماجم والأشلاء والدم. وعودٌ لقراءة قصيدتي هذي التي سطرتها عام 1986م!)

أفـــــلا يـــــأتي يـــــوم نحيـــــا فيـــــه حيـــــاة إســـــلاميةْ؟

فيـــــه الـــــدين الحـــــق تجلـــــى تحـــــت ســـــماء الإنســـــانية

وكفانـــــا هجـــــراً للتقـــــوى خـــــدعتنا اللإنســـــانيةْ

ونتـــــوق اليـــــوم إلـــــى العَليـــــا لا ، للأوضـــــاع الشـــــكلية

أفـــــلا يـــــأتي يـــــوم نحيـــــا فيـــــه حيـــــاة إســـــلاميةْ؟

فيـــــه الـــــدين الحـــــق تجلـــــى تحـــــت ســـــماء الإنســـــانية

يســـــمو فـــــي دنيـــــاه المَحيَـــــا تســـــمو الـــــذاتُ الإيمانيـــــةْ

لســـــنا نبغـــــي مـــــنكم هـــــزلاً نبغـــــي نظَمـــــاً قرآنيـــــة

أفـــــلا يـــــأتي يـــــوم نحيـــــا فيـــــه حيـــــاة إســـــلاميةْ؟

فيـــــه الـــــدين الحـــــق تجلـــــى تحـــــت ســـــماء الإنســـــانية

معيـــــار الـــــدين هنـــــا التقـــــوى والأخـــــلاق الربانيـــــةْ

توحيـــــد الله بهـــــا يســـــمو تفديـــــه مشـــــاعرنا الحيـــــة

أفـــــلا يـــــأتي يـــــوم نحيـــــا فيـــــه حيـــــاة إســـــلاميةْ؟

فيـــــه الـــــدين الحـــــق تجلـــــى تحـــــت ســـــماء الإنســـــانية

لـــــن تخـــــدعنا تـــــرنيمتُكم والأبـــــواقُ الشـــــيطانيةْ

إنـــــا نشـــــتاق إلـــــى يـــــوم نُنهـــــي فيـــــه الَعِلّمَانيـــــة

أفـــــلا يـــــأتي يـــــوم نحيـــــا فيـــــه حيـــــاة إســـــلاميةْ؟

فيـــــه الـــــدين الحـــــق تجلـــــى تحـــــت ســـــماء الإنســـــانية

قـــــالوا: كُفـــــوا عـــــن تشـــــديدٍ واللهجـــــات الإرهابيـــــةْ

نحـــــن نريـــــد الإســـــلامية لا شـــــرقيةَ ، لا غربيـــــةْ

أفـــــلا يـــــأتي يـــــوم نحيـــــا فيـــــه حيـــــاة إســـــلاميةْ؟

فيـــــه الـــــدين الحـــــق تجلـــــى تحـــــت ســـــماء الإنســـــانية

فرعـــــون الجَوْقَـــــةِ نـــــاداهم خمـــــدًا للـــــروح الثوريـــــةْ

أحيُـــــوا فـــــيهم كـــــل ضـــــلال كيمـــــا تحيـــــا الفرعونيـــــة

أفـــــلا يـــــأتي يـــــوم نحيـــــا فيـــــه حيـــــاة إســـــلاميةْ؟

فيـــــه الـــــدين الحـــــق تجلـــــى تحـــــت ســـــماء الإنســـــانية

(في غزوة الرَّجيع أمسك مشركو مكة الصحابي ذا القدر العظيم زيد بن الدثنة – رضي الله عنه – ليقتلوه بعد أن أخذوه أسيراً. فقال له أبو سفيان (الذي لم يكن قد دخل في الإسلام حينئذ): أستحلفك بالله يا زيد ، أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك نضرب عنقه ، وأنت في أهلك؟ فقال زيد: والله ما أحب محمداً في مكانه الذي هو فيه مقيم تصيبه الشوكة وأنا جالس في أهلي. فقال أبو سفيان: ما رأيت أحداً من الناس يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً. (روى هذا الأثر البيهقي). وروى الشيخان أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين). وأخرج الطبراني أن رجلا جاء الي النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله إنك لأحب إليّ من نفسي ، وإنك لأحب إليّ من ولدي ، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك ، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبين ، وأني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك ، فلم يرد عليه النبي – صلى الله عليه وسلم – حتى نزل جبريل بهذه الآية: (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين ، وحسن وأولئك رفيقاً). إننا مهما كتبنا عن رسول الله ما وفيناه حقه. وقد نهانا النبي عن مدحه – صلى الله عليه وسلم – وزجرنا عن ذلك . وما رأيت المدائح النبوية على مر العصور لم تخل من الإطراء والمغالاة ، رأيت أن أسطر قصيدة أعلن فيها عن خالص حبي لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فالإعلان عن الحب يختلف عن المديح الغالي والإطراء الذى يخرج بالنبي عن كونه بشراً يوحى إليه. واخترت البردة البوصيرية لأعارضها. وعزمت على نقش مقدمه تاريخية نشير عبرها إلى تاريخ البردة ومن عارضها ونسج على منوالها. إن هذه القصيدة نقشتُها على أسلوبيه قصيدة البُردة للصحابي الشاعر الكبير – كعب بن زهير – رضي الله عنه ، ولستُ أول من كان له شرف الكتابة على هذه البردة ، بل كانت هناك محاولات عدة نذكر منها ستة على سبيل المثال ، وهو الأمر الذي اتسع إليه علمنا ، وإن دل ذلك على شيء ، فإنما يدل على جمال البردة الأصلية وإبداعها وأهميتها تاريخيا وأدبيا ودعويا ، فقلد صاغ كعب بن زهير – رضي الله تعالى عنه – بردته وأنشدها أمام النبي – صلى الله عليه وسلم ، وكان أن خلع النبي بردته ، وألبسها كعباً بن زهير لتكون علامة على رضاه ويكون في أمان بعد أن أهدر دمه لأنه في جاهليته كان يناوئ دعوة الإسلام ونبي الإسلام بشعره ، وكان أن أهدر النبي – صلى الله عليه وسلم – دمه. نعم ، لقد كان شديد الهجاء للنبي وأصحابه ، فتوعده المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأهدر دمه ، إلا أن يجيء مسلما تائبا ، فلما لم تجرْه القبائلُ عاد فهدى الله تعالى قلبه وأسلم ، وأنشد بردته وأهداه النبي بردته وظلت عنده وفي وأولاده ، حتى بيعت لمعاوية بعشرين ألف درهم ، ثم بيعت للخليفة المنصور العباسي بأربعين ألف درهم ، علي ما تذكر لنا كتبُ السير والتاريخ. يقول كعب بن زهير بن أبي سُلمى – رضي الله تعالى عنه ـ:

بانت سعاد ، فقلبي اليوم متبولُ متيمٌ إثرها ، لم يفد مكبولُ

وما سعادُ غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مَكحول

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لا يشتكي قِصرٌ منها ولا طول

ثم بعد ذلك كتب شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد البوصيري قصيدة على نهجها أسماها (نهج البردة) – وإن كان عليها بعض المآخذ وفيها بعض الزلات - قال في مطلعها:

أمِـــن تـــذكر جيـــران بـــذي ســـلم مزجـــت دمعـــاً جـــرى مِـــن مُقلـــة بـــدم

أم هبـــت الـــريح مِـــن تلقـــاء كاظمـــة وأومـــض البـــرقُ فـــي الظلمـــاء مـــن إِضَـــم

فمـــا لعينيـــكَ ، إن قلـــت: اكفُفـــا ، هَمَتَـــا! ومـــا لقلبـــك إن قلـــت: اســـتفقْ يَهـــم!

أيحســـب الصـــبُّ أن الحـــب منكـــتمٌ مـــا بـــين منســـجم منـــهُ ومضـــطرم؟

ثم كتب أحمد شوقي بردته الشوقية ، متأثراً فيها بالبوصيري ، والتي يقول مطلعها:

ريـــمٌ علـــى القـــاع بـــين البـــان والعلـــم أحـــلَ ســـفك دمـــي فـــي الأشـــهُر الحُـــرُمِ

رمـــى القضـــاءُ بعينـــيْ جـــؤذر أســـداً يـــا ســـاكن القـــاع ، أدركْ ســـاكنَ الأجـــم

لمـــا رمـــى حـــدثتني الـــنفسُ قائلـــة يـــا ويـــح جنبـــك بالســـهم المصـــيب رُمِـــي!

وكان أن ختمها أحمد شوقي بهذا الابتهال الرقيق اللطيف الذي يصف حال الشعوب فقال:

يـــا رب هبـــتْ شـــعوبٌ مـــن منيّتهـــا واســـتيقظتْ أمـــمٌ مـــن رقـــدة العـــدمِ

ســـعدٌ ونحـــسٌ ومُلـــكٌ أنـــت مالكـــه تُـــديلُ مِـــن نعـــم فيـــه ومِـــن نِقَـــم

رأى قضـــاؤكَ فينـــا رأي حكمتـــه أكـــرمْ بوجهـــك مـــن قـــاضٍ ومنـــتقم!

يـــا رب أحســـنتَ بـــدءَ المســـلمين بـــه فـــتمم الفضـــل ، وامـــنحْ حُســـن مختـــتم

ثم كتب الشاعر محمود سامي البارودي بردته البارودية متأثراً كذلك بالبوصيري ، فقال:

محمـــدٌ خـــاتم الرسَّـــل الـــذي خضـــعتْ لـــه البريـــة مـــن عُـــرب ومـــن عجَـــمِ

ســـميرَ وحـــي ، ومَجنـــى حكمـــةٍ ونـــدىً ســـماحة وقِـــرىً عـــافٍ وريٌّ ظَمـــي

قـــد أبلَـــغَ الـــوحيُ عنـــه قبـــل بعثتـــه مســـامعَ الرســـل قـــولاً غيـــرَ منكـــتم

فـــذاك دعـــوة (إبـــراهيم) خالقـــهِ وســـر مـــا قالـــه (عيســـى) مِـــنَ القِـــدَم

ثم كتب الشاعر الأديب علي أحمد باكثير سنة 1352هـ البردة الباكثيرية ، على نهج بردة البوصيري ، وإن كان قد غلب الجانب المشاعري والعاطفي أكثر من سابقيه ، يقول مطلعها:

يـــا نجمـــة الأمـــل المَغْشـــي بـــالألمِ كـــوني دليلـــيَ فـــي مُحلولـــك الظلـــمِ

فـــي ليلـــةٍ مِـــن ليـــالي القـــر حالكـــة صـــخابة بصـــدى الأريـــاح والـــدَّيَم

دجـــيً تتـــالي كـــأمواج المحـــيط بهـــا عقلـــي وقلبـــي وطرفـــي كـــلُّ ذاك عمـــي

ثم يقول علي أحمد باكثير – رحمة الله عليه – في الخاتمة مصلياً على النبي وآله وصحبه:

ثـــم الســـلام علـــى طـــه وعِترتـــهِ وآلـــه قرنـــاء الـــذكر فـــي الحـــرمِ

علـى البتـول ، علـى الكبـرى علـى حسـن علـــى حُســـين ، علـــى أزواجـــه العُصُـــم

واخـــتم بمســـك تحيـــات يفـــوح علـــى محمـــدٍ ، خيـــر مبـــدوءٍ ومختـــتم

مـا أومـض البـرق فـي الظلمـاء مـن إضـم ومـــا عطـــا الـــريم بـــين البـــان والعلـــم

وكتب الشاعر الكبير الأستاذ / على جاد مطر البردة المطرية في سنة 1950م وفي حفل الهجرة ، وإن كان الأستاذ مطر قد عُرف خطيباً مفوهاً وكاتباً نحريراً ، ولكنه بها شاعر ، يقول في مطلعها:

قـــم حـــيّ (أحمـــد) خيـــر الخيـــر كلهـــم زيْـــن الـــورى ضـــارب الأمثـــال فـــي الكـــرمِ

أدى رســـــالته بـــــالحق كاملـــــة وأخـــرج النـــاس مـــن شـــركٍ ومِـــن ظلـــم

ثم يختتمها الشاعر الفذ الجهبذ بهذه الحكمة ، وما أروع حكمه رحمه الله تعالى ـ بقوله:

عـــش ســـاعة مـــن حيـــاة الأسْـــد واحـــدة ولا تعـــش ألـــف عـــام عيشـــة الغَـــنَمِ

وأخيراً كتب الشاعر الشيخ أبو زيد إبراهيم سيد البردة الزيدية والتي يقول في مطلعها:

مـــاذا أقـــول؟ ومـــا يُفضـــي بـــه قلمـــي؟ فـــإنَّ مـــدحك فـــوق الوصـــف والكلـــمِ

لكنهـــا لغـــة العُشـــاق أرســـلها إلـــى الحبيـــب الـــذي نجـــى مـــن الظُلَـــمِ

وختم الشاعر بردته الزيدية بهذا الدعاء الجميل مصلياً على النبي وعترته ، وداعياً لأمته فقال:

يـــا رب صـــلِّ علـــى الهـــادي وعترتـــه خيـــر البريـــة ، خيـــر الخلـــق كلهـــمِ

يـــا رب ، وانصـــر علـــى الأعـــداء أمتنـــا وحـــرر القـــدسَ مِـــن عـــادٍ ومنـــتقم

يـــا رب ، واجعـــل بـــلاد المســـلمين بهـــا كـــل الرخـــاء ، وكـــل الخيـــر والسَّـــلَم

والأصل أنني أترك هذه البردة لتكون محاولة من بعدي لينسج الشعراء على منوالها! لأن المرء يعمل ويخلص وعلى الله القبول. وأي البردات قبلها الله من صاحبها؟ لا يعلم ذلك إلا الله. وأسأل الله قبول بردتي عنده. وفي مقالة للأستاذ محمد المنجد عنوانها: (اترك أثراً قبل الرحيل يقول في خاتمتها ما نصه: (عن أنس – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: «مثل أمتي مثل المطر ، لا يُدرى أوله خير أم أخره». إن مدلولات لفظة المطر أو الغيث كما في بعض ألفاظ الحديث ، تعبر عن مكامن الخير في هذه الأمة ، فالغيث رحمة مهداة من الله تعالى إلى خلقه ، وبه يحيي الله الأرض من بعد موتها. وهكذا تكون همة أهل الخير في كل زمان ، ولسان حال أحدهم: (إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد ، إلى عبادة رب العباد ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة). والغيث يأتي الناس في حال شدة ، وقنوط ، ويأس ، وهذه الأمة الإسلامية أمة خير وعطاء ، أمة لا تيأس ، ولا تلين ، ولا تستكين على مر التاريخ ، ولقد مرت بديار الإسلام في تاريخها الطويل أزمات وأزمات ، وحلت بها بلايا ونكبات ، وزلزلت الأرض زلزالها ، وفي كل مرة تخرج هذه الأمة من مآزق كبرى أصلب عوداً ، وأشد إيماناً ، وفي كل مرة يظن أهل الكيد والمكر أنهم قدروا عليها ، ولكن الله لهم بالمرصاد ، قال تعالى: (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ). ولما سمع الصحابة رضي الله عنهم قول الله تعالى : (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ). وقوله جل وعلا: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) ، فهموا من ذلك أن المراد أن يجتهد كل واحد منهم ، حتى يكون هو السابق لغيره إلى هذه الكرامة ، والمسارع إلى بلوغ هذه الدرجة العالية ، فكان أحدهم إذا رأى من يعمل للآخرة أكثر منه نافسه وحاول اللحاق به ، بل مجاوزته ، فكان تنافسهم في درجات الآخرة ، واستباقهم إليها كما قال تعالى: (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) ، قال النووي - رحمه الله-: قوله (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له). قال ابن القيم - رحمه الله - في معرض حديثه عن فضل العلم: (وقد ذكرنا مائتي دليل على فضل العلم وأهله في كتاب مفرد ، فيا لها من مرتبة ما أعلاها ، ومنقبة ما أجلها وأسناها ، أن يكون المرء في حياته مشغولاً ببعض أشغاله ، أو في قبره وقد صار أشلاء متمزقة وأوصالاً متفرقة وصحف حسناته متزايدة ، تملى فيها الحسنات كل وقت ، وأعمال الخير مهداة إليه من حيث لا يحتسب

، تلك والله المكارم والغنائم ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، وعليه يحسد الحاسدون ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وحقيق بمرتبة هذا شأنها أن تنفق نفائس الأنفاس عليها ويسبق السابقون إليه ، وتوفر إليها الأوقات ، وتتوجه نحوها الطلبات ، فنسأل الله الذي بيده مفاتيح كل خير أن يفتح علينا خزائن رحمته ، ويجعلنا من أهل هذه الصفة بمنِّه وكرمه ، وأصحاب هذه المرتبة يدعون عظماء في ملكوت السماء ، كما قال بعض السلف من عَلِمَ وعَمِلَ وعَلَّمَ فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماء). وعن أبي هريرة (عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول: أنى هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك». وعن أبي هريرة – رضي الله عنه - قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره ، وولداً صالحاً تركه ، ومصحفاً ورثه ، أو مسجداً بناه ، أو بيتاً لابن السبيل بناه ، أو نهراً أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته». «ونشره» هو أعم من التعليم فإنه يشمل التأليف ووقف الكتب. قال السندي - رحمه الله -: جعل نفس العمل في قوله تعالى: (عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) قوله: «ومصحفاً ورثه» من التوريث أي تركه إرثاً وهذا مع ما بعده من قبيل الصدقة الجارية حقيقة أو حكماً فهذا الحديث كالتفصيل انقطع عمله إلا من ثلاث. «ورثه»: أي تركه للورثة ولو ملكاً ، وفي معناه كتب العلوم الشرعية فيكون له ثواب التسبب. «أو مسجداً بناه»: وفي معناه مدرسة العلماء ورباط الصلحاء. «أو بيتاً لابن السبيل»: أي المسافر والغريب. «أو نهراً أجراه»: أي جعله جارياً لينتفع به الخلق. قوله «في صحته وحياته»: أي أخرجها في زمان كمال حاله ، ووفور افتقاره إلى ماله وتمكنه من الانتفاع به. وفيه ترغيب إلى ذلك ليكون أفضل صدقة كما يدل عليه جوابه (لمن قال: أي الصدقة أعظم أجراً؟) فقال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح...» الحديث ، وإلا فكون الصدقة جارية لا يتوقف على ذلك. عن أبي أمامة الباهلي – رضي الله عنه - عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت: مرابط في سبيل الله ، ومن عمل عملاً أُجْرِيَ له مثل ما عمل ، ورجل تصدق بصدقة فأجرها له ما جرت ، ورجل ترك ولدا صالحا فهو يدعو له»).هـ. ولا أدعي لنفسي أن الذي كتبته متأثراً بمطلع بردة البوصيري ، أنه أفضل مِنَ الذي كتبه غيري من الشعراء ، وإنْ هو إلا شرف المحاولة وعاطفة الانفعال للشعر ، نعم تأثرتُ بما كتبوا ، ولكنْ أثر فيَّ أكثر مطلع البوصيري ، وعذوبة أداء كعب بن زهير ، وحكمة الأستاذ على مطر ، وتقسيم أحمد شوقي ، وحماس البارودي ، وإيحاءات علي أحمد باكثير ، وشبابية أبي زيد إبراهيم ، فكتبتُ هذه القصيدة التي أسميتُها: حوار مع القلم ، أو نهج نهج البردة! وأكتفي بهذا في التقديم ، وأشهد الله أني جعلتُ شعري كله من باب (علم ينتفع به) ، ولنتابع قصيدتنا نهج نهج البردة! وأعتذر اعتذاراً بليغاً عن الإطالة ، وأسأل الله أن لا تكون مملة سقيمة لا فائدة فيها!)

أمِـــن تـــذكُرِ مبعـــوثٍ ، وذي ســـلَمِ شـجَّ الجَـوَى مُقلتـي ، وانسـابَ نـهرُ دَمـي؟

فـــي بُـــردةٍ سُـــطِرَتْ مـــن أعصُـــر ســـلفتْ أو (نـهجهـــا) ، نُقشـــتْ فَوَّاحَـــةَ الـــنّغم

مبعـــوثَ خالقنـــا ، هـــذي تحيتنـــا حُبـــاً نقـــدمها ، بالقلـــب والقلـــم

بالحب ننشدها في غير ما ثقل ... للآل قاطبة ، والصحب ذي السَّلَم

روحي فداكَ ، وأولادي وما ملكتْ ... يدي ونفسي ، ومَا سادتْ به رَحِمي

عُذراً ، فقد كُتبتْ بالحزن أحْرفُها ... بالدمع أنشودتي مكروبةَ الرَّنَم

مات البشيرُ ، فلا الدنيا تُعوّضنا ... والنفسُ دامية ، في غاية الألم

كان الرسولُ لهذا الكون كوكبَهُ ... وكان يعطي الضيا إطلالةَ النّجُمِ

وكان - بين الورى - إشراقَهُ ألقًا ... وقد أتى قومَنا بالمنهج اللّقِم

أقام دينَ الهُدى فيهم على عَمَدٍ ... وشيّد الحق في الدنيا على دِعَم

وحقق العدلَ بين القوم أجمعهم ... وأغدق القِسطَ مثل الوابل الرَّذِم

محمدٌ صفوة القيّوم خالقنا ... وجوهرُ الخير في أزواجه العُصُم

ويَعرف الكل أوصافاً له قَرنَتْ ... عند اليهود ، لدى الأحبار والنّهُم

دعا الجميعَ إلى التوحيد محتملاً ... أذى الضَّلال وسُوآي كلِّ مُجتَرِم

أنِ اعبدوا الله رباً واحداً أحَداً ... أحيا البرايا على الدنيا من العدم

ونزِّهُوا اللهَ عن مِثل وعن شَبَهٍ ... دعوا الضلال ، وخلوا رِبْقَةَ الصِّنَم

جل المليكُ ، فلا المخلوقُ يشبهه ... وعز رب الورى الديانُ ذو النِّعم

دعا الرسولُ إلى الإسلام مَن كفروا ... ورسّخ الحق في الدنيا مع القِيَم

وحطم الشركَ ، لا (عُزى) ولا (هُبَلٍ) ... ولا (مَناة) ، فمن يُسلم فيُحتَرَم

ودمَّر الفسق ، لا عُهرٌ ولا طَرقُ ... أتى بدين مَهيب الجاه مُعْتَلِم

وطهَّر البيتَ من أصداء تصديةٍ ... ومِن مُكاءٍ جهير غيرِ مُنْكَتِم

وأدِّبَ الكُفرَ ، فانكدتْ براثنُه ... وأشهر السيفَ صدقاً ، والوطيسُ حَمِي

وحاطه الصحبُ في أجواء ملحمةٍ ... فقاد جمعهمُ مثل السنا التَّمَم

جيشُ الرسول ، له في الحرب مَجلدةٌ ... أكرمْ به من خَمِيس بالغِ العِظَم!

وجاهد الصحبُ كلٌ حسْب طاقته ... رِعاءُ شاةٍ ، وباتوا سادةَ الأمم

على البِطاح أسودٌ في إغارتهم ... ليوثٌ حرب على الأعداء كالحُمَمِ

رهُبانُ ليل ، ففي المحراب أدمعُهم ... وفي النهار كمثل القاصل العَرِم

تعلم الصحبُ من أخلاق أسوتهم ... تقوى الإله وطيبَ القول والشِّيَم

لا يستوي مَن رسولُ الله أسوتُهُ ... ومَن له أسوة في الدود والحَلَم!

أقام صرحَ التَّقى المختارُ قدوتُنا ... وأنقذ الناسَ مِن مستنقع الإزَم

واليومَ غابتْ عن الأقوام دولتُهُ ... من الوجود ، فحلتْ لعنةَ النِّقَم

كذاك غابتْ عن الآفاق شِرْعتُه ... فاستفحل الشرُ في تدميره العَمَم

وعاث في الأرض جبارٌ ومجتريءٌ ... وزال مَن كان يرعى بَيْضَةَ الحُرَم

دمُ الحنيفة في الأرحاب مُنسكبٌ ... وصَبّ جامَ المنايا خائنو الذِمَم

تجندل الحقَّ في الأشلاء منتحراً ... يبكي على أهله بالوصفِ والكَلِم

أهلُ الصليب على أفراحهم سهروا ... وفِرقةَ الحق ماتت في دُجى الظّلَم

وأصبح الحق في القرطاس مُنطرحاً ... على الرفوف ، كمثل الصخر والأكَم

وجاهرَ القومُ بالتضليل خالقَهم ... يحيا الجميعُ على الإفلاس في نَهَم

فلا فضيلةَ في أجوائهم ظهرتْ ... ولا عفافَ سوى التدجيلِ في النّظَم

ولا حياءَ ، ولا طُهرًا يُتوّجهم ... كلا ، وعيشُ البرايا داكنُ السُّدُم

ومَن يُذكرُ بالرحمن مُضطهَدٌ ... ومَن يُعربدُ بين الخلق كالعلَم

ومَن يقولُ (كفى) تلقاه منتحراً ... بمِشفر المفتري ، ثم الرقيبُ عَمِي

وغَيِّبَ الهَديُ في القرطاس مبتئساً ... كالبحر أطّ بأمواج له بُهُم

ومنتهى الجِدِّ راياتٌ له رُفعتْ ... لا يعبأ اللهُ بالأشكالِ والسِّيَم

إن ادعاءَ الهُدى أمرٌ له ثمنٌ ... ومَن أحب جنانَ الله لم يَنَمِ

تساقطَ العِلمُ في الدينار مكتفياً ... وبِيعَ للمشتهي ، كالشاء والنّعَم

قـد اشـتراه الهـوى مِـن أهلـه ، فرضُـوا ... وطَـوِّع العلـمُ ، مثـل العبـدِ والخـدم

تُعِلِّـمَ العلـمُ للـدنيا ، فصـار لهـا ... مَطيـة رُكبَـتْ ، كالنعـل فـي القَّـدَم

ويـحَ الـدُّعاةِ ، ففـي تطـويعهم رتعـوا ... لا تحسـبوه لكـم شـيئاً مِـنَ اللّمَـم

وتُقْـرأ الآي فـي فحـوى مُناسـبةٍ ... كأنمـا تُلِيَـتْ فـي جَوْقـةِ العَجَـم

لا يفهـم القـومُ إلا مـا يُمّـتِّعُهم ... علـى البُطـون تـراهم واسـعي الكَـرَم

عـنِ الكتـاب أيـادِ القـوم قـد حُسِـرتْ ... فـلا تعلّـمَ ، لكـنْ عيشـةَ الغَـنَم

كـم غافـلٍ ضـلّ عـن هَـدي يُزيِّنُـهُ ... يـرى الفلـوسَ ، كمثـل المَنهْـلِ الشَّـبِمِ!

ثـم النسـاء ، فحـدّثْ ثـم لا حـرجٌ ... تبـرجٌ ، وسـفورٌ ، دونمـا نـدم

أنّـى اتجهـتَ تـرى عُريـاً يمـوجُ هَـوىً ... والعطـرُ منتشـرٌ فـي عـالم النّسَـم

ذاتُ الحجـاب (علـى الموضـات) حِشـمتُها ... بـالأمس عِفتهـا فـي ذِروة القِمَـم

واليـوم يعبـثُ فـي تفكيرهـا حُمُـرٌ ... رهـن المسـير علـى الأريـاحِ والـدِّيَم

تُطِيـع مَـن كفـروا ، كأنهـا أمَـة ... وإن بـدا الحـق تشـكو وطـأةَ الصَّـمَم

يُزخرفـون لهـا هـزلاً تتـوق لـه ... كـذاك قـد دفعـوا بالسُّـم فـي الدَّسَـم

تعـدّد الزيـفُ ، والتوحيـدُ مـا حقـه ... يومـاً ستسـحقه إرهاصـة القُحَـم

ثـم الشـبابُ لـه الأكفـانُ قـد نُسِـجَتْ ... يغشـى الكبـائرَ ، يحيـا فـي لَظَـى الجُـرُم

مَـن كـان ينشـر وحْـيَ الله مجتهـداً ... علـى الأنـام ، ويُزكِـي نفحـةَ الـرُحَم

اليـوم جـاثٍ علـى أعتـاب غانيـةٍ ... يـؤزّه العِشـقُ للغـاداتِ فـي ضَـرَمِ

حتـى المناسـكُ ، هـذا الجيـلُ ضـيَّعَها ... كأنمـا جيلنـا فـي رقـدة الـرَجَم

فـلا صـلاةٌ ، ولا ذكـرٌ ، ولا خُلُـقٌ ... واليـومَ صـامَ الـورى ، والجيـلُ لـم يَصُـم

تغيَّـرَ الحـالُ ، أمسـى الليـثُ ضـفدعة ... وأمَّـةُ الحـق غاصـتْ فـي دُجـى السَّـأم

وعنـدها الحـقُ ، لكـن لا يطيـبُ لهـا ... ترمـي الـدواء ، وتشـكو ثقلـة السَّـقَمِ

أرضٌ تضِـــيعُ ، وأركـــانٌ مُضـــيعة والــذل عــمَّ ، وضــاعتْ نخــوة الشَّــمَم

يـــا أمـــةَ صُـــبغتْ بالضـــنك هيبتُهـــا إذ أوغلـــتْ ســـيرَها فـــي كُـــدرةِ الغَمَـــم

تبختـــرَ الجَـــورُ فـــي أرجائهـــا فرحـــاً ليقمـــعَ العـــدلَ بالتســـفيه والـــوَغَم

وينطـقُ الزيـفُ فـي الأرحـاب دون حيـا وعُصـبةَ الحـق قاسـت شـدة الـبَكَم

طـــال الرقـــادُ ، ووحـــيُ الله موقظَنـــا والفجـــرُ آتٍ يُجَلّـــي دلْجَـــةَ السَّـــخَم

وصـــل ربِّ علـــى المختـــارِ أســـوتِنا والتـــابعين مِـــنَ الأعـــرابِ والعَجَـــم

"بعض معانى الكلمات غير المطروقة في زماننا"

الأحبار والنهم: جمع نُهام هو الراهب في الدير. الرنم: أي الترنم. الإزم: أي الأزمات. أزواجه العُصُم: الكريمات المعصومات والواحدة عصماء. دعم: دعائم. أمواجه البهم: أي الأمواج السود. الجُعلان والحَلم: جمع حلمة وهي دويبة تأكل الجلد. المنهج اللقم: أي المستقيم الذي لا اعوجاج فيه. السخم: السواد. الوغم: الحقد. الوابل الرذم: أي المطر الثجاج المنصبّ بكثرة كاثرة. الشمم: الإباء. الرجم: القبر. الرحم: جمع رحمة. العرم: الشدة. مجترم: أي مجرم. القحم: جمع قحمة وهي الأمر الشاق العسير. الشبم: البارد. الجرم: جمع جُرم. الوهَم: أي الوهْم. غمم: جمع غمام. معتلم: أي ذو معالم وإشارات.

نهجُ العمرية (معارضة لعمرية حافظ إبراهيم)

(الفاروق عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – مهما كتب عنه الكاتبون ، وحلل شخصيته المحللون ، فسوف يبقى كلام كثير ما كُتب وما ذكر عنه! فمن هو عمر لمن لا يعلم عنه؟ وما مواقفه الخالدة؟ ولماذا كان له كل هذا الاهتمام قديماً وحديثاً؟ جاء في موسوعة شهر رمضان - موقع أم الكتاب في التعريف بعمر ما نصه: (هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قرط القرشي العدوي ، وكنيته أبو حفص ، ولقبه الفاروق. ولد رضي الله عنه بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة. وكان من أشراف قريش في الجاهلية ، والمتحدث الرسمي باسمهم مع القبائل الأخرى. لما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ، كان عمر شديداً عليه وعلى المسلمين ، ثم كتب الله له الهداية ، فأسلم على يد النبي صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم ، في ذي الحجة سنة ست من البعثة ، بعد إسلام حمزة رضي الله عنه بثلاثة أيام. وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا: «اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك: عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام - يعني أبا جهل». وخلاصة الروايات مع الجمع بينها - في إسلامه رضي الله عنه أنه التجأ ليلة إلى المبيت خارج بيته فجاء إلى الحرم ، ودخل في ستر الكعبة ، والنبي صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ، وقد استفتح سورة « الحاقة » ، فجعل عمر يستمع إلى القرآن ، ويُعجب من نصه ، قال: فقلت - أي في نفسي - هذا والله شاعر كما قالت قريش ، قال: فقرأ: (إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون) قال: قلت: كاهن. قال: (ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون تنزيل من رب العالمين) إلى آخر السورة! قال: فوقع الإسلام في قلبي. كان هذا أول وقوع نواة الإسلام في قلبه ، لكن كانت قشرة النزعات الجاهلية ، والعصبية التقليدية والتعاظم بدين الآباء هي غالبة على مخ الحقيقة التي كان يتهامس بها قلبه ، فبقي مُجذّاً في عمله ضد الإسلام ، غير مكترث بالشعور الذي يكمن وراء هذه القشرة. وكان من حِدة طبعه وفرط عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه خرج يوماً متوشحاً سيفه ، يريد القضاء على النبي صلى الله عليه وسلم ، فلقيه نعيم بن عبدالله النحام العدوي ، أو رجل من بني زهرة ، أو رجل من بني مخزوم ، فقال: أين تعمد يا عمر؟ قال: أريد أن أقتل محمداً. قال: كيف تأمن من بني هاشم ومن بني زهرة وقد قتلت محمداً؟ فقال له عمر: ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذي كنت عليه ، قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر! إن أختك وختنك قد صبوا وتركاً دينك الذي أنت عليه ، فمشى عمر حتى أتاهما وعندهما خباب بن الأرَتّ ومعه صحيفه فيها (طه) يقرئهما إياها - وكان يختلف إليهما ويقرئهما القرآن! فلما سمع خباب صوت عمر توارى في البيت ، وسترت فاطمة - أخت عمر - الصحيفة ، وكان قد سمع عمر حين دنا من البيت قراءة خباب إليهما ، فلما دخل عليهما قال: ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم؟ فقالا: ما عدا حديثا تحدثناه بيننا. قال: فلعلكما قد صبوتما. فقال له ختنه: يا عمر أرأيت إن كان الحق في غير دينك؟ فوثب عمر على ختنه فوطئه وطأ شديداً. فجاءت أخته فرفعته عن زوجها ، فنفحها نفحة بيده ، فدميَ وجهُها - وفي رواية ابن إسحاق أنه ضربها فشجها - فقالت - وهي غضبى -: يا عمر إن كان الحق في غير دينك ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله. فلما يئس عمر ، ورأى ما بأخته من الدم ندم واستحى ، وقال: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرأه! فقالت أخته: إنك رجس ، ولا يمسه إلا المطهرون ، فقم فاغتسل فقام فاغتسل ، ثم أخذ الكتاب ، فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال: أسماء طيبة طاهرة. ثم قرأ: (طه .... حتى انتهى إلى قوله: (إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى). فقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! دُلوني على محمد. فلما سمع خبّاب قولة عمر خرج من البيت ، فقال: أبشر يا عمر ، فإني أرجو أن تكون دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لك ليلة الخميس (اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل

بن هشام). ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الدار التي في أصل الصفا. فأخذ عمر سيفه ، فتوشحه ، ثم انطلق حتى أتى الدار ، فضرب الباب ، فقام رجل ينظر من خلل الباب فرآه متوشحاً السيف ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستجمع القوم ، فقال لهم حمزة: ما لكم؟ قالوا: عمر ، فقال: عمر ، افتحوا له الباب ، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له ، وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم داخل يوحَى إليه ، فخرج إلى عمر حتى لقيه في الحجرة ، فأخذه بمجامع ثوبه وحمائل السيف ، ثم جبذه جبذة شديدة فقال: أما أنت منتهٍ يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما نزل بالوليد بن المغيرة؟ اللهم! هذا عمر بن الخطاب ، اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله. وأسلم فكبّر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد. كان عمر رضي الله عنه ذا شكيمة لا ترام ، وقد أثار إسلامه ضجة بين المشركين بالذلة ، والهوان ، وكسا المسلمين عزة وشرفاً وسروراً. روى ابن إسحاق بسنده عن عمر قال : لما أسلمتُ تذكرتُ أهل مكة ، فقلتُ: من أشد الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة ، قال: قلتُ: أبو جهل! فأتيتُ حتى ضربتُ عليه بابه فخرج إليّ ، وقال أهلاً وسهلاً ، ما جاء بك؟ قال: جئتُ لأخبرك أني قد آمنتُ بالله وبرسوله محمد ، وصدّقتُ بما جاء به. قال فضرب الباب في وجهي ، وقال: قبّحك الله ، وقبّح ما جئت به. وبعد أن أسلم عمر استشار النبي صلى الله عليه وسلم في أن يخرج المسلمون ويعلنوا إسلامهم في المسجد الحرام فأذن له ، وخرج المسلمون ـ وهم يومئذ أربعون رجلاً ـ في صفين ، يتقدم أحدهما حمزة بن عبد المطلب ويتقدم الثاني عمر بن الخطاب ، وسماه النبي صلى الله عليه وسلم يومئذٍ بالفاروق. عن أيوب بن موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ، وهو الفاروق ، فرّق الله به بين الحق والباطل». وبإسلامه رضي الله عنه قويتْ شوكة المسلمين وأعلنوا بإيمانهم ، عن عبد الله بن مسعود قال: «كان إسلام عمر فتحاً ، وكانت هجرته نصراً ، وكانت إمارته رحمة. ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي في البيت حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا». وعندما جاء الأمر بالهجرة إلى المدينة هاجر عمر ، وتعمد أن يهاجر في العلن ليغيظ الكفار ، فطاف بالبيت سبعاً ، ثم أتى المقام فصلى متمكناً ، ثم وقف في كامل سلاحه ، وقال للمشركين: شاهت الوجوه ، لا يُرغِم الله إلا هذه المعاطس ـ أي الأنوف ـ من أراد أن تثكله أمه ، ويوتم ولده ويرمل زوجته ، فليلقني وراء هذا الوادي. فما تبعه أحد. شهد عمر بن الخطاب جميع الغزوات مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان من أقرب الناس إلى قلبه ، عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل ، ووزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر» . وقال: «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب». وعمر هو أحد المبشرين بالجنة ، وهو أبو حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها. وكثيراً ما نزل القرآن الكريم موافقاً لآراء عمر ، عن عبد الله بن عمر قال: «ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه ، وقال فيه عمر ـ أو قال ابن الخطاب ـ إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر». اشتهر رضي الله عنه بالزهد ، وسعة العلم ، والجرأة في الحق! وبعدما تولى الخلافة صار مضرب المثل في العدل في زمانه وإلى يوم الناس هذا. عن ابن عباس قال: أكثروا من ذكر عمر ، فإنكم إذا ذكرتموه ذكرتم العدل ، وإذا ذكرتم العدل ذكرتم الله تبارك وتعالى. تولى عمر خلافة المسلمين بعد وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وذلك في السنة الثالثة عشر من الهجرة ، ودامت خلافته عشر سنوات وستة أشهر وخمس ليال. وفي عهده أصبحت دولة الإسلام الدولة العظمى الأولى في العالم ، حيث تمت الفتوحات التي بدأتْ في عهد أبي بكر رضي الله عنه ، وكسرتْ شوكة الروم ، وزالت دولة الفرس نهائياً من الوجود ؛ ففتح العراق ، والشام ، ومصر ، والجزيرة ، وديار بكر ، وأرمينية ، وأرانية ، وبلاد الجبال ، وبلاد فارس وخوزستان ، وغيرها. وأدرّ عمر العطاء على الناس ، وجعل

نفسه بمنزلة الأجير وكآحاد المسلمين في بيت المال. وكان عمر بن الخطاب أعسر أيسر: يعمل بيديه ، وكان أصلع طويلاً ، أبيض البشرة ، إلا أن لون بشرته تغير عام الرمادة ـ عام الشدة والقحط ـ لأنه أكثر من أكل الزيت ، وحرّم على نفسه السمن واللبن حتى يخصب الناس وتنصلح أحوالهم ؛ فتغير لونه لذلك. وهو أول من سُمي بأمير المؤمنين ، وأول من اتخذ التاريخ الهجري ، وأول من جمع الناس على قيام رمضان ، وأول من دوّن الدواوين في الدولة الإسلامية. استشهد رضي الله عنه بعد أن طعن يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، طعنه أبو لؤلؤة المجوسي وهو يصلي بالناس ، وقال عمر حين عرف شخصية قاتله: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي على يد رجل يدعي الإسلام! ومكث ثلاثاً ، ثم دفن يوم الأحد صباح هلال المحرم سنة أربع وعشرين ، بجوار قبري النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصاحبه أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ).هـ. ألا إن رجلاً بوزن عمر لحريٌ بأن تقصّد فيه القصائد ويُخص بالشعر! وبالفعل كانت في عمر قديماً وحديثاً قصائد شتى ، كان من بينها: (عمرية حافظ إبراهيم) ، والتي تصفحتها ودرستها مراراً وتكراراً! ووجدت أن حافظاً أشار في بيتٍ واحد فقط لهذا الفضل العمري والرؤية الفاروقية العظيمة. أعني موافقة عمر لآي القرآن الكريم! فأمسكت قلم الشعر معارضاً لحافظ لأدلي بدلوي في أداء بعض حق عمر عليّ. وشجعني على ذلك ما أورده الإمام السيوطي – رحمه الله – في مصنفه: (تاريخ الخلفاء) ، وهو يحكي عن هذا الأمر وهو يُفرد له باباً مستقلاً عند ترجمته لعمر الفاروق اسمه: (موافقات عمر) ، ورصد السيوطي حوالي 21 موافقة عمرية للقرآن الكريم. وبقطع النظر عن مدى صحة هذه الروايات ومُتونها وأسانيدها ، فتلك لأهل التخريج والرجال والمتون والحديث ، إلا أن هناك قاسماً مشتركاً ومبدأ ثابتاً وفكرة مقطوعاً بصحتها وهي أن عمر كان يوافق آيات القرآن ويتوقعها قبل نزولها على النبي – صلى الله عليه وسلم ـ. وإنها لتدل دلالة حقيقية على عقلية عمر وبصيرته التي كانت ترى بنور الله – تعالى – وتدرك أسرار التشريع الرباني على منهجية الكتاب والسنة وليس على تخرّص أهل التصوف ودجلهم وزيغهم وضلالهم. قال الإمام السيوطي في (تاريخ الخلفاء) – فصل موافقات عمر – رضي الله عنه – ما نصه: (قد أوصلها بعضهم إلى أكثر من عشرين ، فأخرج ابن مردويه عن مجاهد قال: كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن. وأخرج ابن عساكر عن علي قال: إن في القرآن لرأياً من رأى عمر. وأخرج عن ابن عمر مرفوعا قال: ما كان الناس في شيء وقال فيه عمر إلا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر. وأخرج الشيخان عن عمر قال: وافقتُ ربي في ثلاث: قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) ، وقلت: يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن يحتجبن! فنزلت آية الحجاب ، واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الغيرة ، فقلتُ: عسى ربه إن طلقكن أن يُبْدله أزواجاً خيراً منكن فنزلت كذلك! وأخرج مسلم عن عمر قال: وافقتُ ربي في ثلاث في الحجاب وفي أسارى بدر وفي مقام إبراهيم ففي هذا الحديث خصلة رابعة. وفي التهذيب للنووي نزل القرآن بموافقته في أسرى بدر وفي الحجاب وفي مقام إبراهيم وفي تحريم الخمر فزاد خصلة خامسة ، وحديثها في السنن ومستدرك الحاكم أنه قال: اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً ، فأنزل الله تحريمها! وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن أنس قال: قال عمر: وافقت ربي في أربع نزلت: هذه الآية ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين الآية ، فلما نزلت قلت أنا: فتبارك الله حسن الخالقين ، فنزلت فتبارك الله أحسن الخالقين ، فزاد في هذا الحديث خصلة سادسة! وللحديث طريق آخر عن ابن عباس أوردته في التفسير المسند ثم رأيت في كتاب فضائل الإمامين لأبي عبد الله الشيباني قال: وافق عمر ربه في أحد وعشرين موضعاً فذكر هذه الستة وزاد سابعاً قصة عبد الله ابن أبي! قلت حديثها في الصحيح عنه قال لما توفي عبد الله بن أبي دعي رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم

للصلاة عليه ، فقام إليه فقمت حتى وقفت في صدره ، فقلت: يا رسول الله أوَتصلي على عدو الله ابن أبَي القائل يوم كذا كذا؟ فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت: ولا تصل على أحد منهم مات أبداً الآية! وثامنا يسألونك عن الخمر الآية! وتاسعاً يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة الآية ، قلت: هما مع آية المائدة خصلة واحدة والثلاثة في الحديث السابق! وعاشراً لما أكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاستغفار لقوم قال عمر سواء عليهم ، فأنزل الله: سواء عليهم استغفرت لهم الآية! قلت أخرجه الطبراني عن ابن عباس! الحادي عشر لما استشار صلى الله عليه وسلم الصحابة في الخروج إلى بدر ، أشار عمر بالخروج ، فنزلتْ: كما أخرجك ربك من بيتك بالحق الآية! الثاني عشر لما استشار الصحابة في قصة الإفك قال عمر: من زوّجكها يا رسول الله؟ قال: الله. قال: أفتظن أن ربك دلس عليك فيها؟ سبحانك هذا بهتان عظيم! فنزلت كذلك! الثالث عشر قصته في الصيام لما جامع زوجته بعد الانتباه ، وكان ذلك محرّماً في أول الإسلام ، فنزل: أحِل لكم ليلة الصيام الآية ، قلت أخرجه أحمد في مسنده! الرابع عشر قوله تعالى: من كان عدواً لجبريل الآية ، قلت أخرجه ابن جرير وغيره من طرق عديدة وأقر بها للموافقة ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن يهودياً لقي عمر فقال: إن جبريل الذي يذكره صاحبكم عدوٌ لنا. فقال له عمر: من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ، فنزلت على لسان عمر! الخامس عشر قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون الآية ، قلت: أخرج قصتها ابن أبي حاتم وابن مرديه عن أبي الأسود قال: اختصم رجلان إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقضى بينهما. فقال الذي قضى عليه: رُدّنا إلى عمر بن الخطاب ، فأتيا إليه فقال الرجل: قضى لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على هذا ، فقال ردنا إلى عمر! فقال أكذاك؟ قال: نعم. فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكم فخرج إليهما مشتملاً على سيفه ، فضرب الذي قال ردنا إلى عمر فقتله وأدبر الآخر فقال: يا رسول الله قتل عمر والله صاحبي! فقال – صلى الله عليه وسلم - ما كنتُ أظن أن يجترئ عمر على قتل مؤمن! فأنزل الله: فلا وربك لا يؤمنون الآية ، فأهدِر دم الرجل وبرئ عمر من قتله! وله شاهد موصول أوردته في التفسير المسند. السادس عشر الاستئذان في الدخول وذلك أنه دخل عليه غلامُه وكان نائماً ، فقال اللهم حرم الدخول فنزلت آية الاستئذان. السابع عشر قوله في اليهود إنهم قوم بُهت. الثامن عشر قوله تعالى: ثلة من الأولين وثلة من الآخرين ، قلت: أخرج قصتها ابن عساكر في تاريخه عن جابر بن عبد الله ، وهي في أسباب النزول. التاسع عشر رفع تلاوة والشيخ والشيخة إذا زنيا الآية. العشرون قوله يوم أحُد لما قال أبو سفيان أفي القوم فلان لا نجيبنه فوافقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قلت أخرج قصته أحمد في مسنده. قال ويضم إلى هذا ما أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الردّ على الجهمية من طريق ابن شهاب عن سالم بن عبد الله أن كعب الأحبار قال: ويلٌ لمَلِك الأرض من مَلِك السماء! فقال عمر: إلا من حاسب نفسه ، فقال كعب: والذي نفسي بيده إنها في التوراة لتابعتها ، فخر عمر ساجداً! ثم رأيت في الكامل لابن عدي من طريق عبد الله بن نافع وهو ضعيف عن أبيه عن عمر أن بلالاً كان يقول: إذا أذن أشهد أن لا إله إلا الله ، حي على الصلاة! فقال له عمر: قل في أثرها أشهد أن محمداً رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل كما قال عمر).هـ. رحم الله السيوطي ، وأخرج الطبراني عن سُديسة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم إلا خر لوجهه. وأخرجه الدارقطنى في الأفراد من طريق سُديسة عن حفصة وأخرج الطبراني عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال لي جبريل: ليبكِ الإسلامُ على موت عمر! وأخرج الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أبغض عمر فقد أبغضني ، ومن أحب عمر فقد أحبني ، وإن الله باهي بالناس عشية عرفة عامة وباهى بعمر خاصة وإنه لم يبعث الله نبيا إلا كان في أمته محدّث ، وإن يكن في أمتي

منهم أحد فهو عمر! قالوا يا رسول الله: كيف محدث؟ قال: تتكلم الملائكة على لسانه! إسنادُه حسن. والآن لنقرأ قصيدتنا عن الصحابي الفذ الملهم عمر بن الخطاب!)

حسبُ اللآلي ، وحسبي حين أحكِيها ... أني – إلى سِيرة الفاروق - أهديها

سهرتُ ليلِي أجلي حُسنَ زبدتها ... وأرسلُ الشعر نجماً في لياليها

وأجعلُ النور ديباجاً يُجمّلها ... يُشع - كالبدر - في أعتى دياجيها

وأبعث النغمَ الحانيْ يُزخرفها ... وأرسلُ الوزن محبوراً يُحَليها

وأستعيرُ - من الإبداع - عاطرهُ ... لأجعل الشعر عذباً ينثني تيها

وأستحث نجوم الليل مقترضاً ... منها السُمُوّ رطيباً في أعاليها

وأستجيشُ طيوفاً ريحُها عبقٌ ... حتى أرى الشعر فواحاً يُسليها

وأستكينُ لربي داعياً دمِعاً ... حتى يُعين على ما أنتوي فيها

وأستعينُ كتابَ الله محتسباً ... على القصيدة ملتاعاً ، فأحكيها

وأستفيد من الأفذاذ صفوتنا ... من صاغة الشعر كي تصفوْ قوافيها

مِن الذين – لوجه الله - قد كتبوا ... فنزهّوا قِبلة الأشعار تنزيها

فلم يبيعوا لطاغوتٍ مشاعرهم ... لكنْ لرب الورى ، فاللهُ شاريها

ولم يبيعوا لدينار عواطفهم ... عفتْ نفوسُهمُ ، فالشعرُ حاديها

ولم يُعرّوا – عن التقوى - قريضهمُ ... لكي يُشوَهَ – ساء العري – تشويها!

ما نوّهوا قط للسوآى بقافيةٍ ... لكي تسوء ، وخاب السوءُ تنويها

لم يهبطوا مثلما الفسّاقُ قد هبطوا! ... دنيا الهبوط حضيضٌ ، خاب راجيها

ولم يشيروا إلى أهداب غانيةٍ ... تلك البضاعة – صدقاً – ضلّ باغيها

ولم يخطوا نفاقاً ظِل ملحمةٍ! ... إن النفاق يُذلّ النفسَ يكويها

إني أخصُ أبا حفص بما رسمتْ ... هذي اليراعة من أشعار حاديها

خليفة عمّتِ الدنيا خِلافته ... شاد العدالة في أرقى مبانيها

ومـــن أقـــام – علـــى التقـــوى - معالمَهـــا ورسّـــخ العـــز يســـمو فـــي مغانيهـــا

وصـــفّ جنـــدَ الهُـــدى فـــي كـــل باديـــةٍ حتـــى تعـيش – علـــى التقـــوى - بواديهـــا

ومـــــن أذلّ طغـــــاة الأرض قاطبـــــة والـــدارُ تشـــهدُ ، قاصـــيها ودانيهـــا

ومـــن تســـلق مجـــد الحـــق فـــي ثقـــةٍ وعـــزة الـــنفس قـــد عـــزتْ مراميهـــا

ومـــن تقـــوّى بـــه الإســـلام فـــي زمـــن تحكّـــمَ الكفـــرُ فـــي الـــدنيا وأهليهـــا

ومـــــن يوافـــــقُ قرآنـــــاً لحكمتـــــه! هـــي الفراســـة فـــي أســـمى معانيهـــا

فتنـــــزل الآيُ فـــــي تـــــوٍّ موافقـــــة مـــا قالـــه (عمـــرٌ) ، أكـــرمْ بتاليهـــا!

يقـــول: قـــد نزلـــتْ كمـــا رأى (عمـــرٌ) فيســـتجيبُ لهـــا الفـــاروقُ تنزيهـــا

جـــوارحٌ بـــارك الـــرحمنُ نظرتهـــا ودوحـــة العلـــم ، والفـــاروق راويهـــا

حتـــى إذا طرحـــتْ ثمارهـــا ابتهلـــتْ وإنمـــا (عمـــر الفـــاروق) جانيهـــا

هل لك سر عند الله؟ (معارضة لعجلان ثابت)

(أحد الأصحاب كثير فعل الخير وتقديم صنائع المعروف! والذي يحير في الأمر أن هذه الصنائع كانت طريقاً له للخروج من الأزمات والنكبات سالماً غانماً ، فأردتُ أن أحييه شعراً فتساءلتُ: ما سر هذا العبد مع ربه؟ ووقع اختياري على معارضة الشاعر اليمني الكبير عجلان ثابت في قصيدته بنفس عنوانها!)

أخبرْنـــــــي يـــــا عبـــــدَ اللهْ ... عـــــن عبـــــدٍ يَعبـــــدُ مَـــــولاه!

عـــــن بَـــــذل العبـــــد وطاعتـــــه ... وتفـــــرّده فـــــي تقـــــواه

عـــــن يُمنـــــاه ومـــــاذا أعطـــــتْ ... مـــــا لا تعلمُـــــهُ يُســـــراه!

عـــــن دعـــــوات الليـــــل دَعاهـــــا ... والمَـــــولى يَســـــتمعُ دُعـــــاه

شـــــفعَ توســـــله بـــــدموع ... ولـــــذا خالقـــــه لبّـــــاه!

عـــــن دنيـــــا طلـــــقَ زخرفهـــــا ... أفلـــــحَ مَـــــن طلـــــق دنيـــــاه!

عـــــن أيتـــــام لـــــم يَقهـــــرْهم ... بـــــل مســـــحَ الشَـــــعرَ بيُمنـــــاه

وتفقـــــدهم ، وتعهـــــدهم! ... كـــــم رق لهـــــم يرجـــــو الله!

عـــــن جيـــــران لـــــم يهضـــــمْهم ... حقـــــاً بالكـــــاد أو الجـــــاه!

عـــــن أرحـــــام لـــــم يقطعهـــــا ... كـــــي ترضـــــى عنـــــهُ (لـــــيلاه)!

عـــــن حُرُمـــــاتٍ لـــــم يَقربْهـــــا ... باســـــم الهـــــزل أو الملهـــــاة!

مـــــا بـــــاع القـــــرآن لقـــــوم ... هـــــم شـــــر أنـــــاس وعُتـــــاة!

كـــــم كلمـــــة حـــــق جـــــادَ بهـــــا ... للهلكـــــى يلـــــتمسُ نجـــــاة!

كـــــم لهُـــــدى الله دعـــــا قومـــــاً ... لـــــم يـــــكُ مُرتزقـــــاً بهُـــــداه!

كـــــم أخلـــــصَ فـــــي النصـــــح ووفـــــى ... كـــــي يُـــــوقظ بالنصـــــح غفـــــاة!

كـــــم بـــــالوعظ هـــــدى أفئـــــدة ... لتُحقـــــق مـــــا تتمنـــــاه!

وابتُلِـــــيَ المســـــكينُ كثيـــــراً ... لـــــم تخـــــرجْ مِـــــن فمـــــه الآه!

بـــــل جالـــــدَ مـــــا يلقـــــى رجُـــــلاً ... لـــــم يَحرقـــــهُ لظـــــى المَأســـــاة

منتصـــــــراً عـــــاش فلـــــم يُهـــــزمْ أو يَـــــــذكرْ للنـــــــاس شـــــــكاة!

واستحضـــــــــرَ أخـــــــراه مِـــــــراراً والقبـــــرَ ، وقـــــد عـــــمّ دُجـــــاه!

والمَلكـــــــــين ســـــــريعاً أتيـــــــا ولكـــــــلٍ صـــــــوتٌ وصـــــــداه!

مَـــــن ربـــــك؟ أفصِـــــحْ وتعقـــــلْ! هـــــل ســـــيُجيب العبـــــدُ: الله؟!

مـــــا دينـــــك؟ قـــــلْ! أنقـــــذ نفســـــكْ! فلتنطـــــــق بـــــــالحق شِـــــفاه!

هـــــل ســـــيقول: الفطـــــرة دينـــــي! عشـــــتُ بإســـــلامي وهـــــداه!

مـــــا قولـــــك فـــــي رجـــــل فـــــيكم بُعِـــــث ، وشـــــهد القـــــومُ ســـــناه؟!

هـــــل ســـــيقول: فـــــذا (أحمـــــدُنا) بـــــالحق أتـــــى مِـــــن مَـــــولاه!

وجـــــوابُ الأســـــئلة ســـــيُنجي فـــــي حـــــال تُخشـــــى عُقبـــــاه

هـــــل عمـــــلُ الخيـــــر سيســـــعفه؟ هـــــل ســـــترى فرجـــــاً عينـــــاه؟!

منتصـــــــراً ســـــــيُوافي الأخـــــــرى مثـــــــلَ العاجلـــــــة بتقـــــــواه!

وفقـــــــــــه الله وأيـــــــــــدَهُ وجنـــــــانَ الفـــــــردوس حَبـــــــاه!

إنْ هم إلا كالأنعام (معارضة لشوقي: خدعوها بقولهم حسناء!)

(الإعراض عن العلم والتعلم يُفضي إلى الضياع ومخالفة أوامر الله! وهو أكبر وأعظم في جانب النساء ، وخاصة المتعلمات منهن للأسف! يقول الأستاذ حمدي شفيق في كتابه (شبهات حول المسلمات) ما نصه: (لقد أثارتْ حِدَّة الحملات الرعبُ الشديد الذي عصف بالخصوم ؛ بسبب تزايد معدلات انتشار الإسلام في كل أنحاء العالم ، حتى في قلب أوروبا وأمريكا. ولأن معظم الذين يعتنقون الإسلام هم من النساء يحاول الحاقدون بكل قواهم تخويفهن من الدين الحنيف بنشر سيول من الأكاذيب والشبهات حول مكانة المرأة في الإسلام. ولا يقتصر التطاول على الإعلام الغربي وحده ، إذ يساندهم في ذلك فئة قليلة ضالَّة من العلمانيين والمُلحدين في بلادنا. وكل مَن جَرَّبَ التحاوُر مع أحد من العلمانيين أو غير المسلمين يعلم جيّدًا أن من أخطر الشبهات التي يثيرونها تلك التي تزعم أن الإسلام ينتقص من حقوق المرأة ويجعلها مخلوقًا من الدرجة الثانية إلى آخر هذه الافتراءات. إن هناك مَن سقطوا في فخ التشكيك في بعض الأحاديث الشريفة أو تحريف معانيها لاستنباط نتائج تُرضى الغرب ، ظنًّا منهم أن تفريغ النص من محتواه كفيل بالقضاء على الشُبهة وحل المشكلة وإرضاء الأسياد! وهناك من أصدروا فتاوى خطيرة تخالف نصوصاً قطعية في الكتاب والسُنّة! ومنهم رجل من العلماء – غفر الله له – أفتى بجواز إصدار تشريع من الحاكم يمنع تعدُّد الزوجات! وزعم أنه لا يمكن تربية أُمَّة تفشو فيها ثقافة تعدد الزوجات! وكأن صاحبنا يتوهَّم أن الأمة التي يُمكن تربيتها هي تلك التي يفشو فيها تعدد العشيقات أو الشواذ! وزعم آخر أن النقاب عادة فرعونية أو تركية ، ولا أصل له في الشرع! وتمادى ثالث في المجاملات على حساب دينه فأفتى بأن على المسلمة في الغرب أن تخلع حجابها امتثالاً لقوانين البلد الذي تعيش فيه! ولعل أبلغ رَدٍّ على هؤلاء وأمثالهم أن نحيلهم إلى آراء بعض كبار المفكّرين من غير المسلمين الذين حملتهم النزاهة الفكرية والأمانة العلمية على إنصاف التشريعات الإسلامية بشأن الحجاب وتعدُّد الزوجات والحقوق المالية وغيرها. ويكفي العلمانيين ومشايخ السُلطة خزيًا أن فحولاً من علماء ومفكّري الغرب كانوا أكثر إنصافًا للإسلام منهم ، رغم أنهم لا يدينون به!).هـ. والفضل ما شهدتْ به الأعداء!)

الغـــــــواني يـــــــؤزهن الفنـــــــاءُ ... ويُعـــــاني - مِـــــن صـــــدهنّ - الـــــبلاءُ

ولهـــــن سُـــــلتْ ســـــيوفُ الخطايـــــا ... وبهـــــــن تمـــــــرّدَ الأعـــــــداء

كـــــم جَلـــــبْن – بعُـــــرْيهن – البلايـــــا! ... فاحتوانـــــا – بمـــــا جلـــــبْن - الشـــــقاء

كـــــم صـــــنعن – بجهلهـــــن – الرزايـــــا! ... ولهـــــنّ – بـــــين الـــــورى - إغـــــراء

كـــــم هـــــبطن إلـــــى قعـــــور الـــــدنايا! ... ولهـــــنّ – فـــــي الهـــــزل – طـــــاب الثِـــــواء

كـــــم رتعـــــن - فـــــي حمْـــــأة التيـــــه - دهـــــراً! ... غـــــرّهن الإمهـــــالُ والإمـــــلاء

كـــــم خلعـــــن جلبـــــاب كـــــل حيـــــاءٍ! ... مـــــا الغـــــواني إذا تـــــولى الحيـــــاء؟!

كـــــم رمـــــيْن وحـــــيَ المليـــــك احتقـــــاراً ... وامتثـــــالاً لمَـــــا يـــــرى الخبثـــــاء!

كـــم زهـــدْن فـــي الشـــرع دون اعتبـــار ... بمصـــــير بـــــاءَ بـــــه الأشـــــقياء!

كـــم لفظـــن الأخـــلاق فـــي كـــل شـــأن! ... وانعـــــدامُ الأخـــــلاق فيـــــه الفنـــــاء

كـــم طـــرحْن المنهـــاج خلـــف ظهـــور! ... فكـــــــوَتْهن الفتنـــــــة الشـــــــعواء

كـــم تـــبعْن الأزيـــاء مِـــن كـــل لـــون! ... كيـــف تحيـــا – وفـــق الهـــوى – حـــواء؟

كـــم مشـــيْن – خلـــف اليهـــود - تِباعـــاً ... ثـــــم طالـــــت مســـــيرة كـــــأداء!

كـــم ســـعين – خلـــف النصـــارى - أيـــامى ... بـــئس ســـعيٌ هـــذا! وبـــئس الإمـــاء!

القـــــــواريرٌ تحتفـــــــي بـــــــالتردي ... ثـــــم يشـــــكو خـــــرابهنّ المـــــاء

كيـــف أمســـى الضـــلالُ دربَ رشـــادٍ؟ ... وعليـــــهِ تُـــــردي الرشـــــادَ النســـــاء

كيـــف غابـــت مَعـــالم الحـــق ردحـــاً؟ ... كيـــف نيـــلَ التشـــريعُ والأنبيـــاء؟

كيـــف ضـــاعت معـــالمُ الطهـــر حتـــى ... داهمتْنـــــا الأوحـــــالُ والفحشـــــاء؟

كيـــف ســـادت شـــريعة الغـــاب هـــذي؟ ... بـــئس حـــالٌ هـــذا! وبـــئس اعتـــداء!

كنـــتُ أهـــديتُ العِلـــم سَـــطراً وصـــوتاً ... ويـــدي - فـــي نشـــر الهُـــدى - بيضـــاء

فـــإذا بـــي ألقـــى صُـــدوداً وصَـــداً ... كـــل عـــين – عـــن دعـــوتي - عميـــاء

وإذا بـــــالإعراض يطـــــوي بيـــــاني ... كـــل أذن – عـــن صـــرختي - صـــمّاء

فرجعـــــتُ صـــــدقاً بخفـــــيْ حُنـــــين ... وبكيـــتُ لـــو كـــان يُجـــدي البكـــاء

وحزنـــــتُ أنـــــي أضـــــعتُ اجتهـــــادي ... وتعشّـــــمْتُ - أنّ لـــــي - مـــــا أشـــــاء

قلـــتُ: علّـــي أحظـــى بـــأجر جزيـــل ... وتـــــــداوَى – بصـــــــيحتي – الأدواء!

وأرى الغِيـــــدَ فـــــي احتشـــــام رفيـــــع ... ولهـــــنّ – مِـــــن الحيـــــاء - رداء

فـــإذا بـــي ألقـــى احتقـــاراً لفعلـــي ... وكثيـــــرٌ – مـــــنهن - الاســـــتهزاء

قـــد جعلـــن عُقبـــى النصـــيحة هُـــزءاً ... هـــل يكـــون – فـــي الهُـــزء – نعـــم جـــزاء؟!

كـــان درســـاً – والله – جـــدّ عظـــيم ... تُهـــتُ فيـــهِ ، وانتـــابني الإعيـــاء

والغـــواني – علـــى الهـــوى - قابضـــاتٌ ولهـــن – إلـــى التـــردي - انتمـــاء

والتمســـتُ عُـــذراً لهـــن وجيهـــاً فرجعـــتُ وهمتـــي عجفـــاء

رُمـــتُ شـــيئاً ، والله خـــط ســـواهُ قـــد هـــدانا ، وذاك نعـــم العطـــاء!

لـــيس يَهـــدي الإنســـانُ مَـــن كـــان يرجـــو والمليـــكُ يهـــدي الـــذين يشـــاء

والنوايـــا عنـــد الـــذي لـــيس يخفـــى أيّ شـــئ عليـــه ، حتـــى الهَبـــاء!

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

يستأسد: يأتي أفعال الأسود. البلهاء: جمع أبله. قوارع الكيد: كوارثه. البرحاء: المشقة الشديدة. يعافه: يأنف منه. الازدراء: الاحتقار. الهتافة: المهرجون. اللؤماء: جمع لئيم. الأضداد: المتناقضات. الأكْفاء: جمع كفء. يني: يكد ويتعب ، ومنه (ولا تنيا في ذكري). ينتوي: ينوي ويريد. الندماء: جمع نديم وهو ساقي الخمر. التجاعيد: التواءات الجلد. جيدها: عنقها. الشاء: جمع شاة. حليل: زوج. السِباء: الأسر والسبي. رعناء: فيها رعونة وغلظ طبع. الماخور: الخمارة. القرناء: جمع قرين. مُهجتي: روحي. أكسير: أساس ودعامة. الهائمون: العاشقون ، والهُيام هو شدة العشق والتوله. كأداء: عاتية. البغايا: بنات الليل. البغاء: الزنا. الغلواء: المبالغة. النافقاء: هو اليربوع الجبلي ، ومنه أخذ اسم النفاق. يفري العرى: أي يهدم الدعائم. تزيحني: أي تبعدني. الأعمال الدون: الدنيئة القبيحة. خاست: أي تدنست واتسخت. ثكلى: من عدمت عزيزا عليها. شبق: من يشتهي النساء. الغريم: المنافس على الحبيب أو العشيق الصفي. خلال: صفات كريمة. الغثاء: القوم الكثيرون لا خير فيهم ، والكلمة مأخوذة من غثاء السيل الذي هو زبد الماء. حنفاء: مسلمون يتبعون شريعة الله بدون ميل ولا انحراف. نذود: ندافع. كفلاء: جمع كفيل وهو المتولي شأن زيد أو عمر من الناس. التحري: التحقيق. جواك: حزنك وأنين قلبك. لاح: ظهر. يبتر: يقطع. العضو العطب: أي المريض مرضاً لا يرجى برؤه. اكتراث: مبالاة. الهباء: رذاذ التراب الذي يُرى سابحاً في شعاع الشمس.

وإن تطيعوه تهتدوا (معارضة لمنذر سرميني: رسول الله)

(كتب ولحّن وأنشد المنشدُ الكبير أبو الجود (محمد منذر سرميني) أنشودته الشهيرة الجهيرة (رسول الله). فتخيّل نفسه فيها يوجّه رسالة للنبي - ﷺ - يُبيّن فيها أن أحوال العالم عربيّه وغربيّه لا تعجبه - ﷺ -. وكان الأستاذ عبد الحميد الخطيب معلم التربية الإسلامية بالمدرسة الوطنية بعجمان ، قد طلبَ إليّ أن أسَطر رسالة للنبي - ﷺ - على غرار ما كتب أبو الجود. فاستحييتُ أن أعارضَ أبا الجود ، الشاعر الملحن المنشد الشادي الحادي فقلتُ: بل أتخيلُ الرسول الكريم – عليه السلام - يردّ على أبي الجود كلامه الذي مطلعه:

رسولَ الله لا يرضيك هذا الحال للعُرْبِ ولا يرضيك هذا الظلم للإسلام في الغرْبِ

وفعلاً تصوّرتُ أن الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم – يُعقب على كلام أبي الجود بأنه لا وأنشدتُ أحكي شعراً ما لو أن الرسول الكريم – صلى الله عليه لنا في يعجبُه هذا الحال الرث ، وسلم – حياً لقاله والله أعلى وأعلم! ولم يكن الأمر سهلاً هيّناً ولكنّ الله – سبحانه وتعالى – سهلهُ عليّ!)

أنـــــا والله لا أرضـــــى بـهـــــذا الـحـــــال لـلـعُـــــربِ

ولـكـــــنْ أبتـغـــــي - لـلـنـــــاس - كـــــل الخـيـــــر والحُـــــب

وأرجـــــو الله نصـــــرَ الحـــــق والإســـــلام مِـــــن قلبـــــي

ولا أرضـــــى بمـــــا يجـــــري مـــــن التـهـريـــــج فـــــي الغـــــرب

ولـيـــــس يَـروقـنـــــي الإفـــــراط فـــــي التـقـتيـــــل والحـــــرب

ولا أحـنـــــو علـــــى قـــــومٍ بمـــــا ابتدعـــــوا قـــــلوْا دربـــــي

ويـلفـحُـنـــــي لظـــــى الأهـــــواء ، عـــــن بُعـــــد وعـــــن قـــــرب

ويُـــــؤذيني فـريـــــقٌ جـــــدَّ فـــــي رَسْمـــــي وفـــــي سَـبـــــي

ويُحزننـــــي الألـــــى كـــــالوا فظـــــيع الطعـــــن فـــــي صـــــحبي!

ويُؤلـمُـــــني مَـــــن انخدعـــــوا بزيـــــف الشـــــك والريْـــــب

وتجرحُـنـــــي الرعـــــيّة لـــــم تـــــؤدّ أمانـــــة الـــــرب

ويُقلقـــــني الموظـــــف يكتســـــي بـــــالزور والكِـــــذب!

ويكســـــر خـــــاطري التلميـــــذ بالتغشـــــيش والنصـــــب

وخـــــالف سُـــــنتي الأســـــتاذ عـــــن تـقـــــواه لـــــم يُـــــنب

وجانـــــبَ شِرعـــــتي جيـــــلٌ ثـــــوى فـــــي الأكـــــل والشـــــرب

وأعـــــيا القـــــلبَ شرذمـــــة تـــــداوي الوضـــــعَ بالشـــــجب

ألا إنـــــي رســـــولُ الـــــله للأعـــــجام والـعُـــــرب!

وخيـــــرُ الـرسْـــــل قاطـــــبة ، وجـــــئتُ بأفضـــــل الكُتْـــــب

وبـــايعنـــــي - علـــــى الإســـــلام - خـيـــــرُ النـــــاس والـرّكْـــــب

ومـكّـــــن لـــــي المليـــــكُ بهـــــم ، وعـــــاش - علـــــى الهُـــــدى- حـــــزبي!

ومـــــا وهـــــنوا ، ومـــــا ضـــــعفوا ، ومـــــا عـــــمدوا إلـــــى الحـــــوب

نصِـــــرتُ بهـــــم - يميـــــنَ الله - بالأجنـــــاد والـــــرعـــــب

لـــــذا عـظـمـــــوا ، فلـــــيس بهـــــم ولـــــو شـــــيء مـــــن العَـيـــــب!

صـحـابـــــي كالنجـــــوم الـــــزهـْـــــر فـــــي الأفـــــلاك والسحْـــــب

ومـــــن أزرى بسُـمـعـتـهـــــم تمـــــرّغ فـــــي دجـــــى الـذنـــــب

أقـــــول أجـــــلّ سِيـــــرتهم ، وحسـبـــــي خـــــالقي حسـبـــــي!

سـينصـرُهـــــم وقـــــد ظلِـمـــــوا ، ويُعْـــــلي شـــــأنهم ربـــــي!

ألا يـــــا أمـــــه التـوحـيـــــد فانـــــقادي إلـــــى الـــــتوب

أقـيـمـــــي شـرِعـــــة الإســـــلام فـــــي ذا المـــــأزق الصـــــعب!

ولا تـــهـنـــــي ، ولا يـُثـنـيـــــكِ كيـــــدُ الشـــــرق والغـــــرب

في وداع رمضان (معارضة لشوقي: رمضان ولى)

(كثيرون هم الأقوام الذين يطربون لرحيل ضيف المسلمين الكريم شهر رمضان ، ولسان حالهم هو كما قال أمثلهم طريقة (أحمد شوقي) متندراً ساخراً (والقصيدة في ديوانه):-

رمضـــان ولّـــى ، هاتهـــا يـــا ســـاقي مشـــــتاقة تهفـــــو إلـــــى مشـــــتاقِ!

والحقيقة أنه لا يحزن على رحيل الشهر الميمون المبارك إلا أهل الإيمان والإسلام ، إذ إنه ضيفهم العزيز الغالي الذي ترفع به الدرجات وتمحى به السيئات وتستمطر به الرحمات ، وتُتذكر به الذكريات الكريمات. وقليلون هؤلاء الشعراء الذين ودّعوا رمضان بعذب أبياتهم. إذ إن الشعراء هم جزء من الناس ، ولما كان أكثر الناس لا يعلمون ولا يفقهون ولا يؤمنون ولا يوقنون ، بل أكثرهم ظالمون فاسقون كافرون جاحدون ، وتلك كانت شهادة الله تعالى عليهم في كتابه العزيز ، فكذلك الشعراء الذين هم فريق من هؤلاء الناس ، فيكون أكثر الشعراء كذلك ظالمين وفاسقين وجاحدين وهائمين في باطلهم وسادرين في غيهم لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً إلا ما أشربوا من هواهم. وكنتُ أردتُ أن أودّع رمضان في أيامه تلك الأخيرة ، وتذكرتُ هذا البيت ، فقلتُ مُصحّحاً المفهوم ومُجدداً الفكرَ والنظر ، وعلى ذات البحر ونفس القافية ، لكنْ على غير الطريقة! فإن الشاعر المسلم لا ينبغي أن يحتوي شعره على مخالفات شرعية مطلقاً!)

رمضـــانُ ولـــى ، فـــارقني يـــا راقـــي مـــن عائـــداتٍ زلزلـــتْ أعمـــاقي

واقـــرأ مِـــن القـــرآن أعـــذبَ رُقيـــةٍ تـــودِي بمـــا فـــي القلـــب مِـــن ترياق

وأدمْ قيـــام الليـــل تُـــبهجْ خـــاطري لتزيـــل مـــا حـــولي مـــن الأطـــواق

وامـــلأ كـــؤوسَ الصـــبر حِلمـــاً وادعـــاً أكـــرمْ بكـــأس بالهـــدوء دِهـــاق!

واشـــحذْ بعـــزك همـــةَ مصـــقولة كـــي تســـتمر علـــى هُـــدى الخـــلاق

وانصـــحْ ، ولا تـــكُ فـــي النصـــيحة وانيـــاً فالنصـــحُ بعـــد الـــذكر زادُ الراقـــي

واحمـــلْ علـــى حُـــب الســـخا مَـــن ذاقـــه إن الســـخاء مَطيّـــة الإنفـــاق

رمضـــانُ ولـــى حـــاملاً طاعاتنـــا هـــل يـــا تـــرى نالـــت رضـــا الـــرزاق؟

أم ردّهـــا المـــولى لأمـــرٍ عابهـــا فتمرغـــتْ فـــي خيبـــة الإخفـــاق؟

مـــا زارهـــا الإخـــلاصُ يومـــاً واحـــداً فبهـــا أردنـــا غيـــرَ وجْـــه البـــاقي

هـــل خالفـــتْ هـــديَ الشـــريعة جُملـــة؟ هـــل كـــابرتْ فـــي عِـــزة وشِـــقاق؟

أم أنهـــا قبلـــتْ ، وفـــاح أريجُهـــا بـــين الأنـــام ، وطـــار فـــي الآفـــاق؟

إن القبـــول لـــه علامـــات تُـــرى ... لا تختفـــي يومـــاً علـــى الإطـــلاق

رمضـــانُ ولـــى مادحـــاً أو قادحـــاً ... مســـتأثراً بالســـر فـــي الأوراق

كـــلّ لـــه مَطويـــة وصـــحيفة! ... وصـــحائفُ الأعمـــال كـــالأرزاق

واللهِ مـــا اســـتويا مُعَظـــمُ شَـــهرِهِ ... ومُفَـــتَّن يـــأوي لحـــان الســـاقي

فالصـــائمُ الحـــق الـــذي رمضـــانه ... كالشـــمس إذا خصّـــته بالإشـــراق

وتتبعـــتْ شـــهواته بضـــراوةٍ ... لتـــدُعّها فـــي مَوقـــدِ الإحـــراق

فارتـــاح مِـــن ضـــنكٍ يُعكّـــرُ صـــومه ... وغـــدا قويـــاً قـــوّة العمـــلاق

فـــالنفسُ زكّاهـــا الصـــيامُ ، وســـاقها ... لرشـــادها بمَعينـــه الـــدفاق

والقلـــبُ نقـــاه الصـــيامُ ، وهـــزه ... حتـــى غـــدا فـــي ذِروة الإشـــفاق

والـــروحُ حرّرهـــا الصـــيامُ طليقـــة ... فلكـــم بكـــتْ مـــن قيـــد الاســـترقاق!

أمـــا الـــذي رمضـــانه متألمـــاً ... يـــدعو عليـــه بدمعـــه الرّقـــراق

فـــأراه خـــاب ، وكيـــف يُفلـــحُ مِثلـــه ... والـــروحُ ســـائرة إلـــى الإزهـــاق

والقلـــبُ غـــصّ بمـــا يُعـــاين مِـــن هـــوىً ... أو غـــادةٍ بمسلســـل بـــرّاق

والـــنفسُ ألجمهـــا الغَـــرورُ بمكـــره ... فتجرعـــتْ كأســـاً مـــن الغســـاق

رمضـــان ولـــى ، والمهـــيمنُ عـــالمٌ ... هـــل يـــا تـــرى - بعـــد الفـــراق - تلاقـــي؟

ودَّعتُـــه ، واللهُ يشـــهدُ أننـــي ... أهفـــو إلـــى رمضـــانَ كالمشـــتاق

واللهَ أســـألُ أن يُبلـــغ أمّتـــي ... رمضـــانَ ، شـــاهدة بـــذا أشـــواقي

يا جـارة الـوادي اليمنية! 1 (معارضة لقصيدة شوقي: يا جارة الوادي)

(جاءتْ (ربابٌ) هذه الصبية اليمنية مع قومها لترعى الغنم في جنوب اليمن ، وتحديداً في وادي (الغضيب) ، المجاور لذلك العاشق اليمني المؤدب المحترم الطيب. وأعجبَه في هذه البدوية اليمنية ثيابُها الحشيمة وحجابُها الكامل وسِترها السابغ! وهذا طابعُ أغلب بنات البادية اليمنية الجميلة الطيبة المباركة! وصدق النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – عندما مدح اليمن وأهله بقوله: (ألا إن الإيمان يماني ، والحكمة يمانية ، والفقه يماني)! وأراد الزواجَ منها ، وتذكر حديثَ جابر عندما قال للنبي – صلى الله عليه وسلم -: إني خطبتُ امرأة! فقال: انظر إليها فإنه أحرى أن يُؤدم بينكما! فيقول جابر: فكنتُ أتخبأ لها بين النخيل حتى رأيتُها! وكذلك فعل عاشقنا اليمني ، تخبأ لها بين النخيل يسترقُ النظر إلى وجهها ولو مرة! وعلى ما أخبرني الراوي أن (رباب) كانت تتوضأ لصلاة عصر في مكان مُنعزل من البادية في الوادي! وكان طبيعياً أن تكشف وجهها لتغسله ، فرآها فإذا هي قد جمعت إلى جمال الخُلُق جمال الخَلق! فخاطب أهله ، فأبدوا استعدادَهم للذهاب إلى قبيلتها ، وأخذوا هداياهم وساقوا ولائمهم! وبينما هم في طريقهم أتاهم الخبرُ بوفاتها! فانكسرتْ نفسُ العاشق وخارتْ قواه وتحطم قلبه ، وغلب عليه إيمانه في النهاية فاستغفر ربه واسترجعَ وحولقَ وحوقلَ ، ودعا لها بالرحمة والمغفرة! فأنشدتُ حكاية عنه مُعارضاً أمير الشعراء شوقي في رائعته: يا جارة الوادي! وإنْ كان شوقي يخاطب جارة الوادي اللبنانية ، فأنا أبكي جارة الوادي (وادي الغضيب) اليمنية!)

يـــا جـــارة الـــوادي ، حَزنـــتُ وزارنـــي ... مـــا يُشـــبه الأطيـــافَ مِـــن رُؤيـــاكِ

وطـــوتْ فـــؤادي اليـــومَ غائلـــة الجَـــوى ... والـــنفسُ عانـــت فـــي الـــبلا شـــجواك

والقلـــبُ غـــصّ بمـــا يُلاقـــي مـــن أذى ... مـــا انفـــك تســـقيه اللظـــى ذكـــراك

والعـــينُ دامعـــة يُســـربلها البُكـــا ... يـــا عـــينُ أبكـــاني الـــذي أبكـــاك

والخـــاطرُ المُلتـــاعُ ينعَـــى غـــادة ... هـــل خـــاطري لـــولا الهـــوى ينعـــاك؟!

والـــروحُ قـــد رضـــيتْ بمـــا حكـــم القضـــا ... فـــالأمرُ لله الـــذي ســـواك

وادي (الغضـــيب) غـــداً ســـيطويه الفنـــا ... لكـــنْ ســـيبقى فـــي الـــديار هـــواك

وأنـــا مـــن (الـــيمن الســـعيد) أقولهـــا ... طيبـــتِ يـــا فضـــلى ، وطـــاب ثـــراك!

لمـــا رأيتـــكِ فـــي ســـواد عبـــاءةٍ ... العـــينُ كحلهـــا ســـنا مـــرآك

بـــين النخيـــل وقفـــتُ أرقـــبُ خائفـــاً ... أن تفهمـــي أنـــي أبـــيحُ حَـــلاك!

لا والـــذي رفـــع الســـما ، يـــا غـــادتي ... أنـــا لســـتُ بالغـــاوي ، ولا الأفـــاك

إنـــي انتويـــتُ زواجَنـــا وفـــق الهُـــدى ... ولـــذا اختبـــأتُ مُروّعـــاً لأراك

فوقعـــتِ فـــي قلبـــي وكـــل جـــوارحي وغـــدا فـــؤادي راضـــياً مـــأواك

فبعـــتُ أمـــي كـــي أريـــح ســـريرتي وأتـــتْ ديـــاركمُ لكـــي تلقـــاك

وأتـــتْ بأطيـــب مـــا يكـــون رســـالة وأنـــا وأمـــي يـــا (ربـــابُ) فـــداك!

هـــي قـــد أحبتـــكِ المحبـــة كلهـــا وأنـــا كـــذلك صـــرتُ فـــي مرمـــاك

وقـــد اســـتقر الـــرأي أنْ ســـنزورُكم نختـــارُ زوجـــاً للـــذي يهـــواك

وأعـــدّ أســـيادُ القبيلـــة عُـــدة وزيـــارة تحظـــى بنيـــل رضـــاك

وتوسّـــموا خيـــراً يـــؤولُ إلـــى ابـــنهم إذ إنـــه زوجـــاً لـــه يرضـــاك

فـــإذا بنـــاع يحمـــلُ الخبـــرَ الـــذي ذقنـــا الـــدغاولَ منـــه حيـــث نعـــاك

والكـــل عـــادوا القهقـــرى بتوجـــع وأنـــا رجعـــتُ تـــؤزني ذكـــراك

فعليـــكِ مـــن رب الـــورى رَحَماتـــه مـــا دارَ نجـــمُ الليـــل فـــي الأفـــلاك

ربـــاه فـــاغفرْ للربـــاب ذنوبَهـــا مـــا أنبتـــتْ أرضٌ بعُـــود أراك

يا جـارة الـوادي اليمنية! 2 (معارضة لشوقي: يا جارة الوادي)

(في ولادتها الخامسة توفاها الله تلك المرأة اليمانية شهيدة بإذن الله بنص الحديث! (والمرأة تموت بجُمْع فهي شهيدة). وبقي الأبناء الأربعة عند أبيهم. وله جارة في وادٍ مقارب مشارف في البادية لا تقل عنه حظاً حيث طلقها زوجها الذي كره حياة البادية وآثر الحاضرة ، وتزوج من حضرية سلبت عقله وفؤاده على حد تعبير راوي القصة لي! ورمى ذلك الزوج المفتون بالمسؤولية كلها على طليقته ، تاركاً لها الأولاد غير عابئ بما يتوجب لهم على عادة المستهترين! وذات يوم رأت هذه المرأة المطلقة رؤيا صالحة ملخصها أن أباها المتوفى من عقدين يأمرها بالزواج من هذا الرجل المُعيل المُجاور لواديها في البادية! فحدّثتْ في ذلك شيخ قبيلتها الذي تحدث مع شيوخ القبيلة الأخرى ، وعُرض الأمرُ على الرجل واستجاب شريطة لقائه بها في جَمع من عشيرتها لوضع النقاط على الحروف! واشترط عليها شرطاً اشترطتْه هي عليه! وكان شرطاً عجيباً غريباً في مثل هذه المناسبات! فكان شرطه أن تكون أماً لأولاده لتعوّضهم حنان الأم ورعايتها! وكان شرطها أن يكون أباً لأولادها ليعوّضهم حنان الأب ورعايته! فتخيلتُ الرجل يخاطب (جارة الوادي اليمانية) خطاباً جاداً يضع فيه دستور المعيشة ونظام التعايش! وغريب على بيئة اليمن أن تخطب المرأة رجلاً! ولكنه مَقرورٌ في الشرع الحنيف وهذا يكفي! لأن الحلال والحرام يؤخذ من الشرع كتاباً وسُنة وليس من أحوال الناس ولا من عاداتهم ولا تقاليدهم! واخترتُ أن أعارض أمير الشعراء شوقي بك في قصيدته: (يا جارة الوادي) حيث ارتأيتُ أنها تناسب موضوعنا وعريسنا وعروسنا! والكتابة عن اليمن دَين في عنقي لما لأصدقائي اليمنيين من جميل عليّ في الغربة!)

يـــا جـــارة الـــوادي زكَـــتْ رُؤيـــاكِ ... وأنـــا اســـتجبتُ عزيزتـــي لنِـــداكِ

ورفعـــتُ قـــدرَكِ فـــي لقـــاء أماجـــدٍ ... رَفعـــاً يُناســـبُ هِمتـــي ورِضـــاك

يـا ليـت شـعري كيـف هـم وطئـوا الحِمـى ... مســـتأمنين علـــى ســـنا نجـــواك؟!

أو ليـــت شـــعري كيـــف بـــاحَ كبيـــرُهم ... بالســـر ودّعَ فـــي ديـــاركِ فـــاك؟

أو ليـــت شـــعري كيـــف قـــومي اســـتقبلوا ... وفـــداً أتانـــا مـــن قريـــب حِمـــاك؟

قـــالوا: تُريـــدك زوجَهـــا ، قلـــتُ: اصـــدقوا! ... وكبيـــرُ قومِـــك لـــيس بالأفـــاك

ويمينُـــه شـــفعتْ غريـــبَ كلامـــه ... وعلـــيّ قـــصّ – مُوَضـــحاً - رؤيـــاك

فجهـــرتُ أنـــي أيّـــمٌ ، أولادُهُ ... إن فـــارقوهُ تجنـــدلوا بهـــلاك

أنـــا لســـتُ تـــاركهم ، فمـــا أنـــا خـــاذلٌ! ... مِـــن أجلهـــم أمشـــي علـــى الأشـــواك

وغيـــابُ أمّهـــمُ كفيـــلٌ وحـــده ... أن يُصـــبحوا فـــي شـــدةٍ وعِـــراك

وأنـــا لِمـــا يَحيَـــوْن أدركُ حـــالهم ... - إمـــا أعـــرّسُ - غايـــة الإدراك

قـــالوا: ومـــن تهـــواك جـــد مُعيلـــة ... فجلســـتُ بـــين النـــاس دون حِـــراك

قلـــتُ: ادرســـوا هـــذا القـــرارَ ، وأمعنـــوا ... أنـــا لســـتُ بـــالمفتي ولا النسّـــاك

أو أشـــركوها فـــي اتخـــاذ قرارهـــا ... قـــد يَـــنفعنْ إن كـــان بالإشـــراك

فأخـــذتُ وعـــداً أن يُراجعـــكِ الألـــى ... أرســـلتِهم ليُبلغـــوا فحـــواك

وبُعيـــد شـــهر أقبلـــوا ببشـــارةٍ ... أن الـــذي حَمّلـــتُهم أرضـــاك

يـــا جـــارة الـــوادي ، وجئـــتِ ديارَنـــا ... لمـــا اشـــترطتُ بهـــا بـــأن ألقـــاك

شـــرّفتِ داري والأكـــارمَ أهلهـــا ... ســـبحان مـــن هـــذا الهُـــدى أعطـــاك!

ونســـاؤهم أيمـــانُهن تعطـــرتْ ... إذ صـــافحتْ – عنـــد اللقـــا - يُمنـــاك

ووطئـــتِ أرضَ الـــدر بعـــدُ حليلـــة ... شـــرُفَ الثـــرى لمـــا خطـــتْ قـــدماك

ورآكِ أمـــاً كـــل أولادي الألـــى ... مـــا أصـــبحتْ أمٌ لهـــم إلاك

حُرمـــوا حنـــانَ الأم حتـــى جئـــتهم ... فعســـاكِ أن تهبـــي الحنـــان عســـاك!

وعســـاك أن تتـــوجعي لشـــكاتهم! ... فـــإذا فعلـــتِ محـــا الأذى شـــكواك

وعســـاكِ أن تتكلفـــي إحســـانهم ... حتـــى تنـــالي الأجـــرَ مـــن مـــولاك!

وعســـاكِ أن تتفقـــدي أحـــوالهم ... وتُضـــمخي أحـــوالهم بشـــذاك!

وعســـاكِ أن تتعهـــدي أوضـــاعَهم ... وتُلطفـــي أوضـــاعَهم بنـــداك!

وعســـاكِ أن تُهـــدي إلـــيهم أنسَـــهم ... وعلـــيهمُ أن تســـبغي نعمـــاك

وعلـــيّ عهـــدٌ أن أحقـــق كـــل مـــا ... أنـــا منـــك طالبـــه لكـــي أهـــواك

وأنـــا لأبنـــاء الحليلـــة والـــدٌ ... لأزيـــل مـــا تشـــكين مـــن بُؤســـاك!

عهـــداً أربّـــيهم ، وأصـــلحُ شـــأنهم ... حتـــى أتـــوّج بالهنـــا دنيـــاك

عهـــداً أعلمهـــم معـــالمَ ديـــنهم! ... الـــدينُ قبـــل المـــال والأمـــلاك

عهـــداً أصـــونكِ والعيـــالَ جمـــيعَهم ... حتـــى تقـــرّ بمـــا تـــرى عينـــاك!

عهـــداً أقـــدّمُ كـــل مـــا ملكـــتْ يـــدي ... ضِـــعفَ الـــذي قـــد قدمتْـــه يـــداك!

يـــا جـــارة الـــوادي أعيـــذك بالـــذي ... خلـــقَ الوجـــودَ وبـــالتقى حـــلاك

أن تحرصـــي دومـــاً علـــى الحـــق الـــذي ... سيســـود إن رَوّيتـــه تقـــواك

لا تشـــركي بـــالله تلـــك وصـــيتي ... وبمثلهـــا القـــرآنُ قـــد أوصـــاك

وأراك بالتوحيـــد أشـــرفَ غـــادة ... حاشـــاكِ يومـــاً تُشـــركي حاشـــاك!

توحيـــدُ معرفـــةٍ وإثبـــاتٍ ، فـــذا ... حَـــتمٌ لمـــن – يـــا زوجتـــي - ســـواك

وهنـــاك توحيـــدٌ لقصـــدٍ ، فـــاعلمي! ... والقصـــدُ مـــعْ طلـــب فمـــن مـــولاك

أدِ الصـــلاة لوقتهـــا لا تُمْطِلـــي ... جـــازاكِ ربـــك بالرضـــا جـــازاك!

أد الزكـــاة علـــى النصـــاب وحَوْلِهـــا! ... أعـــطِ الفقيـــرَ ومـــن أرادَ عطـــاك

والشـــهرَ صـــومي والنوافـــلَ حِســـبة! ... إن العيـــال ســـيقتفون خطـــاك

وإن اســـتطعتِ الحـــج حجـــي تطهـــري! ... مـــعْ مَحـــرم ليَصُـــدّ عنـــكِ عِـــداك

وحجابُـــك الشـــرعي أجمـــلُ سُـــترةٍ! ... مَـــوتي ولا عـــينُ الغريـــب تـــراك!

يمنيـــة أنـــتِ الحَشـــامة سَـــمتُها! ... فتحشـــمي كـــي تُحســـني عُقبـــاك!

أنـــا لا أريـــدُك ســـلعة هانـــت علـــى ... أصـــحابها ، إنـــي أريـــد عُـــلاك

لا تبرحـــي داري لغيـــر ضـــرورةٍ ... فـــالخيرُ كـــل الخيـــر فـــي مَخبـــاك

قـــرّي ببيتـــك ، تلـــك شِـــرعة ربنـــا ... والله ربـــي - للقـــرار - هـــداك

وتفقهـــي فـــي الـــدين كـــي تسترشـــدي ... لا خيـــرَ فيـــكِ إذا اتبعـــتِ هـــواك

ويُريـــدكِ الـــيمنُ الســـعيدُ تقيـــة ... أســـمعت يـــا زوجـــي الـــذي أمـــلاك

مـــا قيمـــة الـــيمن الســـعيد بـــلا تُقـــىً؟! ... إن التُقـــى يُنجـــي مـــن الإهـــلاك

عُـــودي إلـــى القـــرآن واتلـــي آيـــه! ... هـــذا الكتـــاب إلـــى الرشـــاد دعـــاك

وتســـــــوّكي إمـــــــا أردتِ قـــــــراءة ... أتقيـــــــة تحيـــــا بـــــلا مِســـــواك؟!

لا تقربـــــي المِكيـــــاجَ خـــــارجَ دارنـــــا! ... إيماننـــــا إمـــــا فعلـــــت قـــــلاك

وإذا برحـــــــتِ الـــــــدارَ لا تســـــــتعطري ... كـــــي لا يشـــــمَّ الأجنبـــــيُ شـــــذاك

فـــــإذا فعلـــــتِ سَـــــبيتِ قلبـــــي والحِجـــــا ... وجهـــــرتُ فـــــي يَمَنـــــي: (أنـــــا أهـــــواك)!

يمنيـــــة أنـــــا قـــــد عشـــــقتُ جوارَهـــــا ... وإذا ســـــألتِ الـــــروحَ ، قلـــــتُ: فـــــداك!

يـــــا رب فـــــي المـــــأوى تكـــــون حليلتـــــي ... يـــــا ليتنـــــي - فـــــي الجنتـــــين - أراكِ!

إليك يا فتاة الإسلام! (معارضة لقصيدة محمد عوّاد)

(منذ أكثر من خمسة عشر عاماً ، وأنا أفكّر في معارضة قصيدة الشاعر الشهيد – بإذن الله – محمد عوّاد – رحمة الله عليه – والتي عنوانها: (إليكِ يا فتاة الإسلام). وفي كل مرة لم تكن مشاغلي تسمح لي. إلى أن حانت الفرصة ، وأعدت دراسة القصيدة إذ كنتُ أقرؤها قراءة المتذوق! وفرقٌ بين قراءة المتذوق للعمل الأدبي وقراءة الناقد الممحّص له. وعند ذلك أدركتُ أن هذه القصيدة على جمالها وكمالها وجلالها مصابة بفيروس: (سناد التأسيس) ، وهو مرض يُصيب القافية ، إذ لم تلتزم رويّاً واحداً! فعزمتُ حباً في شاعرها في الله ، وعملاً بحديث النبي – صلى الله عليه وسلم – كما صح عند الإمام مسلم: (المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم عونٌ على من سواهم). وقوله – صلى الله عليه وسلم – فيما صح عنه: (من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعْه!) وحتى لا يكون للنقاد الجاهليين العلمانيين المعاصرين حُجة أو سلطانٌ على الشعراء المسلمين الذين أحدُهم محمد عوّاد ، رأيتُ أن اشير إلى هذا الخلل في قصيدته مبيّناً أهميتها في الأدب العربي المعاصر! وأن هذا التيار الشعري الإصلاحي الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ، والذي يُسميه أستاذنا وشاعرنا الدكتور عدنان النحوي: (أدب النصيحة أو شعر الوعظ) يجب أن يحظى بالاهتمام من النقاد المسلمين الغيورين على الأدب العربي باعتباره أحد الأسلحة التي يُذاد بها عن الإسلام ، كما كانت وظيفته بالأمس وعلى مدار التاريخ الإسلامي كله. يقول مطلع قصيدة الشاعر محمد عواد وهو يصوّر غيرته على ما نال الأخت المسلمة في هذا الزمان:-

مـــا للظـــلام ينـــامُ فـــوق منـــائري؟ مـــا للكـــلام يضـــيع بـــين الأســـطر؟

مـــا للرشـــاد يغـــط فـــي أحلامـــه حيـــران يســـبحُ فـــي أســـىً وتفطـــر؟

مـــا للوجـــود يلـــوم ثـــائرتي التـــي أزكـــتْ بعزمـــيَ ، ألهبـــتْ بمشـــاعري؟

ويستمر في قصيدته ناقدا للواقع المُزري المليء بالمُخالفات الشرعية ثم يختم بهذه النصيحة:-

يـــا عِـــزة الإســـلام ، أصـــبح حالنـــا فـــي شـــر حـــال ، رغـــم كـــل مكـــابر!

يـــا عِـــزة الإســـلام آن لتطهـــري طهـــر الحنيـــف ، تعلميـــه وتنشـــري!

يـــا عِـــزة الإســـلام آن لتـــدحري رجـــس اليهـــود وموبقـــات الكـــافر

وأحب قبل البدء في المعارضة الشعرية التقويمية للقصيدة العَوّادية الرائعة – جعلها الله في ميزان صاحبها يوم يلقاه –أحب أن أضع بين يدي القارئ هذه المقدمة التحليلية حتى يعلم الجو النفسي الدافع لها أصلاً! إنني كتبتُ من سنوات قصيدة عنوانها: (المخرج من عنق الزجاجة أو إلى متى الانتظار؟) أدافع فيها عن قافلة العائدين والعائدات إلى الله من أهل الفن ، وأقول بأن باب التوبة مفتوح للتائبين الذين يلجونه بشروط التوبة ، وأن القول بأن الله لن يغفر لمثل هؤلاء هو من قبيل التألي على الله والافتراء عليه والقول عليه بغير علم ، وكلها جرائم تعد في ديننا من كبائر الذنوب التي تستوجب لصاحبها النار إن هو لم يتب منها. واليوم أكتب قصيدة

(إليك يا فتاة الإسلام) من هذا القبيل. أي لأثبت لكل فتاة مؤمنة أن الطريق مفتوح أمامها ، وأن رحمة الله واسعة ، وأن الله تعالى رؤوفٌ بعباده. ولقد تتبعتُ كثيراً من آيات القرآن فوجدتُ أن البشارة بالتوبة كانت دائماً تأتي في التذييل لأهل المعاصي على اختلاف معاصيهم. وهذا يعني أن الله تعالى لم يغلق قط باب التوبة أمام الكفار ، ولا السارقين ، ولا النصارى الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة – إن الله هو المسيح عيسى بن مريم – المسيح ابن الله – المسيح هو الصورة المرئية للرب – المسيح أحد الأقانيم الثلاثة – أن المسيح له طبيعتان: لاهوتية إلهية وناسوتية بشرية) ، ولا اليهود الذين قالوا: (عزير ابن الله – يد الله مغلولة – إن الله فقير ونحن أغنياء) ، ولا المنافقين الذين لا مجال لبسط أقوالهم هنا أصلاً لكثرتها والعياذ بالله ، ولا تاركي الصلاة ، ولا المشركين ، ولا أهل الارتزاق الذين يكتمون الحق خوفاً على الدرهم والدينار ، ولا الذين يُحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ، ولا الذين يرمون المحصنات الغافلات ، ولا المرابين المستحلين للربا المُبيحين لأكله والمُجيزين التعامل به ، ولا غير هؤلاء من العُصاة والمُذنبين! بل باب التوبة مفتوحٌ لكل هؤلاء وأشباههم من العُصاة والمُذنبين. ونسوق الأدلة على ذلك فنذكر منها أول معصية من أبينا آدم – عليه السلام -: (فتلقى آدم من ربه كلماتٍ فتاب عليه وهدى). والنصارى قال الله عنهم: (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إلهٍ إلا الله ، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسنّ الذين كفروا منهم عذابٌ أليم ، أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه ، والله غفورٌ رحيم). وكذلك المشركون: (وإذا جاءك الذين لا يؤمنون بآياتنا فقل: سلامٌ عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالةٍ ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفورٌ رحيم) ، وقال: (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعفْ له العذاب يوم القيامة ويخلد فيهِ مهاناً إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفوراً رحيماً) ، وقال: (إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضبٌ من ربهم وذِلة في الحياة الدنيا ، وكذلك نجزي المُفترين ، والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها إن ربك من بعدها لغفورٌ رحيم). والسارقون قال الله تعالى عنهم: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديَهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله ، والله عزيز حكيم ، فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه ، إن الله غفور رحيم). وأما تاركو الصلاة فقال تعالى عنهم: (فخلف من بعدهم خلفٌ أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يُظلمون شيئاً). والمرتزقة الذين يأكلون بالدعوة إلى الله ويُحرّفون الكلِم من بعد مواضعه ويُطوّعون الدين كتاباً وسُنة للطواغيت والظالمين ، ويُضفون الشرعية على انحرافات الجاهلية وجبروت الفراعنة المتألهين ، من أجل عرض من الدنيا قليل ، قال الله فيهم: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهُدى من بعد ما بيّناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهمُ الله ويلعنهمُ اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم ، وأنا التواب الرحيم). وأما المنافقون فقال تعالى فيهم: (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتي الله المؤمنين أجراً عظيماً). والمحاربون لله ورسوله والمفسدون في الأرض فقال الله فيهم: (إنما جزاء الذين يُحاربون الله ورسوله ويسعَوْن في الأرض فساداً أن يُقتلوا أو يُصَلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خِلافٍ أو يُنفوْا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفورٌ رحيم). والمعذورون بجهل

قال تعالى فيهم: (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالةٍ ثم تابوا من بعدها إن ربك من بعدها لغفور رحيم). وقال: (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ، فأولئك يتوب الله عليهم ، وكان الله عليماً حكيماً). والقاذفون المحصنات قال تعالى فيهم: (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك همُ الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم). والمُرابون قال تعالى فيهم: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقيَ من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإنْ لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رؤوسُ أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون). وإذن فباب التوبة مفتوحٌ للجميع من المقبلين على الله بشروط التوبة (الإقلاع عن الذنب – الندم على ما كان – الإصلاح – العزم الصادق على عدم العودة – التخلص من مظالم العِباد إن استطاع إلى ذلك سبيلاً إن كانت المظالم مما يتعلق بأحد من خلق الله). وهناك فريق لا تقبل توبته لم يحقق هذه الشروط ، يقول الله: (وليستِ التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهمُ الموت قال: إني تبتُ الآن ولا الذين يموتون وهم كفار ، أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً). وقال: (إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم ، وأولئك همُ الظالمون). والحقيقة أنني يا أخت العقيدة قد تحيّرتُ كثيراً وأنا أحاول إعداد نفسي لهذه القصيدة المُعلقة ، وما ذاك إلا بسبب توارد الأفكار والإيحاءات والمشاعر والأحاسيس. ولسانُ حالي كان كما صوّر الشاعر عندما همّ بالصيد ، ورأى صُيوده قد كثرتْ فجأة على غير العادة فاحتار ماذا يفعل فقال:-

تكـــاثرتِ الظبـــاءُ علـــى خِـــراش فـــلا يـــدري خِـــراشٌ مـــا يصـــيدُ!

نعم احترتُ بين النصح والوعظ واللوم والعتاب والمؤاخذة في جانب وبين الزجر والتوعّد والنقد والتشخيص والحرص والغيرة في جانب آخر! وإن جيلاً يألف المرأة اليوم بلباس البحر أو بدونه ، يألفها راقصة أو مغنية أو ممثلة أو لاعبة رياضية ، يألفها موظفة قد أخذتْ من كل زينة على الأرض بحظٍ وافر! إن مثل هذا الجيل ليستنكر اليوم الحجابَ والتستر وتغطية المرأة وجهها عملاً بصريح القرآن والسنة لكثرة ما ران على القلوب من دنس التمثيليات وعُهر الأفلام ورجس الأغنيات وقذارة المسرحيات وانحلال البيئات وإباحية المناخات. وإن الإنسان ليُبصر بالمرأة الشمطاء وهي تتكشف وتتبرج فيأسف لها – بالنيابة عنها – وهي تفعل ذلك غير عابئة بسنها وشيخوختها وكهولتها ، وتزيد على ذلك فترتدي الثياب الضيقة الخليعة في مثل هذه السن. وإن الإنسان ليُبصر بالأغنام والماعز تسبّح الله خالقها: (كلٌ قد علم صلاته وتسبيحه – وإنْ من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم – سبح لله ما في السماوات والأرض – وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أممٌ أمثالكم ما فرّطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون)! هذا التسبيح يحدث من الحيوان الأعجم البهيم والطائر غير المكلف ، وأما الإنسان المكلف العاقل الذي يدعي الإسلام لا يسبح لا التسبيح القولي بالألفاظ والكلمات ولا التسبيح العملي تسبيح الجوارح! بل هو قابعٌ أمام الشاشات في بيته أو شقته أو قصْره يستقبل ما خبث من أمم اليهود والنصارى والهندوس عبر القنوات الفضائية العُهرية التي لا يؤمن أغلب القائمين عليها بالله ولا بيوم الحساب! وإن الإنسان ليعجب عندما يقرأ في سِير الأعراب الغابرين من وضعهمُ للفتاة في خِدرها حتى لا تختلط بالرجال من غير محارمها وأقر الإسلامُ ذلك! وفي جزء من حديث جُليبيب في صحيح مسلم:

(والفتاة في خدرها تسمع) ، وأما الأعراب الأواخر فهم يضعون الفتاة أمام شاشات التلفاز أمام البث المباشر وغير المباشر ويسمحون بخروجها مع السائق الأجنبي ويأذنون ببقائها في البيت مع الطباخ والحارس وراعي الحديقة مخالفين بذلك عن أبسط قواعد الأدب الجاهلي العام قبل بعثة محمد – صلى الله عليه وسلم – ولا أقول مخالفين عن أبسط قواعد الإسلام! وإن الإنسان ليُبصِر بالمرأة القاعد وهي تأخذ حجابها وإلى جوارها ابنتها الشابة وقد تبرجتْ وتعرّتِ العُري الحيواني البهيمي العجماوي السافر المُنحل المُنحط! ويعجب الإنسان من فرية جديدة يُطلقها اليوم من لم يرد الله أن يطهر قلوبهم من المنحلين إذ يقولون: (ألا إن الفطرة كما جعلت كل نعجة لكل كبش ، وكل قطة لكل قط ، وكل كلبة لكل كلب ، وكل حمارة لكل حمار ، فكذلك فكل امرأة لكل رجل ، وهو ما يُعرف عندهم – عليه من الله ما يستحقون – بشيوع الجنس! ولذلك فلا عجب أن نسمع عندهم ما يُعرف بتبادل الزوجات ونوادي العُراة واكتفاء الرجال بالرجال واكتفاء النساء بالنساء بل واكتفاء الرجال بالحيوانات واكتفاء النساء بالحيوانات! وإن تعجب فعجب قولهم: لماذا يكتفي الرجل بزوجة (في النصرانية) أو بأربع (في الإسلام)؟ لماذا يرتبط بزهرة أو أربع زهرات يشمها صباح مساء؟ لماذا هذه الرتابة في الحياة؟ لماذا لا تكون الزهور كلها ملكه يُرجي ما يشاء ويُؤوي منها ما يشاء! ويتبجحون فيقولون: لماذا يتزوج الرجل من أكثر من زوجة يجمع بينهن ولا تتزوج المرأة إلا برجل واحد؟ لماذا تتعدد الزوجات فيجمع الرجل أكثر من زوجة في عصمته ، ولا يتعدد الأزواج الرجال على المرأة الواحدة فتجمع أكثر من زوج في عصمتها؟! هذا ناهيك عن بيوتات الأزياء العالمية التي تبتكر في كل عام موضات ومعايير تكون عليها أجسام الفتيات: (مقاييس للصدر والخصر والورك والركبة والوجه والشعر والذراع والكف والأصابع والأظافر والبطن والرموش.....) ويجب أن تخضع لها كل فتاة في الدنيا بزعمهم! وعندهم معايير للملابس والأزياء والموضات ، وفنون الذوق في التعامل الإنساني الرفيع (الإتيكيت) ومعايير للشاطئ والبحر والرقص والغناء والموسيقى والانحلال والتهتك والإباحية. وانحرف مفهوم وأد البنات من الجاهلية الأولى إلى الجاهلية الحاضرة الضاربة الأطناب في الأرض اليوم! فلقد كان الجاهلي الأول يئد ابنته خشية العار (أيمسكه على هُون أم يدسّه في التراب) ، وأما الجاهلي المعاصر فإنه يئد الفتاة بالصور التي أسلفنا وإليها ألمحنا. ونسمع عن نعرةٍ خبيثةٍ اسمُها تحريرُ المرأة ، وإن التحرير الحقيقي لها كان على يد النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – فقد استبقى لها الحياة من الوأد ، وأعطاها الحق في الإرث ، والحق في الزواج بمن تحب ، والزواج بعد موت زوجها ، واعتبرها عِرضاً مَصوناً محتشماً محترماً وذاتاً لا تمس إلا بحق الله تعالى. وأصبحنا نرى اليوم بسبب الانحلال الخلقي والتربية المنحلة الجاهلية صوراً من التبرج يحز في النفس المؤمنة أن تعاينها وتطالعها! يقول الله تعالى: (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)! أقول: إن المرأة التي نهيت عن التبرج الذي هو تبرج الجاهلية الأولى تعد - بمقاييس تبرج الجاهلية الأولى - محتشمة وشبه محترمة ، إذا هي قورنت بأختها المتبرجة تبرج الجاهلية المعاصرة! فالموجود الآن ليس بتبرج بقدر ما هو عُريٌ حيوانيٌ بهيميٌ عجماويٌ سافر ، تستحيي منه البهائمُ إن هي عقلت! ولنرجعْ لكتب التفسير لنتعرفْ على صور تبرّج الجاهلية الأولى الغابرة ، تلك التي تتضاءل أمام صور العُري البهيمي في الجاهلية الحاضرة! (قال مجاهد: كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال فذلك تبرج الجاهلية! وقال قتادة: كانت لهن مشية تكسر وتغنج أي تدلل فنهى الله عن ذلك! وقال مقاتل بن حيان: والتبرج أنها تلقي الخمار على رأسها ولا تشده فيداري قلائدها

وقرطها وعنقها فيبدو ذلك كله منها وذلك التبرج! وأما ابن كثير جهبذ أهل التفسير وتاجهم ونبراسُهم فيقول: كانت المرأة منهم تمرّ بين الرجال مسفحة بصدرها لا يواريه شيء وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة آذانها فأمر الله المؤمنات أن يستترن في هيئاتهن وأحوالهن!) نعم تتضاءل هذه الصور الساذجة لتبرج المرأة أمام صور العري الحيواني المعاصر الذي له صفة التبرج كتصنيف فقهي وإلا فماذا نسميه؟! لقد أصبحت الفتاة تعرف المغنين والمغنيات والفنانين والفنانات والراقصين والراقصات أكثر مما تعرف الصحابة والصحابيات ، فضلاً عن أنها قد تحفظ الأغاني ولا تحفظ القرآن. وأصبحت المرأة – في زماننا – مادة إعلامية أو إعلانية. فهي وقود للفساد والإفساد والإغواء والإضلال والصد عن سبيل الله تعالى. وصارت كذلك وسيلة من وسائل المتعة والترفيه وأداة ممتعة من أدوات الخدمة الفندقية الراقية ، مثلها في ذلك مثل كأس الشاي أو القهوة أو كوب العصير الذي هو جسر إلى المتعة. وكانت هناك لافتاتٌ يُفصح عنها أهل الجاهلية من أصحاب رؤوس الأموال الحرام منها: (مطلوب آنسة جميلة رشيقة لبقة حسنة المظهر والمنظر والقوام للعمل في شركة كذا أو محل كذا أو في مكتب كذا). ولست أدري أوصاف موظفة هذه أم أوصاف عروس؟ ألا وإن أغلب هذه الإعلانات والبرامج الرياضية والأفلام والمسلسلات والتمثيليات والمسرحيات ونشرات الأخبار تصب في قنوات يهود وجيوبهم ، وتخدمهم خدمة كبيرة في إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا لتتم الفتنة في الأرض وتتحقق! فهي إذن من صناعة الماسون ولهم يعود ربحُها ، وكأن لسان حالها يقول: (هذه بضاعتنا ردت إلينا)! إنه تضليل متعمد مقصود للجيل لكيلا تشب صحوة تضرب على أيدي المتجبرين والظالمين من اليهود والنصارى والمنافقين والكفرة الفجرة العهرة الغدرة من الملاحدة الذين لا يؤمنون بالله ولا بيوم الحساب. وبرز لنا فعلاً جيلٌ عجيب: إنه جيل إذا استمع إلى القرآن أخذ في تشجيع القارئ بعباراتٍ منها بكل جعر صوتي: (اللهم صل على النبي!) وهذا الجيل بعينه إذا شاهد راقصة شبع عارية ترقص أو مغنياً يغني انهال في التشجيع بحرارةٍ قائلاً ذات العبارة: (اللهم صل على النبي!) ونحن لا نؤيد أي انحراف من هذين النمطين: لا تشجيع قرّاء القرآن لأن سماع القرآن له آدابه التي منها: (الإنصات – التدبر – الصمت – الخشوع – التأمل – الاعتبار) ، ولا نؤيد تشجيع المفسدين لأننا مأمورون بالبُعد عنهم وفضحهم والتحذير منهم! ولكننا نسأل الجمهور الجاهلي الذي يشجع القارئ سؤالا تدفع إليه غريزة الفضول لحب المعرفة ، فنقول: من النبي الذي عنيته وأنت تشجع القارئ؟ فيجيب على الفور: محمد – صلى الله عليه وسلم – الذي جاءنا بالقرآن! فنقول له: آمنا بالله ورسوله! ونسأل سؤالاً آخر لذات الجمهور الجاهلي: فمن النبي الذي عنيته وأنت تشجع الراقصة؟ فهل نتوقع منه أن يقول محمد؟ وهل جاء محمد – صلى الله عليه وسلم – وحاشاه بالعُري والمجون والرقص والغناء؟ سبحانك هذا بهتان عظيم! باختصار وفي كلمة واحدة ، يا فتاة الإسلام ويا بنت العقيدة التوحيدية المحمدية الإبراهيمية السمحة ، يا ذخرَ الإسلام ، إنها المؤامرة على الإسلام ، فكوني واعية لها ولأبعادها ، واحذريها وحذري أهلك وولدك وأباك وأمك وإخوتك وأخواتك وجيرانك منها. وقفيهم على ما يدبّره اليهود والنصارى لهم جميعا وذكّريهم بقول الله تعالى: (ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء). وإن لم تفعلي فأنت آثمة ومُقصّرة ومُذنبة. يقول الأستاذ محمد المنجد عن المرأة المسلمة ما نصه: (هم يقولون: المرأة نصف المجتمع ، ومع قربنا من قيام الساعة فقد صرن أكثر من الرجال عدداً في المجتمع ، والغريب أن يكون هناك قطاعٌ في المجتمع أكثر عدداً من الرجال ولا يهتم به مثل الاهتمام بالرجال ، ولذلك لن نستغرب في ظل هذا الإهمال الحاصل لواقع المرأة أن تنشأ تياراتٌ غريبة عن الدين. وأن نجد أفكاراً منحرفة تتسرب إلى أذهان بعض النساء وأن نجد بعض النساء بدأن المشاركة في أندية مشبوهة ، أو تجمعات لأعداء الإسلام يُراد من ورائها هدمُ الدين ، وهدمُ الفضيلة والأخلاق ، هناك أفكارٌ بدأت تتسرب إلى عقول النساء ، وبدأ التشكيك في أساسيات من الدين عند الكثيرات ، وبدأت المناقشة فيها يعني: التسليم لأوامر الله سبحانه وتعالى وأنه لا يجوز للمسلم مطلقاً أن يناقش في أشياء في الدين من المسَلمات ، ولكن عندما يصل الغزو إلى

مرحلة معينة تبدأ الأمور تتغير ، وتبدأ المناقشات في قضايا مسلمة لم يكن أحد يتجرأ أن يناقش فيها ، فمثلاً: قضية الحجاب من الأشياء المسَلمة في الدين ، ولا يمكن أن يتكلم فيها ، لكن صرنا الآن نسمع كلاماً عجيباً ، ونقاشاتٍ غريبة حتى عند بعض فتيات الأسَر الطيبة المعروفة بالعراقة في المجتمع ، وتجد للكلام اتجاهات بعيدة عن الدين ، حتى عادت مسألة الحجاب قضية يمكن أن يؤخذ فيها ويرد! المرأة هي نصف المجتمع وتلد لنا النصف الآخر ؛ فهي أمة بأسرها. والحياء من الصفات المهمة للمرأة: والرسول صلى الله عليه وسلم وُصِفَ بأنه كان أشد حياءً من العذراء في خدرها ، إذنْ المرأة بطبيعة الحال تستحيي ، وينبغي لها أن تستحيي لأن هذا خلقها ، ولكن لما خرجت من البيت وسارت للحفلات ، وذهبتْ إلى الأسواق ، وصار التبرج والتهتك ذهب الحياء وهذا شيء طبيعي جداً ، ماذا ننتظر بالله؟ وأيضاً من ضمن هذه الملاحظات: قضية كلام المرأة مع الرجل الأجنبي ، صار الآن شيئاً طبيعياً جداً ، وصارت تكلمه بالهاتف ، وتستقبله في البيت وقد تتحدث معه ، وقد تتحدث مع السائق بكلام طويل ، وتتحدث مع ابن عمها بكلام طويل ، ومع ابن خالها وهو رجل أجنبي عنها ، فإذنْ ذهب الحياء ، وفي المدرسة أيضاً يحدث أو في الخروج من المدرسة هذا التهتك في الأسواق. وأحياناً في بعض البيئات التي فيها رجال ونساء نجد التضاحك والنكت مع بعض الأجانب وكأنه أخوها).هـ. وللأسف مثل هؤلاء النسوة ومن يتعاملون معهن من مقيمي مناسك الإسلام! فلماذا لا تنهاهم صلواتهم عن المنكر؟ ولماذا لا يُحقق صيامُهم التقوى؟ ولماذا لا تحقق صدقاتهم الطهارة والنقاء في المعاملات؟ عندما سُئل شيخ الإسلام – قدّس الله روحه ونوّر ضريحه – عن الرجل يُصلي ويُزكي ويصوم ويحج ويقرأ القرآن ويأتي أعمال الخير ولكنه لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر فعلق بقوله: هذا من أقل الناس ديناً). وقصيدتي هذه نصيحة وتذكرة ووصية! وأملي – وأنا أوجهها لفتاة الإسلام – أن تجتهد في الطاعة وتبتعد عن المعصية ، وأن تقرأ في الإسلام وتعمل به ، وفق الله كل فتاة مؤمنة للذي يحب ويرضى ، وطهّر الله عِرضها ووقاه الجاهلية! وهدى الله بنات المسلمين للخير ورزقهن التقوى والاستقامة والحجاب!)

ما للخطوب تسيل مثل الأنهُرِ ... فوق الحنيفة ، في هوىً وتندرِ؟!

ما للبلاء يُصَب فوق ديارها ... فيُحيلها مثل اليَباب المقفرِ؟!

ما للخراب يدبّ في أوصالها ... فيسوقها نحو اللظى المتجبرِ؟!

ما للقريحة لا تمُجّ أوارَها؟! ... ما لليراع يخاف هول المنظرِ؟!

ما للدمار يصولُ فوق ربوعنا ... حتى يُمكّن – خاب – للمستعمر؟!

ما للعذاب يُذيب عِز نفوسنا ... ويجرّنا – بالرغم – نحو المَنحرِ؟!

ما للضياع سعتْ إلينا نارُهُ ... وبيوتنا قد أصبحت كالمِجْمر؟!

ما للخطيئة بددتْ أخلاقنا ... من بعد أن برزتْ بسيفٍ مُشْهَر؟!

ما للمعاصي سجّرتْ تنورها ... حتى تحَرّق أمنياتِ الأدوُر؟!

ما للصليب أتى ليُفسد جيلنا ... بفنونه وخموره والمَيسرِ؟!

مـــا لليهـــود أتـــوْا إلينـــا بـــالردى ... عبـر (الدشـوش) وعِيـبَ مـن لـم يعهـر؟

مـــا للكِفـــار أتـــوْا بآنيـــة الطِـــلا ... ويُضـيّقون علـى الـذي لـم يَسـكر؟!

مـا للفنـون لهـا الصـدارة فـي الـورى ... ويُـلامُ – كـل اللـوم – مَـن لـم يَـدعر؟!

وضـــحية المكـــر الرهيـــب فتاتنـــا ... نجّـاكِ ربـكِ مـن شِـراك المكّـر!

أنـا يـا فتـاة الحـق أكتـبُ صـرختي ... بـدم القـريض ، لهـا بريـقُ الجـوهر

ودمـــوعُ قـــافيتي يفـــور نحيبُهـــا ... حتـــى تناصـــح بـــالكلام النيّـــر

وأنـــينُ أوزانـــي يُغالبـــه الجـــوى ... فيـــردّ عِـــزك فـــي أســـىً وتفطـــر

ونشـــيجُ شَـــعري قـــد تضـــمّخ بالأســـى ... ودموعُـــه ســـالت مَســـيلَ الأنهُـــر

ويـــئنّ – فـــي القرطـــاس – شِـــعري آســـفاً ... وكأنمـــا يُقتـــاد نحـــو المقبـــر!

تطغـــى عليـــه همومُـــه ، فتهـــزه ... لا خيـــرَ فـــي الأشـــعار ، إن لـــم تثمـــر

وأراكِ فـــي شـــعري وقـــود كريهـــةٍ ... شـــعواء لاحـــتْ مـــن ثنايـــا الأســـطر

نـــادى عليـــكِ المجرمـــون: تخلصـــي ... مـــن ديـــن ربـــكِ ، وامرحـــي ، وتطـــوّري

وذري قيـــودَ الجهـــل ، لا تتمسّـــكي ... بكتـــاب ربـــك ، للســـماء تنكّـــري

ودعـــي بـــلا أســـفٍ حـــديث (محمـــدٍ)! ... ومـــن التمسّـــكِ بالحِجـــاب تحـــرري

وتعلمـــــي التلمـــــودَ دون تـــــرددٍ ... هـــذا هـــو الـــدينُ الصـــحيحُ ، تفكّـــري!

وتقلـــدي الأزيـــاء وفـــق حضـــارةٍ ... وتمثلـــي المُوضـــاتِ كـــي تتحضـــري!

وتطلعـــــي للمُوبقـــــات ، ونفـــــذي ... حتـــى تكـــوني فـــي مهـــبّ الصرصـــر

وتســـــــمّعي للأغنيـــــــاتِ وردّدي ... وإذا أردتِ لهـــا الروايـــة نضـــري

وتترّســـــي بـــــالهزل والإغـــــراء إذ ... لا عـيش - فـي الـدنيا - لمـن لـم تفجُـر

وتجمّلـــــي بـــــالعُري ، إن رمـــــوزه ... لمّـــا تعـــدْ تخفـــى عليـــكِ ، تـــدبّري

وتزخرفـــــي بوســـــائل التجميـــــل إنْ ... ظهـــر الرجـــالُ أمـــام بـــاب المتجـــر

وتزينـــــي بـــــالثوب يُحْـــــدثُ فتنـــــة ... وضـــعي - علـــى الفســـتان - كـــل معطـــر

وتســـــلحي بالعِشـــــق ، أنـــــت صـــــبية عربيـــــة ، فخـــــرتْ بأمـــــة حِمْيـــــر

وتكشـــــفي ، فالحُســـــنُ أنـــــدى ســـــلعةٍ وتقلـــدي (الموضـــات) يـــا ابنـــة مَعْمَـــر!

فالحُســـــنُ فيـــــكِ ســـــجية عربيـــــة أكـــــرمْ بحُســـــن – للزبـــــائن – مُسْـــــفِر!

وتمـــــايلي طربـــــاً إذا رُمـــــتِ العُـــــلا وأمـــــام خائنـــــةِ الأنـــــوف تعطـــــري

وتراقصـــــي إن ســـــرتِ فـــــي درب الهـــــوى وتبختـــــري صـــــلفاً بمِشـــــية (قيصـــــر)!

وعـــــن الرجـــــوع إلـــــى التخلـــــف أعرضـــــي ولكـــــل مُحتـــــال خـــــدودكِ صـــــعّري

وتشـــــامخي إمـــــا رأيـــــتِ مُخـــــذلاً ينهـــــاكِ عـــــن هـــــذا الســـــبيل المُثمـــــر

وتصـــــفحي أوراقنـــــا الحمـــــراء فـــــي ولـــــهٍ ، ومثـــــلَ الراقصـــــاتِ تبختـــــري

ودعـــــي تفاســـــير القـــــرآن جميعَهـــــا لا خيـــــرَ فـــــي الـــــورق الرثيـــــث الأصـــــفر

وإذا أردتِ نصـــــــــيحة ذهبيـــــــــة لا تســـــمعي القـــــرآنَ كـــــيلا تُقبـــــري

فرســـــالة القـــــرآن ولـــــى عهـــــدها وكـــــلامُ (أحمـــــد) بائـــــدٌ مـــــن أعصُـــــر

وأئمـــــة الفقـــــه اســـــتبان ســـــبيلهم فهـــــمُ الـــــدعاة إلـــــى الضـــــياع الأبتـــــر

أنـــــتِ الضـــــحية إنْ تبعـــــتِ عـــــزيفهم فصـــــنيعُه فـــــي الـــــروح مثـــــلُ الخنجـــــر!

إنـــــا نصـــــحنا ، وانتفاعُـــــكِ دأبُنـــــا ومـــــن الأصـــــوليين يـــــا بنـــــتُ احـــــذري

كـــــلٌ يريـــــد لـــــكِ الرجـــــوع إلـــــى الـــــورا مثـــــل الـــــذي يرجـــــو رعيـــــلُ (الأزهـــــر)

كـــــلٌ أعـــــدّ لـــــكِ المُـــــدى مســـــلولة وكـــــأنهم – يـــــا ويحهـــــم – فـــــي مَجْـــــزر!

وإلـــــى هنـــــا انخـــــرس الضـــــلالُ ، وعـــــنّ لـــــي دَوْرٌ لكـــــي أقـــــتصّ مثـــــلَ القسْـــــوَر

لأســـــلّ عِرضـــــكِ مـــــن مخالـــــب كفـــــرهم وأفـــــلّ فـــــي ثقـــــةٍ قيـــــودَ المأســـــر

أســـــدٌ أخـــــوكِ ، وهـــــم ذبـــــابٌ تافـــــهٌ! يســـــمو الغضـــــنفرُ فـــــي لقـــــاء الجَيْهَـــــر!

ســـــأفنّدُ الشـــــبَهَ التـــــي لـــــم تحتـــــرمْ يـــــا أختنـــــا ديـــــنَ المليـــــكِ ، تصـــــوّري!

لأعـــــرّف المعـــــروف رغـــــم أنـــــوفهم! ليصـــــير – تحـــــت النعـــــل – فعـــــلُ المنكـــــر

لأبـــيّن الحـــق الـــذي أودِعتُـــه ... ليكـون شـعري مثـل شـعر (البُحْتـري)!

لأبعثـــر الحُجـــجَ الغبيـــة هامســـاً ... فـــي أذنـــكِ العصـــماء أن تستشـــعري

لا يلعـــبنّ بـــك الغـــواة ، فـــإنهم ... جمـــعٌ حقيـــرٌ مســـتريبٌ جَعظـــري

ضـــحكوا عليـــك ، وإنهـــم همَـــجُ الـــورى ... فتبينـــي عبـــث العِـــدا ، واستبصـــري

هـــم ســـعّروا نـــاراً ، وأنـــت وقودهـــا ... فتمهلـــي فـــي الأمـــر ، لا تتهـــوري

ولقـــد أتيـــتِ إلـــى الحيـــاة لغايـــةٍ ... أن تعبـــدي الخـــلاق ، لا أن تكفـــري!

أن تعملـــي صـــدقاً بسُـــنة (أحمـــدٍ) ... فَهْـــي الرشـــادُ المســـتنيرُ العبقـــري

أن تشـــهدي أن لا إلـــه ســـوى الـــذي ... خلـــق الوجـــود ، وبالمليـــكِ تصـــبّري

وتُتـــابعي هـــديَ الرســـول (محمـــدٍ) ... والـــنفسَ - مـــن نـــار القيامـــة - فاشـــتري

وتنفـــذي مـــا تعلمـــين مـــن الهُـــدى ... ومـــن النكـــوص عـــن الصـــلاح اســـتغفري

وتُطبّقـــي الإســـلامَ فـــي دنيـــا الـــورى ... أختـــاهُ جـــدّي فـــي الســـبيل الخيّـــر

واستعصـــــمي بـــــالحق دون تملمُـــــل ... والوجـــهَ - عـــن كـــل الأجانـــب - خمّـــري

وتمثلـــي أخـــلاق مَـــن قـــد أســـلموا ... وتواضـــــعي لله ، لا تســـــتكبري

ورداؤكِ الســـــترُ الحشـــــيمُ تحســـــباً ... مـــن كـــل عـــين تســـتطيلُ ، وتفتـــري

وكلامُـــكِ الأخـــلاقُ تصـــقلُ حرفـــه ... فيفـــوق فلســـفة الـــدعيّ الممتـــري

وطعامُـــكِ الحِـــل الـــذي لـــم يخـــتلط ... بـــدجى الحـــرام ، ولا بـــبعض المُسْـــكِر

وجليسُـــكِ القـــرآنُ ، نعـــم مُعلمـــاً ... وجنـــاهُ - يـــا أختـــاه - مثـــلُ العنبـــر

فتعلميـــه ، وعلميـــه بـــلا هـــوىً ... وبـــه – علـــى عـــين البريـــة - فـــافخري

ومُـــري بمعـــروفٍ ، لأنـــكِ أهلـــه ... وإذا رأيـــت مخالفـــاتٍ أنكـــري

وادعـــي إلـــى الله الـــذين عـــرفتِهم ... ومـــن المـــواعظ - يـــا أديبـــة - أكثـــري

وخـــذي الكتـــاب بقـــوةٍ ، فهْـــو الهُـــدى! ... وهمـــومَ دينـــكِ فـــاحملي كـــي تـــؤجري

وتحمّلـــي عـــبء الـــبلا فـــي دعـــوةٍ ... وتجشـــمي مُـــر العنـــاء لتعْـــذِري

وسَـعِي جميـعَ النـاس ، كـوني عـونهم ... كـي تبلغـي مـنهم عميـق تـأثر

وإذا طرقـتِ قلـوبهم فترفقـي ... وتجنبـي – عنـد اللقـا – أن تنهـري

فـالرفق بـابٌ للقلـوب ، ومـدخلٌ ... وإذا نصـحتِ - إلـى عُصـاةٍ - بشـري

وتفهّمـي عبـث اليهـود وكيـدهم ... كـي تحرقـي أوراق أخبـث عسـكر

هـم أغرقـوا الإنسـان فـي قعـر الخنـا ... ثـم اعتلـوْا للـدس أرجـى منبـر

بثـوا السـموم علـى الـديار ، وأمعنـوا ... فـي كـل إغـواءٍ عتـي أجهـر

وتفننـوا فـي الموبقـات وفـي الأذى ... وضـحية الكُفـار بعـض الأثـور!

ولهـم - إلـى سـبْي القلـوب - وسـائلٌ ... ولهـم - إلـى الألبـاب - أقصـرُ أجسُـر

خبثـوا ، وخابـت كـلُ أطروحـاتهم ... فهـمُ – ورب النـاس – أحقـرُ مَعشـر

هـم قـد أضـلوا الشِـيبَ والشـبان فـي ... جهـةٍ ، وفـي أخـرى قطيـعَ القصّـر

وتلاعبـوا دهـراً بـبعض نسـائنا ... ولهـم طرائـقُ نظِمـتْ فـي أوكُـر!

يـا أخـت فاحتـاطي لـدينكِ ، واعلمـي ... حِيَـلَ اليهـود ، ودينَ ربـكِ فانصـري

لا تسـلكي سُـبُلَ الغوايـة ، إنهـا ... شَـرَكٌ يريـدكِ فـي الـدنا أن تفجُـري

نـادتْ عليـكِ رحـى الدياثـة غـرّدي! ... عـن سـاعد الإغـراء – فينـا - شـمّري

مُـدتْ إليـكِ يـدُ التخنـث شـاركي ... فلتنـزلنّ ضـحىً بأنكـد أبـؤر!

وضـعي مـن (المكيـاج) كـل طيوفـه ... وتبـذلي ، والشـعرَ هـذا ضـفري!

وتجمّلـي بـالعُري ، إنـكِ غـادة ... وبكـل مـن يهـوى التبـرج غـرري

لا تلبسـي كفـنَ المَـواتِ ، فإنـه ... سِـرجٌ تمـوّج مثـل جلـد الجـؤذر

وعبـاءة طـولى سَـمِيكٌ نسـجُها ... قـومي اطرحيهـا ، والملاحـفَ قصّـري

يـا أخـت لا تهنـي ، فهـذي جوقـة ... درجـتْ علـى عُـودٍ يـرنّ ومزهـر

فاستمسـكي بـالحق ، أنـت تقيـة ... وتـذكّري مـا قالـه (ابـنُ الأبجـر)

أعنـــي (النجاشـــيَ) الـــذي لـــم يكتـــرثْ ... بتعلـــل الحمقـــى ، ولـــم يتـــأثر

لمّـــا رأى التبيـــانَ حصـــحصَ وازدهـــى ... لمّـــا يقـــلْ ســـوءاً ، ولـــم يتكبّـــر

بـــل أســـلم المَلِـــكُ العظـــيمُ بـــلا مِـــرا ... فتـــأملي مـــا تســـمعين ، وقـــرري

وأراكِ بالتوحيـــــد أقـــــوى عِـــــزة ... مـــن جوقـــةِ العُهـــر الأثـــيم المنكـــر

فاستعصـــمي بـــالله عنـــد هجـــومهم ... وإذا لقيـــتِ فلـــولهم فلتصـــبري

وإذا رأيـــــتِ جمـــــوعَهم لا تقلقـــــي ... فالضـــعفُ هـــم ، إيـــاك أن تســـتكثري!

شـــتان بـــين طغـــاتهم وتقاتنـــا! ... هـــل يُـــذهِبُ الـــذبّانُ بـــأس الأصـــقُر؟!

شـــتان بـــين عِصـــابةٍ مَســـعورةٍ ... تهـــذي وبـــين شـــبابنا المستبصـــر!

شـــتان بـــين خنـــافس فـــي جُحرهـــا ... تقتـــاتُ مـــا اصـــطادت وبـــين الأنسُـــر!

أنـــا يـــا فتـــاة الحـــق بُحْـــتُ بمـــا حـــوى ... قلمـــي الأريـــبُ عـــن الـــرؤى والمَخبَـــر

ســـطرتُه شـــعراً يُعطـــره الســـنا ... لـــكِ فـــافهمي رمـــز القصـــيد ، وخبّـــري

و(محمـــد العـــوّادُ) كـــان دليلنـــا ... أكـــرمْ بإرشـــاد الـــدليل العبقـــري!

رحـــم المليـــكُ (محمـــداً) ورفاقـــه ... ممـــن توشـــح بـــالقريض الأزهـــر

إنـــي أعارضـــه لأجبـــر كســـره ... إذ لســـتُ – فـــي الأشـــعار – بـــالمتبحّر!

لكنـــه أمـــلٌ يغـــازل عزمتـــي ... مـــن بعـــد تفكيـــر عميـــق المأســـر

إنـــي وجـــدتُ (ســـناد تأســـيس) بهـــا ... أمســـى يُخمّـــش فـــي القصـــيد الخيّـــر

فنقشـــتُ أخـــرى كـــي تعضّـــد أختهـــا ... وتكـــون فـــي التمِحـــيص مثـــل المجهـــر

وأقِيـــل عثـــرة شـــاعر متضـــلع ... عـــن نصـــحنا بالشـــعر لـــم يتـــأخر

كـــيلا يكـــون لمفلـــس مـــن حجـــةٍ ... فأنـــا البصـــيرُ بـــنفخ كـــل متبـــر

ليكـــون (عـــوادٌ) هنالـــك فـــي الـــذرى ... وبـــرغم غِـــر مُقـــرفٍ مُستشـــعر

فالســـاحة امـــتلأتْ بكـــل معربـــدٍ ... والأرضُ عجّـــتْ بالخنـــا المســـتهتر

(عـــوّادُ) هـــذا الشـــعرُ نفـــحُ عطـــائكم ... لا خيـــر فـــي قلـــم بكـــم لـــم يشـــعر!

(عـــوّادُ) مـــا عِبنـــا علـــى أشـــعاركم ... لكنـــــه شـــــرط القـــــريض النيّـــــر

ولقـــد أتيـــتُ بمـــا أتيـــتَ ، فلامنـــي ... أســـــتاذنا (النحـــــويّ) بعـــد تحيّـــر

وكـــــذلك (النـــــوبي ســـــالم) لامنـــــي ... فـــوددتُ أنـــي يومهـــا لـــم أنشـــر!

فعمـــــدتُ (للتأســـيس) ، ثـــم هدمتـــه ... فقـــلاه شـــعري اليـــومَ بعـــد تطهّـــر

وشـــكرتُ (للنحـــوي) ثـــم (لســـالم) ... وجميـــلُ كـــلٍ فـــاق طعـــم الســـكّر

فجزاهمـــا المـــولى بأفضـــل مـــا جـــزى ... عبـداً نهـى – بـين الـورى – عـن منكـر

عـــوادُ لـــم أقصـــدْ إلـــي تجـــريحكم ... وقصـــيدتي لمّـــا تكـــن بـــالمَنحر!

والســـبقُ ســـبقك ، والقـــريضُ قريضـــكم ... والـــوزن ســـام مـــن أصـــيل الأبحُـــر!

وقصـــيدة (العـــواد) أعـــذبُ ناقـــةٍ ... وقصـــيدتي ليســـت لهـــا بـــالمَعقر

بـــل مربـــدٌ بالشـــعر أصـــبح منتـــدىً ... والشـــعرُ فيـــه كمثـــل غيـــثٍ ممطـــر

وإليـــكِ يـــا أخـــت العقيـــدة صـــغته ... وكمـــا تـــرين إبـــاءه لـــم يُضـــمَر

أرجـــو لـــكِ الخيـــر العمـــيم ، وأبتنـــي ... صـــرح الكرامـــة فيـــه بعـــد تـــأثري

فتـــأملي مـــا قـــد سَـــطرْتُ ، وأحســـني ... وإذا لمســـت الخيـــر ربـــك فاشـــكري

وإذا ســـمعتِ بمـــن يريـــد خِلافـــه ... ويريـــدها فوضـــى حُســـامَكِ أشـــهري

وإذا المـــواعظ لـــم تُفِـــد أصـــحابها ... فحـــديثك الميمـــونَ عـــنهم وفـــري

وتعلمـــي لغـــة الجـــدال ، ونـــافحي ... عـــن هـــدي ربـــك دون أيّ تجبّـــر

أختـــاه دونـــكِ مـــا كتبـــتُ أمانـــة ... وتمثلـــي أخـــلاق (بنـــت الأزور)!

إنـــي ســـطرتُ قصـــيدتي لـــكِ غـــادتي ... أهـــديك إياهـــا ، ففيهـــا فكّـــري

أهـــديكِ مـــا صـــاغت يمـــينُ قريحتـــي ... شـــعراً يفـــوحُ شـــذىً كلهجـــة (عنتـــر)

بـــدموع قلبـــي صـــغته ونفختـــه ... بجـــوى دمـــي المتـــألم المتفجّـــر

أهـــديكِ أنـــتِ بمـــا كتبـــتُ جـــديرة ... وأديبـــة حفظـــتْ حـــديث (المِســـور)!

والشـــــعرُ جـــــزلانٌ لأنـــــكِ فخـــــرُه ... أجمـــــلْ بشـــــعر بالضـــــيا متـــــأثر!

لـــم أرجُ منـــه – اليـــوم – غيـــرَ ثوابـــه ... ولـــذا فشـــعري – اليـــوم – لـــيس بمُهـــدر

وســـــوايَ صـــــاغ الشـــــعر دون ترفـــــع ... ومضـــى يُصـــوّر فـــي القـــوام الســـمهري

ومضـــــى يصـــــور كـــــل دُعـــــر مُنـــــتن ... أبـــــئس بتصـــــوير غـــــوى ومُصـــــور!

ومضـــــى بصـــــاحبة القـــــوام لحتفهـــــا ... فغـــــدا أســـــيراً للطِـــــلاء الأحمـــــر

ومضـــــى يـــــوْز بغمـــــزه ولهاثـــــه ... ومضـــى يُمـــزق فـــي الـــرداء الأخضـــر

ومضـــى يُجسّـــم فـــي شـــهي رضـــابها ... ومضـــى يُرصّـــع فـــي ارتســـام المنخـــر

ومضـــى يُزخـــرف فـــي سَـــواد عيونهـــا ... ويَـــزينُ مُحتـــالاً غـــرور المحجـــر

ويَشـــيدُ بـــالعُرْي المُشـــين كأنمـــا ... حُســـنُ الجميلـــة فـــي انحســـار المئـــزر!

ويُفـــاخرُ الـــدنيا برونـــق كفهـــا ... ويهـــيم ملتاعـــاً برســـم الخِنصَـــر

ويُزخـــرفُ الشـــمطاء يُحْـــدث فتنـــة ... ويوجـــه الأنظـــارَ نحـــو البنصـــر

وإذا بمجتـــــثِ المشـــــاعر غارقـــــاً ... فـــي بحرهـــا ، أبـــئسْ بأخيـــب مُبحـــر!

وهـــي التـــي لـــم تكتـــرثّ بصـــياحه ... حتـــى ولا بشـــعوره المستســـخر

هـــي دون مـــا كتـــبَ الرقيـــعُ حقيقـــة ... إذ لا تســـاوي نظـــرة مِـــن مُبصـــر

فالحســـنُ مصـــطنعٌ ، ولـــيس طبيعـــة ... فيهـــا ، ولكـــنْ معطيـــات تطـــور

أنـــا لـــو أردتُ الشـــعر هـــذا جُبتـــهُ ... وكتبـــتُ فـــي حـــواءَ دون تنكـــر

ولكـــان ريـــعُ الشـــعر – عنـــدي - ذاخـــراً ... ولمَـــا رمـــاني النـــاس بـــالمُتحجر

لكـــــنْ أردتُ الله بالشـــــعر الـــــذي ... أنشـــــدته بـــــتمعُن وتبصـــــر

وقـــد احتســـبتُ الشـــعرَ عنـــد الله لـــم ... أرجـــو بـــه مـــالاً ، فلـــم أتحســـر

والخيـــر عنـــد الله ، لا عنـــد الـــورى ... والله مـــولى كـــل فـــذ خيّـــر

سُـــبحان ربـــي مـــن كـــريم مـــنعم ... متفضـــل متكـــرم متكبـــر!

يا ليلَ الصب! (معارضة لعلي الحصري القيرواني)

(في العصر المملوكي ينبغ الشاعر علي الحصري القيرواني في كتابة: يا ليلَ الصب! وتعتبر من عيون شعر العرب في ذلك العصر! يقول مطلعها:

يـــا ليـــلَ الصـــب متـــى غـــدهُ؟ أقيـــامُ الســـاعة موعـــدهُ؟

رقـــد الســـمّارُ ، وأرّقـــه أســـفٌ للبـــين يُـــردده

واستمر في وصف ليل الصب ولوعة الصبابة ولوم أهلها إلى أن ختم قصيدته مثنياً على شعره بقوله:

مـــا أجمـــل شـــعري فـــي خبـــب! والشـــعرُ قليـــلٌ جيـــدهُ

لـــولاك تســـاوى بَهرجُـــه فـــي ســـوق الصـــرف وعســـجده

ولضـــاع الشـــعر لـــذي أدب أو ينفقـــه مَـــن ينقـــده

فعليـــك ســـلامُ الله متـــى غنـــى بالأيـــك مُغـــرده

وأما أنا فعجبتُ لأمر هذا الخاطب الذي يبدأ اتصاله بخطيبته ـ التي هي أجنبية لأنه لم يعقد بعدُ عليها – من بعد صلاة العشاء ، ويُنهيه عند صلاة الفجر! سألت: ماذا يقول؟ وبم ترد هي عليه؟ فقيل: يدرسان أخلاق بعضهما البعض! فقلت: ليس عندهما أخلاق! والأصل أن يكون الجواب: يفسدان أخلاقهما! وفي فتاوى نور على الدرب كان سؤالٌ وجواب: السؤال: فضيلة الشيخ هل يجوز لي أن ألتقي وأحادث خطيبتي علماً بأنه حتى الآن لم يتم عقد القران أفيدوني مأجورين؟ الجواب: الخطيبة أو المخطوبة أجنبيةٌ من الخاطب لا فرق بينها وبين من لم تكن خطيبة حتى يعقد عليها ، وعلى هذا فلا يجوز للخاطب أن يتحدث مع المخطوبة أو أن يتصل بها إلا بالقدر الذي أباحه الشرع! والذي أباحه الشرع هو أنه إذا عزم على خطبة امرأةٍ فإنه ينظر إليها إلى وجهها وكفيها وقدميها ورأسها ، ولكن بدون أن يتحدث معها اللهم إلا بقدر الضرورة ، كما لو كان عند النظر إليها بحضور وليها ، يتحدث معها مثلاً بقدر الضرورة مثل أن يقول مثلاً هل تشترطين كذا أو تشترطين كذا وما أشبه ذلك ، أما محادثتها في التليفون حتى إن بعضهم ليحدثها الساعة والساعتين ، فإن هذا حرام ولا يحل! يقول بعض الخاطبين: إنني أحدثها من أجل أن أفهم عن حالها وأفهمها عن حالي ، فيقال ما دمت قد أقدمت على الخطبة ، فإنك لم تقدم إلا وقد عرفت الشيء الكثير من حالها ، ولم تقبل هي بك زوجاً إلا وقد عرفت الشيء الكثير عن حالك ، فلا حاجة إلى المكالمة بالهاتف! والغالب أن المكالمة بالهاتف للخطيبة لا تخلو من شهوةٍ أو تمتع شهوة ، يعني شهوة جنسية أو تمتع يعني تلذذ بمخاطبتها أو مكالمتها ، وهي لا تحل له الآن حتى يتمتع بمخاطبتها أو يتلذذ!).هـ. ويؤكد د. عبد الفتاح إدريس عندما سُئل: هل تؤيد تعليم لغة الإشارة في المدارس لتسهيل التواصل مع الصم والبكم في المجتمع؟ فترة الخطوبة تعد فترة جميلة للطرفين ، ولكنها في نفس الوقت ساحة مليئة بالألغام والمطبات واجتيازها يتطلب وعياً خاصاً وإدراكاً سوياً ، فخلال هذه الفترة يردد الطرفان المقولة المعلومة: « أنا لا أكذب ولكني أتجمل». حيث يظهر كل منهما بغير طبيعته وأفعاله الحقيقية ،

ويحاول كل منهما إبراز أفضل ما عنده من حديث ومعلومات تدعم موقفه ، أما سلبيات الطرفين فتكون قابعة ومستريحة وكامنة في أعمق أعماقهما. والخطوبة تعد أيضًا جسراً لتواصل الأسرتين نحو مزيد من التعارف والتقارب ومنها يزداد القرب بين المخطوبين ما يتيح للفتاة الخروج والتأخير خارج المنزل بحجة أنها مع خطيبها ، ومنها تتولد العديد من النزاعات والمطالب التي تخرج في كثير من الأحيان عن طبيعة العلاقة ومتطلباتها ، ولكن رجال الدين والتعليم رأوا أن هناك ضوابط شرعية لا بد من أن تحكم العلاقة خلال فترة الخِطبة ، خاصة في ظل ظهور حالات كثيرة فسخت خطوبتها بعد اكتشاف الشاب والفتاة ، أن كلا منهما كان يخدع الآخر ، ويظهر على غير حقيقته. ويؤكد د. عبد الفتاح إدريس ـ أستاذ الفقه المقارن فإن فترة الخطبة فيها مزيد من الأخطاء الشائعة من قبل أسرة الفتاة ، مثل الاستسهال مع الخاطب فيتركونه يجلس مع خطيبته على انفراد ، بل يتعمد الأب ألا يبقى في البيت في وجود الخاطب ، وكذلك تسمح الأم بخروج ابنتها مع خطيبها ، وكأنه حق مشروع ، وتترك لهما الحبل على الغارب. وأضاف إن هناك كثيراً من الأمور التي حرمها الله سبحانه وتعالى لا يفترض أن تتم بين الخطيب وخطيبته ، مثل حديثهما عبر الهاتف لا بد أن يكون في حدود ما أمر الله به ، وألا يتطرق فيه إلى الأمور العاطفية لأن هذا الأمر حرام شرعًا ، وكذلك يحرم على الفتاة الجلوس أمام الكمبيوتر لتدخل في حوار عبر الإنترنت مع خطيبها ، لأن مثل هذه الأمور تحايل على شرع الله سبحانه وتعالى. إن مثل هذه التصرفات ، وفق رؤية إدريس ، فيها خروج عن الشرع في مرحلة الخطبة ، بالإضافة إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لرجل أن يخلو بامرأة حتى ولو كان يعلمها القرآن وحتى لو كانت مريم بنت عمران». على الخاطب إذن أن يغض بصره ، وألا ينظر إلى مواضع العورة عند مخطوبته لأنها امرأة أجنبية عنه إلى أن يعقد قرانه عليها ، كذلك لا يجب أن يذهب الخاطب إلى بيت مخطوبته في غياب أبيها لأن البيوت حرمات. والخطوبة! كما يؤكد د. عبد المعطي بيومي؟ العميد الأسبق لكلية أصول الدين عضو مجمع البحوث الإسلامية. الخطوبة هي وعد بالزواج ، ومن الممكن أن يتم الزواج بعدها أو لا يتم ، موضحاً أن الخاطب يعتبر بالنسبة لمخطوبته شخصاً أجنبياً عنها ، لا يجوز أن يجلسا سوياً بمفردهما دون وجود محرم ، وبعيدًا عن أعين أهلها ، لأن الخطبة ليست زواجاً بعقد نكاح. وقال إن الإسلام وضع ضوابط للخطوبة ، منها أن يتركز الحديث بينهما على ما يحدد المستقبل ، والتعرف على رؤية كل منهما بما يفيد لخلق زواج مستقر وناجح ، كذلك يجب ألا تظهر الفتاة أمام خطيبها عارية الرأس ، أو بملابس ضيقة أو مكشوفة تكشف عوراتها لقوله تعالى: {ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن...} ، ففي هذه الآية الكريمة ينص المولى سبحانه وتعالى على أنه لا يجوز للمرأة أن تظهر بزينتها إلا أمام زوجها أو أبنائها ، والخاطب شخص غريب. من جهته تنصح د. سعاد صالح ـ أستاذ الفقه بكلية الدراسات الإسلامية والعربية الشاب الذي يريد خطبة فتاة أن يتوجه إلى أسرتها مباشرة ، بدلا من علاقة سرية بدعوى الحب والمقابلات من وراء الأهل والمعارف لأن مثل هذه العلاقة وفي هذه الحالة هي علاقة آثمة لا يرضى الله سبحانه وتعالى عنها الذي يقول في كتابه الكريم: {وأتوا البيوت من أبوابها}. وأثناء اللقاء بين الخاطب ومخطوبته ، تؤكد صالح ضرورة أن يتم اللقاء بين الخطيبين في حضور ذي رحم محرم ، سواء كان هذا اللقاء في البيت. موضحة أن فترة الخطوبة من الفترات المهمة التي يجب النظر إليها بمنظور مختلف ، ومن منظور إسلامي يحفظ للبنت شرفها وكرامتها ، ويجعل الخاطب يحافظ على سمعة البيت الذي يدخله. والخطوبة

وفق أستاذ الفقه ، هي فترة للتعارف ـ ليست بين الفتاة وخطيبها فقط ، ولكن بين الأسرتين معاً موضحة أن هناك مبادئ وقواعد لا يجب تجاوزها حتى يبارك الله سبحانه وتعالى في هذا الزواج ، ومن هذه الضوابط أنه لا توجد التزامات شرعية للمخطوبة تجاه خطيبها ، والعكس ، إنما هي مرحلة مؤقتة لمعرفة كيف يفكر الطرفان وإذا تأكدوا خلال هذه الفترة من مصداقية كل منهما ، ويحتمل أيضا أن يكتشف أحد الطرفين بأنهما غير متوافقين وينتهي كل شيء. وعن رؤية الخاطب لمخطوبته عبر غرف «الشات» على شبكة الإنترنت قالت: إن هذه اللقاءات في هذه الحالة تعتبر خلوة غير شرعية لا يجوز للخاطب أن يخلو بخطيبته مطلقًا لأن في مثل هذه الخلوة من الممكن أن يتدخل الشيطان بينهما فيحدث ما لا تحمد عقباه «ما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما». أما د. أحمد السايح ـ أستاذ العقيدة فيقول: لاحظنا بدعاً حاول البعض فرضها وكأنها أمر عادي بين المخطوبين مثل الخروج للتنزه والترفيه دون رقيب أو حسيب أو وجود محرم ، وهذا يفرز أشياء سلبية كبيرة بين المخطوبين وبينهم من يغريه هذا التساهل ويغرر بمخطوبته ، ويفعل معها الفحشاء بدعوى أنه خطيبها وبعدها يهرب بجلده ، وهنا تقع الطامة بعد أن يحصل الشاب على ما يريد. وطالب السايح أولياء الأمور بضرورة وضع الضوابط وعدم ترك الأمور تسير بهذا الشكل قائلاً: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالأب راع في بيته وهو مسؤول عن رعيته والأم راعية في بيتها وهي مسئولة عن رعيتها». وعن الضوابط الشرعية التي حددها الإسلام في فترة الخطبة قال: أولا إن الإسلام يمنع الخلوة بين الخاطب ومخطوبته تحت أي مسمى، وكذلك من الأمور المنهي عنها عدم ظهور الخطيبة بزينتها أمام الخطيب ، وأن تتعامل معه كأجنبي حتى يعقد قرانه عليها على رأس الأشهاد {فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض}.)

(يـــا ليـــلَ الصـــب متـــى غـــدهُ)؟! بـــــالفجر يُـــــوافي موعـــــدُهُ

إنـــــي أعجـــــبُ مـــــن أي فتـــــىً يهـــــوى جـــــداً مـــــا يُفســـــده

يتصـــــــل بتافهـــــــةٍ بلهـــــــا لتقـــــــول كلامـــــــاً يقصـــــــده

لتُســـــــليَ خـــــــاطرَ مـــــــرتكس فـــــــي الطـــــــين فمـــــــن يتفقـــــــده

ســـــــحرتْه بطـــــــول ذوائبَهـــــــا والطـــــــول المفـــــــرط يُجهـــــــده

ومضـــــــتْ بالعقـــــــل جـــــــدائلها هـــــــل يَعقـــــــل عبـــــــدٌ يفقـــــــده؟

أخذتْـــــــه مخـــــــارجُ أحرُفهـــــــا ماضـــــــيه ثـــــــوى ، وثـــــــوى غـــــــده

وحـــــــواراً يبـــــــدؤه لـــــــيلاً ويُخمـــــــره ويُـــــــرردده

يختـــــــرعُ أحاديثـــــــاً شـــــــتى لا يـــــــدري مـــــــا كســـــــبتْ يـــــــده

ويُؤلـــــــف زوراً مفتضـــــــحاً وعلـــــــى المخطوبـــــــة يَســـــــرده

ويُطِيـــــــــلُ حـــــــــديثاً مختلقـــــــــاً ... ويُوصـــــــــــــــله ويُقعـــــــــــــده

والبلهـــــــــا تجهـــــــــل مقصـــــــــده ... خـــــــــاب الـــــــــدهقانُ ومقصـــــــــده!

أولـــــــــيس وراءك مـــــــــن عمـــــــــل ... بـــــــــالرغم ضـــــــــحىً تتقلـــــــــده؟

أوليســـــــــتْ تردعُـــــــــك التقـــــــــوى ... لتغربـــــــــل مـــــــــا تتعمـــــــــده؟

الله رقيـــــــــبٌ يـــــــــا هـــــــــذا ... خـــــــف يـــــا عبـــــداً مـــــن تعبـــــده!

أتظن أنك حينما أحرجتني؟!

(محاكاة لنص الشاعر مِهذل الصُّقور)

(دار حوارٌ بين أحد طلبة العلم الشرعي ، وأحد المبتدعة المرتزقة الجهلاء السفهاء! وراح الثاني (المبتدع) لضآلة علمه بالشرع يجهل على الأول (طالب العلم)! وزاد حباتِ الطين بلة فأخذ يُعدِّد بدعَهُ وتجاوزاتِه وخرافاتِه وأباطيلَه! فادَّعى جَوازَ طلب المَدد من الموتى. وزعم أن هؤلاء الموتى يضرون وينفعون. وزعم حِلَّ الطواف بالقبور والنذر والذبح للأموات. وادعى أن الوليَ أفضلُ من النبي. وادعى العِلم اللدُنيَّ والتفسيرَ الإشاري. وزعم لنفسه أنه كالقيامة يأتي بغتة. وزعم أنه كالمسيح عيسى سيعود ليقتل الدجال. وزعم لنفسه أنه يُبْرئ الأبرصَ والأكمه ويشفي السقيم. وزعم أنه سيُوحِّدُ أديان الأرض الباطلة ودينَ السماء الحق لتُصبح جميعاً ديناً واحداً. وزعم أنه سوف ينسخ الكتب السماوية كلها إلى كتاب واحد! عجباً لهذا المتخرص: يَمزجُ الأديان ويمزج الكتب كأنها عصيرُ كوكتيل! وزعم أنه من أهل الحقيقة فلا يلزمه التقيدُ بنصوص الشريعة من الكتاب والسنة ، وأن الناس من حوله أهل الشريعة. وادَّعى أنه يُكلمُ الأرواحَ ويُهاتفُ الجن ويداعبُ الشياطين ويُسَخرُ العفاريت. وادعى أنه يعلم الغيب. وزعم صحة التعبد بالتراتيل الجماعية والرقص واللطم والموسيقى والطبل. وزعم أن الكعبة تطوف بالأولياء. إلى غير ذلك من الترَّهات والأحاجي والخزعبلات! فانسحب طالبُ العلم من النقاش العقيم! فظن المعرضُ الجاهلُ أن هذا هو انسحابَ المغلوب المهزوم! فقال له: بل هو انسحابُ الغالب المنتصر! وصدق الشافعي: ما جادلتُ عالماً إلا غلبته ، وما جادلني جاهلٌ إلا غلبني! وعقب قائلاً: أتظن أنك حينما أحرجتني أمام الناس قد هزمتني؟ لا وربي ، فأنا الحق! وعندما أردتُ التعبير شعراً عن هذا السجال غير المتكافيء ، حاكيتُ الشاعرَ مِهذل الصُّقور!)

أتظـــنُّ أنـــك عنـــدما أحرجتنـــي ... بـــين الأنـــام مُعَرِّضـــا بثبـــاتي

وسَـــخِرْت مِـــن أدبـــي وفـــرط تحَلمـــي ... وهزئـــت مِـــن قِيَمـــي ومِـــن هـــدَآتي

وطعنـــت بُرهـــاني وقـــاطعَ حُجَّتـــي ... وشـــكَكت فـــي صِـــدقي وفـــي كلمـــاتي

وبـــدا انتصـــارُك للعيـــون مُظفـــراً ... وأنـــا هُزمـــتُ تلـــوكُني دَمَعـــاتي

ودعـــوت مَـــوتى فـــي القبـــور مُـــؤمِّلاً ... أنْ يســـتجيبوا هـــذه الـــدعوات

وجهـــرت أنْ فضـــلُ الـــوليِّ علـــى النبـــ ... ـــيِّ مُعَظـــمٌ ، ويَفوقـــه درجـــات!

ورأيـــت بـــالعِلم اللـــدُنيِّ الـــورى ... حمقـــى ، وأنـــت مُطيَّـــبُ المَلكـــات!

وعشـــقت تفســـيراً إشـــارياً ســـما ... عـــن أن يكـــون لـــه قبـــيحُ سِـــمات

وهتفـــت للـــدنيا بكـــل تـــبجُّح ... أنـــت القيامـــة عـــن قريـــب آت

مَـــن كالقيامـــة يـــا جهـــولُ ، ألا تعـــي؟! ... أم غـــاب وعيُـــك فـــي لظـــى الســـكرات؟!

هـــل مـــسَّ عقلَـــك مِـــن جنونـــك هـــاجسٌ ... حتـــى ابتُلِيـــت بأشـــرس المَسَّـــات؟!

وزعمـــــت أنـــــك كالمســـــيح فعائـــــدٌ ... لتُعِيـــــد حقـــــاً مُبتلـــــىً بعُتـــــاة

وقـــدرت تُبْـــرئُ أبرَصـــاً فـــي أهلـــه ... وهرعـــت تُحيـــي الآن بعـــضَ مَـــوات

وعلـــى يـــديك العُمـــيُ عـــافهُمُ العمـــى ... وعيـــونُهم شُـــفِيتْ مِـــن النفحـــات

ولتقتـــلَ (الـــدجالَ) عـــاث بأرضـــنا ... سُـــوءًا ، فعِشـــنا فـــي دنـــيء حيـــاة!

(عيســـى) بـــريءٌ منـــك يـــا متخرصـــاً ... يـــا مُـــوغلاً فـــي الزيـــغ والســـقطات

وشَـــهدت نفسَـــك مُصـــلحاً بلـــغ الـــذرى ... وبـــدا بخيـــر عِبـــادة وصـــلاة

وأتـــى لكـــل النـــاس أعظـــمَ مُرشِـــدٍ ... برســـالةٍ جـــاءتْ بخيـــر وَصـــاة

ســـتُوحِّدُ الأديـــانَ أديـــانَ الـــدُّنا ... والـــدينَ جـــاء بـــه جميـــعُ هُـــداة!

لتبيـــت دِينـــاً واحـــداً مُتوحـــداً ... صَـــفيته مِـــن سَـــييء الهفـــوات

ســـتُوحِّدُ الكتـــبَ التـــي نزلـــتْ لنـــا ... مِـــن ربنـــا فـــي ســـالف الفتـــرات

لتصـــيرَ والقـــرآنَ سِـــفراً واحـــداً ... وتُجيـــدُ حبكتهـــا بكـــل أنـــاة

وتكـــون أنـــت الفـــردُ أهـــلَ حقيقـــة ... لا تحتفـــــي بنصوصـــــنا ورُواة

إذ نحـــن أهـــلُ شـــريعةٍ أحكامُهـــا ... ليســـت تســـيرُ علـــى الـــولي العـــاتي

وجهـــرت بالـــذكر الجمـــاعيِّ الـــذي ... هـــو ديـــدنُ (الصُّـــوفيِّ) فـــي الخلـــوات

وصـــدحت بالتوشـــيح يَشـــفعُه الغنـــا ... فـــي ســـامر الجلســـات والســـهرات

وأتيـــت بالـــ (ـــسَّيِّط) يَصـــحبُ فرقـــة ... والعَـــزفُ يُتحـــفُ ســـامرَ النـــدوات

وتُكَلـــمُ الأرواحَ تُـــدركُ سِـــرَّها ... مَرحـــى بـــدارس كُنهِهـــا ولغـــات!

وتُهـــاتفُ الجِـــنَّ الألـــى لـــك سُـــخروا ... هـــم للـــذي ترجـــوه خيـــرُ أســـاة

وتُـــداعبُ الشـــيطانَ تقهـــرُ بأسَـــه ... ليكـــون أرذلَ مـــا تـــرى مِـــن ذات

أتُبـــادلُ الشـــيطانَ بعـــضَ شُـــعوره؟! ... أتُعِيـــرُه مُسترسَـــلَ الهمـــزات؟!

وتُسَـــخر العفريـــت تســـتقوي بـــه ... إمـــا ابتُليـــت هنـــا بمَكـــر طغـــاة

وقـــرأت فـــي (شـــمس المعـــارف) صـــفحة ... مِـــن ذا الكتـــاب المُشـــركِ الصـــفحات!

فحـــذقت عِلـــمَ الســـحر مَزهُـــواً بـــه ... وخبـــرت مـــا فـــي الســـحر مِـــن نفثـــات

وزعمـــت عِلـــمَ الغيـــب ، أحقِـــرْ بالـــذي ... طـــرحَ المخـــارفَ فـــي عقـــول غـــواة!

وزعمـــت كعبتنـــا تطـــوفُ بزائـــر ... العقـــلُ أيـــن؟ فهـــل شـــدا بوفـــاة؟

ورأيـــت فـــي الـــرَّقص البغـــيض عِبـــادة ... بـــدم يُـــراقُ بـــدون أيِّ شَـــكاة

واللطـــمُ يَصـــحَبُه العَويـــلُ مُرنمـــاً ... أســـفِي علـــى هتافـــةٍ ونُعـــات

إنـــي انســـحبتُ مِـــن الجـــدال مُفضِّـــلاً ... بُعـــدي ، ولـــم أعمَـــد لأي أذاة

أتظـــن أنـــك عنـــدما جـــادلتني ... أخرســـتني بإثـــارة النعـــرات؟!

أتظـــن أنـــك بالخصـــومة عِبتنـــي؟! ... أو نلـــت منـــي يـــا ســـليلَ غفـــاة؟!

أنـــا قـــد فضـــحتُك بـــالقريض حقيقـــة! ... والشـــعرُ يَقـــروُه بهـــيٌّ ثِقـــات

كـــي يَحـــذروا مِـــن جاهـــل مُتعـــالم ... لا بـــد أن يحظـــى هنـــا بفـــوات

أنـــا لـــيس لـــي بـــاعٌ بإقنـــاع الغثـــا ... مادمـــتُ مُعتـــزاً بمُعتقـــداتي

فـــالزمْ حُـــدودَك يـــا جهـــولُ ، وعـــافني ... هـــذا الســـجالُ ينـــالُ مِـــن خلجـــاتي

ألفيـــتُ عقلـــك لا يُصِـــيخ لصـــرختي ... ومتـــى اســـتجاب لعاقـــل الصـــرخات؟!

واللهِ يَحكُـــمُ يـــا مُفـــرِّط بيننـــا! ... ولديـــه أدركُ نصـــرتي ونجـــاتي!

اعتذار الراجحي! (معارضة لفواز الراجحي)

(شاعرنا اليمني الكبير / فواز خالد الراجحي كان قد حصل على شهادة تقدير في الشعر ، في بعض مجموعات الفيس بك الشعرية! وكنت أحد المشتركين فيها ، فقمتُ بتحيته والمباركة له قائلاً بأنه يستحق كل تقدير وتكريم ، ولو كرَّمناه بمنحه كأس الأمم الأفريقية لما كان كثيراً عليه ، بل هو قليل ، عليه وعلى أشعاره العظيمة! وفهم الرجل كلامي كله على وجهه الأمثل إلا التذييل: (كأس الأمم الأفريقية) ، فتوهم أنني أسخر منه! وكان عليه أن يسألني لأخبره عن مرادي! ولكنه تسرَّع وكان منه ما ينبغي أن نضرب عنه الذكر صفحاً! فعزمتُ على أن يكون حكماً بيننا الله رب العالمين! فراجع الراجحي حساباته وعاتب نفسه ، ووسط بيني وبينه الأخت العبقرية الراسخة في معرفتي جهاد العلي ، فقلتُ لها: (أجرنا من أجرتِ يا جهاد)! على غرار قول النبي – صلى الله عليه وسلم لابنة عمه فاختة بنت أبي طالب – رضي الله عنها -: (أجرنا من أجرتِ يا أم هانيء!) وها أنا ذا أورد اعتذار الراجحي شعرا ونثراً ، وأقبل اعتذاره نثراً وشعراً! وهذا نص رسالته: (عذراً يا أخي ، لم أعلم أن كلامك كان مدحاً لا سخرية ، وإني أعتذر إليك جداً على سوء فهمي وتسرعي! وما كان ما كان مني إلا لجهالتي وصغر سني وقلة خبرتي. فاعذر فتىً جهلَ فأساء! وإنك إذ كتبت كلامك الأخير هذا ، وقر في نفسي أني ظلمتك دون علم ، ويعلم الله أني ما كنت من ذوي الظلم ، ولكني جهلت معنى كلامك ، فظننتك تسخر ، فقلت ما قلته لك ، وها أنا أعتذر لك جداً. ثم إني حين علمت أني أخطأت جعلت الأم جهاداً تكلمك وتخبرك أنني أعتذر إليك ، فهي من أعرف الناس من المشتركين بيننا في الأصدقاء هنا! وقال:

إليـــك اعتـــذاري فهـــل يُقبـــل؟ فعفـــوك نبغـــي وكـــم نأمـــلُ

تســـرعتُ طيشـــاً علـــى غِـــرَّةٍ فســـوءُ صـــنيع فتـــى يجهـــلُ

ولـــو كنـــتُ أدري بمـــا قلـــتَ حقـــاً لمـــا قلـــت ويحـــيَ ذا المقـــولُ

وإنني لأعتذر إليك بشدة ، والله جهلت فسامحني ، غفر الله لي ، وسأطلبك للصداقة مجدداً ، ولك الخيار: إن شئت قبلت ، وان شئت رفضت! لكن يكفي أن تسامحني على ما بدر مني من تسرع في الحكم جهلاً وطيشاً! والسلام.) وعموماً العفو عن الناس وكظم الغيظ والصفح عن الظالمين المسلمين المؤمنين الموحدين ، هذي كلها من العبادات التي لها أجر كبير عند الله تعالى! وللعفو آثارٌ طيبة وعظيمة على العبد في الدنيا والآخرة ، وليست مقصورة ولا محصورة في العبد أو عليه فقط ، بل على الفرد والمجتمع ، فما ذكرنا آنفاً من فضل العفو والصفح هو راجع في الغالب على العبد في الآخرة من الثواب العظيم والرفعة والجنة. وأما في الدنيا ، فراحة النفس وطمأنينة القلب وهدوء البال وسلامة الأعصاب وصحة الجسد ، وسعادته في الدنيا ، وهذا كله يعود على الفرد. أما على المجتمع: فتتآلف القلوب وتتماسك الصفوف ويتطهر المجتمع من أمراض الغل والحقد والحسد وقلة الجرائم من السرقة والقتل ، وغير ذلك من تقليل عدد القضايا التي تثقل كاهل السادة القضاة المؤمنون في محاكمهمُ الشرعية ، في أمور تافهةٍ من جراء عدم العفو والصفح! وختاماً: نقول لو أن الناس جميعاً أخذوا بمبدأ العفو والصفح ، لحفظهم ربهم سبحانه وتعالى من أمراض القلوب من الغل والحقد والحسد! وأنصح لكل من استشكل كلمة أو جملة أو عبارة قرأها لفلان أو سمعها من عِلان أن يحملها خير

المحامل ، وألا يتسرع في الحكم عليها أو تأويلها بمفرده! فليستفسر من كاتبها أو قائلها ، أو يسأل الراسخين في معرفة الرجل ، ولا يتهور فيبني عليها أحكاماً صاحبها بريء منها! فلما اتصلتْ جهاد العلي ، وشفعتْ للشاعر الراجحي وأجارت ، قبلتُ شفاعتها احتراماً لها ، ووعدتُ بإعادة المياة إلى مجاريها فكتبتُ هذه القصيدة العاجلة بهذه المناسبة ، وأعطيته هذا العنوان!)

قبلـــــتُ اعتـــــذارَك ، ذا أفضَـــــلُ ... وحَققـــتُ للخِـــلِّ مـــا يأمـــلُ

ومَـــن أنـــا حتـــى أمُـــنَّ بعفـــوي؟! ... وعفـــوُ المليـــك هـــوَ الأمثـــل

وأحْـــذِيك عهـــداً جديـــدَ الصُّـــوى ... وفـــي ظِـــل إرشـــادِه نعمـــل

ولا لـــــنْ أردَّ (جهـــــاداً) بمـــــا ... حَكَتْـــــه ، وإن الصـــــفا أجمـــــل!

مَللـــــتُ الخِـــــلافَ يزيـــــدُ الشـــــقا ... وزعـــــمُ انتفـــــاعي بـــــهِ مُبْطِـــــل

ويُـــــزري الشـــــقاقُ بأهـــــل الهُـــــدى ... فـــــإن سُـــــربِلوا ابتســـــمَ العُـــــذل

وبالصـــــفح نبلـــــغُ مـــــا نشـــــتهي ... وفـــــي سُـــــوحه يُـــــدرَكُ المِأمـــــل

و(فـــــواز) لـــــم يُـــــدركِ المبتغـــــى ... وقـــــولاً علـــــى خيـــــره يُحْمَـــــل

يمينـــــاً مـــــدَحتُ الـــــذي نالـــــه ... بـــــنص بإطرائـــــه يَكْمُـــــل

وإذ أشـــــكلَ الـــــنص أحـــــرى بـــــه ... سُـــــؤالي ، لأشـــــرحَ مـــــا يُشْـــــكِل!

فكـــــم بالســـــؤال اســـــتبانَ صُـــــوَىً ... لـــــنص تفاصـــــيله تعضُـــــل!

فيـــــا (راجحـــــيُ) اسْـــــتبنْ ، وادَّكِـــــر ... إذا كنـــــت فـــــي مَبحـــــثٍ تفصـــــل!

ولا تَـــــرْم يومـــــاً بريئـــــاً ســـــما ... عـــــن العيـــــب والـــــذمِّ ، ذا يقتـــــل!

ويـــــا ذا (اليَمـــــانيُّ) كـــــنْ عـــــاقلاً ... ينـــــالُ الســـــعادة مَـــــن يَعقـــــل!

مِـــــن الهـــــزل قطعُـــــك جِيـــــدَ الـــــذي ... يُحِبُّـــــك! خـــــابَ الـــــذي يَهـــــزل!

أدامَ المليـــــــكُ الإخـــــــا بيننـــــــا ... وعَلمـــــــك اللهُ مـــــــا تَجهـــــــل!

الطبل والتطبيل! (معارضة لقم للمعلم)

(إنها لكارثة كُبرى أن لا تكون لغة إلا التطبيل والتمييع والتطويع! وقد ألفناها كثيراً ، ومَقتناها أكثر! وكرهنا أصحابها ، ولكن لمَّا طفح الكيل ، وبلغ السيل الزبى ، كان لا بد من قصيدةٍ عن الطبل والتطبيل ، تضعُ الأمر في نصابه ، وتردُّ القوسَ إلى باريها ، والخبز إلى خبازيه ، لتُعْلِم الطبالة أن في الساحة مَن يفهمونهم ، ويكشفون خِداعهم! واحترتُ حيرة شديدة في هذه القصيدة! على أي بحر وعلى أية قافيةٍ يمكن أن أكتبها! فوقع في خاطري أن أجاري الشاعر حسين الدجاني في مطلعه:- (ألا بالصبر تبلغ ما تريدُ!) فأقول مجارياً له:-

ألا بالطبـــــل تبلـــــغ مـــــا تريـــــدُ وبالتطبيـــــل يعتـــــدلُ الحديـــــدُ

فطبِّـــلْ مـــا اســـتطعت لعـــل طـــبلاً تُفيـــدُ بـــه الـــورى ، أو تســـتفيد

ولكنني لم أرتح لهذا المطلع ، واستهجنت أن أحل التطبيل محل التقوى التي اشترطها الدجاني في مطلعه الجميل الساحر! فقلت: أذهب إلى امرئ القيس شاعر الجاهلية الأولى في مطلعه الجميل: (وليل كموج البحر أرخى سدوله)! فقلت مجارياً امرئ القيس:-

وطبـــل كمثـــل الرعـــدِ وافـــى بجُعـــره فأحـــدثَ أهـــوالاً بَـــدَتْ لمُطبِّـــلِ

ألا أيهـــا الطبـــلُ المُخـــذلُ عزمَنـــا أجِرْنـــا مـــن الجُعـــر الفظيـــع المُجَلجِـــل

وعدتُ فوازنتُ مرة ثانية ، فوجدتُ أن مقام البحر أسمى بكثير من مقام الطبل! فقلتُ في نفسي: أذهب إلى الشاعر العباسي أبي تمام في مطلعه البديع: (السيف أصدق أنباءٍ من الكتب)! وارتأيت لنفسي أن يطيبَ لي هذا الاختيار المحترم ، فقلت مجارياً أبا تمام:-

الطبـــل أكثـــرُ أنغامـــاً مـــن الكتـــبِ فـــي ضـــربه يُمـــزجُ التهـــريجُ باللعـــبِ

بـــيض الجلاجـــل فـــي رَنـــاتهن صـــدىً يُجلـــي عـــن الـــنفس مـــا عانـــتْ مِـــن النصـــب

وعدتُ فوازنتُ مرة ثالثة ، فوجدتُ أن مقام السيف أسمى بكثير جداً من مقام الطبل! فقلتُ في نفسي: أذهب إلى أبي العتاهية شاعر الرشيد في مطلعه الطيب القائل: (ألا ليت الشباب يعود يوماً؟)! لأعقد مقارنة بين طبول الماضي (دفوف الأعراس والحروب) ، فقلت مجارياً:-

ألا ليـــت الطبـــولَ تعـــودُ يومـــاً لنخبرَهـــا بعالمنـــا المَعيـــبِ

يـــرى فـــي الطبـــل بُـــرءاً لا يُبـــارَى يُطبِّـــلُ فـــي الشـــروق ، وفـــي الغـــروب

وعدتُ فوازنتُ مرة رابعة ، فوجدتُ أن مقام طبول أو دفوف الأعراس والحروب أسمى بكثير من مَقام طبول الجاهلية المعاصرة ومُطبليها! فقلتُ في نفسي: أذهب إلى أمير الشعراء شوقي في مطلعه المبدع: (قم للمعلم وفه التبجيلا)! فقلت مجارياً لشوقي:-

قـــم للمُطبِّـــل وفـــه التخـــذيلا كـــاد المُطبِّـــل أن يُضِـــلَّ الجـــيلا

أرأيـــت أحقـــرَ مِـــن مُطبِّـــل قومـــه تطبيلـــه يَصـــفُ الخنـــوعَ ســـبيلا

وعدتُ فوازنتُ مرة خامسة ، فوجدتُ أن مقام المعلم أسمى بكثير من مقام الطبل والتطبيل! فقلتُ في نفسي: إذنْ أذهب إلى إمام المذهب محمد بن إدريس الشافعي الفقيه الشاعر والشاعر الفقيه في مطلعه الرائع: (نعيب زماننا والعيب فينا)! فقلت مجارياً للشافعي:-

نعيـــبُ طبولنـــا ، والعيـــبُ فينـــا ومـــا لطبولنـــا عَيـــبٌ سِـــوانا

وقـــد نهجـــو الطبـــولَ بغيـــر ذنـــب ولـــو للطبـــل حنجـــرة هجانـــا

وعدتُ فوازنتُ مرة سادسة ، فوجدتُ أن مقام الزمان أسمى بكثير من مقام الطبل! فقلتُ في نفسي: أذهب إذن إلى الشاعر القدير أحمد عبد الهادي الشاعر الصعيدي الأسواني في مطلع جاريته قديماً فقلت فيه: (سئمت الحياة وأشجانها)! فقلت مجارياً:-

ســـــئمتُ الطبـــــولَ وأصـــــواتها وعِبـــتُ المُطبِّـــلَ يُـــزري بهـــا

ورُحـــــتُ أوضِّـــــحُ مستبســـــلا لكـــــل المخـــــاليق تضـــــليلها

وعدتُ فوازنتُ مرة سابعة ، فوجدتُ أن مقام الحياة أسمى بكثير من مقام الطبل! فقلتُ في نفسي: أذهب إلى الشاعر العباسي المعروف أبي العلاء المعري رهين المحبسين في مطلعه المحترم: (غيرُ مُجدٍ في ملتي واعتقادي)! فجاريتُه قائلاً:-

غيـــرُ مُجـــدٍ فـــي رُؤيتـــي ضـــربُ طبـــلِ بـــين كفـــيْ مُســـتهتِر أو شِـــبلِ!

وشـــبيهٌ قـــرعُ الطبـــول بـــداري بالـــدعاوى يَســـوقها بعـــضُ (هِبـــل)!

وعدتُ فوازنتُ مرة ثامنة ، فوجدتُ أن مقام الملة والاعتقاد أسمى بكثير من مقام الطبل والتطبيل! فقلتُ في نفسي: إذن أذهب إلى الشاعر إبراهيم ناجي في أطلاله ، حيث يقول في مطلعه الساحر الباهر:- (يا فؤادي رحمَ اللهُ الهوى)! فقلتُ مُجارياً لناجي:-

يـــا فـــؤادي الطبـــلُ أزرى بـــالورى باعثـــاً فـــيهم أضـــاليلَ الهـــوى

وأنـــا أســـأل نفســـي دائمـــاً: هـــل ســـبيلٌ للتعـــافي يـــا تُـــرى؟!

وعدتُ فوازنتُ مرة تاسعة ، فوجدتُ أن مقام مناجاة الفؤاد أسمى بكثير من مقام الطبل والطبالة! فقلتُ في نفسي: إذن أذهب إلى الحصري القيرواني الشاعر الأندلسي في مطلعه الطيب:- (يا ليلُ الصبُّ متى غده)! فقلت معارضاً للقيرواني:-

يـــا طبـــلُ الخيـــرُ متـــى غـــدُه هـــل يـــأتي غضـــاً سُـــوْدَدُهُ

أنهكنـــا التطبيـــلُ ، فـــذبنا شـــوقاً لهُـــدوءٍ نشـــهدُه

والحقيقة أن هذه المطالع كلها لم ترُقني ، وإنما عمدتُ إلى اختيار مطلع مختلفٍ بمذاق مختلف! ذلك أن الطبل والتطبيل قد ارتفعتْ وتيرتُهما جداً ، وانتقلتِ العدوى إلى البقاع والأصقاع ، كما انتقلتْ إلى الحَواضر والبَوادي! وهانَ كل شيئ في سبيل الطبل والتطبيل! وتعساً للطبالة! ولما كانت حيرتي أعارض بهذه القصيدة من من الشعراء الغابرين والحاضرين ، استقر الرأي على أن أعارض بها رائعة شوقي: (قم للمعلم)! لما فيها من جمال وعذوبة وسحر!)

قـــــرَعَ الأراذلُ للعُتـــــاة طبُـــــولا ... واســـــتعذبوا إيقاعَهـــا المَخبـــولا

صَـــنعوا بقـــرع الطبـــل مَجـــداً زائفـــاً ... خـــــدعَ الأنـــــامَ ، ورَوَّجَ التضـــليلا

كـــم حَسَّـــنوا بالطبـــل أقـــبَحَ صـــورةٍ ... فيهـــا العُتـــاة تبتلـــوا تبتـــيلا!

كـــم زيَّفـــوا التـــاريخ يَفضـــحُ مـــا ادَّعَـــوا! ... كـــــم زوَّروا ليُمَـــــرِّرُوا التـــــدجيلا!

كـــم شـــيطنوا الحـــق المبـــينَ تشـــفياً ... حتـــى يُزيغـــوا أنفســـاً وعقـــولا!

كـــم مثلـــوا دَورَ الحـــريص نكايـــة! ... خـــــابَ الأراذلُ أتقنـــوا التمثـــيلا!

كـــم صَـــوَّروا البُهتـــان صِـــدقاً خالصـــاً ... فغـــدا لنـــا معلـــومُهم مجهـــولا!

كـــم شـــوَّهوا أهـــلَ العقيـــدة سَـــخطة ... لِطغـــاة عصـــر فضـــلوا تفضـــيلا!

وتكلفـــوا الكِـــذبَ الصُّـــراحَ تحـــايلاً ... والنـــاسُ طبعـــاً صَـــدَّقوا التجهـــيلا

وتطـــاولوا حِقـــداً علـــى أهـــل الهُـــدى ... وهـــمُ أشـــدُ العـــالمين ذحـــولا!

طبالـــة التهـــريج هـــا هـــم بـــالغوا ... ولهـــم بصـــائرُ فـــي التخـــرُّص حُـــولى!

أدوارُهـــم فـــوق المســـارح مـــا انطلـــتْ ... إلا علـــى الحمقـــى ، وســـاءَ رَعـــيلا

منهـــاجُهم حَبْـــكُ المـــدائح والفِـــرى ... حتـــى غـــدَوا فـــي النـــاس أكـــذبَ قِـــيلا

لا ديـــنَ يَـــردَعُهم إذا مـــا عَربـــدوا ... شـــابوا علـــى كيـــل السِّـــباب كُهـــولا

هـــم أشـــهروا لمـــن اهتـــدى أغلالهـــم ... يُشْـــفون فـــي أهـــل الصـــلاح غلـــيلا

لِعقـــوا نِعـــالَ مَـــن افتـــرى ، وتشـــرذموا ... واســـــتعذبوا التلفيـــــقَ والتـــــأويلا

لـــم يَنصـــروا قِيَمـــاً بقـــرع طبُـــولهم ... والنصـــرُ كـــم يســـتهجنُ التطبـــيلا!

وقـــد اســـتبانَ الـــدربُ: هـــذي فِرقـــة ... جعلـــتْ تزلفهـــا الـــرخيصَ ســـبيلا

والســـحرُ أبطِـــلَ ، والحقيقـــة حَصحصـــتْ ... والطبـــلُ جامـــلَ مُفســـداً وعمـــيلا

ويمـــوتُ طبـــالٌ ، فمـــا اعتبـــروا بـــهِ ... وسِـــواه مـــات مُجنـــدلاً مَغلـــولا

كـــالوا التـــرَحُّم ، أظهـــروا تـــأبينهم ... واســـتبدلوا ببكـــائهم إكلـــيلا

والـــبعضُ فـــي ليـــل الجنـــازة حَـــثهم ... أن يصـــحبوا فـــي الظلمـــة القِنـــديلا

إذ لا اعتبـــار لأي قـــارع طبلـــةٍ ... أمســـى عـــن التـــوب الوشـــيكِ كَسُـــولا

طبالـــة التطويـــع شِـــيباناً غـــدَوا ... وقبـــورُهم نـــادتْ: كفـــى تهلـــيلا

عُـــودوا إلـــى الـــرحمن يُصـــلِحْ شـــأنكم ... فـــاللهُ خيـــرٌ مُصـــلِحاً ووكـــيلا

وكفـــى انحطاطـــاً يـــا حُثـــالات الـــورى ... هيـــا اجعلـــوا نهـــجَ الرشـــاد دلـــيلا

واســـتغفروا ربَّ الســـما يَغفـــرْ لكـــم! ... ويَزيـــدكم مـــن فضـــله تبجـــيلا

ســـتُودِّعون طبـــولكم ، فتنبهـــوا! ... أخـــراكُمُ خيـــراً تفـــوقُ الأولـــى

وكبيـــرُكم قـــد عـــاشَ أشـــرسَ آكـــل ... سيَضـــمُّه قبـــرٌ ، ويَلقـــى السُّـــولا

ويبيـــتُ فـــي القبـــر الوشـــيك مُوَسَّـــداً ... ويبيـــتُ عـــن أهـــل الـــدنا مســـؤولا

ويبيـــتُ مَـــن أكـــلَ الأطايـــبَ والحَـــلا ... واللحـــمَ ـ مُلتـــذاً بـــه ـ مـــأكولا

إن قلـــتُمُ هـــذا أضـــلَّ جميعَنـــا ... ســـيكونُ فـــي ســـاح الحســـاب خـــذولا

لمَّـــا يَـــزلْ أمَـــدٌ فتوبـــوا تُفلحـــوا ... وتُخوَّلـــون نجـــاتكم تخـــويلا

وكثيـــرٌ الهَلكـــى ومَـــن لحِقـــوا بهـــم ... لكـــنْ أرى أهـــلَ النجـــاة قلـــيلا

أبلغـــتُكم ، واللهُ يَعلـــمُ نِيتـــي ... واللهُ خيـــرٌ ضـــامِناً وكفـــيلا!

العشق المهلك! (محاكاة للعبيدي)

(كتب الشاعر العبقري عبد الناصر عليوي العبيدي نصه الرائع: (العشق المهلك) ، فلما طالعتُه للمرة الأولى تولد عندي مطلعٌ يُحاكي نصه! فعزمتُ على إكمال المُحاكاة حُباً في العبيدي وبُغضاً في منهج العشق المهلك! فكانت هذه القصيدة ترجمة له! يقول مطلع العبيدي:-

الـــذئبُ يأكـــلُ كـــل يـــوم نعجـــة ... وبعدلـــــه تتـــــبجح الأغنـــــامُ!

قالـــت: مُخلصُـــنا ، وحـــامي أرضـــنا ... وبـــــه غـــداً تتحقـــقُ الأحـــلام!

ويستمر (العبيدي) في وصف العشق المهلك مبيناً كيف عشقتِ الأغنام الذئب الذي استفحل خطره ، ودعا صحبه ورفاقه ليأكلوا معه ، إلى أن يختم (العبيدي) بالتنديد بالرعاة الذين سلموا أغنامهم طائعين للذئاب ، محملاً إياهم المسؤولية الأخلاقية والأدبية ، فيسجل في رمزية نادرة اعتراف الجميع ـ موضحاً أبعاد المؤامرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ـ بقوله:-

فجميعُنـــا ضـــد النعـــاج حقيقـــة ... وعـــــدوُّنا وعـــــدوُّك الإســـــلامُ

أيـــــلامُ ذئـــــبٌ بـــــالغريزة حاقـــــدٌ؟! ... أم إن شـــــذاذ الخِـــــراف تُـــــلام؟!

فنسَجتُ على مِنوال العبيدي هذه القصيدة في محاكاته! وأعلم علم اليقين أنني لم أبلغ شأو (العبيدي) في الشعر ، ولكن يبقى لي شرفُ المحاولة الذي أدندنُ حوله في كل مرة أحاكي فيها فحولَ الشعراء! وعسى اللهُ تعالى أن يكتب الأجر لي وللعبيدي على ما نكتبه من الشعر نسقطه على واقعنا الكسير ، علنا نساهم في إصلاح مُعوجه! فالدال على الخير كفاعله!)

الـــــذئبُ شَـــــدَّتْ أزرَه الأغنـــــامُ ... وظهيرُهـــا – فـــي الشـــدِّ – الاستســـلامُ!

منحَتْـــه عـــن عمـــدٍ زمـــامَ قِيادهـــا ... وكأنـــــه المُتصـــــرفُ القـــــوَّام!

إن شـــاء فلـــيَطعمْ ويَعـــزمْ صـــحبَه ... إذ إن أفـــــراد القطيـــــع كِـــــرام

أو شـــاء بـــاعَ مـــن القطيـــع أو اشـــترى ... وفـــق الهـــوى ، مـــا فـــي البيـــوع سَـــوام

أو شـــاء ذبَّـــحَ ، والمُـــدى مَشـــحوذة ... ويُعينـــــه الجـــــزارُ واللحـــــام

أو شـــاء جَـــوَّعَ ، والقطيـــعُ مُرَحِّـــبٌ ... يُزجـــي المـــدائحَ منـــذ غـــابَ طعـــام!

أو شـــاء عطـــشَ رغـــم وفـــرة مائـــه ... فالشـــربُ ـ يـــا غـــنم القطيـــع ـ حـــرام

أو شـــاء فليقصـــفْ حظـــائرَ أسِّســـتْ ... لتعـــيشَ داخـــل سُـــورها الأغنـــام

أو شـــاء هجَّرَهـــا ، وحـــاز ربوعَهـــا ... مـــن بعـــد أن أفتـــى لـــه (الحاخـــام)!

أو شـــاء شـــرَّدَ بعضَـــها متغلبـــاً ... وســـلاحُه التقتيـــلُ والإرغـــام!

أو شـــاء ســـربلها بأشـــرس قيـــدِه ... ولـــه - علـــى تقييـــدها - إجـــرام

هـــذي مبادئـــه ، وذلـــك شـــأنه ... فعليـــه – مـــن رب الأنـــام – الســـام!

هـــو لا يـــرى غيـــرَ الـــذئاب خلائقـــاً ... فلتســـقطِ الأهـــدافُ والآضـــام!

وإلـــى هنـــا فالـــذئبُ لـــيس يَعيبُـــه ... مـــا قـــد رأى أبـــداً ، فـــلا اســـتذمام!

لكنمـــا الأغنـــامُ تعشـــقُ ذئبَهـــا ... كيـــف استســـاغتْ؟ بـــئسَ الاســـتفهام؟!

هـــل أصـــبحتْ (ليلـــى) وذئـــبٌ (قيسُـــها)؟! ... هـــل بـــين (ليلـــى) والوحـــوش غـــرام؟!

تعســـاً لعشـــق لا يُسَـــلي أهلـــه ... بـــين الأنـــام ، وخـــابَ بعـــدُ هُيـــام!

يـــا هـــذه الأغنـــامُ عِشـــقكِ مُهلـــكٌ ... أفـــلا يصـــدُّكِ عـــن هـــواكِ حِمـــام؟!

عِشـــقُ الـــذئاب إهانـــة ومَذلـــة ... وفضـــيحة يهـــذي بهـــا اللـــوام!

أزرى بـــكِ العِشـــقُ الرذيـــلُ ، فـــأقلعي ... عمـــا يَشـــينكِ ، عابـــكِ الآنـــام

كيـــف ارتأيـــتِ الـــذئبَ ألطـــفَ عاشـــق ... وهـــو الكفـــورُ تحوطـــه الآثـــام؟!

أوَمـــا قـــرأتِ علـــى المَـــدى تاريخـــه ... إذ خطـــه بمِـــداده النهـــام؟!

ذئـــبٌ إلـــى ســـفكِ الـــدما مُـــتعطشٌ ... جَـــمُّ المفاســـد ، واســـمُه (بَلعـــام)!

ويـــرى حميـــراً دونـــه كـــل الـــورى! ... ذئـــبٌ تُشـــكلُ عقلـــه الأوهـــام

ويشـــيعُ فـــي الأرض الفســـادَ بـــلا حيـــا ... وعـــدوُّه - فـــي ذي الـــدنا - الإســـلام

ولـــه جـــرائمُ لا ســـبيلَ لعـــدِّها ... مهمـــا رصـــدتُ تخـــونني الأرقـــام!

ولـــه هـــزائمُ أزهقـــتْ ثرواتـــه ... شـــهدتْ بهـــا الأصـــقاعُ والآكـــام

ورفاقـــه لـــم يفقهـــوا كبواتـــه ... وكـــأنهم - فـــي دعمـــه - أصـــنام!

يـــا هـــذه الغـــنمُ الـــذئابُ تجمهـــرتْ ... لـــو كـــان ذئـــبٌ لـــم تـــذلَّ الهـــام

بـــدأتْ بـــذئب ، ثـــم نـــادى قومـــه ... فتكتلـــوا ، واستأســـدَ الأقـــوام!

وأتـــوا علـــى الأغنـــام دون هـــوادة ... حمـــل اللـــواء جـــوارحٌ ورُهـــام

بـــدأوا براعيهـــا وقائـــد جمعهـــا ... لمَّـــا يَعُـــدْ راع ولا غنـــام!

والـــــدورُ آتٍ كـــــل مـــــن خنعـــــوا لـــــه ... وعقابَـــــــــه ســـــــــيناله الظـــــــــلّام

فخـــــذي بنصـــــح (ابـــــن العبيـــــديِّ) الـــــذي ... أزرى بعِشـــــــقكِ ، والقصـــــــيدُ سِـــــــهام

ورأيـــــتُ (عبـــــدَ الناصـــــر) اختصـــــرَ المـــــدى ... والـــــــنص يُنبـــــــيءُ أنـــــــه مقـــــــدام!

هـــــو شـــــخصَ الـــــداءَ الـــــذي أودى بنـــــا ... وكـــــــأن فـــــــي طياتـــــــه الجرســـــــام

ومحـــــــذراً سُـــــــمرَ النعـــــــاج مبينـــــــاً ... خطـــــرَ الـــــذئاب ، فمـــــا عليـــــه مـــــلام!

وكلامـــــه فصـــــلٌ لمـــــن يُصـــــغي لـــــه ... فعســـــى يفيـــــدُ الغـــــافلين كـــــلام!

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

شدت أزره: أي قوت من عزمه. القوام: أي القائم على أمرها المتولي قيادها. سوام: أي مساومة في عمليتي البيع والشراء! المُدى: جمع مُدية وهي المطواة أو السكين في أيدي الشطار! اللحام: بائع اللحم. السام: اللعنة والطرد من رحمة الله تعالى. استذمام: تعيير أو تعييب. الآضام: الآمال والطموحات. هُيام: شدة الحب والتعلق. حِمام: موتٌ وهلاك. الآنام: الخلائق. النهام: الراهب الذي يكتب ويؤرخ. بلعام: هو بلعام بن باعوراء عالم بني إسرائيل ، وفيه نزلت آية سورة الأعراف: (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها). الآكام: الصخور. كبواته: عثراته ومزالقه. الهام: جمع هامة وهي الرأس. رُهام: هي جوارح الطير كالصقر والنسر والباز والشاهين. خنعوا: أي رضخوا. ابن العبيدي: هو شاعرنا الكبير عبد الناصر عليوي العبيدي ، وهو شاعر غني عن التعريف ، وقد عارضناه من قبل في قصيدتنا: (رد سادة القبائل على اليمامة) ، ولا يخفى أن الأستاذ عبد الناصر له قدم طولى علينا ، في تقديمنا وأشعارنا للناس وللجمهور ، ونقول هذا معترفين بفضله. الجرسام: أي السم الزعاف.

المقابر تتكلم 9 ميت يعزي نفسه!
(محاكاة لنص ليس الغريب لزين العابدين بن علي بن الحسين)

(كل شاعر يقرأ قصيدة: (ليس الغريب غريب الشام واليمن) لزين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب – رحمه الله - ، لا بد من أن يتأثر ، وقد يشرع في محاكاتها! وقد حاكاه فيها شعراءُ كثيرون في القديم وفي الحديث! ولعل هذه لها نفس النفس وذات البحر وعين القافية! وما ذلك إلا لعذوبة وجمال ونقاء وحباكة وسبك نص: (ليس الغريب غريب الشام واليمن)! ولقد سبق هذه القصيدة ثماني قصائد تحمل العنوان ذاته: (المقابر تتكلم)! واليوم هذا هو الجزء التاسع من السلسلة ، وقصيدته بعنوان: (ميت يعزي نفسه) ، وأعني به الكاتب الكويتي المحترم عبد الله الجار الله صاحب مقالة: (عند موتي لن أقلق!) ولن أهتم بجسدي البالي فإخواني من المسلمين المؤمنين الموحدين سيقومون باللازم ، سيجردونني من ملابسي وسيغسلونني وسيكفنونني وسوف يخرجونني من بيتي! وسوف يذهبون بي إلى مسكني الجديد: (القبر) ، وسيأتي الكثيرون لتشييع جنازتي! بل سيلغي الكثير منهم أعماله ومواعيده ؛ لأجل دفني ، وقد يكون الكثير منهم ، لم يفكر في نصيحتي يوماً من الأيام! أشيائي سيتم التخلص منها: (مفاتيحي – كتبي – حقيبتي – أحذيتي – ملابسي)! وإن كان أهلي موفقين فسوف يتصدقون بملابسي لتنفعني! ياقوم: تأكدوا بأن الدنيا لن تحزن علي ، ولن تتوقف حركة العالم ، والاقتصاد سيستمر ، ووظيفتي سيأتي غيري ليقوم بها ، وأموالي ستذهب حلالاً للورثة بينما أنا الذي سأحاسب عليها: القليل والكثير ، النقير والقطمير ، وإن أول ما يسقط مني عند موتي هو اسمي. لذلك عندما أموت سيقولون عني: أين الجثة؟ ولن ينادوني باسمي. وعندما يريدون الصلاة علي ، سيقولون: احضروا الجثة. "الجنازةولن ينادوني باسمي ، وعندما يشرعون في دفني سيقولون: قربوا الميت. ولن يذكروا اسمي. لذلك ما غرني نسبي. ولا قبيلتي يوماً. وما غرني منصبي ساعة من نهار. ولا شُهرتي فما أتفه هذه الدنيا. وما أعظم ما نحن مقبلون عليه فيا أيها الحي الآن والميت غداً ، اعلم أن الحزن عليك سيكون على ثلاثة أنواع: الناس الذين يعرفونك سطحيًا سيقولون: مسكين. أصدقاؤك سيحزنون ساعات أو أيامًا ، ثم يعودون إلى حديثهم ، بل وضحكهم. الحزن العميق إنما هو في البيت! سيحزن أهلك أسبوعاً أو أسبوعين ، شهراً ... شهرين... أو حتى سنة ، وبعدها سيضعونك في أرشيف الذكريات! انتهت قصتك بين الناس وبدأت قصتك الحقيقية. وهي التي لا هروب من مواجهتها! لقد زال عنك كل شيئ وكل شخص! زال عنك المال والجمال ، والصحة والعافية ، والأهل والولد! فارقت الدور والقصور ، والزوج والأبناء والأقارب! والأصدقاء والأصحاب والزملاء! ولم يبق معك إلا عملك ، وبدأت الحياة الحقيقية! والسؤال هنا: ماذا أعددت لقبرك وآخرتك من الآن؟ هذه حقيقة تحتاج إلى تأمل. لذلك احرص على الفرائض والنوافل وصدقة السر والعمل الصالح وصلاة الليل! إن ساعدت على تذكير الناس بهذه المقالة وأنت حي الآن فسوف تجد أثر تذكيرك في ميزانك يوم القيامة بإذن الله ، وذكّر فإن الذكرى تنفعُ المؤمنين. لماذا يختار الميت الصدقة لو رجع للدنيا ، كما قال تعالى: (رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق) ، ولم يقل: فأعتمر ، أو فأصلي ، أو فأصوم! ما ذكر الميت الصدقة إلا لعظيم ما رأى من أثرها بعد موته. فأكثروا من الصدقة!).هـ. عموماً من مات فقد قامت قيامته! قال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: "أيها الناس ، إنكم تقولون: القيامة القيامة ، وإنه من مات فقد قامت قيامته! قال عبد الواحد بن الخطاب: سمعت زيادًا النميري ، ونحن في جنازة وذكروا القيامة ، فقال زياد: "من مات فقد

قامت قيامته". قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: "كانت جماعة تقول: قيامة كل نفس موتها". قال العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله: "أنت لا تدري متى تقوم قيامتك فكل من مات فقد قامت قيامته! والأصل أن المؤمن يرحِّبُ بالموت في أي وقت! ولسان حاله يقول: (مرحبًا بالموت)! عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، لما أن حضره الموت ، قال: "مرحبًا بالموت مرحبًا ، زائر مغب ، حبيب جاء على فاقة ، اللهم إني كنت أخافك ، فأنا اليوم أرجوك". والموت خيرٌ للمؤمن من الفتنة ، ولا يرتاح حتى يموت. قال الربيع بن خيثم رحمه الله: "ما غائب ينتظره المؤمن خيرًا له من الموت". قال الشيخ صالح آل الشيخ: "المؤمن لا يرتاح حتى يموت ؛ لأن قلوب العباد عُرْضَةٌ للتقلب والتنقل ، واليوم كثرت المغريات والشهوات والشبهات ، فقد يصبح العبد مؤمنًا ويمسى غير ذلك ، فإذا جاءه الأجل وهو ثابت على الإيمان يحصل له الراحة والاطمئنان ، فلا يطمئن المؤمن حتى يلقى الله عز وجل وهو ثابت على إيمانه. قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالى-: الموعظة عند القبر جائزة ، على حسب ما جاء في السنة ، وليست أن يخطب الإنسان قائمًا يعظ الناس ؛ لأن ذلك لم يرد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، خصوصًا إذا اتخذت راتبة ، كلما خرج شخص مع جنازة قام ووعظ الناس ، لكن الموعظة عند القبر تكون كما فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وعظهم وهو واقف على القبر ، وقال: "ما منكم من أحدٍ إلا وقد كُتِب مقعده من الجنة والنار" ، وأتى مرة وهم في البقيع في جنازة ولما يلحد القبر ، فجلس وجلس الناس حوله ، وجعل ينكت بعود معه على الأرض ، ثم ذكر حال الإنسان عند احتضاره ، وعند دفنه ، وتكلم بكلام هو موعظة في حقيقته فمثل هذا لا بأس به ، أما أن يقوم خطيبًا يعظ الناس ، فهذا لم يرد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. اهـ. وقال أيضًا: أما الخطبة عند الدفن في المقبرة ، فلم يرد عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قام خطيبًا يخطب الناس ، إنما ورد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتهى إلى المقبرة والقبر لم يلحد بعد ، فجلس وحوله أصحابه ، فجعل يحدثهم عن الإنسان حين احتضاره ، وبعد دفنه ، وكذلك كان قائمًا على قبر إحدى بناته وهي تدفن ، فحدثهم عليه الصلاة والسلام ، ولكن ليس بحديث قام فيه خطيبًا ، أو واعظًا. اهـ. ومن المهم أن ننبهكم إلى أن مثل هذه المسائل لا ينبغي أن تكون سببًا في تفريق الكلمة ، وحصول مناوشات - كما ذكرت - ، أو شجار وخصام بين الإخوة ؛ فإن هذا منكر ، لا يقل ضرره عن مفسدة ما يريدون إنكاره من الموعظة عند القبر. وقد دل الشرع على أن سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر ، كما صح الخبر بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم. واجتماع القلوب ، والتآلف بين المؤمنين ، مطلب شرعي عظيم ، فلا يُعطل بسبب مسألة تحتمل الأخذ والرد. وفي كتاب: (موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين) يقول الأستاذ محمد جمال الدين القاسمي ص 321 من الجزء الأول ما نصه بتصرف: (وينبغي معرفة فضل ذكر الموت! فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أكثروا من ذكر هاذم اللذات". وعنه صلوات الله عليه: "أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا". وعنه عليه الصلاة والسلام: "كفى بالموت واعظا". وعنه: "أكيس الناس أكثرهم ذكراً للموت وأشدهم استعداداً له ، أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة". وعن مطرف بن عبد الله قال: "إن هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم ، فاطلبوا نعيماً لا موت فيه". واعلم أن المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره ، وإذا ذكر به كرهه ونفر منه ، أولئك هم الذين قال الله فيهم: (قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة

فينبئكم بما كنتم تعملون). ثم الناس إما منهمك وإما تائب مبتدئ وإما عارف منته! أما المنهمك فلا يذكر الموت ، وإن ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ويشتغل بمذمته ، وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعداً! وأما التائب فإنه يكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة! وأما العارف فإنه يذكر الموت دائماً لأنه موعد للقائه لحبيبه ، والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب. ثم إن أنجع طريق في ذكر الموت أن يكثر ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله ، فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ، ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت أجزاؤهم في قبورهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت آثارهم ، وأنه مثلهم وستكون عاقبته كعاقبتهم. فملازمة هذه الأفكار مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب فيستعد له ويتجافى عن دار الغرور ، ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا ينبغي أن يتذكر في الحال أنه لا بد من مفارقته. نظر "ابن مطيع" ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنها ثم بكى فقال: "والله لولا الموت لكنت بك مسروراً ، ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا" ، ثم بكى رحمه الله تعالى!).هـ. كان أبو الدرداء رضي الله عنه إذا رأى جنازة قال: اغدوا فإنا رائحون ، وروحوا فإنا غادون ، موعظة بليغة ، وغفلة سريعة ، كفى بالموت واعظًا ، يذهب الأول فالأول ويبقى الآخر لا حلمَ له. وقال رضي الله عنه: "كفى بالموت واعظًا ، وكفى بالدهر مفرقًا ، اليوم في الدور ، وغدًا في القبور". قال الحسن بن عبد العزيز بن ضابئ رحمه الله: "من لم يردعه القرآن والموت ، ثم تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع". ما أشد غفلة الإنسان عن الموت. قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "غفلة الإنسان عن الموت مع أنه لا بد له من العجب ، والموجب لها طول الأمل". وكل منهمك في الدنيا غافل عن ذكر الموت. قال الإمام الغزالي رحمه الله: "اعلم أن المنهك في الدنيا ، المُكِبَّ على غرورها ، المُحِب لشواتها ، يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره ، وإذا ذُكِّر به كرهه ، ونفر منه ؛ قال الله: (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ، وأما التائب فيكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية ، فيفي بتمام التوبة. ومن هنا يأتي الاستعداد للموت. قال سلمة بن دينار رحمه الله: "كل عمل تكره الموت من أجله ، فاتركه ، ثم لا يضرك متى مُتَّ". قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "الواجب على العبد الاستعداد للموت قبل نزوله بالأعمال الصالحة والمبادرة إلى ذلك". قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: "قوله صلى الله عليه وسلم: (إذا أتيتَ مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة) ، له فوائد: منها: أن يبيت على طهارة ؛ لئلا يبغته الموت ، فيكون على هيئةٍ كاملة ، ويؤخَذ منه الندب إلى الاستعداد للموت بطهارة القلب ؛ لأنه أولى من طهارة البدن". قال الإمام الغزالي رحمه الله: "اعلم أن الموت هائل ، وخطره عظيم ، وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم فيه ، ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ ، بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا ، فلا ينجع ذكر الموت في قلبه ، وأنجع طريق فيه أن يكثر ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله ، فيتذكر موتهم ، ومصارعهم تحت التراب ، ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم ، ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت أجزاؤهم في قبورهم". ومهما تذكر رجل رجلًا ، وفصل في قلبه حاله ، وكيفية موته ، وتذكر نشاطه ، وتردده وتأمله للعيش والبقاء ، ونسيانه للموت ، وانخداعه بمواتاة الأسباب ، وركونه إلى القوة والشباب ، وميله إلى الضحك واللهو ، وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع ، والهلاك السريع ، وأنه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه ، وكيف كان

يضحك وقد أكل التراب أسنانه ، وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه في وقت إليه ، حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه ، فانكشفت له صورة المَلَكِ ، وقرع سمعه النداء ، إما: الجنة وإما: النار، فعند ذلك ينظر في نفسه أنه مثلهم ، وغفلته كغفلتهم ، وستكون عاقبته كعاقبتهم ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "السعيد من وُعِظ بغيره". فملازمة هذه الأفكار وأمثالها ، مع دخول المقابر ، ومشاهدة المرضى ، هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب ، بحيث يصير نُصْبَ عينيه. ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا ، ينبغي أن يتذكر في الحال أنه لا بد له من مفارقته ، نظر ابن مطيع إلى داره فأعجبه حسنها ، ثم قال: والله لولا الموت لكنت بكِ مسرورًا ، ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور ، لقرتْ بالدنيا أعيننا ، ثم بكى بكاء شديدًا. وإذا ذُكر الموتى فعُدَّ نفسك كأحدهم. أبصر أبو الدرداء رضي الله عنه رجلًا في جنازة ، وهو يقول: من هذا؟ فقال أبو الدرداء: هذا أنت ، يقول الله عز وجل: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) وقال رضي الله عنه: "إذا ذكرت الموتى فعُدَّ نفسك كأحدهم". عن سعيد بن عامر عن جده عن الحسن رحمهم الله: "كان رجل من المسلمين يبلغه موت أخ من إخوانه ، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون ، كدت والله أن أكون أنا السواد المختطَف ، فيزيده بذلك جِدًّا واجتهادًا ، فيلبث بذلك ما شاء الله ، ثم يبلغه موت الأخ من إخوانه ، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون ، كدت والله أن أكون أنا السواد المختطف ، فيزيده الله بذلك جدًّا واجتهادًا ، قال: فردد الحسن هذا الكلام غير مرة ، فوالله ما زال كذلك حتى مات موتًا كيسًا". قال الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ: "إذا ذكرت الموتى ، فاجعل نفسك كأحدهم: فلان رحمه الله ، فلان مات ، صلينا على جنازة ، حضرت عزاء ، أين حركة القلوب بالموت؟ لو صحَتِ القلوب ، لَما جاء ذكر الموت إلا وقد اضطربت القلوب من خشية الله عز وجل". وهناك نذرٌ كثيرة للموت نغفل عنها. عن وهب رحمه الله قال: "ينادي منادٍ: أبناء الستين: عدوا أنفسكم في الموتى". قال سفيان الثوري رحمه الله: "من بلغ سن رسول الله صلى الله عليه وسلم فليتخذ نفسه كفنًا". قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "من لم ينذره باقتراب أجله وحيٌ ، أنذره الشيب وسَلْبُ أقرانه بالموت". قال الربيع بن خثيم رحمه الله: "أكثروا ذكر هذا الموت ؛ فإنكم لم تذوقوا قبله مثله". علي بن الحسين بن المبارك ، ما كان لسانه يفتر عن ذكر الموت. قال ابن اللباد: "إذا حدث لك فرح بالدنيا ، فاذكر الموت ، وسرعة الزوال. وإذا اعترتك غفلة فاستغفر ، واجعل الموت نصب عينيك". قال الإمام ابن حبان رحمه الله: "الواجب على العاقل لزوم ذكر الموت على الأوقات كلها ، وترك الاغترار بالدنيا في الأسباب كلها ؛ إذ الموت رحى دوَّارة بين الخلق ، وكأس يُدار بها عليهم ، لا بد لكل ذي روح أن يشربها ، ويذوق طعمها ، وهو هادم اللذات ، ومنغِّص الشهوات ، ومكدِّر الأوقات. العاقل لا ينسى ذكر شيء هو مترقِّب له ، ومنتظر وقوعه ، من قدمٍ إلى قدم ، فكم من مكرَم في أهله ، معظَّم في قومه ، مبجَّل في جيرته ، لا يخاف الضيق في المعيشة ولا الضنك في المصيبة ، إذ ورد عليه مذلل الملوك ، وقاهر الجبابرة ، وقاصم الطغاة ، فألقاه صريعًا بين الأحبة ، مفارقًا لأهل بيته وإخوانه ، لا يملكون له نفعًا ، ولا يستطيعون له دفعًا! فالعاقل لا يغتر بحالة نهايتها تؤدي إلى ما قلنا ، ولا يركن إلى عيش مغبته ما ذكرنا ، ولا ينسى حالة لا محالة هو مواقعها ، وما لا شك يأتيه ؛ إذ الموت طالب لا يُعجِزه المقيم ، ولا ينفلت منه الهارب". قال الإمام الغزالي: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أكثِروا من ذكر هازم اللذات) ؛ ومعناه: نغصوا بذكره اللذات ؛ حتى ينقطع ركونكم إليها فتُقبِلوا على الله تعالى". قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة ذكر الموت ، فقال: (أكثروا ذكر هادم اللذات) ؛

يعني: الموت". والإنسان يبصر بالموت ما لا يبصره في حال الحياة. قال الشيخ صالح بن عبد العزيز محمد آل الشيخ: "الظاهر من قوله سبحانه وتعالى: (فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ) أن الإنسان يبصر بالموت ما لا يبصره في حال الحياة ، كأن ترى مثلًا: السماء في الليل ظلماء سوداء ، وذاك بالحجاب الحاجز على العين ، مثلما تدخل غرفة مظلمة ، ولا تنظر فيها شيئًا بينما يكون فيها كتاب ، ويكون فيها فراش ، وفيها كذا وكذا ، ولكن العين لا تبصر ما في هذه الغرفة المظلمة ؛ لأن حاستها محدودة ، لكن لو كُشف ذلك الغطاء ، لأبصرت كل ما في الظلام ، وهذا هو الذي يحصل بالموت ، فإن الإنسان يبصر بالموت الملائكة ، ويبصر العذاب ، ويبصر النعيم ونحو ذلك مما يكون بعد الممات ، نسأل الله عز وجل لنا ولكم العفو والعافية". وأجمل أنواع النعيم نعيم لا موت فيه. قال مطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير رحمه الله: "أفسد الموت على أهل النعيم نعيمهم ، فاطلبوا نعيمًا لا موت فيه". لقد فضح الموت الدنيا وبين لنا عوارها وفناءها وتفاهتها! قال الحسن البصري رحمه الله: "إن الموت فضح الدنيا ، فلم يترك لذي لُبٍّ فرحًا". قال إبراهيم بن الأدهم: "إن للموت كأسًا لا يقوى على تجرعه إلا خائف وجِلٌ طائع كان يتوقعه". قال حاتم الأصم: "أردت أن أتخذ صديقًا لي بعد الموت ، فصادقت الخير ليكون معي إلى الحساب ، ويجوز معي إلى الصراط ، ويثبتني بين يدي الله عز وجل". قال جماعة ، يا أبا حازم ، ما لنا نكره الموت؟ فقال: "عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة ، فتكرهون الخروج من العمران إلى الخراب". ومن هنا لا يجوز الدعاء على النفس بالموت. قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: "لا يحل لأحد أن يدعو على نفسه بالموت ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يتمنَّينَّ أحد منكم الموت لِضُرٍّ نزل به ، فإن كان لا بد متمنِّيًا للموت فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي) ، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يتمنى الإنسان الموت ، فكيف بالذي يدعو على نفسه بالموت؟ والواجب على من أُصيب بأمرٍ يضيق به صدره ، ويزداد به غمه أن يصبر ، ويحتسب الأجر من الله ، وينتظر الفرج ، فهذه ثلاثة أمور: الصبر ، واحتساب الأجر ، وانتظار الفرج من الله عز وجل". ومن هنا ينبغي تنبيه المحتضر على إحسان الظن بالله تعالى. قال الإمام مسلم رحمه الله: "فيه استحباب تنبيه المحتضر على إحسان ظنه بالله سبحانه وتعالى ، وذكر آيات الرجاء ، وأحاديث العفو ، وتبشيره بما أعده الله تعالى للمسلمين ، وذكر حسن أعماله عنده ، ليُحْسِنَ ظنَّه بالله تعالى ، ويموت عليه". قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "مفارقة الجسد للروح لا تقع إلا بعد ألم عظيم تذوقه الروح والجسد جميعًا ، فإن الروح قد تعلقت بهذا الجسد وألفِته ، واشتدت أُلْفَتُها له وامتزاجها به ودخوله فيه ، حتى صارا كالشيء الواحد ، فلا يتفارقان إلا بجهد شديد وألم عظيم ، ولم يذُق ابن آدم في حياته ألمًا مثله ، وإلى ذلك الإشارة بقول الله عز وجل: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ)". قال العلامة السعدي رحمه الله: "قوله تعالى: (وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا) ؛ وهم: الملائكة، التي تنزع الأرواح بقوة وتغرق في نزعها ، حتى تخرج الروح ، فتُجازَى بعملها ، (وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا) ، وهي الملائكة أيضًا تجتذب الأرواح بقوة ونشاط ، أو النشط يكون لأرواح المؤمنين ، والنزع لأرواح الكفار". المحتضر إن رأى ما يسره أحب لقاء الله، وإن رأى ما يكره لم يحب الخروج من الدنيا. قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: "المرء عند حضور أجله إذا رأى ما يكره ، لم يحبَّ الخروج من الدنيا ، ولا لقاء الله ، لسوءِ ما عايَنَ مما يصير له ، وإذا رأى ما يحب ، أحب لقاء الله والإسراع إلى رحمته ، لحسن ما عاين وبُشِّر به". واستبشار المؤمن عند موته ، ونشاط روحه للخروج أمران واردان ملحوظان! قال الإمام القرطبي رحمه الله: "عن

ابن عباس قال: أنفُسُ المؤمنين عند الموت تنشط للخروج ، وذلك أنه ما مؤمن يحضُره الموت إلا وتُعرض عليه الجنة قبل أن يموت ، فيرى فيها ما أعدَّ الله له من أزواجه وأهله من الحور العين ، فهم يدعونه ، فنفسه إليهم نشطة أن تخرج فتأتيهم". قال زيد بن أسلم في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) ، قال: "يبشر بذلك عند موته وفي قبره ويوم يُبعَث ، فإنه لفي الجنة ، وما ذهبت فرحة البشارة من قلبه". قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: "ما يحصُل للمؤمن من البشرى ، ومسرة الملائكة بلقائه ، ورفقهم به ، وفرحه بلقاء ربه ، يهوِّن عليه كل ما يحصُل من ألم الموت ، حتى يصير كأنه لا يُحِسُّ بشيء من ذلك". وتأسَّف بكى معاذ رضي الله عنه عند موته وقال إنما أبكى على ظمأ الهواجر ، وقيام ليل الشتاء ، ومزاحمة العلماء بالركب عند حِلَقِ الذكر". والسلف عند موتهم على انقطاع أعمالهم أمرٌ أتت به آثار كثيرة. بكى عبدالرحمن بن الأسود رحمه الله عند موته وقال: "وا أسفاه على الصوم والصلاة ، ولم يزل يتلو القرآن حتى مات". بكى يزيد الرقاشي رحمه الله عند موته ، وقال: "أبكي على ما يفوتني من قيام الليل وصيام النهار" ، ثم بكى". قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "إذا كان المحسن يندم على ترك الزيادة ، فكيف يكون حال المسيء". فماذا عن شهوات الصالحين عند موتهم؟! الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي ، مرِض مرضًا شديدًا منعه الكلام والقيام ، فكان ابنه كثيرًا ما يسأله: ما تشتهي؟ فيقول: أشتهي الجنة ، رحمه الله ، ولا يزيد على ذلك ، وأجابه مرة: أشتهي النظر إلى وجه الله سبحانه". إسماعيل بن محمد بن يوسف البرزالي ، مرِض بالسل ستة أشهر ، وحصل له في المرض إقبال على الطاعة وملازمة الفرائض ، حتى كان يصلي إيماء ، قال له والده قبل موته بيوم: إيش تريد؟ قال: أشتهي أن يغفر الله لي". لما حضرت إبراهيم النخعي الوفاة ، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أنتظر من الله رسولًا ، يبشرني بالجنة ، أو بالنار ، ولما حضرت عامر بن عبد القيس الوفاة ، بكى ، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعًا من الموت ، ولا حرصًا على الدنيا ، ولكن أبكي على ما يفوتني من ظمأ الهواجر ، وعلى قيام الليل". لمَّا حضرت بلالًا الوفاة قالت امرأته: وا حزناه ، فقال: بل واطَرَباه ، غدًا نلقى محمدًا وحزبه ، وقال المأمون: يا من لا يزول ملكه ، ارحم مَن قد زال ملكه". لما حضرت معاوية بن سفيان الوفاة ، قال: "اللهم أقِلِ العثرة ، واغفر الزَّلَّة ، وعُدْ بحلمك على من لا يرجو غيرك ، ولم يثق بأحد سواك". لما احتُضر عمر بن عبد العزيز قال: اخرجوا عني ، فقام مسلمة وفاطمة على الباب ، فسمعوه يقول: "مرحبًا بهذه الوجوه ليست بوجوه إنسٍ ولا جانٍّ ؛ ثم قال: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ) ، ثم هدأ الصوت ، فقال مَسْلَمة لفاطمة: قد قُبض صاحبك ، فدخلوا فوجدوه قد قبض". قال العلامة العثيمين رحمه الله: "قد سمع بعض المحتضرين وهو يحتضر عند الموت يقول: روح وريحان ، وجنة نعيم ، مما يدل على أنه بُشِّر بذلك ، أسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم". قال الحافظ ابن رجب: "ويتزايد الألم بمعرفة المحتضر بأن جسده إذا فارقته الروح صار جيفة مستقذرة ، يأكله الهوامُّ ، ويبليه التراب ، حتى يعود ترابًا ، وأن الروح المفارقة له لا تدري أين مستقرها ، هل هو في الجنة أو النار؟ فإن كان مُصِرًّا على المعصية إلى الموت ، فربما غلب على ظنه أن روحه تصير إلى النار ، فتتضاعف بذلك حسرته وألمه ، وربما كُشف له مع ذلك عن مقعده من النار فيراه ، أو يبشر بذلك فيجتمع له مع كرب الموت وألمه العظيم معرفته بسوء مصيره ؛ وهذا هو المراد بقول الله عز وجل: (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) ، على ما فسر به كثير من السلف ، فيجتمع عليه سكرة الموت مع حسرة الفوت ، فلا تسأل عن سوء حاله ، وقد سمى الله تعالى ذلك سكرة ؛ لأن ألم

الموت مع ما ينضم إليه يُسكِر صاحبه ، فيغيب عقله غالبًا ؛ قال الله تعالى: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ). قال العلامة السعدي رحمه الله: قال تعالى: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ) ، يخبر تعالى عن حال من حضره الموتى من المفرطين الظالمين أنه يندم في تلك الحال ، إذا رأى مآله ، وشاهد قبيح أعماله ، فيطلب الرجعة إلى الدنيا لا للتمتع بلذاتها واقتطاف شهواتها ، وإنما ذلك ليقول: (لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ) من العمل ، وفرطت في جنب الله ، (كَلَّا) ؛ أي: لا رجعة له ولا إمهال ، قد قضى الله أنهم لا يرجعون". وشدة الموت للمؤمن إما أن تكون زيادة في حسناته أو تكفيرًا لسيئاته. قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: "رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين يديه ركوة. فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ، ويقول: (لا إله إلا الله ، إن للموت سكراتٍ) ؛ في الحديث أن شدة الموت لا تدل على نقص المرتبة ، بل هي للمؤمن ، إما زيادة في حسناته ، وإما تكفيرًا لسيئاته". قال الإمام الغزالي رحمه الله: "اعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كربٌ ولا هول ولا عذاب ، سوى سكرات الموت بمجردها ، لكان جديرًا بأن يفارقه سهوه وغفلته ، وحقيقًا بأن يطول فيه فكره ، ويعظم له استعداده. وشدة الألم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها ، والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح ، فاستغرق جميع أجزائه ، حتى لم يبقَ جزء من أجزاء الروح المنتشرة في أعماق البدن ، إلا وقد حلَّ به الألم ، فلا تَسَلْ عن بدن يُجذب من كل عرق من عروقه ، ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجيًّا ، ولكل عضو سكرة بعد سكرة ، وكربة بعد كربة ، حتى يبلغ بها الحلقوم. فلا تسأل عن طعم مرارة الموت ، وكربه عند ترادف سكراته". ورُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان عنده قدح من ماء عند الموت ، فجعل يدخل يده في الماء ، ثم يمسح به وجهه ، ويقول: (اللهم هوِّن عليَّ سكرات الموت). فهذه سكرات الموت على أولياء الله ، فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي؟ قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "لا شدة يلقاها المؤمن في الدنيا أعظم من شدة الموت ، وهي أهون مما بعدها إن لم يكن مصير العبد إلى خير ، وإن كان مصيره إلى خير فهي آخر شدة يلقاها". وفي كتاب: (موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين) يقول الأستاذ محمد جمال الدين القاسمي ص 322 من الجزء الأول ما نصه حول قضية فضيلة قصر الأمل بتصرف: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر: "إذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك". (قلت: والأصل أن الجزء الأول من كلام ابن عمر رضي الله عنه) وعن علي رضي الله عنه رفعه: "إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان: اتباع الهوى وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق ، وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا". وسبب طول الأمل: حب الدنيا والأنس بها والجهل باستبعاد الموت فجأة ، ولا يدري أن ذلك غير بعيد ، فإن الموت لا وقت له من شباب وشيب وكهولة ، ومن صيف وشتاء وخريف وربيع ، ومن ليل ونهار ، فلا يقدر نزول الموت به مع رؤياه من مات بين يديه ، ولا يقدر أن تشيع جنازته وهو لا يزال يشيع الجنائز ، فما أغفله وما أجهله ، فسبيله أن يقيس نفسه بغيره ويعلم أنه لا بد وأن تحمل جنازته ويدفن في قبره ، ولا علاج لذلك إلا الإيمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ، فمهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا ، فإن حب الخطير هو الذي يمحو عن القلب حب الحقير).هـ. فلينظر العبد لنفسه وقت الإمكان ، وليتدارك الممكن قبل ألَّا يمكن. والخليفة المأمون ، قال وهو يُحتضر: "يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه. يا من لا يموت ارحم من يموت ، ثم قضى ومات". والخليفة المعتصم

قال في مرض موته: (حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً) ، وجعل يقول: "ذهبت الحِيلة فليس حِيلة" ، حتى صمت". ولما احتُضر الواثق ، أمر بالبُسط فطُويت ، وألصق خده بالأرض وجعل يقول: "يا من لا يزول ملكه ، ارحم من قد زال ملكه". قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "فما أحسنَ حالَ مَن ذكر الموت فعمل لخلاصه قبل الفوت ، وأشغل نفسه بخدمة مولاه ، وقدَّم من دنياه لأخراه ، ورغِب في دار لا يزول نعيمها ، ولا يُهان كريمها! عباد الله ، اسعوا في فِكاك رقابكم ، وأجهدوا أنفسكم في خلاصها قبل أن تزهق ، فوالله ما بين أحدكم وبين الندم ، والعلم بأنه زلت به القدم ، إلا أن يحوم عُقاب المنية عليه ، ويفوق سهامها إليه ، فإذا الندم لا ينفع ، وإذا العذر لا يُسمع ، وإذا النصير لا يدفع ، وإذا الذي فات لا يُسترجع". وختامًا ، يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله: "يا من تمر عليه سنة بعد سنة وهو مستثقل في نوم الغفلة والسِّنة ، يا من يأتي عليه عام بعد عام وقد غرق في بحر الخطايا ، يا من يشاهد الآيات والعِبر كلما توالت عليه الأعوام والشهور ، ولا ينتفع بما يسمع ولا بما يرى من عظائم الأمور". وتحت عنوان: (أول ليلة في القبر) يقول الدكتور عائض القرني ما نصه بتصرفٍ يسير: (إن ذكر الموت والقبر وما فيهما من الأهوال العظام ، والأحوال الجسام ، قد أقض مضاجع الصلحاء ، وأبكى الأتقياء والعلماء ، سيما تذكرهم أول ليلة في القبر وما فيها من الوحشة وتغير الحال ، وهول المطلع وخوف سوء المنقلب ؛ ولذلك سارعوا بالأعمال الصالحة رجاء حسن المنقلب والعاقبة. ليلتان اثنتان يجعلهما كل مسلمٍ في مخيلته: ليلة وهو في بيته مع أطفاله وأهله ، منعماً سعيداً. في عيشٍ رغيد ، وعافيةٍ وصحة ، يضاحك أطفاله ويضاحكونه ، مع زوجته وأقاربه ، والليلة التي تليها مباشرة ليلة أتاه الموت فوضع في القبر لأول مرة. ونسأل: كيف تكون الليلة الأولى في القبر حين يوضع الإنسان فريداً وحيداً إلا من العمل؟ لا زوجة ولا أطفال ولا أنيس: (ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ). أول ليلة في القبر ؛ بكى منها العلماء ، وشكا منها الحكماء ، ورثى فيها الشعراء ، وصنفت فيها المصنفات! أُتي بأحد الصالحين وهو في سكرات الموت ، قد لدغته حية ، وكان في سفرٍ فنسي أن يودِّع أمه وأباه ، وأطفاله وإخوانه ، فقال قصيدةً يلفظها مع أنفاسه ، وتعتبر حقاً أم المراثي العربية ، وذلك لجمالها ورونقها ، وهذا الكلام قاله النقاد الغابرون والحاضرون! يقول وهو يزحف إلى القبر:-

فلله دَرِّي يوم أترك طائعـــاً ... بني بأعلى الرقمتين ومالياً!

يقولون لا تبعد وهم يدفنونني ... وأين مكان البعد إلا مكانياً؟!

يقول: كيف أفارق أطفالي في لحظة؟ لماذا لم أستأذن أبوي؟ أهكذا تختلف الحياة؟ أهكذا أذهب؟ أهكذا أفقد كل ممتلكاتي ومقدراتي في لحظة؟ ويقول عن نفسه: يقول لي أصحابي والذين يتولون دفني: لا تبعد ، أي: لا أبعدك الله ، وأين مكان البعد إلا هذا المكان؟ وأين الوحشة إلا هذا المنقلب؟ وأين المكان المظلم إلا هذا المكان؟ فهل تصور متصورٌ هذا؟ قال تعالى: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) كلا! آلآن تراجع حسابك؟ آلآن تتوب؟! آلآن تنتهي عن المعاصي؟ يا مدبراً عن المساجد ما عرف الصلاة! يا معرضاً عن القرآن! يا منتهكاً لحدود الله! يا ناشئاً في معاصي الله! يا مقتحماً لأسوارٍ حرمها الله! آلآن تتوب؟ أين أنت قبل ذلك؟ قال مؤرخو الإسلام: مات الحسن بن الحسن من أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه ،

وكان عنده زوجةٌ وأطفال ، وكان في سن الشباب ، والموت لا يستأذن شاباً ولا غنياً ، ولا أميراً ولا ملكاً ، ولا وزيراً ولا سلطاناً ، الموت يقصم الظهور ، ويخرج الناس من الدور ، وينزلهم من القصور ، ويسكنهم القبور بلا استئذان. مات الحسن بن الحسن مات فجأة ، ونقلوه إلى المقبرة ، فحزنت عليه امرأته حزناً لا يعلمه إلا الله ، وأخذت أطفالها وضربت خيمةً حول القبر ـ وهذا ليس من عمل الإسلام ، ولولا أنَّ مؤرخي الإسلام ذكروه ما ذكرته ـ وأقسمت بالله لتبكين هي وأطفالها على زوجها سنةً كاملة. هلعٌ عظيم ، وحزنٌ بائس ، وبقيت تبكي ، فلما انتهت السنة أخذت أطناب الخيمة وحملتها ، وأخذت أطفالها في الليل ، فسمعت هاتفاً يقول لصاحبه في الليل: هل وجدوا ما فقدوا؟ فردَّ عليه هاتفٌ آخر يقول: لا. بل يئسوا ، ما وجدوا ما فقدوا ، ما وجدوا ضيعتهم ولا وديعتهم. وأنى لما ضاع بالإفراط والتفريط أن يسترجع ثانية!

كنز بحلوان عند الله نطلبه خير الودائع من خير المؤدينا

قال: لا. بل يئسوا فانقلبوا ، ما كلمهم من في القبر ، وما خرج إليهم ولا ليلةٍ واحدة ، وما قبَّل أطفاله ، وما رأى فتاته ، لا. ولذلك هذه هي أول ليلة ، ولكن لها ليالٍ أخرى إذا أُحسن العمل ، قال الله جلَّ وعلا: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ). نحن في أبها فقدنا قبل شهرٍ أو ما يقاربه شابين اثنين ، من أسرتين من أسر أبها ، وقع عليهم حادث انقلاب وهم سائرون في طاعة الله ، فكانت اللوعة ، وعزاؤنا في الله أنهما كانا شابين صالحين ، مستقيمين على أمر الله ، أمَّا أحدهما فكان صاحباً للقرآن والقرآن صاحبه ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: {اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه} هذا الشاب كان يختم القرآن كل سبعة أيام ، وقال والده: كان يقوم الليل ، وما أحسن قيام الليل! فلذلك خفَّت المصيبة ؛ لأنه قدم على روضة من رياض الجنة إن شاء الله ، وزميله الآخر كان مستقيماً على أمر الله ، لا يعرف إلا المسجد ، والمصحف والرفقة الصالحة ، ولكن: (ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ). وهذا أبو العتاهية يعظ هارون الرشيد يقول لسلطان من السلاطين الذين غرتْهم قصورهم ، وما تذكروا أول ليلةٍ ينزل فيها القبر ، ونحن نقول لكل عظيمٍ ومتكبرٍ ومتجبر: أما تذكرت أول ليلة؟ هذا السلطان بنى قصوراً في بغداد ، فدخل عليه الشاعر يهنئه بالقصور والزينات ، فيقول له:ـ

عـش ما بدا لك سالماً في ظل شاهقة القصورْ

يجري عليك بما أردت مع الغدو مع البكـــور

عش ما بدا لك سالماً ، عش ألف سنة ، أو مليون سنة سالماً معافى مشافى ، وما تريد من طعام وشراب فهو عندك ، ولكن لا تغتر كثيراً ، لأنك مهما أكلت وشربت وعمرت ، فأنت مفارق يوماً ، وما دمت سوف تفارقه يوماً فإن الفرحة به ضرب من ضروب العبث! فاسمع ما يقول:ـ

فإذا النفـــوس تغرغرت بزفير حشرجة الصدورْ

فهناك تعلم موقنـــــــاً ما كنت إلا في غـــرور

فبكى السلطان حتى أُغمي عليه! أول ليلة في القبر ، وأنا أطالب نفسي وإياكم - يا معاشر المسلمين - أن نهيئ لنا نوراً في القبر أول ليلة ، فوالله لا ينور لنا القبر إلا الإيمان والعمل الصالح ، فلنقدم لنا ما يؤنسنا في القبر ؛ يوم ننقطع عن الأهل والمال والولد والأصحاب. خرج صلى الله عليه وسلم إلى تبوك، وفي ليلة من الليالي نام هو والصحابة ، وكانوا في غزوةٍ في سبيل الله ، قال ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه: {قمت في الليل فنظرت إلى فراش الرسول عليه الصلاة والسلام فلم أجده في فراشه ، فوضعت كفي على فراشه فإذا هو بارد ، وذهبت إلى فراش أبي بكر فلم أجده على فراشه ، فالتفت إلى فراش عمر فما وجدته - وسط الليل - قال: وإذا بنورٍ في آخر المخيم في طرف المعسكر ، فذهبت إلى ذلك النور ، فإذا قبرٌ محفور ، والرسول عليه الصلاة والسلام قد نزل في القبر ، وإذا جنازةٌ معروضة ، وإذا ميتٌ قد سجي في الأكفان ، وأبو بكر وعمر حول الجنازة ، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول لـأبي بكر وعمر: دليا لي صاحبكما؟ فلمَّا أنزلاه ، أنزله عليه الصلاة والسلام في القبر ، ثم دمعت عيناه عليه الصلاة والسلام ، ثم التفت إلى القبلة ورفع يديه ، وقال: اللهم إني أمسيت عنه راضٍ فارضَ عنه ، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا أخوك عبد الله ذو البجادين مات في أول الليل ، قال ابن مسعود: فوددت والله أني أنا الميت}. حين سمع قوله صلى الله عليه وسلم {اللهم إني أمسيت عنه راضٍ فارض عنه} وإذا رضي الله عن العبد أسعده. وإنما هي مساءلة لمن نسي الله وأوامره وانتهك حدوده ، نقول له: هل تذكرت يا أخي أول ليلة في القبر؟! كان عمر بن عبد العزيز أميراً من أمراء الدولة الأموية يُغيِّر ثوب من ديباج في اليوم أكثر من مرة ، الذهب والفضة عنده ، والخدم ، والقصور ، والمطاعم ، والمشارب ، وعنده كل ما اشتهى وطلب وتمنى ، ولمّا تولى الخلافة ، وملك الأمة الإسلامية ، انسلخ من ذلك كله ؛ لأنه تذكر أول ليلة في القبر ، وقف على المنبر - يوم الجمعة - فبكى وقد بايعته الأمة ، وكان حوله الأمراء والوزراء ، والشعراء والعلماء ، وقواد الجيش ، قال: [خذوا بيعتكم ، قالوا: لا نريد إلا أنت] فتولاها ، فما مر عليه أسبوعٌ أو أقل إلا وقد هزل وضعف وتغيَّر لونه ، وما عنده إلا ثوبٌ واحد قالوا لزوجته: ما لـعمر قد تغير؟ قالت: والله لا ينام الليل ، والله إنه يأوي إلى فراشي فيتقلب كأنه ينام على الجمر ، ويقول: آه! توليت أمر أمة محمدٍ ؛ يسألني يوم القيامة الفقير والمسكين والطفل والأرملة. يقول له أحد العلماء: يا أمير المؤمنين! رأيناك قبل أن تتولى الملك وأنت في مكة في نعمةٍ وصحة وعافية ، فما لك تغيرت؟ فبكى حتى كادت أضلاعه تختلف ، ثم قال للعالم وهو ابن زياد: كيف يا ابن زياد لو رأيتني في القبر بعد ثلاثة أيام ؛ يوم أجرد عن الثياب ، وأوسد التراب ، وأفارق الأحباب ، وأترك الأصحاب ، كيف لو رأيتني بعد ثلاث ، والله لرأيت منظراً يسوءك. فنسأل الله حسن العمل. إن أول ليلةٍ في القبر جديرة بأن تُنسيَ الإنسان كل هذا!

والله لو عاش الفتى في عمره ... ألفاً من الأعوامِ مالك أمره

متلذذاً فيها بكل لذيـــــــذةٍ ... متنعماً فيها بسُكنى قصرهِ

لا يعتريه الهم طـــول حياته ... كلا ولا ترد الهموم بصدرهِ

ما كان ذلك كله في أن يفـــي ... فيها بأول ليلةٍ في قبـــرهِ

والله لو عاش ألف سنة وما طرقه همٌ ولا غمٌ ولا حزن ، والله لا يفي بأول ليلةٍ في القبر ، ووالله لننزلنَّها جميعاً! كان الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه إذا شيع جنازة بكى حتى يُغمى عليه ؛ فيحملونه كالجنازة إلى بيته ، قالوا: ما لك؟ قال: سمعت الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: {القبر أول منازل الآخرة ، فإذا نجا العبد فيه أفلح وسعد ، وإذا خسر ـ والعياذ بالله ـ خسر آخرته كلها}.).هـ. قال أبو الدرداء رضي الله عنه: "من أكْثَرَ ذكر الموت قلَّ فرحه وقل حسده". قال كعب الأحبار رضي الله عنه: "من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وغمومها". قالت صفية رضي الله عنها: "إن امرأة اشتكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها ، فقالت: أكثري من ذكر الموت يرقَّ قلبك ، فرق قلبها ، فجاءت تشكر عائشة. قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: "من أكثر ذكر الموت اجترأ من الدنيا باليسير ، إن استشعرت ذكر الموت في ليلك أو نهارك ، بُغِّض إليك كل فانٍ ، وحُبِّب إليك كل باقٍ. أكثر ذكر الموت ، فإن كنت في ضيق من العيش وسَّعه عليك ، وإن كنت في سعة من العيش ضيقه عليك. قال أحمد بن حنبل: "إذا ذكرت الموت هان عليَّ كل شيء من أمر الدنيا ، وإنما هو طعام دون طعام ، ولباس دون لباس ، وإنها أيام قلائل". قال الحسن رحمه الله: "ما أكثر عبد ذكر الموت إلا رُؤي ذلك في عمله ، ولا طال أملُ عبدٍ قط إلا أساء العمل" ، وقال: "فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لبٍّ فرحًا". قال ابن عجلان رحمه الله: "من جعل الموت نصب عينيه لم يبالِ بضيق الدنيا ولا بسعتها". قال سفيان الثوري رحمه الله: "كفى بكثرة الموت زهدًا في الدنيا ومرغبًا في الآخرة". قال الأوزاعي رحمه الله: "من أكثر ذكر الموت كفاه اليسير". قال بشر بن الحارث الحافي رحمه الله: "إذا اهتممت لغلاء السعر فاذكر الموت ، فإنه يذهب عنك هم الغلاء". قال يحيى بن معاذ رحمه الله: "من أكثر ذكر الموت لم يمت قبل أجله ، ويدخل عليه ثلاث خِصال من الخير ؛ أولها: المبادرة إلى التوبة. الثاني: القناعة برزق يسير. الثالث: النشاط في العبادة". قال الإمام الغزالي رحمه الله: "في ذكر الموت ثواب وفضل، فإن المنهمك يستفيد بذكر الموت، التجافي عن الدنيا، إذ ينغص عليه نعيمه، ويكدر عليه صفو لذته". وذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور، ويتقاضى الاستعداد للآخرة، والغفلة عن الموت تدعو إلى الانهماك في شهوات الدنيا. قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "في الإكثار من ذكر الموت فوائدُ؛ منها: أنه يحث على الاستعداد له قبل نزوله ، ويقصر الأمل ، ويُرضي بالقليل من الرزق ، ويزهِّد في الدنيا ، ويرغِّب في الآخرة ، ويهون مصائب الدنيا ، ويمنع من الأشَرِ والبَطَرِ ، والتوسع في لذات الدنيا". في كتاب: (موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين) يقول الأستاذ محمد جمال الدين القاسمي ص 324 من الجزء الأول ما نصه: (اعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها ، لكان جديراً بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته ، وحقيقاً بأن يطول فيه فكره ويعظم له استعداده ، لا سيما وهو في كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء: "كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك!" واعلم أن الجنائز عبرة للبصير ، وفيها تنبيه وتذكير لا لأهل الغفلة ، فإنها لا تزيدهم مشاهدتها إلا قسوة ؛ لأنهم يظنون أنهم أبداً إلى جنازة غيرهم ينظرون ، ولا يحسبون أنهم لا محالة على الجنائز يحملون ، أو يحسبون ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرون ولا يتفكرون أن المحمولين على الجنائز هكذا يحسبون ، فبطل حسبانهم ، وانقرض على القرب زمانهم. فلا ينظر عبد إلى جنازة إلا ويقدر نفسه محمولا عليها ، فإنه محمول عليها على القرب وكأن قد ، ولعله في غد أو بعد غد ، قال "ثابت البناني": "كنا نشهد الجنائز فلا نرى إلا متقنعاً

باكياً ، فهكذا كان خوفهم من الموت ، والآن لا ننظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون إلا في ميراثه وما خلفه لورثته ، ولا يتفكر أقرانه وأقاربه إلا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه ، ولا يتفكر واحد منهم إلى ما شاء الله في جنازة نفسه في حاله إذا حمل عليها. ولا سبب لهذه الغفلة إلا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والأهوال التي بين أيدينا ، فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يغنينا".هـ. ولذلك كان من آداب حضور الجنازة: التفكر والتنبه والاستعداد والمشي أمامها على هيئة التواضع ، ومن آدابه حسن الظن بالميت وإن كان فاسقاً ، وإساءة الظن بالنفس وإن كان ظاهرها الصلاح ، فإن الخاتمة مخطرة لا يدرى حقيقتها! والمستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلاً لوجه الميت ، وأن يسلم ولا يمسح القبر ولا يمسه ولا يقبله ، فإن ذلك من عادة النصارى. قال "نافع": "كان" ابن عمر" رأيته مائة مرة أو أكثر يجيء إلى القبر فيقول: السلام على النبي. السلام على أبي بكر. السلام على أبي وينصرف. وكان بعض السلف إذا وقف على باب المقابر يقول: "آنس الله وحشتكم ، ورحم غربتكم ، وتجاوز عن سيئاتكم ، وقبل الله حسناتكم". فالمقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار بها ، وللمزور الانتفاع بدعائه فلا ينبغي أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار به ، وإنما يحصل له الاعتبار به بأن يتصور في قلبه الميت كيف تفرقت أجزاؤه ، وكيف يبعث من قبره ، وأنه على القرب سيلحق به. ويستحب الثناء على الميت وأن لا يذكر إلا بالجميل قال صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا". قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "الموت يأتي بغتة ، فمن يزرع خيرًا يوشك أن يحصد رغبة ، ومن يزرع شرًّا يوشك أن يحصد ندامة ، ولكل زارع مثلما زرع! قال العلامة العثيمين رحمه الله: "لو قال قائل: هل فناء الجسم أو بقاؤه دليل على الصلاح؟ فالظاهر أن بقاءه يدل على الصلاح ؛ لأنه ما يبقى إلا كرامة لأن الأصل أن الأجسام تأكلها الأرض إلا الأنبياء ، فإنهم لا تأكلهم الأرض ، وفناؤه لا يدل على أن الإنسان ليس من أهل الخير ، لكن بقاء الجسم قد يقع كرامة لبعض أهل الخير". والتقوى تنجي من كرب الموت! قال قتادة رحمه الله في قوله تعالى: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) ، قال: "من الكرب عند الموت". قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس رضي الله عنه في هذه الآية: "ننجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة". قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "من أطاع الله واتقاه وحفِظ حدوده في حياته ، تولاه الله عند وفاته ، وتوفاه على الإيمان". قال بعضهم: "كانوا يستحبون أن يكون للمرء خبيئة من عمل صالح ، ليكون أهون عليه عند نزول الموت ، أو كما قال". وفي خطبة له بعنوان: (أحداث الموت والقبر) يقول الأستاذ سالم بن محمد الغيلي ما نصه بتصرفٍ زهيد: (الحديث عن لحظات وساعات وأوقات ما عشناها وما جرَّبناها وما أتت علينا ، لحظات عاشها من مات وعاصرها مَن فات ، وذاقها من أصبح رفات ، نذكرها اليوم للذكرى: (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) ، نرى في كل يوم وفي كل صباح وفي كل مساء ، من يذهب إليها من تأتيه تلك اللحظات ، إنها لحظات الموت ، إنها ساعات النهاية وساعات البداية ، مواقف ولحظات وأمور أتت على غيرنا أتت على الأقارب والأباعد ، والأقوياء والضعفاء والأغنياء والفقراء ، والملوك والوزراء ، ولن يسلم منها أحدٌ ، ولن ينجو منها هارب ، ولن يختفي منها شارد. نريد أن نعلم ماذا يحدث لهم ، هل هو موت وانتهى الأمر؟ هل هي لحظات خروج الروح ولا شيء بعدها؟ أم ماذا؟ وذكر الموت لن يقرِّبه ولن يُبعده ، إن الموت حتم لازم لن ينجو منه أحد. حتى الموت نفسه سيموت ويُذبح بين الجنة والنار ، فيقال:

يا أهل الجنة ، خلود فلا موت ، ويا أهل النار ، خلود فلا موت ؛ قال الله تعالى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون) ، وقال تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) ، وقال سبحانه: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ...) ، وما نجا منه حتى خيرُ مَن خلَق الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله له: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَيِّتُونَ) ، وقال الله له: (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ). لكن أيها الناس ، إنه لن يأتي هكذا كيفما اتفق ، له مواعيد وله أوقات ، وله لحظات وله ساعات لا يأتي إلا فيها وهي نهاية الأعمار نهاية الأنفاس نهاية الحياة الدنيا ، إن الله تعالى قد جعل لكل مخلوق أجل ، قد جعل لكل مخلوق عمر لا يزيد عليه ولا ينقص منه ، وقد كتب الله الآجال عنده في اللوح المحفوظ من قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، فإذا جاء الموعد وجاءت ساعة النهاية ، فلن يفلت منه أحدٌ مهما فعل من أسباب البقاء ، فلن يستطيع ، (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا..) ، وقال تعالى: (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ..) ، وقال تعالى: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) ، قالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بزَوْجِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ ، فَقالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: (إنَّكِ سَأَلْتِ اللَّهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ ، وَآثَارٍ مَوْطُوءَةٍ ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ ، لا يُعَجِّلُ شيئًا منها قَبْلَ حِلِّهِ ، وَلَا يُؤَخِّرُ منها شيئًا بَعْدَ حِلِّهِ ، ولو سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ مِن عَذَابٍ في النَّارِ ، وَعَذَابٍ في القَبْرِ ، لَكانَ خَيْرًا لَكِ...الحديث) ؛ صحيح مسلم ، فلو سأل العبد ربه أن يزيد في عمره سنة أو شهر أو يوم أو ساعة ، لَما حصل له ذلك. أيها الأحبة ، وقت مجيء الموت مجهول لحكمة يريدها الله تعالى ، وهذه مسألة خطيرة في غاية الخطورة ، يجب على اللبيب أن يعمل لها ألف حساب ؛ لأنه لا يدري متى يتسلل إلى روحه فيأخذها ، (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) ، فإذا جاءت تلك الساعة وتلك اللحظة وتلك الدقائق التي نراها فيمن مات وفيمن فات ، فإن الله تعالى يرسل ملك الموت لسلِّ تلك الروح أو نزعها ، إذا كان مؤمنًا تسل ، وإذا كان كافرًا أو فاجرًا تُنزع ؛ قال تعالى: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ) ، لكن ملك الموت يأتي المؤمنين في صورة حسنة ، ويأتي الكافر في صورة مخيفة ؛ كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنَّ العبدَ المؤْمن إذا كان في انْقِطَاعٍ من الدُّنْيَا ، وإقْبالٍ من الْآخِرَةِ ، نزل إليه من السَّمَاءِ ملائكةٌ بِيضُ الوجُوهِ ، كأَنَّ وجوهَهُمُ الشمسُ ، معهُمْ كفنٌ من أكْفَانِ الجنَّةِ ، وحَنُوطٌ من حَنُوطِ الجَنَّةِ ، حتى يَجْلِسُوا منه مَدَّ البَصَرِ ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ حتى يَجلِسَ عندَ رأسِه فيَقولُ: أيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إلى مغْفِرةٍ من اللَّهِ ورِضْوَانٍ ، فتخْرُجُ تَسِيلُ كما تسِيلُ القَطْرَةُ من فِي السِّقَاءِ.. الحديث) ، إلى أن قال صلى الله عليه وسلم: (وإنَّ العبدَ الكافِرَ إذا كان في انقِطَاعٍ من الدنيا ، وإقبالٍ من الآخِرةِ ، نزل إليه من السماءِ ملائكةٌ سُودُ الوجُوهِ معَهُمُ المُسُوحُ ، فيجلِسُونَ منه مَدَّ البَصَرِ ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الموتِ حتى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إلى سَخَطٍ من اللَّهِ وغَضَبٍ ، فَتَفْرُقُ في جَسَدِهِ فيَنتَزِعُهَا كَما يُنتَزَعُ السَّفُّودُ من الصُّوفِ المَبْلُولِ... الحديث) ؛ صحيح الجامع للألباني. كل هذه الأحداث الغريبة تحدث للميت ومن حوله لا يشعرون ولا يحسون ؛ قال تعالى: (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ) ، وكل من جاءه الموت يتمنى

الرجعة إلى الدنيا ، فإذا كان كافرًا فيريد أن يسلم ، وإذا كان عاصيًا يريد أن يتوب ، ويصور الله تلك اللحظات ، فيقول: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) ، فيقال له: كلا إنها كلمة هو قائلها...مجرد كلام لا ينتفع به خلاص لا عودة ولا رجوع ، والمؤمن يفرح بلقاء الله ، المؤمن صاحب الإيمان صاحب الصدق والإخلاص والأخلاق ، صاحب الصلاة والعبادة ، طاهر القلب واللسان والجوارح ، فإنه إذا جاء الموت يفرح بلقاء الله ؛ قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: (إذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ علَى أعْنَاقِهِمْ ، فإنْ كَانَتْ صَالِحَةً قالَتْ: قَدِّمُونِي ، قَدِّمُونِي ، وإنْ كَانَتْ غيرَ صَالِحَةٍ قالَتْ: يا ويْلَهَا ، أيْنَ يَذْهَبُونَ بهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شيءٍ إلَّا الإنْسَانَ ، ولو سَمِعَهَا الإنْسَانُ لَصَعِقَ). صحيح البخاري. وإذا جاءت ساعة الموت حضر الشيطان ، وقد ذكر العلماء أن الشيطان يأتي الإنسان عند وفاته في صورة أمه أو أبيه أو غيرهم ممن هو عليه مشفق ، فيدعوه إلى اليهودية أو النصرانية ، وقد حدث عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل قال: (حضرت وفاة أبي أحمد ، وبيدي خرقة لأشد لحييه ، فكان يغرق ، ثم يفيق ويقول بيده: لا بعد ، لا بعد ، فعل هذا مرارًا ، فقلت له: يا أبت أي شيء يبدو منك؟ قال: إن الشيطان قائم بحذائي عاضٌّ على أنامله ، يقول: يا أحمد فتني ، وأنا أقول: لا بعد ، لا بعد ، حتى أموت) ؛ (الحجة في بيان المحجة 1/ 499) ، هكذا المؤمن يختم له بخير ويصير إلى خير ويثبت بإذن الله على إيمانه وعلى دينه وعلى استقامته ، وعلى صلته بربه وهو في سكرات الموت ، (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ..) ، المؤمن في تلك اللحظات يتشهد يذكر الله ، أو يسجد ، أو يقرأ القرآن ، أو في المساجد ، وفي تلك اللحظات العصيبة من يختم له بسوء الخاتمة أجارنا الله وإيَّاكم منها...كم في الناس مَن يُختَم له بسوء الخاتمة نعوذ بالله ، لذلك يجب أن نحذَر من عدة أمور ، الأمر ليس بالسهل ، المسألة جنة أو نار ، نعيم أو جحيم ، يجب أن نحذر كل الحذر ؛ حتى لا تسوء خاتمتنا عند موتِنا! أولًا: نحذر من فساد العقيدة: احذر أن يفسد اعتقادك في أمر من أمور الدين ، أو تؤمن به على غير مراد الله ، وعلى غير ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا تعتقد أن الإسلام ظلم المرأة ، لا تعتقد أن الإسلام يبيح الأغاني أو الموسيقا ، أو النظر إلى العاريات ، أو كشف الوجه للمرأة ، أو زواج المتعة ، أو سب الصحابة ، أو أن الدين تخلُّف ورجعية وإرهاب ، ولا يصلح لهذا الزمن ، وأنه ضد التطور والرقي. لا تعتقد أن المجوس والنصارى واليهود حياتهم أسعد من المسلمين ، أو أنهم على حق ، أو أنهم على دين عيسى عليه السلام ، أو أنهم يُعذرون بكفرهم لأنهم لا يعلمون الإسلام ، احذَر من هذه العقائد ، فإنها من أسباب سوء الخاتمة. ومن أسباب سوء الخاتمة: الإصرار على المعصية ، نعلم أنها حرام وأنها سيئة ، وأنها مخالفة ، ومع ذلك نُصر عليها ، وفي كل يوم نقترفها ونمارسها ، فإن ذلك من أسباب سوء الخاتمة والموت مع الإصرار على المعصية! ومن الأسباب: العدول عن الاستقامة ، يعلم أن الاستقامة حق ، وأنها ترضي الله ، وتقرب إليه ، وفيها سعادة الدنيا والأخرى ، ثم لا يهتم ولا يغتم ، ولا يهمه أن يستقيم ويُقبل على الرب الرحيم ، فيبقى لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ولكنه عند الموت يغلب عليه ما كان مصرًّا عليه. ومن الأسباب: ضعف الإيمان ، وهذا منزلق خطير ؛ لأن ضعيف الإيمان يفشل عند السكرات ويندهش عند الممات ، فلا إيمان قوي ولا عمل خالص يثبته في تلك اللحظات ، نقل عن الغزالي في الإحياء أن سوء الخاتمة على رتبتين: أحدهما أعظم من الأخرى ، فأما الرتبة الأولى العظيمة أن يغلب عند الموت الشك أو جحود ، فتُقبض الروح على

ذلك ، فيكون حائلًا عظيمًا بينها وبين الله ، والثانية دونها أن يغلب على قلب الميت شيء من أمور الدنيا كان متعلقًا فيه من شهوة أو شبهة ، فتُقبض روحه في حالةِ غلبةِ الدنيا).هـ. عن يحيى بن أبي كثير قال: دخل سليمان بن عبد الملك المدينة حاجًّا ، فقال: هل بها رجل أدرك عدَّة من الصحابة؟ قالوا: نعم ، أبو حازم ، فأرسل إليه ، فلما أتاه قال: يا أبا حازم ما هذا الجفاء؟ قال: وأي جفاء رأيت مني يا أمير المؤمنين؟ قال: وجوه الناس أتوني ولم تأتني ، قال: والله ما عرفتني قبل هذا ، ولا أنا رأيتك فأي جفاء رأيت مني؟ فالتفت سليمان إلى الزهري فقال: أصاب الشيخ وأخطأت أنا، فقال: يا أبا حازم ، ما لنا نكره الموت؟ فقال: عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة ، فتكرهون الخروج من العمران إلى الخراب ، قال: صدقت ، فقال: يا أبا حازم ليت شعري ، ما لنا عند الله تعالى غدًا؟ قال: اعرض عملك على كتاب الله عز وجل ، قال: وأين أجده من كتاب الله تعالى؟ قال: قال الله تعالى: (إِنَّ الأبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ) ، قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال أبو حازم: قريب من المحسنين ، قال سليمان: ليت شعري كيف العرض على الله غدًا؟ قال أبو حازم: أما المحسن كالغائب يقدَم على أهله ، وأما المسيء كالآبق يُقدَم به على مولاه ، فبكى سليمان حتى علا نحيبه واشتدَّ بكاؤه ، فقال سليمان: أوصني ، فقال: أُوصيك وأُوجز ، عظِّم ربك ونزِّهه أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك حيث أمرك) ؛ ج2 /ص147 - كتاب إحياء علوم الدين. وفي كتاب: (موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين) يقول الأستاذ محمد جمال الدين القاسمي ص 326 من الجزء الأول ما نصه بتصرف يسير ما نصه: (للموت شدة في أحواله وسكراته وخطر في خوف العاقبة ، كذلك الخطر في مقاساة ظلمة القبر وديدانه ، ثم لمنكر ونكير وسؤالهما ، ثم لعذاب القبر وخطره إن كان مغضوباً عليه ، وأعظم من ذلك كله الأخطار التي بين يديه من نفخ الصور ، والبعث يوم النشور ، والعرض على الجبار ، والسؤال عن القليل والكثير ، ونصب الميزان لمعرفة المقادير ، ثم جواز الصراط ، ثم انتظار النداء عند فصل القضاء إما بالإسعاد وإما بالإشقاء. فهذه أحوال وأهوال لا بد لك من معرفتها ، ثم الإيمان بها على سبيل الجزم والتصديق ، ثم تطويل الفكر في ذلك لينبعث من قلبك دواعي الاستعداد لها. وأكثر الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء أفئدتهم ، ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها مع ما تكتنفه من المصاعب والأهوال ، بل إذا سئلوا عن اليوم الآخر نطقت به ألسنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم ، ومن أخبر بأن ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه الذي أخبره: صدقت ثم مد يده لتناوله كان مصدقاً بلسانه ومكذباً بعمله ، وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان. فمثل نفسك وقد بعثت من قبرك مبهوتاً من شدة الصعقة شاخص العين نحو النداء ، وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاهم وقد أزعجهم الرعب مضافاً إلى ما كان عندهم من الهموم والغموم وشدة الانتظار لعاقبة الأمر كما قال الله تعالى: (ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون). فتفكر في الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم انتظاراً لما يقضى عليهم من سعادة أو شقاوة ، وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم ، متحير كتحيرهم ، فكيف حالك وحال قلبك هنالك وقد بدلت الأرض غير الأرض والسموات ، وطمس الشمس والقمر وأظلمت الأرض واشتبك الناس وهم حفاة عراة مشاة ، وازدحموا في الموقف شاخصة أبصارهم منفطرة قلوبهم. فتأمل يا مسكين في طول هذا اليوم ، وشدة الانتظار فيه ، والخجلة والحياء من الافتضاح عند العرض على الجبار تعالى وأنت عار مكشوف ذليل متحير مبهوت منتظر لما

يجري عليك القضاء بالسعادة أو بالشقاوة ، وأعظم بهذه الحال فإنها عظيمة ، واستعد لهذا اليوم العظيم شأنه القاهر سلطانه القريب أوانه يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت (وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد). وأختم مقدمة هذه القصيدة بشذرة من شذرات الموعظة! في كتاب: (موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين) يقول الأستاذ محمد جمال الدين القاسمي ص 327 من الجزء الأول ما نصه: (تفكر يا مسكين بعد هذه الأحوال فيما يتوجه عليك من السؤال شفاها من غير ترجمان ، فتسأل عن القليل والكثير والنقير والقطمير ، فبينا أنت في كرب القيامة وعرقها وشدة عظائمها إذ نزلت ملائكة من أرجاء السماء إلى موقف العرض على الجبار ، فيقومون صفاً صفاً محدقين بالخلائق من الجوانب ، وينادون واحداً بعد واحد ، فعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول ، ويتمنى أقوام أن يذهب بهم إلى النار ولا تعرض قبائح أعمالهم على الجبار ولا يكشف سترهم على ملأ الخلائق. وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش: (وأشرقت الأرض بنور ربها) ، وأيقن قلب كل عبد بإقبال الجبار لمساءلة العباد ، ويظن كل واحدٍ أنه ما يراه أحد سواه ، وأنه المقصود بالأخذ والسؤال دون من عداه ، فيبدأ سبحانه بالأنبياء: (يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب). فيا لشدة يوم تذهل فيه عقول الأنبياء من شدة الهيبة ، ثم يؤخذ واحد واحد فيسأله الله تعالى شفاها عن قليل عمله وكثيره ، عن سره وعلانيته ، وعن جميع جوارحه وأعضائه. فكيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك ، وأياديه ومساويك ، فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك وأنت بقلب خافق وطرف خاشع وأعطيت كتابك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فكم من فاحشة نسيتها فتذكرها ، وكم من طاعة غفلت عن آفاتها فانكشف لك عن مساويها ، فليت شعري بأي قدم تقف بين يديه. وبأي لسان تجيب ، وبأي قلب تعقل ما تقول ، وفي الخبر: "لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وماذا عمل فيما علم". فأعظم يا مسكين بحياتك عند ذلك وبخطرك. ثم لا تغفل عن الفكر في الميزان وتطاير الكتب إلى الشمائل والأيمان: (فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشةٍ راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هيه نار حامية).هـ. ومهما تكلمنا عن المقابر والموت والأموات والمواعظ المتعلقة بهم لانقضي الزمان الطويل وما انقضت مواعظنا! ويكفي قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كفى بالموت واعظاً! أي كفي بالموت مذكراً ، بما قبله وما بعده ، من أهوال! نسأل الله العافية والسلامة! وأعتذر عن طول مقدمة هذه القصيدة ، ولكنه مقصود ومتعمد ، لعلنا نتعظ من الموت وكرباته ، والقبر وأهواله ، والآخرة وما بعدها من أحداث ، والمصائر للجميع إما إلى جنة نسأل الله من فضله وإحسانه ، وإما إلى نار ، نعوذ بالله تعالى من النار ، ومن سوء الخاتمة ومن عذاب القبر! نسأل الله أن يحسن خاتمتنا في الأمور كلها!)

زوانيَ الموتُ عن أهلي وعن وطني ... وزجَّ بي الوَجْدُ في مَرثيَّة الوَهنِ

واشحَوحَبَ الجسدُ البالي على عَجَل ... فرْداً يواسِي زوالَ المَنظر الحَسن

يبكي على نضرة الأحوال جندلها ... حتفٌ مُبيرٌ دهى محاسنَ البدن

ينعِي رحيلي وحيداً عن بُلهنيةٍ ... ما كان قلبي بها يوماً بمُفتتن!

يأســـــى أســـــيفاً لِمـــــا أودَى بعَزمتـــــه ... يشـــكو أســـى عـــاثر البلـــواء والمِحـــن

مـــا قصَّـــرَ الأهـــلُ فـــي تغســـيل ميِّـــتهم ... بالـــدمع قبـــل طهـــور المـــاء يُنْظِفنـــي

حتـــى إذا فرغـــوا جـــاؤوا بمنشـــفةٍ ... فجففـــوا المـــاء مشـــفوعاً بـــه دَرَنـــي

ومـــدَّدوا الجســـمَ لـــذْناً لا حِـــراك بـــهِ ... وبعـــدُ لفـــوه فـــي لفـــائف الكفـــن

وأخرجـــوني مـــن الـــدار التـــي احتفلـــتْ ... بالمُكـــث فـــي أمِّهـــا ردحـــاً مـــن الـــزمن

والأهـــل قـــد حملـــوا الجثمـــانَ عـــن رغـــب ... مـــا عـــاد للمَيْـــت مِـــن أهـــل ولا وطـــن

وللجنـــــازة معناهـــــا ومَحفلهـــــا ... إذا أقيمـــتْ علـــى شـــرائط السَّـــنن

وجُـــلُّ مَـــن حضـــروا حقـــاً ذوو عمـــل ... مِـــن البـــوادي أتـــوا ، أو شـــاطن المـــدن

ألغـــوا مواعـــدَهم ، وأقبلـــوا قـــدُماً ... وفـــي الوجـــوه تعـــابيرٌ مـــن الحَـــزَن

الناصـــحون أتـــوا ، والهـــازلون أتـــوا ... وشـــارك الـــبعضُ مِـــن شـــام ومِـــن يمـــن!

وعنـــد قبـــري انتهـــتْ آثـــارُ مِحنـــتهم ... فلـــم يَعُـــدْ أحـــدٌ مـــنهم بممـــتحن

والـــبعضُ أعلـــنَ فـــي الشـــجوى تكلفـــه ... ونـــالني منـــه أطيـــافٌ مـــن الشـــجن

حتـــى إذا غيَّـــبَ اللحَّـــادُ جثتـــهُ ... وردَّ (كُوفرتـــة) والشـــالَ ذا الشـــطن

حـــلا الـــدعاءُ لقـــوم كنـــتُ رائـــدَهم ... دعَـــوا لعبـــدٍ بلطـــف الله مـــرتهن

والـــبعضُ صـــافحَ مَـــن جـــاؤوا يُشـــاطرُهم ... بمنطـــق لبـــق مِـــن مُفصِـــح لســـن!

وعـــاد كـــلٌّ إلـــى أهليـــه ملتهيـــاً ... كأنـــه لـــم يعِـــشْ شـــيئاً مـــن الإحـــن!

وعِشْـــتُ وحـــدي بقبـــري مؤنســـي عملـــي ... مـــا كنـــتُ أصـــنعُه فـــي الســـر والعلـــن

كـــم اشـــتريتُ ، ومـــا باليـــتُ عاقبـــة! ... واليـــوم أدفـــعُ جَبـــراً غـــاليَ الـــثمن

وكـــم تجَـــرَّأتُ مُغتـــرَّاً بمَغفـــرةٍ! ... وكـــم عصـــيتُ ، وربُّ النـــاس يرقبنـــي!

وكـــم بـــذلتُ خيـــوراً لســـتُ أعلمُهـــا! ... وكـــم رحِمـــتُ لعـــل الله يرحمنـــي!

وكـــم تحمَّلـــتُ أعبـــاءً مُتلتلـــة ... كـــالبحر لـــم تُضـــنِه حُمولـــة الســـفن!

واليـــوم أمتِعتـــي حِيـــزتْ لمَـــن ورثـــوا ... يقـــول كـــلٌ: هُـــدى الإســـلام ورَّثنـــي

أيـــن المفـــاتيحُ لـــم تفـــتح لصـــاحبها ... بابـــاً فعنهـــا نـــأى فـــي مَـــدفن شـــطن؟!

أيـــن الحقائـــبُ لـــم تحمـــل ملابسَـــه ... لهـــا عليـــه كبيـــرُ الفضـــل والمِـــنن؟!

أيـــن الـــديارُ نـــأى بـــالموت ســـاكنُها ... لمَّـــا تعُـــدْ للـــذي قـــد مـــات بالســـكن؟!

فلـــن يعـــود لهـــا ، ولـــن تعـــود لـــه ... ذي سُـــنة ، كلنـــا نحيـــا علـــى السُّـــنن!

وأيـــن أحذيـــة تزهـــو بلابســـها؟! ... اليـــوم لمَّـــا يَعُـــد للـــبس بـــالقمِن

أيـــن الملابـــسُ؟! مَـــن بعـــدي سيلبسُـــها؟! ... اليـــوم ذا كَفنـــي بـــالطوع يلبســـني

وعِيشـــة النـــاس مـــن بعـــدي فمـــا وقفـــتْ! ... علـــيَّ لمَّـــا يكـــنْ فـــردٌ بمـــرتكن!

والمـــالُ أضـــحى حـــلالاً للألـــى خلفـــوا ... وعنـــه ربُّ الـــورى فـــي الحشـــر يســـألني

وســـوف أنســـى كمـــا نسِـــيتُ مَـــن ســـبقوا! ... فمَـــن مِـــن الأهـــل بعـــد اليـــوم يـــذكرُني؟!

عَزيـــتُ نفســـي بنفســـي غيـــرَ مكتـــرثٍ ... كـــالطير غـــرَّدَ محبـــوراً علـــى فـــنن

لـــم تُنســـني متـــعُ الـــدنيا نهايتهـــا ... لأننـــي لـــم أعـــشْ فيهـــا علـــى دَخَـــن

إنـــي أصـــارحُ أقوامـــاً بهـــا فتنـــوا ... لـــن تســـتفيدوا مـــن الفوضـــى ولا الفـــتن

والقـــول أطلقـــه بـــلا مُواربـــةٍ ... كـــالقول أطلقـــه بنصـــه المـــرن

عُـــودوا إلـــى الله واحتـــاطوا لمِيتـــتكم ... والمـــوتُ فـــي غربـــةٍ كـــالموت فـــي الـــوطن!

أول القصيدة كُفر! (معارضة لابن هانيء)

(يُحكي أنه في عصر الدولة الفاطمية بمصر في زمن حُكم المعز لدين الله الفاطمي ، وعندما وطأت قدمه أرض مصر ، مدحه الشاعر الأندلسي ابن هانئ بقصيدةٍ لينال عطية منه قال في مطلعها الكفري الشركي:-

مـــا شِـــئت ، لا مـــا شـــاءت الأقـــدارُ! فـــاحكم فأنـــت الواحـــدُ القهـــارُ

وكأنمـــــا أنـــــت النبـــــي محمـــــدٌ وكأنمـــــا أنصـــــارُك الأنصـــــار

أمعـــــز ديـــــن الله إن زماننـــــا بـــك فيـــه بـــأوٌ - جـــلَّ - واســـتكبار

هـــا إن مصـــر غـــداة صـــرت قطينهـــا أحـــرى لتحسُـــدها بـــك الأقطـــار

ولما سمع المصريون القصيدة والتي بها العديد من المبالغات الكفرية في مدح المعز ورفع مرتبته لدرجة الذات الإلهية ، قالوا في صورة ساخرة: (أول القصيدة كفر). وبذلك سار مثلاً نقوله عندما يبدأ شخص ما كلامه بشئ غير منطقي ، فيرد عليه الآخر معترضاً: أول القصيدة كُفر! وفي محاضرة عنوانها: (مقدمات عن الشعر العربي) يقول الأستاذ حامد الطاهر ما نصه بتصرف: (هناك علاقة وثيقة بين الشعر والفكر ، أو بالأحرى دور الفكر فى الارتقاء بمستوى الشعر . والواقع أن قصيدة خالية من الفكر ، أو حتى من لمسة بسيطة منه ، لن تكون أكثر من صرخة فرح ، أو نوبة بكاء ، أو انفجارة غضب ، أى مجرد انفعالات متناثرة يطلقها إنسان فى حالة غير طبيعية. أما الفكر فهو الذى يضبط عشوائيه الانفعالات ، ويجعلها تتماسك فى بناء فنى يجعل منه نمطاً إنسانياً يتشارك فيه مع الشاعر كل من يتلقى قصيدته ، ويكون قد مرّ بنفس التجربة التى مرّ بها. وقد قارن أحد النقاد بين شعراء اللفظ ، وشعراء الفكرة فقال ساخرًا: إن شعراء الألفاظ وحدها يغارون. تماماً كما تغار الزجاجات الفارغة من الزجاجات الممتلئة! وقال نيتشه: إن الشاعر يحمل منتصراً أفكاره فى عربة الإيقاع ، لأن هذه الأفكار في العادة لا تستطيع أن تمشي على قدميها. وقال بول فالبرى: إن الشاعر الحقيقى هو الذى تنبع أفكاره من خلال المعاناة المرتبطة بفنه الشعري. وأخيرًا يقول كومبرسون: إن أبيات القصيدة عبارة عن زنزانات فى سجن ، توجد الأفكار داخلها فى خزائن! ونسأل ونجيب: ما هو دور الشعر فى حياة الناس؟ من الممكن جدًا أن يعيش بعض الناس ، بل الكثير منهم بدون الشعر. فهو ليس خبزًا يومياً ، لكنه يمثل لطائفة من الأفراد ، فى كل العصور والمجتمعات – قدرًا من الإمتاع الذى يتمثل فى روح المشاركة. فأنت عندما تجلس فى رحلة قطار أو طائرة بجوار شخص ، من أى مكان فى العالم ، وتكون لديه بعض أفكارك وتصوراتك تحسُّ بقدر كبير من الراحة ، بل من السعادة. ونفس الأمر يحدث عندما تقرأ أو تستمع إلى قصيدة شاعر من بلدك ، أو حتى من أى مكان فى العالم ، ثم تجده قد صور فيها شعورًا مر بك ، أو إحساسًا عانيته يوما ، أو فكرة جميلة طافت برأسك ذات مرة – فإنك تنجذب إلى تلك القصيدة ، ويسعدك أن تكررها مرارًا! لكن كما يكون بعض الشعر رقيقًا وناعمًا ، تقرأه وأنت فى سريرك قبل النوم ، يمكنه أيضًا أن يكون وحشياً وثورياً (وهذا ما يخيف منه السلطات) وكم استمعنا وشاهدنا بعض الهتافات (الشعرية) التي كانت تتردد فى مختلف ميادين بقعةٍ ما ، وهى بإيقاع موزون ، وذات قافيه محكمة ، وكيف

كانت الملايين ، وليس الآلاف ، ترددها بحماس وإصرار حتى تحققت مطالبهم بإسقاط الواقع البئيس الصارم ، الذى استمر لمدة ثلاثين عاماً. وفي اعتقادى أن الذين صاغوا تلك الهتافات هم شعراء على مستوى عال من الشاعرية ، ومشكلة النقاد عندنا أنهم لا يلتفتون إليهم ، ويتركونهم يغيبون فى زحمة الأحداث دون أن يسجلوا أسماءهم وأعمالهم في صفحة ناصعة من التاريخ الأدبى للوطن).هـ. وأنا كمصري استهجنتُ ما قاله ابن هانيء في المعز الفاطمي العبيدي المُتشيع الخبيث ، غير أن استِهجاني أخذ عنوان: (أول القصيدة كفر) والذي استلهمتُه من قومي المصريين ، وصُغتُه شعراً يحمل مثلَ الكلمة التي قالوها يصفون بها نص ابن هانئ الأندلسي! وأعوذ بالله تعالى من ابن هانيء ومن أبياته الكفرية التي قالها ، وأصحح المفاهيم!)

مـا شـاء ربـك ، لا مـا شـاء مَـن خلقـا! والحُكـمُ حكـمُ الـذي عِبـادَه رَزقـا!

قـولُ (ابـنِ هـانئَ) كُفـرٌ لا اعتـدادَ بـه وفـي ثنايـاه إنْ حققـت فيـه شَـقا

ولا يُـرَدِّدُه فـي النـاس ذو رَشَـدٍ إلا إذا بـات بالإسـلام مرتزقـا

أفتـى خُزعبلـة ، والشـعبُ ضـاقَ بهـا ذرعـاً وذاع علـى المسـحور بعـضَ رُقـى

إذ لا يقـولُ الـذي يقـول مُتـزنٌ فـي قلبـه لمليـك النـاس أيُّ تقـى

ولا يُقِـرُّ بهـذا الكفـر ذو خلـق إلا إذا وَدَّعَ الإيمـانَ والخلقـا

إن العقيـدة تُعلـي مَـن يعـيشُ لهـا وينصـرُ الحـق مَـن مِنهاجـه اعتنقـا

وصـاحبُ الـدين لا تلقـاهُ مُنبطحـاً بـل فـارسٌ ضـربٌ يُصـارعُ النزقـا

مَـن يَرْقـعُ الـدين بالـدنيا أسـيرُ هـوىً وكيـف يُفلِـحُ ذو عقـل إذا فسـقا؟!

ولا يُفـرِّط شَـهمٌ فـي شـريعته لأنـه لهـدى تطبيقهـا خلِقـا

ولا تهـونُ علـى ذي الحـق عِزتـه وإن غـدا جسـمه فـي صَـونها مِزقـا

يَسـتعذبُ الحُـرُّ مـا يُؤذيـه مـن مِحَـن ولا تـراه إذا حَـلَّ البلا فرِقـا

وذو المبـادئ لا تُلـوى عزيمتُـه يبقـى عزيـزاً ، وإلا فالحِمـامُ بَقـا!

والشـاعرُ الحـقُّ مَـن سَـمَتْ مَناقِبُـه ولا يعـيشُ لجَمـع المـال مُسـتبِقا

فكـم تحـدَّى لكـي ترقـى قضـيته! وكـم لنصـرتها حُسـامَه امتشـقا!

وكـم أبـانَ مفاهيمـاً ووضـحها لأن فـي عقلـه لبسـطها أفقـا!

وكـم تعقـبَ أخبـاراً ، وحققهـا! وعـابَ ناشـرَها ومـن بهـا وثقـا!

وكـــم تكبَّـــدَ آلامـــاً ، وغـــصَّ بهـــا! وكـــافحَ الجهـــلَ والإعـــراضَ والخرقـــا!

وكـــم ترفـــعَ عـــن دنيـــا تُســـربله! وغيـــرُه فـــي دجـــى بحورهـــا غرقـــا!

وكـــم تحمَّـــلَ تهديـــداتِ ذي سَـــفهٍ وصَـــهدَ نـــار علـــى شـــفيرها احترقـــا!

وكـــم تلظـــى بتضـــييق الألـــى حكمـــوا! فهـــل زنـــى يـــا ولاة الأمـــر ، أو ســـرقا؟!

وحـــاكموه علـــى الأشـــعار أنشـــدَها تُحِـــق حقـــاً ، ونِعـــم الحـــقُ مُرتفقـــا!

ونـــاولوه مـــن الإقصـــاء حِصـــته فجابـــه النفـــيَ والتشـــهيرَ والمِشَـــقا

وأســـلموه إلـــى التهمـــيش كـــبشَ فِـــدا عمـــداً. فقاســـى الضـــنا والكبـــت والقلقـــا

والشـــاعرُ الســـاقط المـــرذولُ بُغيتُـــه مـــالٌ ، ليُكسِـــبَه قريضُـــه حـــذقا

لا يُنشـــد الشـــعرَ إلا أن ينـــال بـــه دراهمـــاً جعلـــتْ لســـانه لبقـــا

يُطـــوِّعُ الشـــعرَ للطـــاغوت مفتخـــراً ولـــيس يخجـــلُ لـــو حِـــذاءَه لعِقـــا

وقـــد يُؤلهـــه بـــلا مؤاخـــذةٍ وإنْ يُراجَـــعْ علـــى مَـــن راجـــعَ انحمقـــا

يقـــول: مـــا شـــئت لا مـــا شـــاء خالقنـــا والحكـــمُ حكمُـــك لا تســـتعتب الفرَقـــا!

والصـــحبُ صـــحبُك أتبـــاعٌ لقائـــدهم وبـــايعوك ، وصـــاروا بعـــدها حِلقـــا!

أنـــت النبـــيُّ ، وهـــم أنصـــارُ أســـوتهم وكـــل فـــردٍ علـــى تمكينـــك اتفقـــا

مثـــل (ابـــن هـــانئ) والتـــاريخ ســـجَّلها يَـــذرُّ فـــي نصـــها التغييـــرَ والحَنقـــا

وإن (أندلســـاً) تأســـى لكبوتـــه وســـاء شـــعراً غفـــا! وســـاء منطلقـــا!

ومنـــك (أنـــدلسُ) القصـــيد قـــد بَرئـــتْ تـــراك عبـــداً مـــن التوحيـــد قـــد مرقـــا!

وســـوف تلقـــى بمـــا نظمـــت خالقنـــا ولـــن يطيـــب بمـــا جازفـــت فيـــه لقـــا!

وســـوف تنـــدمُ أن ألهـــت مبتـــدعاً فـــؤادُه لـــم يكـــن يحظـــى بـــأي نقـــا!

يهـــوى التشـــيعَ مُعتـــزاً بباطلـــه وفـــي الضـــلال لـــه بـــين الـــورى رُفقـــا!

تأبين محمد العيد آل خليفة!

(محاكاة لمحمد العيد)

(في مثل هذا اليوم 31 من شهر يوليو عام 1979م رحل عنا إلى الرفيق الأعلى أمير شعراء الجزائر والشمال الأفريقي محمد العيد آل خليفة! وباستقراء التاريخ وجدتُ أن أبخل طائفة من الناس في رثاء أهل صناعتها وأصحاب كارها (الشعراء)! للأسف الشديد! يموت الشاعر ، وله أصدقاء وأصفياء شعراء كثيرون ، فلا يجد من يشمر بصدق عن ساعد الجد ويرثيه بقصيدة ما ، مبتغياً برثائه وجه الله رب العالمين! ويوم مات الشاعر المصري محمد حافظ إبراهيم شاعر النيل ، رثاه الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة رحمه الله تعالى بقصيدةٍ طويلةٍ ماجدة! وها أنذا أردُّ له الجميل ، وأبكيه شِعراً على ذات بحره وقافيته! متناولاً شيئاً من حياته وجهاده رحمه الله تعالى! ومن أراد المزيد ، فدونه المراجع والمصادر ، فليس الرجل مجهولاً ولا مغبوناً! قام الشاعر الجزائري (أمير شعراء الجزائر والشمال الأفريقي) محمد العيد آل خليفة برثاء الشاعر الكبير شاعر النيل محمد حافظ إبراهيم بقصيدة ألقيت في حفلةٍ أقيمت لتمجيد شاعرية حافظ ، بقاعة الخلدونية في حاضرة تونس الخضراء في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ ، وناب عنه في إلقاءها طالبٌ جزائريٌ متمكن ، وذلك لعدم تمكن الشاعر من الحضور بنفسه. وقد اشترك في هذه الحفلة شعراء من أقطار الغرب العربي:- من الجزائر وتونس وليبيا ، وكم كانت القصيدة مؤثرة للغاية ، ومتفاعلة لحدٍ كبير جداً مع الموقف:

قم عز مصر ، وعز الشرق أقطارا ...*... فحل بمصر خبا كالنجم وانهارا

خطبٌ جرى في ضفاف النيل زلزلة ...*... وثار ملء جواء الشرق إعصارا

وطار كالبرق ينعى شاعراً لبقاً ...*... إلى أقاليم فيها صيته طارا

يا ويح مصر خلت (من حافظٍ) وخلا ...*... في الهامدين ، كأن لم يثوها دارا

كأنه لم يجدها كالحيا أدباً ...*... جماً ، ولم يروها كالنيل أشعارا

إلى أن ختم الشاعر الجزائري الحكيم مرثيته الباكية الآسفة بقوله:-

وابن الجزائر بابن الشرق مرتبط ...*... وإن أحاطت به الأشواك أسوارا

يا رحمة الله هبي نفحة وهمي ...*... غيثا على حافظٍ في القبر مدرارا

في ذمة الله لا أنساه ثانية ...*... حسبي بحبي له عهداً وتذكارا

فمن هو الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة؟ وماذا عن شعره وجهاده وحياته ورحيله؟! إنه حسبما أوردت الموسوعة الحرة (الويكيبيديا) بتصرف كبير: (ولد الشاعر محمد العيد يوم الأحد لستة عشر يوماً خلى من جمادى الآخرة عام 1322 للهجرة ، الموافق لـ 28 أغسطس سنة 1904 للميلاد ، في بلدية عين البيضاء بولاية (أم البواقي). وسط عائلة دينية محافظة تنتمي تنحدر أصلاً من بلدة كوينين من ولاية واد سوف. انتقل مع أسرته إلى مدينة (بسكرة) ليكمل بها حفظ القرآن الكريم ، ويجلس في دروس الشيخ علي بن إبراهيم العقبي إلى سنة 1921م ، حين ألزم الشيخ سيدي العيد الثاني والده بإرساله إلى جامع الزيتونة للدراسة ، بعد

أن كان ينتدبه للعمل معه في التجارة ، وهذا مما جعل الشاعر محمد العيد يعطي المقام حقه ، فقد رثا صاحب نعمته حين وافاه الأجل ببسكرة ، انتسب محمد العيد إلى جامع الزيتونة ، وأصبح طالباً في الطبقة الثالثة (سبع طبقات) وبعد سنتين توقف عن الدراسة بتونس لأسباب صحية ، ليعود إلى بسكرة ويكمل مشواره العلمي على يد علمائها ومشايخها منهم الشيخ المختار اليعلاوي أرطبار في دروسه الليلية بالمسجد العتيق ، ليدرس عنه الفقه والحساب والفلك. وفي سنة 1927م انتدبته جمعية الشبيبة الإسلامية بالجزائر العاصمة معلماً بمدرستها! فمكث بها معلماً لمدة ثلاث سنوات ثم مديراً لها خلفاً للشاعر محمد الهادي السنوسي ، إلى غاية 1941م ليعود إلى بسكرة ، فمكث بها عدة أشهر ثم انتقل إلى (باتنة)! ثم التحق بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ تأسيسها ، وكان شعره أداة من أدواتها وسجلاً لمواقفها وكتاباً لتاريخها ، وأطلق عليه الشيخ عبد الحميد بن باديس لقب: «أمير شعراء الجزائر» وقال فيه الشيخ البشير الإبراهيمي: «رافق شعره النهضة الجزائرية في جميع مراحلها ، وله في كل نواحيها ، وفي كل طور من أطوارها ، وفي كل أثر من آثارها القصائد الغر والمقاطع الخالدة ، شعره لو جمع ؛ سجل صادق لهذه النهضة وعرض رائع لأطوارها»! وقال عنه أيضا: «الأستاذ محمد العيد شاعر الشباب وشاعر الجزائر الفتاة ، بل شاعر الشمال الإفريقي بلا منازع. وهو شاعر مستكمل الأدوات ، خصيب الذهن ، رحب الخيال ، متسع جوانب الفكر طائر اللمحة ، مشرق الديباجة ، متين التركيب ، فحل الأسلوب ، فخم الألفاظ ، محكم النسج ملتحمه ، مترقرق القوافي ، لبق في تصريف الألفاظ وتنزيلها في مواضعها ، بصير بدقائق استعمالات البلغاء ، فقيه محقق في مفردات اللغة علماً وعملاً ، وقاف عند حدود القواعد العلمية ، محترم للأوضاع الصحيحة في علوم اللغة كلها ، لا تقف في شعره على كثرته على شذوذٍ أو رخصة أو تسمح في قياس أو تعقيد في تركيب أو معاظلة في أسلوب ، بارع الصنعة في الجناس والطباق وإرسال المثل والترصيع بالنكت الأدبية والقصص التاريخية! وقال عنه الأمير شكيب أرسلان: «كلما قرأت شعراً لمحمد العيد الجزائري ، تأخذني هزة طرب تملك علي جميع مشاعري» ، وهو يعتبر أحد أبرز العلماء والمدرسين والشعراء الجزائريين الذين كافحوا الاحتلال ، وخدموا دينهم وأمتهم ووطنهم ، وفي مدينة باتنة مكث 6 سنوات يدير مدرسة التربية والتعليم التابعة لجمعية العلماء إلى غاية سنة 1944م ، حيث منع من التعليم وقدم للمحاكمة ثم أغلقت المدرسة. ظل محمد العيد يواصل نشاطه العلمي والإصلاحي بباتنة حتى سنة 1947م حيث اتجه إلى مدينة عين مليلة ليشرف على إدارة مدرسة العرفان المستقلة ، وفي الوقت نفسه يؤم المصلين ويخطب فيهم بالمسجد العتيق للمدينة ، وظل الاحتلال يلاحقه ويراقبه طوال إقامته بعين مليلة إلى غاية اندلاع ثورة التحرير الكبرى! وواصل محمد العيد رسالته في التغني بالحرية والتبشير بالنصر والاستقلال والدعوة إلى دعم الثورة ، فألف قصيدة من جبالنا طلع صوت الأحرار ، ليجد نفسه وجهاً لوجه أمام آلة الاحتلال ، فقد دعاه قاضي التحقيق للتصديق على مناشير تندد بالثورة تحت طائل التهديد بالسجن ، فرفض رفضاً قاطعاً ، وهكذا أوقف عن العمل بمدرسة العرفان ، ثم أغلقت المدرسة نفسها وحولت إلى ملحقة لثكنة عسكرية ، فواصل نشاطه النضالي بالمسجد والساحات ، ليؤخذ في شهر جوان 1955م مكبلاً إلى سجن المدينة ، ثم إلى سجن الكدية بقسنطينة ، وبعد 14 يوماً قدم للمحكمة بتهمة التحريض ضد السلطة والدعوة للثورة ومساندتها! وبعد إطلاق سراحه عاود نشاطه من جديد إلى آخر السنة حيث اقتحموا عليه منزله بتهمة التحريض على إعدام المستوطن الفرنسي «جوليان» لتفرض عليه

الإقامة الجبرية بمنزله ببسكرة تحت الحراسة المشددة ، فظل حبيس جدران بيته طوال أيام الثورة! أما بعد الاستقلال فقد لازم الاعتكاف ببيته متعبداً ذاكراً زاهداً في الدنيا قليل المشاركة في النشاطات العامة والخاصة ، فكان يقضي نصف السنة ببسكرة ونصفها الآخر بباتنة حتى توفي بمستشفى مدينة باتنة يوم الأربعاء 7 رمضان 1399هـ ، الموافق لـ 31 يولية 1979م ، ونقل جثمانه إلى بسكرة حيث دفن بمقبرة (العزيلات) بعد يومين من وفاته!).هـ. كتب الأديب الكبير الأستاذ محمد كاديك ، تحت عنوان: (محمد العيد آل خليفة.. سَيّدُ الشّعَرَاء) ما نصه بتصرفٍ يسير: (محمد العيد آل خليفة.. الشاعر الملهم الذي عانق الجمال ، والصّوت الجهوري الذي حلق في الآفاق ، وقلم الصّدق الذي جعل الشّعر وَقْفاً للوطن ، فهو يتعفف في شعره حتى عن خاصة نفسه ، فلا يتحدث من وُجدانه إلا عن أمل لشعبه يتعهّد نموَّه ، أو فرح لأمته ينثر عطره! لقد استهل سبيل العلم بحفظ القرآن الكريم في الكتّاب ، والتحق بالمدرسة الابتدائية لمدينة عين البيضاء أين تمدرس على يدي الأستاذين: الشيخ أحمد بن ناجي الصائغي والشيخ محمد الكامل بن الشيخ المكي بن عزوز! وفي عام 1918م ، تنقل محمد العيد مع أسرته إلى مدينة بسكرة ، أين تحصّل على ختمة القرآن المباركة وهو في الرابعة عشرة من عمره ؛ وواصل دراسته في حلقات المشايخ علي بن ابراهيم العقبي ، الشريف والمختار بن عمر اليعلاوي والجنيدي أحمد مكي ، فنهل من "الأصول" و"التوحيد" و"الفقه" و"النحو" و"المنطق" ؛ وفي 1921م ، شدّ الرحال إلى تونس ، والتحق بجامع الزيتونة ، كما واظب على دروس "الخلدونية" بصفةٍ حرة ، فأخذ الحساب والجغرافيا وغيرهما من العلوم ، وبقي مداوماً إلى أن تحصّل على شهادة "التطويع" من الزيتونة"! وفي 1923م ، رجع محمد العيد إلى بسكرة بعد أن ألمّ به مرضٌ منعه عن مواصلة إرواء شغفه إلى العلم ، ولكنّ شاعر الجزائر ظل يختلف إلى حلقات العلوم في مدينته ، فأفاد من "الحساب" و"الفلك" على يدي الشيخ المختار اليعلاوي ، وأخذ "التفسير" و"البلاغة" عن الشيخ البشير الإبراهيمي العقبي ، واشتغل بالتدريس في المدارس الحرة ، وبدأ ينشر بعض قصائده في صحف مختلفة أهمّها: "صدى الصحراء" (للشيخ أحمد بن العابد العقبي) ، "المنتقد" و"الشهاب" (للشيخ عبد الحميد بن باديس). وذاع صيت محمد العيد في الأوساط التّعليمية والثّقافية ، فدعي إلى الجزائر العاصمة ليتولى مهمّة التدريس بمدرسة الشبيبة الإسلامية في عام 1927م ؛ وفي خلال هذه الفترة ، أسهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وكان من أبرز أعضائها ، وظلّ ينشر المعارف في قاعات الدرس ، وينثر عطر شعره في جرائد "الشريعة" ، "السنة" ، "الصراط" ، "البصائر" وهي جرائد تابعة لجمعية العلماء ، أو جريدتي "المرصاد" و"الثبات" اللتين أسسهما محمد عبابسة الأخضري. وفي 1940م ، عاد محمد العيد إلى بسكرة ليقضي عاماً بمدارسها الحرة ، ثم يدعوه واجب التعليم إلى مدينة باتنة ، فيتولى الإشراف على مدرستها العربية من 1941م إلى غاية 1947م ؛ وبعدها يتنقل إلى عين امليلة مدرساً ومديراً لمدرسة "العرفان" التي أدارها والده من قبل ، وظل صابراً مع شعبه ضد اضطهاد الاستعمار ، واثقاً بأن بذرة الخير لها ثمرتها المقبلة! ومع اندلاع ثورة التحرير المباركة في نوفمبر 1954م ألقى المستعمرون القبض على محمد العيد ، وزجوا به في السجن ، وكانت تهمته آنذاك أنه من أبرز أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ولم يطلق سراحه إلا ليتم اعتقاله من جديد بتهمة تقديم دروس "تحريضية" على الثورة بالمسجد المجاور لمدرسة "العرفان" ، ليعود إلى سجن عين امليلة في جوان 1955م ، ثم ينقل إلى سجن الكدية بقسنطينة ، إلى أن يفرج

عنه ، ولكن بـ"تحديد" إقامته في بسكرة ، ليبدأ محمد العيد مرحلة "الإقامة الجبرية" ويعيش معزولاً عن المجتمع ، ممنوعاً من التواصل مع الناس ، ويبقى رهينة رقابة صارمة حتى استقلال الجزائر عام 1962م ، ليخرج من سجنه إلى رحاب الحرية مغرّداً بروائع الأشعار ، ويشارك في مسيرة البناء والتشييد شاعراً مفوّهاً ومثقفاً عظيماً ، ظل واثقاً أن بذرة الحريّة لا يمكنها إلا أن تنمو وتزدهر! ولم يكن أقسى من الإحساس بالغربة في حضن الديار ، فقد كان أسود جيش التحرير الوطني يصنعون ملحمة الفداء في الجبال ، والشّاعر محمد العيد يتحرّق شوقاً ، من "منفاه" ، إلى معانقة الشّهادة في سبيل الله. وكان محمد العيد آل خليفة في بسكرة مُحاصراً بحكم الإقامة الجبرية ، ولكن شوقه إلى ميادين القتال تعالى على كل الجدران العازلة ، وامتد ليعانق القلوب عبر كامل الوطن العربي. هو الشّوق الذي عبّر عنه مالك حداد قائلاً:- محمد العيد لازلت أحتفظ بذكرى تلك القاعة في دمشق ، ولقد كان ذلك أثناء الحرب التحريرية. تلك القاعة التي وقفت وكلها حميّة وتقدير وإعجاب لسماع هذا الاسم ، في تلك الظروف الدقيقة حيث كان من الصعب جدّا التمييز بين الجزائر والشاعر! لقد بلغ صدى شوق محمد العيد ولوعتُه بالحرية إلى حلب واللاّذقية وبيروت وفق شهادة مالك حداد بعد أن لمس السّمعة الطيبة التي يحظى بها الشاعر في كل أصقاع الأرض. أتذكّر ذلك الشاب العالم السوفياتي الذي حمل عليّ بأسئلة عن ابن عين البيضاء ، ونحن في موسكو نتحدث عن الأدب الجزائري ، وأتذكر الخبير الممتاز باللغة العربية ، وهو يقرأ عليّ أبياتا من الذي أسماه كذلك ذلكم الأستاذ بكيِّطو أحد النقاد الأمريكيين: "المشعل"! لقد ظل الشّاعر محمد العيد آل خليفة معزولاً عن الناس ، ممنوعاً عن رفاق السلاح ، ولكن ثورته كانت قد بلغت الآفاق ، وحلّقت في الذّرى ، فلم تكن كلماته تُلقى في الجموع إلا وتفرض السّكوت. إنه "السكوت" الذي يحيط بالشاعر فيستحيل إلى وطن ، وتتحوّل العزلة إلى إسهام حقيقيّ وحضور قويّ في عمق القضيّة الوطنيّة ، وها هو الشاعر المنفيّ بعد خمس سنوات من اندلاع ثورة التحرير المباركة ، يقف شامخاً صامداً ، ويناجي "أبا المنقوش" بقصيدة تنضحُ حزناً من العزلة ، وتتوثب شوقاً إلى النّضال! هذه هي قوّة محمد العيد ، وهذه هي البشرى التي يحملها إلى الشعب الجزائري ، فقد لاح هلال الحرية وبدا نورها في الأفق ، ولم يعد هناك من سبيل للعودة إلى الوراء ، وإن الله سيجازي صبر الجزائريين بالعزة والرقيّ! لقد ظل الشاعر محمد العيد آل خليفة ثابت الجنان في عزلته ، واثقاً أن النصر معقودٌ براية جيش التحرير الوطني ، كان يعرف أن الحريّة طرقت باب الجزائر مع أول إعلان للثورة التحريرية المباركة ، ولكن أيام الظلم مضنية طويلة ، وليس من علاج لتلك الرقابة الخانقة التي كانت تحيط بالشاعر غير التعلّق بخيط الأمل حتى يبلغ منتهى الثقة ، ويتفجر الشعر يانعاً من صدر أثقلته الوحدة ، وأنهكه انتظار شعاع نور ، فيرى الطائر "أبا بشير" يقتحم عليه عزلته غير آبه بالرقابة المشدّدة التي فرضتها إدارة الاستعمار. "أبو بشير" اخترق العزلة وكسر جدار الصمت ، ودخل منزل محمد العيد مبشراً بانفراج الهمّ ونهاية الأزمة ، فتفاعل معه الشاعر وحيّاه وأكرمه ، فجعل من زيارته تلك قصيدة مفعمة بالشوق والحبّ والانتصار ، وخاطب أبا بشير بلهفة ولوعة. لهفة تحقق الأمنيات ، ولوعة البعد عن الأحداث! ليس صعباً على قارئ شعر محمد العيد آل خليفة اكتشاف دماثة أخلاقه وحسن معاشرته ، وإخلاصه لإخوانه وخلاّنه ، ووقوفه إلى جانبهم في السراء والضراء ؛ وليس صعباً أن يتبيّن القارئ من خلال شعر محمد العيد أن معاملته السّامية لكل من حوله ، وحبّه الجمّ لأبناء وطنه وأبناء العروبة قاطبة ، إنما هو حبّ تتوهّج جذوته من عمق الحرية التي يشعر بها

ويرغب في تحقيقها للجميع ، فتراه يهنئ بصدور كتاب ، ويهنئ بافتتاح مدرسة ، ويهنئ بمناسبة دينية يتخذها معلماً لانطلاقة جديدة على درب التحرر من نير الاستعمار! وإذا كان شاعرنا في أيام الإقامة الجبرية محروماً من لقاء الناس ممنوعاً عنهم ، فإنه كان يأنس لآل خمّار. احميدة وبلقاسم خمار اللذان كانا يخفيان الشاعر في "كاليش" ، وينقلانه بعيداً عن أعين الجنود الفرنسيين لقضاء بعض الوقت برفقته ، كما كان يتلقى رسائل المجاهدين وجريدة "من جبالنا" التي يصدرها جيش التحرير الوطني بالجنوب ، ولم يكن شاعرنا يتأخّر عن مشاركة الجزائريين أفراحهم وأتراحهم ، فتراه بلبلاً يصدح للأوقات السّعيدة يريد لها أن تدوم ، وتسمعُه لحناً شجيّاً في الأوقات الصّعبة ، يواسي المصاب ويهوّن الصّعب ، وعلى هذا ، فإن محمد العيد خصّص جانباً هاماً من شعره لـ"الإخوانيات" ، فهو يهنئ ـ على سبيل المثال ـ الأستاذ الطيب العقبي والسيد عباس التركي بإطلاق سراحهما بعد أن سجناً ظلماً من طرف الاستعمار الفرنسي ، ولكنها ليست تهنئة عادية تنتهي عند العقبي والتركي ، وإنما هي رسالة مضمّنة إلى الشعب الجزائري كله! ويحفظ التّاريخ ـ كما هي طبيعته ـ ذكرَ أكابر الرجال الذين يصنعونَه ، لذلك يبقي اسم محمد العيد آل خليفة خالداً في سجلّ الأمجاد الجزائرية ، وتبقى حروفه مشرقة على مدى الأيام كالدّرر تتوسط تيجان الحرية! أما مالك حداد فقد عرفه عاشقاً للعربية محباً لعلومها ، تهفو إليه أضواء الشهرة فيعفّ ، وتصبو إليه أمجاد الدنيا فيختار سعة الآخرة ، حتى أنه قال فيه: "هو الملهم" ، وهو "المشعل".. يعرف جيّداً أن الكلمات في القصيدة لا تساوي شيئاً ، وأن سحر الشعر أن يكتفي بذاته ، فالوردة لا تفسّر عطورَها ، والنجوم لا تعرف أسماءَها. بقدر ما هو حقّ أن الشعر يحملنا حتى إلى الكلمة الأزلية. إلى أقصى ذلكم السكوت الذي يعرف كيف يحدثنا جيداً! وللشيخ الطيب العقبي شهادته العزيزة في حقّ شاعرنا الكبير ، فقد وقف على رأس الأشهاد يوم ألقى محمد العيد قصيدة: "استوح شعرك" وقال: «تعلمون أنني لم أقبل رأس مخلوق في حياتي ، غير أنني قبلت هذا الأسبوع رأس شاب أجاد فنّ الخطابة هو الفضيل الورتلاني ، واليوم أقبّل رأس شاب آخر نبغ في فنّ الشعر حتى وصل الغاية منه وهو الأستاذ محمد العيد». وهي القصيدة نفسها التي تحدث عنها فرحات بن الدراجي في مقال نشره عن المناسبة ، قال فيه: «كان للقصيدة تأثير كبير في نفوس الحاضرين ، فبكى الناس وبكى الشاعر معهم. هذه أول مرّة شاهدت فيها شاعر العروبة والإسلام في الجزائر يَبكي ويُبكي»! إن للشاعر محمد العيد آل خليفة مكانته المرموقة بين العلماء الأجلاء ، والشعراء المفوّهين ، إذ لا يمكن التأريخ للشعر الثوري بالجزائر والوطن العربي دون الاستفتاح باسمه ، كما لا يمكن إغفال منصبه العلمي المرموق في علوم اللغة ، إذا وضعنا في اعتبارنا أن محمد العيد انتخب عضواً بمجمع اللغة العربية بدمشق في 1972م ، ولكن صفة الشاعر وحدها هي التي تلازم اسم محمد العيد! ويعترف الدكتور عبد الله ركيبي أن محمد العيد كان «صوتاً فريداً متميّزاً في التعبير عن الحركة الإصلاحية وأهدافها ، وسياستها وتوجهها ، واستطاع أن يطبع القصيدة العربية في هذا الاتجاه بطابع خاص. وضوح في الرؤيا وثبات في المواقف»! أما الدكتور شكري فيصل، الأمين العام لمجمع اللغة العربية بدمشق ، فقد نوّه بشاعر الجزائر ، وأشاد بشعره ، فقال:- من الصعب أن نتحدث عن الالتزام الفكري وحده ، وعن الإنتاج الفنيّ وحده ، وعن الحدود النفسية وحدها ، إن كل ذلك متصل متشابك ، معقّد ، يقود بعضه إلى بعض ، ويتكامل بعضه مع بعض ليؤلف هذا النسيج الذي اسمه في أذهاننا وصورته في عيوننا محمد العيد ، ليكون هذا الإنسان المكافح والشاعر ، أو هذا الشاعر

الإنسان المكافح ، الإنسان الذي التزم في الشعر لخير الجزائر ونهضتها والذي عرف رأي القرآن في الشعر عن طريق المفهوم النقيض وأنهم ألئك الذين يقولون ما يفعلون»! إن شعر محمد العيد آل خليفة إنما تنزّل سلسلاً عذباً حبّاً في الجزائر ، وإيماناً بعدالة قضية الجزائريين ، فقد انطلق كما يقول مصطفى بلمشري «من صميم المجتمع ثورة وجهاداً من أجل تحطيم قيود الاستغلال ، فنفخ في شعبه لهيب الوطنية فثار لاقتلاع جذور الطغيان وتطهير الأرض الزكية من رجس العدوّ» ؛ وإن شعره سيبقى منارة هدى للأجيال ، وجذوة محبّة تتوّقد في قلوب الأحرار والشرفاء! لقد عاش محمد العيد آل خليفة ناصحاً بالخير داعياً إلى الصلاح ، رافضاً كل أشكال الظلم والاستعباد ، لم ينبض قلبه الطاهر إلا بمحبة شعبه ووطنه ، وبقي ثابتاً على العهد إلى أن توفي بمستشفى مدينة باتنة يوم الأربعاء 7 رمضان 1399هـ ، الموافق لـ31 يولية 1979م ، ونقل جثمانه الطاهر إلى بسكرة حيث دفن بمقبرة (العزيلات) بعد يومين من وفاته! وترك محمد العيد آل خليفة مكتبة عامرة بأعمال جليلة ، بينها ديوان شعري ضخم يفوق عدد صفحاته 600 صفحة ، من القطع الكبير ، طبع أول مرة عام 1967م ، وصدرت منه طبعات كثيرة مختلفة بينها طبعة دار الهدى التي اشتغلنا عليها ، وهي مطبوعة في 2010م ، وفي مكتبة محمد العيد مسرحية شعرية بعنوان: "بلال بن رباح" ، طبعت بالمطبعة العربية الجزائرية سنة 1938م ؛ ولديه من المقالات والقصائد المنثورة عبر الصحف الوطنية كثير لم يكتب لها أن تجمع بعد ، وإن كان محمد بن سمينة أنقذ "العيديات المجهولة" ، وهي مجموعة كبيرة من قصائد مجهولة لمحمد العيد ، وذكر ابراهيم لقان أن المادة الشعرية التي جمعها بن سمينة تغطي جميع مراحل حياة الشاعر ما بين 1920 م إلى 1974م! رحم الله محمد العيد آل خليفة ولقاه نظرة وسروراً ، وجزاه بمنّه وفضله خير الجزاء عن الجزائر والجزائريين جميعاً. اللهم آمين!).هـ. والآن ها أنذا أرد له جميله على مصر وأهلها في بكاء شاعرها بنص مماثل!)

يـــا قبـــرُ أرسِـــلْ دمـــوعَ الوَجْـــد أنهـــارا ... أمـــا بصُـــرتَ بـــدمع الصِّـــيد مِـــدرارا؟!

(محمـــــدُ العِيـــــدِ) خلانـــــا ، وودَّعنـــــا ... وكـــــم بكينـــــا أجاويـــــداً وأخيـــــارا!

لـــو كـــان يُرجـــعُ دمـــعُ العـــين مَـــن رحلـــوا ... بكـــتْ عيـــونٌ علـــى الماضـــين أدهـــارا!

تهمِـــي العيـــونُ علـــى الأحبـــاب غيَّـــبَهم ... مـــــوتٌ يُوافـــــقُ آجـــــالاً وأقـــــدارا!

إذا انقضـــــى أجـــــلٌ ألفيـــــت صـــــاحبه ... مُودِّعـــــاً أهلـــــه والصـــــحبَ والـــــدارا

يبقـــى المليـــكُ ، ويفنـــى الخلـــقُ قاطبـــة ... ولـــيس يُبقِـــي لهـــم فـــي الأرض آثـــارا

وتلـــــك سُـــــنة رب النـــــاس ماضـــــية ... بهـــــا يُقِـــــر جميـــــعُ الخلـــــق إقـــــرارا

مَـــن غيبـــوا اليـــوم عـــن مَشـــهود عالمنـــا ... بـــالأمس كـــانوا بـــه بـــالطبع حُضـــارا

لـــو خُيِّـــرَ المـــوتُ لـــم يَجـــرحْ مشـــاعرَنا ... بـــل يَســـتجيبُ لِمـــا نزجيـــه أعـــذارا

وإن للمـــوت فـــي يـــوم الجـــزا أجـــلاً ... كبشـــاً ســـيُوتى بـــه يَشُـــدُّ أنظـــارا!

أهــلُ الجنــان ، وأهــلُ النــار فــي شُــغُل ... ويُســألون فــلا يُخفــون أخبــارا

هــل تعرفــون الــذي العيــونُ تنظــرُه؟ ... يقــول كــلٌّ: (نعــمْ) ، يَســوقُ إشــهارا

وبعــدُ يُــذبَحُ ، والخلــودُ يَخلفــه ... ولــيس تجــري دمــوعٌ بعــدُ أنهــارا

ويَــذهبُ الحــزنُ والتنغــيصُ عــن أمــم ... حَلــوا الجنــانَ بفضــل الله أبــرارا

عَزاؤنــا فيــك يــا (ابــن العيــدِ) تقــدِمتي ... هــذي التــي تغمُــرُ القلــوبَ أنــوارا

ويــحَ (الجزائــر) تبكــي فقــدَ شــاعرها ... وإنْ يكُــنْ خلّــفَ المجنــوزُ أشــعارا!

فكــم تغنــى بأشــعار يَهــيمُ بهــا ... فخــراً ، تجــوبُ مَفــازاتٍ وأمصــارا!

وكــم تمثــلَ مــا بالــدار مِــن ألــم ... جَــواه يُخفِــي عَــذاباتٍ وأســرارا!

وكــم هجــا طغمــة البــاغين مــا رحِمَــتْ ... شــعباً ضــعيفاً ، شــكا لله مــن جــارا!

ســل الفرنســيسَ عــن أشــعاره فضــحَتْ ... مســتعمرين إذا عاينــت فجَّــارا!

(محمــدُ العيــد) لــم يخــشَ الألــى كفــروا ... إذ لا يخــافُ ولــيٌّ الله كفــارا

تعقــبَ الفــذ بالأشــعار بــاطلهم ... وأرســلَ الشــعرَ تبشــيراً وإنــذارا

نــادى بحُريــةٍ مِــن قومــه سُــلِبتْ ... كــي يُصــبحوا بعــد قشــع الظلــم أحــرارا

وثــارَ يُعلِــنُ رفــضَ الجَــور فــي بلــدٍ ... كــم أظهــرَ الحــق فــي البُلــدان إظهــارا!

فاقتِيــدَ للســجن والأغــلالُ فــي يــده ... أســاورٌ تنتــوي أنْ تأخــذ الثــارا

وســل (قســنطينة) وسِــجنَ كُــدْيتها ... لأنهــا شــهدتْ لليــث إحصــارا

وســل طواغيــت عــن ظلــم ببســكرة ... أمضــاه مســتكبرٌ تكلــفَ العــارا

ســل الحراســة حــول الــدار مُشــهِرة ... ســيف العَــداء يَلــي فــي الكيــد أشــرارا

(آلَ الخليفــة) هــذي اليــوم تعزيتــي ... فــي شــاعر جــابَ أفــقَ الشــعر مِغــوارا

(أم البــواقي) عليــه اليــوم باكيــة ... كمــا بكــتْ قبلــه شُــمَّاً وأقمــارا

ســل (البشــيرَ) عــن الأشــعار باركَهــا ... طــراً ، وأكبرَهــا – والله – إكبــارا!

سـل (المنـافيَ) ، والأشـعارُ تُتحِفهـا ... حتـى أزالـتْ جَـوىً يكـوي وأكـدارا

(محمـدُ العيـد) لـم تَخمُـدْ مطامحُـه! ... وفـي انتصـار دعـاة الحـق مـا امتـارا

(جزائـرُ) الخيـر لـم تنكـرْ جمائلـه ... لا يعـرفُ الصِّـيدُ للجميـل إنكـارا!

هـو الـذي جاهـدَ الفجَّـارَ منتظـراً ... نصـراً أصَـرَّ علـى جَـدواه إصـرارا

حتـى اسـتقلتْ ، فحياهـا وبَجَّلهـا ... وأسـفرَ الصـبحُ بعـد الليـل إسـفارا

وعـاد للبيـت فـي زهـدٍ ومَسـكنةٍ ... للـذنب يسـتغفرُ التقـيُّ غفـارا

مـا بـين (بسـكرةٍ) وافـى و(باتنـةٍ) ... منـاولاً غيـرَه دربـاً وأدوارا

حتـى إذا حَلـتِ الرُّجعـى بباتنـةٍ ... وأعـذرَ المـوتُ للـرحمن إعـذارا

طـوى الحِمـامُ بـأمر الله صـفحته ... وأقبـرَ الجسـمُ بعـد المـوت إقبـارا

وفـي (العُـزيلات) بـات الجسـمُ مُنجـدلاً ... يشـكو إلـى الله تقصـيراً وأوزارا

أكرمْـه يـا ربنـا ، وارحـمْ تذللـه ... وكـنْ لـه المـؤنسَ الكـريمَ والجـارا!

واخلفـه فـي شِـعره ، أنـت العلـيمُ بـه! ... انشـرْ قصـائدَ أملاهـا ، وأفكـارا

واسـترْ عليـه ذنوبـاً أنـت تعلمُهـا! ... لا ذنـبَ إمَّـا دعـا ذو الـذنب سـتارا!

واجبُـرْ كُسـوراً عَتـتْ عـن أن يُعالجَهـا! ... مـا الكسـرُ إمَّـا التقـى ذو الكسـر جبـارا؟

جميل يرد على هناء!

(محاكاة لنص الشاعر عبد الناصر العبيدي عن المسلسل!)

(هذه محاكاة خفيفة الظل ، قليلة المبني ، غزيرة المعنى ، لنص الأستاذ الشاعر القدير الفذ عبد الناصر العبيدي: (مسلسل جميل وهناء)! فلقد تخيلَ العبيدي (هناء) وهي تستدر نخوة زوجها (جميل) وتحثه على رفض الواقع! بينما هو في غيه سادرٌ لا يحرك ساكناً ، وكأن الأمر لا يعنيه! ولكنني تخيلته يرد عليها ، ويحثها على قبول الواقع والتعايش معه ، حرصاً على الحياة أي حياة! لقد كتب الأستاذ الشاعر عبد الناصر العبيدي نصه بقلم الخيال الذي أحس بالزوجة (هناء) وهي تنعي الكرامة في زوجها (جميل)! فراحت تحثه على أن يغار ويثأر لها ولداره ولقومه ولصحبه مما حل بهم! فلقد داهمهمُ العدو ، وسطا على كل شيء! حتى أتى الدورُ عليها ، فنالها ما نالها من ذلك الغاصب العادي ، من المُغازلة والمُراودة والمُساومة! لكن زوجها (جميل) كما أسلفنا لم يحرك ساكناً! ومضى وكأنه لم يسمع شيئاً! واستمر الأستاذ العبيدي في رسم صورة الاستغاثة المُلِحَّة من هناء ، بينما جميل في عالم آخر! وكأنه اتفق مع العادي الغاصب المحتل على هذه المسرحية الهزلية! وتخيلتُه – بدلاً من أن يعترف بخيبته وترَدِّيه – راح يرد على هناء رَداً مخزياً معلناً فيه بالاستسلام والاستخذاء وقبول الواقع على ما هو عليه! بل راح يحملها على أن تصنع كما صنع ، وتفعل ما فعل! وذلك حرصاً على الحياة!)

أ(هنـــــاءُ) كُفـــــي اللـــــومَ والتوبيخـــــا ... وتجنبـــــــي الإرعـــــــادَ والتلبيخـــــــا

وتحَفظـــــي فـــــي القـــــول يَطعـــــنُ مُهجتـــــي ... أمسَـــــتْ حُروفـــــكِ أســـــيُفاً ومُسُـــــوخا

أنســـــــيتِ أنـــــكِ زوجـــــــة إذعانُهـــــا ... للـــــزوج فـــــرضٌ ، فـــــالزمي التبريخـــــا!

أدليـــــتِ دَلـــــوكِ دون أخـــــذ مَشـــــورتي ... فصـــــنعتِ حـــــالاً بائســـــاَ ورُفوخـــــا!

وهتكـــــتِ عِرضـــــي ، واســـــتبحتِ كرامتـــــي ... وحَـــــذيْتِ قلبـــــي المنطـــــقَ الممســـــوخا

لـــــم ترفقـــــي بـــــالزوج بادلـــــكِ الهـــــوى! ... مـــــتململاً رضـــــخ الحليـــــلُ رُضـــــوخا

ورأى (هنـــــاءَ) عشـــــيقة لـــــم تكثـــــرثْ! ... إذ دَوَّختْـــــهُ فـــــي الـــــورى تـــــدويخا

أنـــــا يا(هنـــــاءُ) وُعِـــــدتُ وعـــــداً قاطعـــــاً ... ممـــــن عَـــــدا أن أدخـــــل التأريخـــــا!

أن ألـــــبس الـــــدِّيباجَ مختـــــالاً بـــــه ... وأحـــــوز مـــــن بعـــــد الخنـــــوع شُـــــموخا

ووُعِـــــدتُ أطيـــــبَ عِيشـــــةٍ ومكانـــــةٍ ... فيهـــــا أصـــــافحُ قـــــادة وشـــــيوخا

فزهـــــدتُ فـــــي قـــــومي وأهلـــــي والـــــدنا ... وهجـــــرتُ صـــــحبي عامـــــداً والكُوخـــــا

وأخِـــــذتُ بـــــالأقوال طـــــف بريقهـــــا ... كـــــالجَمر زادَ توقـــــداً وزخيخـــــا!

ورضِـــيتُ بـــالتركيع يَكسِـــرُ خـــاطري حتـــى أرَسَّـــخ مـــا أتـــى ترســـيخا

وانصـــعتُ للمحتـــل يـــدحضُ همتـــي وخشـــيتُ منـــه مقالبـــاً وفخوخـــا

ســـلبَ الـــديارَ ، ولســـتُ أنكِـــرُ سَـــلبه وتعمَّـــدَ التـــدنيسَ والتوســـيخا

وعجبـــتُ مـــن ســـقف المطالـــب لـــم يَـــدَع سَـــهلاً ، ولا وَعـــراً يلـــفُّ سُـــيوخا

وغـــدوتُ مَســـخاً فـــي الأنـــام مُشـــوَّهاً مـــن ذا يُقـــدِّرُ يا(هنـــاءُ) مَســـيخا؟!

لمَّـــا أعُـــدْ أبـــداً (جمـــيلاً) ، صـــدِّقي أنـــا أســـتحقُّ الزجـــرَ والتوبيخـــا!

لمَّـــا أبَيْـــتُ الخـــوخَ يُتحِـــفُ دارنـــا هـــل عاقـــلٌ يـــأبى الهنـــا والخوخـــا؟!

أرغِمـــتُ أن أرضـــى بمـــا هـــم قـــدَّموا حتـــى وإنْ هـــم قـــدَّموا الزرنيخـــا!

أســـلمتُهم نفســـي وداري والحِمـــى كـــم كنـــتُ مُفتقِـــدَ الرشـــاد فصـــيخا!

ورأيـــتُ ســـقفَ شـــهامتي متصـــدعاً وأنـــا الـــذي صَـــيَّرته مَشـــروخا

أهـــديتُ للغـــازي الكُنـــوز ، فحازهـــا واليـــوم أطلـــبُ خاتمـــاً وفتوخـــا!

والـــدورُ جـــاءكِ يا(هنـــاءُ) ، فحـــاذري أمســـى الرجـــالُ كمـــا رأيـــتِ فروخـــا!

لا يثـــأرون لِمَـــا أحَـــلَّ بـــدارهم هـــل ثـــائرٌ مَـــن يَقبـــلُ التبزيخـــا؟!

بالـــذل جُنـــدلتِ الرجولـــة عُنـــوة وبِعارِهـــا قـــد ضُـــمِّختْ تضـــميخا

نعتـــان قـــد وُجـــدا بقهـــر مـــن اعتـــدوا والحـــق ألا يَقهـــرا ويُزيخـــا

و(جميـــلُ) هنـــأهم ، وبـــاركَ غـــزوَهم لمَّـــا يعُـــدْ بـــين الضـــحايا الـــذيخا!

بـــل صـــار نعجـــة مَـــن يناولـــه الكـــلا والعُشـــبَ والبرســـيمَ والبطيخـــا!

لمَّـــا يَعـــدْ بـــين الفـــوارس عنتـــراً حمـــلَ الحُســـامَ وقبلـــه الشـــمروخا

(شـــم النســـيم) اليـــوم مـــن أعيـــاده ولـــه أعـــدَّ زخارفـــاً وفســـيخا

وإذا غـــلا ثمـــنُ الفســـيخ ، فهـــل لـــه أن يشـــتريْ إمـــا اشـــتهى (البطروخـــا)؟

وإذا اشـــتكى نقـــصَ النقـــود ، فهـــل لـــه أن يشـــتريْ بقليلـــه الطَرِّيخـــا؟!

والله أعلـــم ،هـــل تبـــدَّلَ دينـــه فغـــدا يُؤلـــهُ طائعـــاً (مَردوخـــا)؟!

ومضـــــى يُجامـــــلُ راضـــــياً أعـــــداءه ... ويُقِـــرُّ بـــاطلهم ، ويمســـحُ جُوخـــا!

أنـــــا يا(هنـــــاءُ) مُطَبِّـــــعٌ مستســـــلمٌ! ... بطنـــــي تعبَّـــــدَني يُريـــــدُ طبيخـــــا!

أصـــــبحتُ كالبـــــالون يَغمـــــرُه الهـــــوا ... فاســـــتنقِذي بالونـــــكِ المنفوخـــــا

وعلـــــى الـــــديار تـــــداعتِ الأمـــــمُ التـــــي ... وَطئـــــتْ بإمكاناتهـــــا (المِرِّيخـــــا)!

ورمـــــتْ قنابلهـــــا علـــــى أصـــــقاعنا ... لـــــم تُخطـــــيء المَـــــأتى ولا التأويخـــــا!

وأبـــــادتِ الإنســـــانَ لـــــم ترفـــــقْ بـــــه ... واستصـــــحبتْ هندوسَـــــها والســـــيخا

ونصـــــوص قـــــانونهم قـــــد أســـــقطوا ... هـــــل بـــــات قـــــانونُ العِـــــدا منســـــوخا؟!

وعُقـــــودَهم فســـــخوا بـــــدون تحفـــــظٍ ... والعقـــــدُ مـــــاذا إن غـــــدا مفســـــوخا؟!

أنـــــا يا(هنـــــاءُ) أســـــوقُ نصـــــحاً طيبـــــاً ... إن رامَ قلبُـــــكِ مُنقـــــذاً وصـــــريخا

كـــــوني لهـــــم أمَـــــةً تُلبِّـــــي ، لا تنـــــي ... أن تســـــتجيبُ لقـــــولهم وتُصِـــــيخا

إن راودوا ، أو غـــــازلوا ، أو واعـــــدوا ... لا تُكثـــــري التلـــــويمَ والتوبيخـــــا

حتـــــى تعيشـــــي إن أردتِ بـــــلا أذىً! ... مَـــــن ذا يُعـــــارضُ طغمـــــةً ولطوخـــــا؟!

غلبـــــوا علينـــــا ، والهزيمـــــةُ قـــــدِّرَتْ! ... واليـــــوم تُعلِـــــنُ طاعـــــةً ورُضـــــوخا

ملكـــــوا أداة القتـــــل تُزهِـــــقُ أنفســـــاً ... وشِـــــفارُهم تســـــتعذبُ التجليخـــــا!

هـــــا فارحمينـــــا مِـــــن مَصـــــير مُهلـــــكٍ ... أمســـــى المُطبِّـــــعُ ناجيـــــاً وبَـــــذيخا!

وغـــــداً يُقـــــيِّضُ ربُّنـــــا مِـــــن خلقـــــهِ ... مَـــــن يَســـــتعيدُ كرامـــــةً وشُـــــموخا!

بعض معاني الكلمات غير المطروقة

إرعاد: جعر الصوت وعلوه. تلبيخ: القول ليس له معنى. تبريخ: خضوع. رفوخ: مصائب. حذيت: أعطيت. الديباج: الحرير. زخيخ: زخيخ الجمر أي برقه. أرسِّخ: أثبِّت. انصعتُ: انقدت. يدحض: يهلك. فخوخ: شِراك ومصائد. سُيوخ: سُيوخ الأرض أي منخفضاتها. الزرنيخ: نوع من السموم القاتلة. الحِمى: الوطن. فَصيخ: تقول العرب رجلٌ فصيخ أي غير مصيب الرأي. فتوخ: خواتم الفضة. فروخ: أولاد صغار لا حكمة عندهم ولا قرار لديهم. تبزيخ: تقاعس. يزيخوا: يظلمون الآخرين. الذيخ: الذئب! شمروخ: عصا طويلة غليظة. شم النسيم: من أعياد غير المسلمين. مردوخ: صنم كان يعبده قوم إبراهيم ، وهو الذي علق إبراهيم الفأس في عنقه! البطروخ: مفرد بطارخ. الطرِّيخ: صغار السمك يزهد في شرائها. تأويخ: قصد وهدف. السيخ: ملة كافرة. لطوخ: ج لطخ وهو الأحمق البليد. التجليخ: شحذ الشفار. بذيخ: عظيم الشأن.

حربٌ تُخَضبها الدماء!

(محاكاة لنص نقوش على جدار الحرب للشاعر أحمد عبد الحي)

(حاكيتُ الشاعرَ القديرَ أحمد عبد الحي في قصيدته الطيبة المباركة التي عنوانها: (نقوشٌ على جدار الحرب! وذلك لِما لمستُ في الأستاذ الشاعر من حَس مُرهفٍ وقدرةٍ فائقةٍ على التعبير! وأعلمُ أن نص الأستاذ يَفوقُ ما كتبتُه بمراحل ، ولكنه شرفُ المحاولة الذي يحدوني دائماً ، والفضلُ والسبقُ لمن سبق! وكان الأستاذ قد استهل قصيدته بالحَيرة فقال:-

مـــن أيـــن أبتـــدئ الكـــلام وأنطِـــق؟! أو كيـــف أنظـــم دُرتـــي وأنمـــق؟!

وبـــأي قافيـــةٍ أصَـــفف بيتهـــا وبـــأي لحـــن يســـتجيبُ المنطـــق؟!

ويستمر الشاعر في وصف الحرب ، وبين فظاعتها وآلام أهل أرض الرباط المباركة ، راسماً صورة للتفاؤل بمستقبل عظيم تعجز الكلمات عن تصويره ، فيقول:-

مـــا عـــدتُ تغرينـــي الحـــروف لأنهـــا كتبـــتْ لشـــاردةٍ وباتـــت تزهـــق

فخلعـــتُ مـــن لغتـــي الكـــلام ، وربمـــا تعـــبَ الكـــلامُ مـــن الكـــلام ويرهـــق!

والحقيقة أن النص في حقيقته سُلوانٌ لأهل عزة المساكين الذين خذلهمُ القاصي والداني! فلهم الله تعالى الغالب القاهر فوق عباده ، والله أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً! والآن نعيشُ مع نصِّنا!)

مـــا أجمـــلَ الهيجـــاءَ نبضـــاً يَخفِـــقُ! وتبيـــتُ فـــي الآفـــاق شمســـاً تُشْـــرقُ!

مـــا أجمـــلَ الهيجـــاءَ تُفهـــمُ مـــن طغـــى أن الحقيقـــــة نورُهـــــا يتـــــألق!

الثـــأرُ يَكـــوي ، والمكائـــدُ تصـــطلي والمَكـــرُ بـــين يديـــه دَفَّ البَيـــرق

وتكالبـــتْ أمـــمُ الأعـــادي فـــي الـــوغى ووطيسُـــها يُصـــغِي لبُـــوق يَنعِـــق

هـــي يـــا (ابـــن عبـــد الحـــي) ســـاحة مُلتقـــى شـــبَّتْ جهالتُهـــا ، وغـــابَ المَنطـــق!

بـــين الضـــعاف وقـــد تعـــاظمَ ضـــعفهم والمعتـــدين مِـــن الـــذين تحـــذلقوا

بـــين التقـــاة الأبريـــاء لهـــم جَـــوىً والمجـــرمين وجـــرمُهم يَتحـــرق

والحـــربُ بـــين الكـــل فـــارَ ســـعيرُها ومُسَـــعِّروها فـــي المـــآل تفيهقـــوا

ورأيـــتُ بعضـــاً فـــي المصـــائر غرَّبـــوا والـــبعضَ فـــي شـــأن المعـــارك شـــرَّقوا

تعســـاً لهـــذي الحـــرب أغـــرق شـــؤمُها داراً بكـــتْ أصـــحابَها إذ أغرقـــوا!

حـــربٌ تُخضـــبها الـــدماءُ عزيـــزة بـــأكُف أعـــداءٍ عَتـــوا ، لـــم يُشـــفِقوا

كـــم هُـــدِّمتْ دُورٌ علـــى سُـــكانها وأوى الألـــى هربـــوا العَـــرا والخنـــدق!

كـــم أزهقـــتْ أرواحَ قـــوم عُـــزل ودمـــاؤهم فـــوق الثـــرى تتـــدفق!

كـم شـــردتْ شـــعباً ترفـــعَ ، مـــا ارعـــوى لـــدغاول حِيكـــتْ بأعـــداءٍ شـــقوا!

وإذا تـــرى الأطفـــالَ والأنقـــاضَ لـــم تُمســكْ دموعـاً فـي المصـيبة تُهـرق!

وإذا تـــرى أتقـــى النســـاء قوانتـــاً يبكـــين مـــا فعـــلَ الـــبلاءُ المُحـــدق!

حـــربُ الكرامـــة لـــم تضـــع أوزارَهـــا فالنـــارُ مُوقـــدة ، ويســـعى الفيلـــق

هـــي يـــا(ابن عبـــد الحـــي) حَـــتمٌ لازمٌ والمعجـــزاتُ بســـاحها تتحقـــق

فـــي برِّهـــا أو جوِّهـــا أو بحرهـــا فيهـــا أمـــورٌ لا تكـــادُ تُصـــدَّق!

وإذا تـــرى الأنفـــاقَ تقـــذفُ بـــاللظى وشـــواظ نـــار يجتبيهـــا الـــزورق

دعهـــا تُطهـــرُ مـــن خيـــاس أرضـــنا لتعـــود أرضـــاً بالطهـــارة تنطـــق!

لتنـــال (كهفياتُـــك) الجـــاهَ الـــذي أبياتُـــك الغـــرا بـــه تتعلـــق

فـــذر الجبـــال ، وعُـــد لنـــا مستبشـــراً بالنصـــر أنـــت لشـــكله تتشـــوق

الحـــربُ عَلمـــتِ الصـــغيرَ إبـــاءَه ليعـــيش معتـــزاً ، فـــلا يتملـــق

داعـــبْ قصـــيدتك التـــي ســـطرتها! روحُ القصـــيد علـــى المـــدى لا تُزهـــق

صُـــورُ التفـــاؤل جمـــة ، فـــافخر بهـــا ونســـيمُ عِزتهـــا عطـــورٌ تعبـــق

ونقوشـــها شـــتى ، وشِـــعرُك زانهـــا والـــنص مـــن زبـــد الكـــلام منســـق

وعلـــى (جـــدار الحـــرب) زينتُهـــا بـــدتْ مثـــل اللآلـــئ زانهـــا الاســـتبرق

آمـــنْ بـــأن الله منجـــز وَعـــدِه والخيـــرَ آتٍ ذات يـــوم يُغـــدق

والميتـــون اليـــوم يولـــدُ غيـــرُهم فـــالله مَـــن يهـــب الأنـــامَ ويـــرزق

ولســـوف نبنـــي مـــا الأعـــادي هـــدَّموا ونصـــيرُنا وظهيرنـــا مَـــن يَخلـــق!

حنانيك يا عبد الحي!

(محاكاة لنص كهفيات عبد الحي للشاعر أحمد عبد الحي)!

(أحاكي الشاعرَ القديرَ أحمد عبد الحي في نصه الرائع: (كهفيات عبد الحي) ، وذلك لما احتواه النص المحترم من جاذبية الشعر وبيان عظيم رسالته! والشاعر فيما يبدو قد دفعته ظروف الحياة لأن يعتزل أهلها قليلاً ، ثم أرسل راحلة فراقه ، وعاد إلى الناس! وكان الشاعر قد استهل قصيدته بمطلع يبين حاله وأنه ارتأى هجرة البلاد تطلعاً لغدٍ ومستقبل أفضل فقال:-

وقد أويتُ إلى الجبال ، لأنني ... من بعد نصب قد بلغتُ مرادي

حتى خرجتُ من البلاد لنلتقي ... وتعلم الطفل الذي بفؤادي!

واستمر الشاعر في شجونه مسامراً غربته ومستفيداً من دروسها القاسية ، فتوصل إلى قرار حازم صارم رغم عدم حبه له ، وهو عودته إلى الناس من جديد. فقال الأستاذ عبد الحي:-

ورجعتُ من كهف الحقيقة واجداً ... وخرجتُ من سجن الحقيقة حادي

سأسوق راحلة الفراق لأنني ... ما عاد يجدي أوبتي ورشادي

وعندما طالعتُ النص تذكرت غربتي التي ربما لا تقل قسوة عن غربة الشاعر عبد الحي إن لم تزد عليها! لقد كانت تجربة مريرة! ومن هنا كانت محاكاتي لنص الأستاذ عبد الحي!)

أهديتُ (راحلة الفراق) جِلادي ... وأعَرتُها في العائدات فؤادي

ودخلتُ (كهفياتِ عبد الحي) ، لم ... أحفلْ بصَولة مجرم أو عادِ!

ورحلتُ قبلك ، واصطليتُ بغربتي ... وجهدتُ فيها غاية الإجهاد

وجرعتُ خذلَ الصحب مُرَّاً عَلقماً ... وأصبتُ من خذلانهم بسُهاد

وشقيتُ بالأهلين أعظمَ شِقوةٍ ... وكأنهم خلقوا لكبح ودادي

وشَرِقتُ بالخلان لمَّا أسفروا ... عن حِفنةٍ من سيئ الأوغاد

ورأيتُ في التغريب كهفاً مُوحشاً ... حتى رأيتُ الأنسَ أرضَ بلادي

في غربةٍ أنا ما احتفلتُ بطولها ... إذ عَوْدتي لمَحلتي مِيلادي

سَلني عن التغريب كيف بلاؤه ... وشؤونه سَكنتْ شِغافَ فؤادي

فلقد علمتُ بكهفه ورقيمه ... علماً يفوقُ كتيبة الأفراد!

كُـــن حِلـــسَ بيتـــك ، لا تُصـــاحبْ أرذلاً ... عمـــداً يَبيعُـــك فـــي زهيـــد مـــزاد

وانظـــرْ إلـــى مســـتقبل مترصـــدٍ ... ترنـــو إليـــه نـــواظرُ الأحقـــاد

إذ إن تحديـــد المـــرام فراســـة ... فيهـــا تكـــون مصـــارعُ الحُسَّـــاد

أنـــا يـــا(ابن عبـــد الحـــي) ذبـــتُ تحســـراً ... أنْ لـــم أجهـــز للقتـــال جيـــادي

بيَّـــتُّ حُســـنَ الظـــن ، أحسِـــبُ أننـــي ... فـــي غربتـــي فـــي عـــالم الزهـــاد

قـــدَّرتُ أشـــياءً تُفيـــدُ صـــحابتي ... والصـــحبُ لـــي فـــي الكيـــد بالمرصـــاد

والله قـــــدَّرَ أن أذوق عـــــداءَهم ... ســـبحان ربـــي المســـتعان الهـــادي!

قـــدَّمتُ خيـــري وافـــراً ومقنطـــراً! ... والســـوءُ مـــن صـــحب لئـــام بـــاد

هـــذا قصـــيدُك هـــيجَ الـــذكرى جـــوىً ... وأنـــا أحـــاكي الـــنص بالإنشـــاد

(الكهـــفُ) أولـــى مـــن رفـــاق كالغثـــا ... (الكهـــفُ) أطيـــبُ مـــن رفـــاق النـــادي

(الكهـــفُ) فـــي دنيـــا اغترابـــك جَنـــة ... ترتـــاحُ فيهـــا مِـــن شُـــرور عِبـــاد

درسُ الحيـــاة ببـــاح كهفـــك نجـــدة ... ممـــا تُعـــاني الـــنفسُ مـــن تَسْـــهاد

وهـــو النجـــاة مِـــن المَهالـــك تجتنـــي ... فـــي كـــل قلـــب طعـــمَ أي وداد

وهـــو الســـبيلُ إلـــى اتقـــاء معـــارك ... رَصَـــدتْ وقـــوداً أســـوأ الأجنـــاد!

التضـــحياتُ كثيـــرة ، ومِلاكُهـــا ... أن لا يُصـــيبَ الـــروحَ أي فســـاد

صـــورُ الـــبلا شـــتى ، وأعتاهـــا الهـــوى ... لِيُزيـــغ بالإرغـــاء والإزبـــاد

تصـــطادُك الـــدنيا إذا أحببتهـــا ... فاحـــذرْ فخـــاخ الصـــيد والصـــياد

لا تخلـــدَنَّ إلـــى زخـــارف أخـــذها ... فلتـــدفعنَّ مَغبـــة الإخـــلاد

(الكهـــف) مَلجـــأك الوحيـــدُ حقيقـــة ... ولزومُـــه يُنجيـــك يـــومَ مَعـــاد

واحـــذرْ مَقولـــة رفقتـــي وصـــحابتي ... لا ألفينـــك تهـــذينْ: (عُـــوَّادي)!

عاشـــرتُ قبلـــك ، والقصـــائدُ شـــاهدي ... ورأيـــتُ أغلـــبَهم بـــدون رَشـــاد!

دموع المآقي في تأبين كريم العراقي!

(معارضة لكريم العراقي)

(الشاعر العراقي الكبير (كريم عودة) الشهير بـ (كريم العراقي) جديرٌ بأن يؤبنه الشعراء لما له من بصماتٍ في الشعر العربي المعاصر! جاء في الويكيبيديا الحرة بتصرفٍ زهيد عن الشاعر العراقي الكبير كريم العراقي: (كريم العراقي ، (18 شباط/فبراير 1955 م - 1 أيلول/سبتمبر 2023م) ، واسمه الحقيقي كريم عودة ، هو شاعر عراقي معاصر وإعلامي. حاصل على جائزة الأمير عبد الله الفيصل العالمية عام 2019م. ولد في منطقة الشاكرية كرادة مريم في بغداد ، حاصل على دبلوم علم النفس وموسيقى الأطفال من معهد المعلمين في بغداد. عمل كريم العراقي معلمًا في مدارس بغداد لعدة سنوات ، ثم عمل مشرفًا متخصصًا في كتابة الأوبريت المدرسي. بدأ الكتابة والنشر منذ كان طالبًا في المدرسة الابتدائية ، وذلك في مجلات عراقية عديدة منها: مجلة المتفرج ، والراصد ، والإذاعة والتلفزيون ، وابن البلد ، ووعي العمال ومجلة الشباب. تنوعت اهتمامات كريم ، وشملت كتابة الشعر الشعبي والأغنية والأوبريت والمسرحية والمقالة ، فضلاً عن اهتمامه بالثقافة والأدب منذ أن كان طالبًا في مرحلة الابتدائية لأنه كان كما يبدو عبقريًا. أما في مجال كتابة الأغنية فكانت البداية عام 1974 في أغنيتين للأطفال: (الشميسة) و(يا خالة يالخياطة)! قدمها (كريم) وهو طالب في المرحلة المتوسطة ، ثم قدم العديد من الأعمال الناجحة وهي (تهانينا يا أيام) لصلاح عبد الغفور و(دار الزمان ودارة) لسيتاهاكوبيان وأغنية (جنة جنة) للفنان رضا الخياط ، وألحان عباد عبد الكريم و(عمي يبو مركب) لفؤاد سالم ، و(وي هلة) لأنوار عبد الوهاب ، و(عرفت روحي أنا) لرياض احمد ، و(يا أمي) لسعدون جابر ، و(هلة بيك) أغنية رياضية ، وقدم كلمات لأربع اغان لسعدون جابر من ألحان الفنان بليغ حمدي عام 1981 م ، وثلاث أغان لحسين نعمة (تحياتي ـ شكد صار أعرفك ـ هنا يمن كتلي اعتمد) ، وأغنية (خيرتك حبيبي) لصلاح عبد الغفور ، وكذلك أغنية (الشمس شمسي والعراق عراقي) ألحان وأداء جعفر الخفاف ، واستمرت رحلة (كريم العراقي) من عام 1987 م ، ولحد الآن مع صديقه ورفيق دربه الفنان كاظم الساهر ، حيث بدأت هذه العلاقة في الجيش ، وكانت أول أغنية في مسلسل (شجاهه الناس) ومن ألحان الخفاف ، و(ناس وناس) ، و(معلم على الصدمات قلبي) ، و(افرح ولا تحرموني منه) حيث كتب للساهر أكثر من 70 أغنية. وكانت الانطلاقة الحقيقية (للعراقي) مع الساهر في مصر ، ومن خلال وجوده في القاهرة ، ثم التعامل مع الفنانين العرب (ديانا حداد ـ فضل شاكر ـ عمر العبدللات ـ سميرة سعيد ـمحمد منير ـ هاني شاكر ـ أصالة نصري ـ صابر الرباعي ـ وآخرين) وكذلك لمطربين عراقيين مغتربين منهم (رضا الخياط ـ ماجد المهندس ـ عادل مختار ـ رضا العبد الله) وغيرهم. وفي عام 2005م كان (لكريم) كاسيت بصوته لأول مرة لشركة روتانا بعنوان (دللول) وهذه هي أبرز قصيدة في المجموعة يؤديها الشاعر المبدع (كريم العراقي) توضح حبه للعراق مع عزف منفرد للعود وهذه هي كلمات الأغنية ويقول في بدايتها: ـ أهدي قصيدة دللول ـ أدعية للعراق الجريح إلى جميع أطياف الشعب العراقي وإلى الأمهات العراقيات. وأما عن سفره وعمله: غادر كريم العراق إلى تونس مطلع التسعينات ومغادرته هذه كانت بالتزامن مع مغادرة عراقيين كثيرين من الوسط الأدبي والفني. اشتهر كريم العراقي بقصائده التي كان يشجع بها الجنود العراقيين للذهاب إلى مقاتلة العدو الإيراني. كتب كذلك وشارك في أعمال مسرحية كثيرة تدور عن الحرب العراقية الإيرانية. انتقل في التسعينات بموجب دعوة عمل في مدينة سوسة بعد عدة سنوات غادر تونس متنقلًا بين عدة دول عربية إلى أن استقر أخيرًا في الإمارات العربية المتحدة. عمل محررًا فنيًا لعدة سنوات في مجلة فنون العراقية ، كما عمل محررًا صحفيًا أيضًا في عدة مجلات عربية في مصر والسعودية والإمارات ، إضافة إلى أنه عضو جمعية المؤلفين وناشري الموسيقى العالمية. حصل على جائزة منظمة اليونسيف لأفضل أغنية إنسانية عن قصيدة تذكّر التي لحنها وغناها الفنان كاظم الساهر. غنى من شعره

عشرات المطربين العراقيين والعرب. عمل محررًا صحفيًا في مجلة سيدتي أجريت معه العديد من اللقاءات والمقابلات في القنوات الأرضية والفضائية العربية والكثير من الصحف العربية. حصل على جائزة الأمير عبد الله الفيصل العالمية عام 2019م. وأما عن أعماله ومؤلفاته: فمنها: (ديوان «للمطر وأم الضفيرة» من الشعر الشعبي العراقي صدر عام 1974 م في بغداد ذات مرة حكايات شعبية. سالم يا عراق قصائد شعرية للأطفال الخنجر الذهبي رواية للأطفال. الشارع المهاجر» رواية للأطفال كسل وبغلته الرمادية رواية للأطفال. إعداد وتقديم البرنامج التلفزيوني في ضيافة الأغنية مسرحية يا حوته يا منحوته مسرحية عيد وعرس ، مسرحية (دنيا عجيبة) مسرحية يقظة الحراسكتب مجموعة قصص وسيناريو وحوار للأفلام السينمائية التالية: "عريس ولكن" ، "افترض نفسك سعيدًا" ، و"مخطوبة بنجاح ساحق" ، وفيلم الأطفال "الخياط المرح. سلسلة تلفزيونية «مناجاة للواحد الأحد» عرضها راديو وتلفزيون العرب كتاب أغاني وحكاياتها. وتوفّي الشاعر كريم العراقي في 1 أيلول/سبتمبر 2023 م في إحدى مستشفيات مدينة أبو ظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة عن عمر ناهز 68 عاماً. وذلك بعد صراع مع مرض السرطان. حسبما أعلن مستشار رئيس الوزراء العراقي للشؤون الثقافية عارف الساعدي. وقال الساعدي على صفحته الرسمية في "فيسبوك": "أنعي لكم الشاعر كريم العراقي الذي رحل فجر هذا اليوم في أبوظبي. وقد أعلن ذلك عارف الساعدي ، مستشار رئيس الوزراء العراقي للشؤون الثقافية ، عبر حسابه الشخصي بموقع التواصل الاجتماعي فيسبوك. وكتب الساعدي يقول: "أنعي لكم الشاعر الكبير كريم العراقي الذي رحل عن عالمنا فجر اليوم الجمعة 2023/9/1م ، في أحد مستشفيات أبو ظبي. هذا ولقد استمعتُ إلى الكثير من قصائد الشاعر الراحل (كريم العراقي) سواءً الفصحى منها أو النبطية العراقية! فألفيتها مدرسة في الشاعرية والحس المرهف والتلذذ بالشعر وموسيقاه العذبة! لقد كان العراقي كريم مدرسة في الأغنية الشعرية! بقطع النظر عن أن بعض المغنين والمطربين كانوا قد غنوها! ليس هذا موضوعنا ، كما أنه ليس مقام التقديم للقصيدة أن نناقش حكم الغناء! فهذا له مظانه وكتبه وعلماؤه! إنما حديثي عن النص الذي صاغه كريم العراقي شعراً! ولفرط تأثري بقصيدته التي يقول مطلعها: (الشمس شمسي ، والعراق عراقي) رأيتُ أن أؤبنه على ذات بحرها ووزنها وقافيتها حباً في شاعري الحبيب كريم العراقي! يقول العراقي في قافيّته:-

الشمس شمسي ، والعراق عراقـــي..... ما غيّر الدخـــلاءُ من أخلاقـــــــي

داس الزمـــــان على جميع مشاعري..... فتفجـــر الإبـــــداع من أعماقي

أجريت في الصخر العقيـــم جداولاً..... وحملت نـــــــور الله في أحداقي

أنا منذ فجـــــر الأرض ألبس خوذتي..... ووصيـــة الفقـــراء فوق نطاقي

قدري بأن كل الحـــــــروب تجيئني..... مجنونـــــة تسعى لشـــد وثاقي

فمن السيوف الى الرصـــاص مدائني .....ذابت من الإحـــراق والإغـــراق

ومن الشموع الى الدمـــــوع حبيبتي.....محفوفـــة بخناجـــر الســـرّاق

وأنا الجميل السومـــــــري البـابلي.....كانت يدي قيثـــــــارة العشـاق

ملأت فضاءات الوجـــــود قصـائدي.....حتى كأن الشعـــر صوت عراقي

وتحـالفت كـل العصـــــــور لمقـتلي.....فأغضتها بتمـاسكـــــي الخـلاق

وتـذمـــــــرت وإستـأسدت وتفرعنت.....فحملتها جبـلا على الأعنـــــاق

اسمع صهبل الحـــــزن بين مفاصلي.....أضحى صديقي..كنيتي..ميثاقــي

هـربت طيوري حين ضـــــاع أمانها.....فكأنـني شجـــــــر بلا أوراق

لكـنما هـمس العـــــــراق بمـسمـعي.....يفنى الأسى ، وجبين عزك باقي

أكتفي بهذا القدر في التقديم وأقدم تأبيني لكريم العراقي ، والذي هو محض حقه عليّ مادام أنه شاعر عاش ما عاش يتغنى بالقيم ويبكي لفقدها ويتمنى وجودها!)

يبكـــــي عليـــك اليـــومَ كـــل عراقـــي ... والـــــدمعُ مُنحـــــدرٌ مِـــــن الآمـــــاقِ

يبكـــون شـــاعرَهم ، وقـــد شـــط الجـــوى ... ورؤوســـــهم مالـــــت إلـــى الإطـــــراق

نبـــأ الوفـــاة دهـــى العـــزائمَ والقـــوى ... إذ طـــــار فـــي الأمصـــــار والآفـــــاق

عبـــرَ الأثيـــر غـــزا المســـامعَ نصـــه ... مُـــذ ذِيـــعَ فـــي مُتنـــاثر الأبـــواق

والفـــيسُ أســـرعُ فـــي انتقـــال مُـــذهل ... كلماتُـــــه التبســـتْ علـــى الأحـــداق

والنـــاسُ بـــين مُصـــدق مـــا قـــد تـــلا ... ومُكـــذب مـــا جـــاء فـــي الأوراق

وتأكـــــدَ الخبـــــرُ الألـــــيمُ حقيقـــــة ... بتثبـــــتٍ يـــــأوي إلـــى اســـــتيثاق

قـــالوا: (كـــريمٌ) قـــد قضـــى ، فاســـترحِموا ... فامتـــــدتِ الأيـــــدي إلـــى الخـــــلاق

أن يـــــــرحمَ الله الكـــــــريمُ (كريمَنـــــا) ... ويخـــص - بالتصـــبير - أهـــلَ (عِـــراق)

أنـــا يـــا (كـــريمُ) أسِـــحُ دمعـــيَ هـــاطلاً ... مـــن بعـــد أن سَـــجمتْ فيـــوضُ مـــآقي

عَزّيـــتُ فيـــك (الشـــاكريّة) جُنـــدلتْ ... تبكـــي عليـــك بـــدمعها الـــدفاق

وتُعيـــرُ (بغـــداداً) بقايـــا دمعِهـــا ... لـــو كـــان يُرجـــعُ مـــن قلاهـــا البـــاقي!

مازلـــتُ أذكـــرُ مـــن قريضـــك عذبَـــهُ ... يـــا باعثـــاً فينـــا ســـنا الأشـــواق

كـــم ذا بكيـــت علـــى الفضـــائل والهُـــدى ... لتُحـــــق حقـــــاً أيّمـــــا إحقـــــاق!

كـــم ذا دعـــوت إلـــى المناقـــب تبتغـــي ... ألا تغيـــــب مكـــــارمُ الأخـــــلاق!

كـــم ذا تحـــديت التغـــربَ يجتنـــي ... ثمراتِنـــــا ، ويســـــودُ باستشـــــراق!

كـــم ذا ارتقيـــت بشـــعر فـــذٍ طيّـــب ... لـــم يهجـــر الحُســـنى علـــى الإطـــلاق!

كـــم ذا حَملـــت الحـــق حَمْـــل مـــدافع ... عنـــهُ بعـــزم مُنـــافح مُشـــتاق!

فكتبـــت أشـــعاراً تُقلـــدك العُـــلا ... راعيـــت فيهـــا طيّـــبَ الأعـــراق

فـــإذا بهـــا كالشـــمس إن هـــي أشـــرقتْ ... مـــاذا يفـــوقُ الشـــمسَ فـــي الإشـــراق؟!

وكتبـــت مـــا تســـمو بـــه بـــين الـــورى ... وبـــرزت فـــي الشـــعراء كـــالعملاق

لـــو خُيّـــرَ الســـرطانُ فـــارقَ راحـــلاً ... ورجـــا شـــفاءَ مقسّـــم الأرزاق

لكنـــه قـــدرُ المليـــك ، وحُكمُـــهُ ... يجـــري بـــأنْ بعـــد الفـــراق تلاقـــي!

والمـــوتُ كـــأسٌ يـــا(كريمُ) ، وشُـــربُهُ ... حـــتمٌ ، وهـــل يُجـــدي ســـؤالُ الســـاقي؟!

نأســـى عليـــك اليـــومَ يقتلنـــا الأســـى ... ونظـــل نبكـــي بعـــد طـــول فـــراق

لـــك فـــي القلـــوب مـــودة ممهـــورة ... والشـــوقُ يـــا محبـــوبُ خيـــرُ صـــداق

أوصـــيتنا يومـــاً بـــألا نشـــتكي ... جُرحـــاً ، ونحـــن صِـــحابه يـــا راقـــي!

لكـــنّ شـــكوانا تُجنـــدِلُ عزمَنـــا ... فنبيـــتُ نشـــكو قِلـــة الإشـــفاق

حزنـــاً عليـــك ، وقـــد برحـــت ديارنـــا ... ووفـــدت - فـــي الأخـــرى - علـــى الـــرزاق

ربـــاه فارحمـــه ، وســـامحْهُ علـــى ... مـــا كـــان مِـــن زلـــل ومِـــن إخفـــاق

فكـــريمُ مخلـــوقٌ ، وأنـــت خلقتـــه ... هـــل راحـــمٌ – للخلـــق - كـــالخلاق؟!

ونمـــوتُ نحـــن ، وســـوف يأكلنـــا الفنـــا ... وتـــرى المقـــابر شـــاهدُ الإطبـــاق

نفنـــى ، ويبقـــى اللهُ جـــل جلالـــه ... عـــز المليـــكُ المســـتعان البـــاقي!

رَدُّ سادةِ القبائل على اليَمامة! (معارضة للعبيدي)

(كتب الشاعرُ الكبير الفحل الأستاذ عبدُ الناصر عليوي العبيدي رسالة شعرية على لسان (اليمامة) ابنة كليب بن وائل ، تُذكِّرُ فيها قومها البكريين بثأر أبيها (كليب) من (التغلبيين)! وقد أحسَّتْ بعجزهم وتقاعسهم عنه ، بل ونسيانهم أو تناسيهم له! وكم كانت رسالة مؤثرة جداً على مَن قرأها بقلبه وشعوره وحسه! ولما قرأتُها رأيت بأن أسَطر في مُحاكاتها ردَّ عِلية القوم من سادات القبائل على اليمامة لأصور مدى لا مبالاتِهم لألمها وجرحها وشكاتها وثأرها! وآثرتُ أن يكون لمُحاكاتي ذات البحر وذات القافية ، حباً في الأستاذ عبد الناصر وقصيدته! وكان قد بدأها بقوله مستهجناً معيشة الكبراء في اللذائذ ، غافلين عن رَعيتهم تمام الغفلة:

مـــا للأشـــاوس فـــي اللـــذات قـــد مكثـــوا ... وفـــي حِمانـــا يعيـــثُ القمـــلُ والعُثَـــثُ؟

إلـــى متـــى وضِـــباعُ الليـــل تنهشُـــنا ... ونحـــن ننظـــر حتـــى ينضـــج الحـــدث؟

واستمر الشاعر في تبكيت القوم ، مُبيناً أسبابَ فرقتهم وطمع الأعداء فيهم وتكالبهم عليهم ، فقال محذراً من هذا الركون إلى الأعداء والأنس بهم:-

يـــا قـــومُ نطلـــب أحلامـــاً مزركشـــة ... أمـــا الحيـــاة ففيهـــا البُـــر والغلـــث!

مـــن ظـــن أنـــي بقـــولي كنـــتُ أقصـــده ... كـــان اعترافـــاً صـــريحاً أنـــه الخبـــث

والحقيقة أنني أحذتُ بجمال وجلال القصيدة المعلقة الانتصارية ، وكنتُ قد وعدتُ الأستاذ عبد الناصر برغبتي في مُحاكاتها في إيراد رَد عِلية القوم وساداتِ القبائل على رسالة اليمامة!)

نحـــن الأشـــاوسَ باللـــذات نكتـــرثُ ... وفـــي مَرابعنـــا يَحلـــو لنـــا الرَّغَـــثُ

نحـــن الأبـــاة ، لنـــا الـــدنيا وزخرفهـــا ... ومِـــن شـــمائلنا الأنـــوارُ تنبعـــث

ونجلِـــبٌ الخيـــرَ ، نهديـــه رعيتنـــا ... فـــلا يُهـــددُهم سُـــوءٌ ولا نَغَـــث

كـــم يَفخـــرون بنـــا فـــي كـــل مُصـــطدم ... كـــأنهم حِكمـــة الأجـــداد قـــد وَرثـــوا!

(يمامـــة) الخيـــر ، خَـــلِّ الثـــأرَ ، وانتبهـــي ... لِمَـــا يَحِيـــكُ لنـــا أعـــداؤُنا الخبـــث!

(كُليـــبُ) ولـــى ، وعـــافَ القـــومُ ســـيرته ... و(الزيـــرُ) لـــيس لـــه جُنـــدٌ ولا بَعَـــث!

يحيـــا أســـيفاً ، ونـــارُ الوَجـــد تحرقـــه ... ولا يـــزالُ بأخـــذ الثـــأر يَكتـــرث!

ولابـــن مُـــرَّةَ (جَسَّـــاسٌ) مَحـــاذرُهُ ... مِـــن أن يُجَندِلـــه الإرصـــادُ والـــدَّعَث

وآلُ (بكْـــر) تُغشِّـــيهم كـــآبتُهم ... ويَســـتهينُ بهـــم فـــي المحنـــة العبـــث

ويـــحَ (البَســـوس) أمَـــا لاحـــتْ نهايتُهـــا ... إن الســـبيل إلـــى إنهائهـــا وَعِـــث!

وعَمُّـكِ (الزيـرُ) فـي التخييـر جُـرْتِ علـى ... مقامـــه ، فزهـــا آرائهـــم ضُـــغُث

(يمامـة) العُـرب ، جـدِّي السـيرَ عازمـة ... علـى الصِّـمات ، فحبـل الثـأر منتكـث

لسـنا مـن العُـرب حتـى يُسـتعانَ بنـا ... علـى قِتـال عِـدا فـي داركـم عبثـوا

دَكـوا البيـوت ، وأهليهـا هُـمُ قتلـوا ... لأنهـم همـجٌ رؤوسُـهم رِثَـث

إنْ جـاء أمـرٌ لنـا ضـجَّتْ جحافِلنـا ... والجُنـدُ فـي أمِّهـا بنصـرهم شَـبِثوا

مـا نفـعُ حـرب تُقـويكم وتـدعَمُكم ... وبعـضُ سـادتكم إلـى القنـا لهثـوا؟!

والـبعضُ يُحْـدثُ إرهاصـاتِ مُنفعـل ... يسـتعجلُ النصـرَ يُغـري عزمَـه الحـدث

مـاذا اسـتفدتُم مـن الجهـاد يُثْـهرُه ... سـيفاً شـراذمُ فـي أصـقاعكم مكثـوا؟!

فكـم أعـدوا لِمَـا رامـوا! وكـم حرصـوا! ... وفـي عهـودِهمُ – والله – مـا حَنثـوا!

ووحـدهم صـمدوا فـي سـاح خندمـةٍ ... عَبـرَ المفـازات عـن أعـدائهم بحثـوا

لـم يُمهلـوهم ، ففـي الإمهـال مَهلكـة ... والله وحَّـدَهم صَـفاً ، فمـا ارتبثـوا!

ونحـن نشـهدُ أعـداءً وقـوَّتهم ... لـذاك نخشـى فئامـاً جيشَـهم بعثـوا

لكـنْ شـجَبنا ، وأنكرْنـا علانيـة ... وفـي الجرائـد وصـفٌ للألـى خبثـوا

والـبعضُ كـال لهـم ألقـابَ تحْقِـرُهم ... هـمُ الخنـافسُ والجُعـلانُ والعُثـث

والـبعضُ قـال: هـمُ الأوسـاخ مُنْتنـة ... فلـم يَـزرْ جُلهـم طهـرٌ ولا تفـث

والـبعضُ نـدد بالعـادات هـم ألِفـوا ... فالديـدنُ القـبحُ والفحشـاءُ والرَّفـث

(يمامـة) الفخـر قلـتِ الحـق فـي وضـح ... لـذا اسـترحتِ كمـا ارتـاحَ الألـى نفثـوا

فمـا أسِـرتِ ، ولا لبثـتِ فـي قلـق ... ومـا سَـعيتِ لـه ، ومـا سـعى اللبَـث

بـل عِشـتِ فـي دَعـةٍ ، وفـي بُلهنيـة ... ولـم يُسـاومْكِ دُهقـانٌ ولا خَنِـث

بعنـا القبائـلَ بيعـاً لا سَـوامَ لـه ... وكـل مُعتـرض يَضـمُّهُ جَـدَث

وكـم بَكَـتْ جُثَـثٌ أصـحابُها انـدفعوا! ... فهـل تعـودُ إلـى أرواحهـا الجُثَـث؟!

إنـــا إلـــى الغـــرب يَمَّمنـــا مطامحَنـــا ... فجُـــدِّدَ القصـــرُ والأســـلوبُ والرِّثَـــث!

ولـم نعـد فـي الـورى – حاشـا - نمـثلكم ... لا يسـتوي الـدُّرُ فـي الميـزان والـرَّوَث

الغـــربُ مكّـــنَ للأتبـــاع مَـــن حرســـوا ... تراثـــه ، وجَنـــى غِراســـه حرثـــوا

ومـــا احتفلنـــا بأرقـــام ، ولـــو كثُـــرتْ ... ومـــا اســـتقامَ لنـــا مـــنكم ، ولا الثلـــث!

فيا(يمامـــة) هـــل وعيـــتِ مقصـــدَنا ... إذ لـــيس ينقصُـــه فـــي نصـــه شَـــعَث؟!

أيماننـــــا انعقـــــدتْ ، ولا نبَـــــدِّلها ... إذ لـــيس يُفلـــحُ مَـــن أيمـــانهم نكثـــوا!

وهـــل نســـيتِ (جُبيـــراً) يـــومَ ضـــاقَ بـــه ... صـــدرُ الحـــوار فغِيـــلَ العاشـــقُ الـــدمِث!

بســـيفِ عَمِّـــكِ لمَّـــا الكِبْـــرُ شَـــط بـــه ... ولـــم يـــزرْ قلبـــه رفـــقٌ ولا خَـــوَث!

أودى بقلبـــكِ قتـــلُ الحِّـــب فـــي مَـــلأ ... و(ابـــنُ العُبَـــادِ) طـــوى إيلافـــه الحـــدث!

لا نحـــن مِـــن (تغلـــب) ومَـــن يُؤازرهـــا ... ولا نناصِـــرُ (بكـــراً) أيهـــا اللـــوَث!

نـــراكِ فاطنـــة ، للجـــدِّ فيـــك مَـــدىً ... لا تســـتوي مَـــن وَعـــتْ والمـــرأة الخُنَـــث

فامشـــي الهَـــوَينى علـــى بســـاط فرقتنـــا! ... وزايلـــي كـــل مَـــن بأمرنـــا اكترثـــوا!

هـــذا هـــو الـــرَّدُّ ســـطرناها تبصـــرَة ... لكـــل قـــوم لنـــا (اليمامـــة) ابتعثـــوا!

معاني بعض الكلمات غير المطروقة

الأشاوس: عظماء الرجال. نكترث: نهتم. الرغَث: العطاء والنماء وسعة العيش. نغث: شر. يمامة: ابنة كُليب. جساس بن مُرة: ابن أخت كُليب. الزير: هو المهلهل ، وكنيته سالم أخو كليب. بَعَث: جيش. الوجد: شدة الحزن. الدَّعَث: الحقد والكراهية. بكر: قبيلة بكر. تغلب: قبيلة تغلب. البسوس: ناقة الجليلة والتي سميت الحرب باسمها ، فلقد كان قتل الناقة سبب الحرب! وَعِث: وعِر وشاق. الصِّمات: السكوت والصمت. حبلٌ منتكث: أي مفكوك منحل. جحافلنا: جيوشنا. شَبِثوا: تمسَّكوا. القنا: الحرب. خندمة: معركة. المفازات: الصحاري. ارتبثوا: تفرقوا. العُثَّث: حشرات تشبه البق والبرغوث والقمَّل. الجُعلان: ذكور الخنافس. الخنافس: نوع من الصراصير يهوى المجاري والقاذورات. تفث: القيام بسنن الفطرة. الديدن: السمت. الرفث: له معان كثيرة ، لكننا عنينا به في نصنا الفحش. نفثوا: أي نفثوا عن أنفسهم ثقل ما تحوي من المحن والبلاءات. اللبَث: المَقام. دَعَة: راحة. بُلهنية: سعة العيش. خَنِث: أي المخنث أو الخنيث فاقد الرجولة والشهامة من أشباه الرجال! سَوام: مساومة. جَدَث: قبر. يممنا: اتجهنا. الرِّثَث: لها معان كثيرة ، ولكننا عنينا بها في نصنا بقايا متاع البيت أو القصر. الرَّوَث: مخلفات الحيوانات كالبقر والغنم والإبل. شَعَث: هو انتشار الأمر. اللوَث: جمع ألوث وهو الأحمق الجبان. فاطنة: ذكية. المرأة الخُنَث: المتكسرة التي تخضع بالقول. الهُوَينى: على مهل. ابتعثوا: أرسلوا. ابن عُباد: هو الحارث بن عُباد سيدٌ من سادات تغلب! جُبير: هو جبير بن الحارث بن عُباد الشاب الذي كانت اليمامة مخطوبة له ، وكان عمها الزير قد قتله في نقاش بينهما بشأن كليب! الخَوَث: الألفة والمودة!

عائشة التيمورية خنساء العصر!

(معارضة لعائشة التيمورية)

(عائشة التيمورية أو خنساء العصر ، هي واحدة من أديبات مصر المؤمنات الصامدات الداعيات إلى التوحيد والعقيدة والحشمة والحجاب والوقار! ولها الشرفُ أنها تفردتْ بأوليات ، وكأني بها تقول لنا: من له مثلُ أولياتي. فهي أول متعلمة وشاعرة وكاتبة وأديبة عربية في العصر الحديث. ولدت في عهد محمد على باشا ، ونادت بحقوق المرأة على منهج الإسلام لا منهج كوتاريللي ودانلوب! وفتحت الباب لتعليم النساء. حفظت القرآن كاملاً وتعلمت ثلاث لغاتٍ قبل بدء التعليم النظامى (العربية والفارسية والتركية! فمن عائشة التيمورية (1840-1902)؟! إنها عائشة (عصمت) بنت إسماعيل باشا بن محمد كاشف تيمور ، وهي شاعرة مصرية ، ولدت في أحد قصور «درب سعادة» ، وهو أحد أحياء الدرب الأحمر ، حين كانت تلك المنطقة مقرًا للطبقة الأرستقراطية ولعائلاتها العريقة ، وهي ابنة إسماعيل باشا تيمور رئيس القلم الإفرنجي للديوان الخديوي في عهد الخديوي إسماعيل (يَعْدل منصب وزير الخارجية حاليًا) ، ثم أصبح رئيسًا عامًا للديوان الخديوي ، كان اسم والدتها هو ماهتاب هانم ، كانت شركسية تنتمي للطبقة الأرستقراطية ، وهي أخت العالم الأديب أحمد تيمور ، ولكن من أم أخرى هي مهريار هانم شركسية الأصل أيضًا ، وعمة الكاتب المسرحي محمد تيمور ، والكاتب القصصي محمود تيمور! وكأن عائلتها شملت الأدباء العماليق! نشأت عائشة في بيت علم وسياسة ، فأبوها رجل له مكانته السياسية ورجل مثقف له شغف بمطالعة كتب الأدب ، وكانت عائشة تميل إلى المطالعة ، إلا أن أمها كانت تعارض هذا وأصرت على أن تتعلم عائشة ما تتعلمه الفتيات ، إلا أن عائشة استمرت في المطالعة ، فتفهم أبوها طبعها ، فأحضر لها أستاذين أحدهما لتعليم اللغة الفارسية والآخر للعلوم العربية ، وعلى هذا فعائشة نشأت في أسرة تركية غنية ، وتعلمت القراءة والكتابة في القصر على طريقة بنات الأكابر ، فتنبهت في نفسها الرغبة في المطالعة والإشراف على مجالس العلم في القصر ، فأخذت النحو والعروض عن فاطمة الأزهرية وستيتة الطبلاوية ، وأخذت الصرف والفارسية على علي خليل رجائي ، وأخذت القرآن والخط والفقه على إبراهيم تونسي ، وحفظت عشرات الدواوين ، وطالعت كتب الأدب حتى صارت تنظم الشعر بالعربية والفارسية والتركية ولها دواوين فيها جميعًا. وتحكي عائشة عن هذا وتقول: «فلما تهيأ العقل للترقي ، وبلغ الفهم درجة التلقي تقدمت إلي ربة الحنان والعفاف ، وذخيرة المعرفة والإتحاف ، والدتي تغمدها الله بالرحمة والغفران ، بأدوات النسج والتطريز ، وصارت تجد في تعليمي وتجتهد في تفهيمي وتفطيني ، وأنا لا أستطيع التلقي ، ولا أقبل في حرف النساء الترقي ، وكنت أفر منها فرار الصيد من الشباك ، والتهافت على حضور محافل الكتب بدون ارتباك ، فأجد لصرير القلم في القرطاس أشهى نغمة ، وأتخيل أن اللحاق بهذه الطائفة أوفى نعمة ، وكنت ألتمس ـ من شوقي ـ قطع القراطيس وصغار الأقلام ، وأعتكف منفردة عن الأنام ، وأقلد الكتاب في التحرير لأبتهج بسماع هذا الصرير ، فتأتي والدتي ، وتعنفني بالتكدير والتهديد ، فلم أزدد إلا نفورا ، وعن هذا التطريز قصورا ، فبادر والدي تغمد الله بالغفران ثراه ، وقال لها: (دعي هذه الطفلة للقرطاس والقلم ، واحذري أن تكثري من الكسر في قلب هذه الصغيرة) ، وأن تثلمي بالعنف طهرها ، وما دامت ابنتنا ميالة بطبعها إلى المحابر والأوراق ، فلا تقفي في سبيل ميلها ورغبتها ، وتعالي نتقاسم بنتينا ، فخذي عفت وأعطيني عصمت ، وإذا كان لي من عصمت كاتبة وشاعرة ، فسيكون ذلك مجلبة

الرحمة لي بعد مماتي ، وأخذ بيدي وخرج بي إلى محفل الكتاب ورتب لي أستاذين ، أحدهما لتعليم الفارسية والثاني لتلقين العلوم. ومرت الأيام والشهور والسنون! وتزوجت عائشة وهي في الرابعة عشرة من عمرها سنة 1854 م من محمد بك توفيق الإسلامبولي ، وهيأت لها حياتها الرغدة أن تستزيد من الأدب واللغة ، فاستدعت سيدتين لهما إلمام بعلوم الصرف والنحو والعروض ، ودرست عليهما حتى برعت ، وأتقنت نظم الشعر باللغة العربية ، كما أتقنت اللغتين التركية والفارسية ، وقد أخذتهما عن والديها. تولت عائشة تعليم أخيها أحمد تيمور ، وكان والدها قد توفي بعد ميلاده بعامين ، فتعهدته بالتربية والتعليم حتى عرف طريقه ، وقد صار بعد ذلك واحداً من رواد النهضة الأدبية في العالم العربي! وبعد سنوات من زواجها ، فقدت عائشة ابنتها توحيدة التي توفيت في سن الثانية عشرة ، وظلت عائشة سبع سنين ترثيها حتى ضعف بصرها وأصيبت بالرمد ، فانقطعت عن الشعر والأدب ، وكانت حبيبة إليها فرثتها بعدة قصائد منها «بنتاه يا كبدي ولوعة مهجتي» ، وكان لهذا الحادث الأليم عميق الأثر في نفس عائشة حيث ظلت 7 سنوات بعد وفاة ابنتها في حزن دائم وبكاء لا ينقطع ، وأحرقت في ظل الفاجعة أشعارها كلها إلا القليل. وفي سنة 1898 م أصيبت بمرض في المخ ، واستمر المرض أربع سنوات حتى توفيت في الثاني من مايو سنة 1902م ، لها ديوان باللغة العربية باسم (حلية الطراز) وآخر بالفارسية طبع بمصر وبالأستانة وبإيران ، ولديها رسالة في الأدب بعنوان «نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال» طبعت بمصر وتونس. ولديها رواية بعنوان «اللقا بعد الشتات» وتركت رواية أخرى غير مكتملة بخط يدها. ونشرت عائشة في جريدة الآداب والمؤيد عدداً من المقالات عارضت فيها آراء قاسم أمين ودعوته إلى السفور. ومن آثارها الأدبية الأخرى «مرآة التأمل في الأمور» ، وكتاب يضم مجموعة من القصص باسم «نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال». وتوفيت في 25 مايو من عام 1902م. ومن شعرها في الحجاب:

بيد العفاف أَصــون عــز حجابي وبِعِصمَتي أَسمــو عَلى أَترابـــي
وَبِفِكـــرَة وَقـــادَة وَقَريحـــة نَقـــادَة قَد كَمَلَـــت آدابـــــي
وَلَقَد نَظَمت الشِعرَ شيمَـــة مَعشَر قَبلى ذَوات الخُـدر وَالأحســـاب
ما قُلتُه إلا فكاهـــــة ناطِـــق يَهوى بَلاغَـــة مَنطِق وَكِتـــاب

وشعرها متنوع بين المجاملة والغزل والمواعظ والأخلاقية والدينية والابتهالات ، وأصدق شعرها مراثيها خصوصاً مرثاة ابنتها توحيدة التي ارتقت فيها إلى مرتبة عالية! قالت ناديا نويهض: "هذه هي التيمورية الشاعرة الرائدة التي امتزج في حياتها الفرح بالحزن ، والشهرة بالضنك ، والنشوة بالمرارة ، وأجمل الشعر يزهو بالمجد ، في حقول العذاب والأحزان. وقال عنها نبيل الحاج: "لم يعرف الأدب العربي خلال القرن التاسع عشر أدبية شجاعة ، تحملت مسؤولية الدفاع عن المرأة العربية كعائشة التيمورية. وكانت رائدة في الأدب النسائي الحديث. ودعوتها إلى تحرير المرأة العربية من عادات فرضت عليها لتكون جاهلة بأمور دينها وشؤون دنياها! وطالبت بتعليمها وتفقيهها في الدين! وأكثر قصائدها في الرثاء تأثيراً خصوصاً إذا علمنا أن القائل امرأة ، وأصدق تعبيراً ، هي قصيدة ترثي ابنتها (توحيدة) تقول في مطلعها:-

إن سال من غرب العيون بحـــــور فالدهـــر باغ ، والزمـــان غـــدور

فلكل عين حق مـــــــــدرار الدمـــا ولكل قلـــــب لوعـــــة وثبـــور

ستر السنا وتحجبت شمـــس الضحى وتغيبت بعد الشـــروق بـــــــدور

ومضى الذي أهوى وجرّعني الأسـى وغدت بقلبي جذوة وسعيـــــــــــر

يا ليته لما نوى عهـــــد النـــــوى وافى العيـــــــــون من الظلام نذير

ناهيك ما فعلت بماء حشاشتـــــــــي نار لها بين الضلـــوع زفيـــــــــر

إلى أن قالت – رحمها الله تعالى وغفر لها - في خاتمتها:-

بنتاه يا كبـــــدي ولوعـــة مهجتي قد زال صفـــــو شأنه التكديـــــــــر

لا توصي ثكلى قد أذاب فؤادهـــــــا حزن عليك وحسرة وزفيـــــــــــر

أبكيك حتى نلتقي في جنـــــــــــة برياض الخلد زينتها الحـــــــــــور

إن قيل (عائشة) أقـــــــول لقد فنى عيشي وصبري ، والإله خبيـــــــــر

ولهي على (توحيـــدة) الحسن التي قد غاب بـــــــــدر جمالها المستور

قلبي وجفني واللســـــــان وخالقي راض وباك شاكر وغفـــــــــــور

متعت بالرضـــــوان في خلد الرضا ما ازينت لك غرفة وقصـــــــــور

إنه حين تشرق شمس بعد غروب طويل يزهر الفضاء بسواسن اشتاقت لشعاعها. ويحلو للعصفور التحليق في سمائها بحثاً عن أشعة نسجتها على طريق النور! هكذا أنظر إلى سيدتي التي أنا بصدد الحديث عنها إذ أراها شمساً أطلت على سماء المرأة المسلمة بعد انقطاع دام قروناً. فقدت خلالها المرأة أهميتها ودورها في بناء لبنات المجتمع. وبات من يعرف كيف يفك الخط عالماً. ومن يحسن قراءة القرآن شيخ زاوية. وأضحى الموروث من العرف أقوى في ألباب الناس من النهج الرباني. فغدت المرأة متاعاً ووعاء ليس إلا! وفي هذا الموج الشديد الظلمة وخلف أستار ليله الدامس ولدت شاعرتنا عائشة هانم تيمور في القاهرة سنة 1840 م لأب تركي كان ساعداً من سواعد محمد علي فارتقى في السلك الحربي حتى بلغ مرتبة الباشوية. لكن تكوينه العسكري لم يمنعه من الاهتمام بالأدب والثقافة أكثر من اهتمامه بالحرب. ويبدو أن عائشة تأثرت به فظهر حبها للعلم من نعومة أظفارها. ومالت للقراءة أكثر من الحياكة والتطريز. وتجلى اهتمامها بالقرطاس أكثر من الغسل والطبخ الأمر الذي لم يكن مألوفاً في عصر أقصى ما تتعلمه المرأة هو الأعمال المنزلية والتطريز! وكانت والدة عائشة تيمور من ربات الخدور اللواتي يسعين إلى تعليم بناتهن ما ينفعهن في حياتهن الزوجية فحسب! فلم تقبل بميول ابنتها وعملت على تعنيفها حرصاً منها على تعلم ما يصلح لها. خاصة وأن ذلك العصر كان يقيس المرأة بمقاييس العرف السائد. لكن والدها كان له موقف معاكس من والدتها. فما لبث أن اهتم بموهبة ابنته الأدبية وعمل على تشجيعها. ولما كان عصرها مقتصراً على الكتاب ومدارس الذكور التي لم تحظ بها سوى المدن الكبرى فقد جلب لها المعلمين والمعلمات لتعلم القرآن الكريم والفقه والخط والشعر وعلم العروض. مما ساهم في صقل موهبتها وظهورها بشخصية تختلف عن بنات عصرها. واستمرت على ما شغف به قلبها

يجذبها العلم بحباله المتينة أكثر مما تستهويها مجالس النساء وحكايات القيل والقال. فنفرت مما اعتادت عليه بنات جيلها لتنزوي خلف أبواب مجالس الأدب التي اعتاد والدها أن يقيمها في بيته تستمع لأقوال الأدباء والشعراء دون أن يعلم بها أحد. وجاء عنها في (قصة الإسلام) للسرجاني ، ونقلا عن (الأعلام) للزركلي ما نصه: (إن التاريخ الإسلامي حافل بذكر العالمات الأدبيات من النساء في عصوره كلها ، وفي كتب الجرح والتعديل ذكر المئات من المحدثات اللائي كنا أساتذة الرجال ، وكثير من المحدثين عندما يذكرون أساتذتهم ، يعدون أساتذة من النساء ، وهذه هي الشاعرة الأديبة الكاتبة التي سبقت زمانها ، والتي كانت أعجوبة في بيانها إنها امرأة خلدها البيان ، إنها السيدة عائشة عصمت بنت إسماعيل باشا ابن محمد كاشف تيمور، واشتهرت بعائشة التيمورية ، وهي أخت العلامة المحقق أحمد تيمور ، وعمة رائد الأقصوصة العربية ابنه محمد تيمور ، وأخيه كبير القصصيين محمود تيمور! فاقت عائشة التيمورية أدباء عصرها ، وسبقت في مضمار الرثاء العاطفي أدباء العصور كلها ، وكانت واحدة جمعت عجيبتين اثنين أولهما: أنها مجودة ، والمجودات في الشعر من النساء أقل من القليل ، لا في العربية وحدها ، بل في كل ألسنة العالم! والثانية: أنها نشأت في عصر النساء فيه كن أسيرات الجهل ، وضيق الفكر واستبداد الرجل ، فكان من أعجب العجاب أن تنشأ فيه شاعرة مجودة وكاتبة بليغة! لم يفوق عائشة التيمورية من شعراء عصرها إلا البارودي ، والساعاتي ، ولها كتابة منها المسجع ، ومنها المرسل ، ومنها البليغ ، وهي أول من دعا إلى تعليم المرأة ، ولها في ذلك مقالات وأشعار ، وكانت تحبّذ الحجاب ، وترى أنه لا يمنع من العلم والأدب ، ولها قصيدة مشهورة في ذلك! وأما عن وفاة عائشة التيمورية ، فلقد توفيت عائشة التيمورية في الثاني من مايو سنة 1320هـ= 1902م ، ولها من الكتب مرآة التأمل في الأمور، ونتائج الأحوال في الأقوال والأفعال في الأدب ، وحلية الطراز وهو ديوان شعرها العربي ، وكشوفة وهو ديوان شعرها التركي).هـ. ولفرط إعجابي بقصيدتها في رثاء ابنتها (توحيدة) ، جعلتُ قصيدتي في تأبينها على ذات بحرها وقافيتها ، رحم الله عائشة التيمورية ، خنساء العصر ، وتجاوز عن سيئاتها! وأسكنها وابنتها توحيدة فسيح جناته ، وأسبغ عليهما رضاه!)

كأسٌ هو الموتُ الزؤامُ تدُورُ ... منها سيشربُ يَافعٌ وكبيرُ!

ليستْ ترَفقُ بالسقيم لسُقمِه ... أو تحسُدُ الضرغامَ وهْو جَسور

والدهرُ ليس بغادر أو ظالم ... إن ساقَ موتاً أمرُه مَقدور

فالمرءُ مَرهونٌ بعُمْر حُدِّدتْ ... أيامُه وسِنيُّه وشهور

والقبرُ مُرتصدٌ جَثامين الألى ... آجالهم جاءتْ ، فلا تأخير

لا ساعة يستقدمون مُرورَها ... كلا ، فليس لما ارتجَوه مُرور

أو ساعة يستأخرون حلولها ... إن المهيمن عنده التقدير

يا عائشَ الخير المنية إن أتتْ ... ألفيتِ روحاً في الفضاء تطير

والجســـــمَ أســـــقتْه المنيـــــة كأسَـــــها ... وبـــــدَتْ عليـــــهِ دَلائـــــلٌ وأمـــــور

مـــــا أســـــرعَ الأيـــــامَ تختصـــــرُ المـــــدى ... ولهـــــا علـــــى مُتأمـــــل تـــــأثير

بـــــالأمس كنـــــتِ بكيـــــتِ بنتـــــاً ودَّعـــــتْ ... هـــــذي الحيـــــاة لنـــــا ، وحَـــــلَّ مصـــــير

وبكيتِهـــــا بـــــدم العيـــــون ودمعهـــــا ... ســـــبعاً مـــــن الســـــنوات وهْـــــيَ تـــــدور!

لـــــم تهنئـــــي بـــــالنوم لـــــيلاً أو ضـــــحىً ... والقلـــــبُ فـــــي أشـــــجانه مأســـــور

والعـــــيشُ جَنـــــدلتِ الحُـــــزونُ سِـــــنيَهُ ... بســـــعيرها ، وكأنهـــــا تنـــــور

(توحيـــــدة) ذهبـــــتْ ، وأذهبَـــــتِ الهنـــــا ... ولكـــــم حَـــــوَتْ مـــــن طيبـــــين قبـــــور!

تركـــــتْ فراغـــــاً لـــــيس يمـــــلأه الـــــورى ... والحـــــزنُ لا تُخفـــــي جَـــــواه سُـــــتور!

فبكيتِهـــــا بالشـــــعر يُـــــذهبُ صَـــــدمة ... جعلتْـــــكِ وجعـــــى ، والأنـــــينُ جهيـــــر

واليـــــومَ يبكيـــــكِ القـــــريضُ أديبـــــة ... فخـــــرَ الزمـــــانُ بهـــــا ، وشـــــعَّ النـــــور

واسترســـــلَ التـــــاريخ فـــــي كيـــــل الثنـــــا ... بمـــــدائح وافـــــى بهـــــا الجمهـــــور

نـــــاوأتِ مَـــــن ظلمـــــوا النســـــاءَ ، وعربـــــدوا ... وبظلمهـــــم شـــــقيَ الحِمـــــى والـــــدور

وحملـــــتِ ســـــيفَ الفكـــــر يُوقِـــــف طاغيـــــاً ... طغيانُـــــــه بجهـــــــادكم مَثبـــــور!

مـــــا قلـــــتِ: وحـــــدي ، والريـــــاحُ عتيـــــة ... والجيـــــلُ غـــــاو ، والظـــــروفُ تمـــــور!

مـــــا قلـــــتِ: وحـــــدي ، والعِـــــدا لـــــن يرحمـــــوا ... والكيـــــدُ عنـــــد عُتـــــاتهم موفـــــور

طـــــالبتِهم بحقـــــوق حـــــواءٍ ، ولـــــم ... تخشَـــــي بـــــلاءً فـــــي الـــــبلاد يجـــــور

أعلمْـــــتِهم أن المليـــــك قضـــــى بهـــــا ... فـــــإذا بغـــــيظ الظـــــالمين يبـــــور

وطرقـــــتِ أبوابـــــاً تعـــــذرَ طرقهـــــا ... والســـــعي يـــــا أخـــــت الهُـــــدى مشـــــكور

وجَهـــــرتِ بالشـــــعر المجاهـــــد حِســـــبة ... حتـــــى تُـــــزالَ مِـــــن الـــــديار شُـــــرور

وإلـــــى الحجـــــاب دعـــــوتِ دعـــــوة مَـــــن زكَـــــتْ ... بالســـــتر ، خـــــابَ تبـــــرجٌ وسُـــــفور!

ورأيـــــتِ سَـــــترَ الوجـــــه فرضـــــاً واجبـــــاً ... فالوجـــــهُ بالحُســـــن النضـــــير يَفـــــور

وهجَـــــوتِ مـــــن رقصـــــتْ وغنـــــتْ تشـــــتهي ... فـــــتْنَ الخلائـــــق ، والفســـــادُ خســـــير

وســـــطرتِ ديوانـــــاً كمثـــــل ســـــبائكٍ ... مـــــن عَسْـــجَدٍ فيهـــا البيـــانُ قريـــر

يـــا عـــائشَ التوحيـــد شِـــعرُكِ طيـــبٌ ... ولـــه بقلـــب مَـــن اجتبـــاهُ حُضـــور

خنســـاءَ عصـــركِ طبـــتِ أصـــلاً والصـــوى! ... والفكـــرُ طـــابَ ، وطيِّـــبَ التفكيـــر!

ديوانُـــكِ المطبـــوعُ ســـلوى عاشـــق ... للشـــعر إنْ غشِـــيَ الفـــؤادَ فتـــور

والـــرِّيُّ شِـــعرُكِ إنْ تعقبَنـــا الظمـــا ... هـــو مَوئِـــلٌ مُســـتعفِفٌ وغـــدير

وعليـــكِ مِـــن رب الســـما رحَماتُـــه ... إن الإلـــهَ لمـــا يشـــاءُ قـــدير!

عيواظ محتجاً على العبيدي! (معارضة للعبيدي)

(كتب الأستاذ الشاعر الكبير عبد الناصر العبيدي قصيدة بعنوان: (عِيواظ) في سوق (عـكاظ) ، يبين فيها كيف استمد التيس (عِيواظ) دمية مسرح الظل مكانة لا يستحقها مطلقاً بين الأغنام والشياه والغزلان وسائر الحيوانات في الغابة! وناشد العبيدي هذه العجماوات أن تعتق أنفسها من رق العبودية لعيواظ! وبين لها أن ذلك يسيرٌ عليها مجتمعة! وهو نص مضحك مبكٍ! ابتداه العبيدي بوصف عيواظ وصفاً دقيقاً جداً وهو يتصدر المشهد أمام الحيوانات فقال:-

ولـقد أَطَـلَّ عَـلَى المَلَا (عِيْـــوَاظُ) تَيْـسٌ تَـجَـمَّـــعَ حَـوْلَهُ الأَوْشَـــاظُ

يَـحْمُونَهُ مِـنْ كُلِّ خَصْمٍ غَاضِـــبٍ وَكَـأَنَّـهُـمْ لِـنَـصَـالِهِ أَرْعَـــــاظُ

خَـرِقٌ غَـبِيٌّ أَحْـمَقٌ لا يَـرْعَـــوِي عَـيَّتْ بِـوَصْفِ غَبَائِهِ الأَلْـفَـــاظُ

واستمر العبيدي في وصف الرق والعبودية ، والتكبر والغطرسة إلى أن ختم قصيدته بقوله:-

يَـا قَوْمُ إِنْ ظَفِرَ التُّيُـــوسُ بِإِرْضِكُمْ شَـتُّوا عَـلَى أَحْـلامِكُمْ وَاقْـتَاظُـــوا

أَخْشَى عَلَيْكُمْ مِنْ نَصِيحَةِ حَاقِـــدٍ أَوْ أَنْ يُـفَـرِّقَ جَـمْـعَكُمْ تِـلْـمَـــاظُ

لا تَـضْعُفُوا أَبَـدًا وَلا تَـسْتَسْلِمُـــوا مَـا خَـابَ مَـنْ نَيْلِ المُنَى مِلْظَـــاظُ

وتخيلتُ (عِيواظ) وهو يحتج على العبيدي أن لا يؤلب عليه رعيته! ويتبرأ من استعباده لهم موضحاً بصدق أنهم وحدهم الذين أذعنوا وأطاعوا وخضعوا فلم لا يأخذ مكانه ويعطي أوامره!)

خانتْـــك فـــي تشخيصـــك الألفـــاظ والـــنصُّ لـــم يَطـــربْ لـــه (عِيـــواظ)!

أنـــا يـــا (عُبيـــديُّ) التقيـــتُ أعابـــداً خضـــعوا ، وإنْ هـــم جُوِّعـــوا أو بـــاظوا

وأمـــرتُ مـــا اعترضـــوا ، ولـــم يتـــذمروا بـــل طبقـــوا أمـــري ، ولـــم يغتـــاظوا

وأكلـــتُ أقواتـــاً تنـــازلَ أهلهـــا ومتـــى اكتفـــى مـــن أكلـــه الجنعـــاظ؟!

ونهبـــتُ أرزاقـــاً بـــدون جَريـــرةٍ والنهـــبُ كـــم بَصُـــرتْ بـــه الألحـــاظ!

وهتكـــتُ أعراضـــاً غلـــتْ أثمانهـــا فـــي غفلـــةٍ مـــا زارَهـــا اســـتيقاظ

وســـفكتُ عـــن عمـــدٍ دمـــاءَ رَعِيـــةٍ وأعـــانني جُنـــدٌ لـــديَّ غِـــلاظ

وقتلـــتُ أحـــراراً خشـــيتُ خـــروجَهم يومـــاً علـــيَّ لهـــم مَضـــا ولِحـــاظ!

وشـــرعتُ أصـــلي الكـــل نـــارَ تســـلطي فـــي كـــل شِـــبر جمـــرة وشـــواظ

أنـــا يا(عُبيـــديُّ) اســـتلبتُ حقـــوقهم وعـــلا الســـعارُ ، كـــأنني جلمـــاظ!

وبنيتُ في الدنيا القصور شوامخاً ... كم بالقصور تفاخرَ الجَوَّاظ!

وبرغم ذلك حُزتُ آياتِ الرضا ... أدلى بها الكرماءُ والأوشاظ

صِيغتْ لي الأمداحُ تَعْضُلُ بالذي ... يتلو النصوصَ تهابُه الألفاظ

وارجع إلى التاريخ ، واقرأ ، واعتبر ... بقصائد خطتْ لقوم فاظوا

وروى القصائد في الأنام مجاهرٌ ... أو حاذقٌ متفيهقٌ لظلاظ!

لمَّا تكنْ حِكراً على بعض الورى ... بل صاغها الشعراءُ والحُفاظ

كلٌ يُكِن ليَ الولاءَ مقنطراً! ... يُبدي الخضوع متيمٌ تلماظ

وتسابقوا في كيل ما هم قلَّدوا! ... وأجاد مدحي العف واللعماظ

كلٌ يبينُ حبه وولاءه ... هل ضمَّهم في خافقيه (عُكاظ)؟!

ماذا صنعتُ لهم يُوافي مدحهم ... ليُقال: سِيقتْ للغفاة حِظاظ؟!

هم يا(عُبيديُّ) الذين تقبَّلوا ... حُكمي فهم هتافتي الأفظاظ

خفِفْ مَلامَك ، وانتبه لرموزه! ... والوعظ يُدرك شأنَه الوعاظ!

النص أرقني ، وعذب مهجتي! ... في دفتيه توجعٌ وعِناظ

وجِّهْ رَمِيَّتك المُصيبة نحوهم! ... فقد استوى النوَّامُ والأيقاظ!

إن الرمايا لا تُصِيبُ بلا صُوىً! ... إن السهام تشوقها الأرغاظ!

وابدأ بكل المرجفين ، وقل معي: ... لا عاشَ قومٌ أرذلون جِعاظ!

واربأ بنفسك أن تُجامل مجرماً! ... كم يستفيدُ إذا دعا المِلظاظ!

(بعض معاني الكلمات غير المطروقة)

عِيواظ: دمية مشهورة في مسرح خيال الظل التركي. أعابد: ج عبد. باظوا: سمنوا من كثرة تناول الطعام. الجنعاظ: الأكول الشره. الألحاظ: ج لحظ وهو محجر العين ، وقد يكنى به عن العين. لِحاظ: نظر وملاحظة. شواظ: دخان النار. جلماظ: شهوان. الجواظ: المتكبر الجافي غليظ الطباع. الأوشاظ: ج وشيظ وهم سفلة الناس وأراذلهم. فاظوا: جاملوا في المدح. اللظلاظ: الفصيح. المصلق: هو طليق اللسان. تلماظ: كثير التلمظ والغمز واللمز. اللعماظ: الذي يعطي ما لا أصل له من الكلام! الإطراء: المدح. سوق عكاظ: من أسواق الشعر في جزيرة العرب. حِظاظ: ج حَظ. الأفظاظ: ج فظ وهو جافي الطبع الغليظ والذي لا يستقيم على حال. عِناظ: الهم الشديد. الأرغاظ: ج رغظ وهو فتحة خروج السهم. جِعاظ: ج جعظ وهو المتكبر المغرور. الملظاظ: الملحاح.

قالت رحابُ ، وقلتُ! (معارضة لرحاب المحمود)

(كنتُ قد وعدتُ الشاعرة رحابَ المحمود بمحاكاةٍ لقصيدتها: (لكَم أرتجي! وذلك لأنني عندما طالعتُها أخذتُ بعُذوبة النص ورموزه وإيحاءاته! فعنونتُ لمُحاكاتي بـ: (قالت رحابُ ، وقلت!) ، وعسى الله أن أكون قد وُفقتُ فيما وعدتُ به ، وأن تكون محاكاتي على نفس المستوى! وإلا تكنْ فيبقى لي شرفُ المحاولة على نسق بدأهُ غيري ، ويبقى لها شرفُ البدء بهذا النسق على غير مثال سابق!وكنتُ قد آليتُ على نفسي أن أجتهد في هذا النص ، حِسبة لله تعالى! فمنّ الله علي بأربعين بيتاً فوق سبعة (رحاب) ليصبح عدد أبيات المحاكاة أربعة وخمسين بيتاً ، على البحر الطويل ، وقافية السين كما اختارت (رحاب ورشحت! ويحسُن بنا أن نجعل قصيدة شاعرتنا القديرة رحاب المحمود في مقدمة محاكاتنا ليستمتع القراء بالنصين! جزى الله خيراً رحاب المحمود ، ونفع بها وبأشعارها ، إنه سبحانه ولي ذلك والقادر الوحيد عليه! وهذه هي قصيدة رحاب أضعها في مستهل تقديمنا لمحاكاة هذه القصيدة الجميلة:-

لَكَمْ أرتجي أن أستفيقَ ، وأن أُمْسِي! وكَمْ أرتجي أنْ يُحفَظَ الدّرسُ في الرّأسِ!
فزادُ التقى إن كنت يا صاحبي تُصغي لشِعْرٍ طويلِ البَحْرِ خَالٍ منَ اللّبْسِ
وعينٍ برمشِ الفجر أخفت نجومها تدلّتْ عناقيدًا ، ونورًا من الأنسِ!
تدور بك الدنيا وطوفان حيرةٍ مِنَ اليومِ تذوي يا فؤادُ أوِ الأمسِ
لعَمْرُك إنْ طالت ليالي كَ بالأسى سيشرق فيك السّعدُ معْ طلعةِ الشّمس
توكّأْ على جور الزّمانِ ببسمةٍ وأوقد سراجَ الفألِ في حالِكِ اليأسِ
وتُمسيْ قريرَ العين ِ أو شئت لا تُمسي حنانيكَ! كَم درْسٍ أخذتَ على درْسِ!

ومنّ الله تعالى علي بهذه المحاكاة – على طولها – فضلاً من الله ونعمة! وأسأل الله أن ينفع بما نكتب من الشعر! وهذه نبذة تاريخية عن عشيرة (النعيم) التي تنتسب إليها (رحاب) على حد قولها وحديثها عن نفسها بأناملها! ومهم جداً أن نترجم لرحاب بشيء من التفصيل ، بدءاً بقبيلة (النعيم) ، وانتهاء برحاب! ولقد رجعت في هذا الكلام لأمهات المراجع في التراجم والأنساب! أما قبيلة أو عشيرة (النُعَيم) فهي ما يعرف اليوم بمنطقة القريات ، وكانت تابعة لحكم الشعلان. بين طريف وسكاكا الموازية للحره من جهة الشرق. إن قبيلة (النعيم): بضم النون وفتح العين ، يرجع أصلهم إلى (مازن ابن الأزد) ، وبالتحديد إلى عمرو بن عامر: (وهو مزيقياء). ويورد كتاب (معجم العشائر الفلسطينية) ، لمؤلفه الباحث محمد محمد حسن شرَّاب: إن اسمي عشيرتين في حلحول وفي قضاء حيفا في فلسطين تحملان إسم النعيم ، ولكنه لم يتطرق إلى أصولهما ، كما لم يتطرق إلى وجود أو عدم وجود قرابة بينهم وبين قبيلة (النعيم) في بلاد الشام. ويعود سبب الانتشار الواسع لقبيلة "النعيم" لعدة أسباب منها ما جرى في المدينة المنورة من أحداثٍ قديمةٍ ، فاضطر بعض السادة الأشراف من آل البيت للخروج منها والتوزع بعدة أماكن ، وكذلك بحث أبناء القبيلة عن المراعي كوْنهم أصحاب قطعان كبيرة ، ولهذا البعض أطلق على قبيلة النعيم بالقبيلة "الدوارة" لكثرة تنقلها وبحثها عن الكلأ والمرعى ، بحسب الشيخ أبو إسماعيل. فماذا عن نسب عشيرة السادة النعيم وأفخاذها والرؤساء والوجوه فيها: إن عشيرة السادة النعيم: هي من العشائر الموسوية الحسينية ،

ينتسب أبناؤها الى جدهم السيد نعيم بن أحمد بن اسماعيل الصالح بن السيد سلطان علي المتوفى في بغداد عام 519هـ بن يحيى نقيب العلويين في البصرة ويتسلسل نسبهم الى السيد موسى الثاني بن السيد ابراهيم المرتضى الاصغر بن الإمام موسى الكاظم! ويتركز سكن هذه العشيرة في محافظات نينوى وكركوك وديالى والأنبار ويسكن الكثير منهم في العاصمة بغداد ، كما تنتشر منهم بيوتات وعوائل في محافظات العراق الأخرى وهم أربعة عشائر رئيسية: أولاً: البيوض والفكرة والعلي والعيسى (أجدادهم أخوة) وكل منها يتفرع الى عشائر وأفخاذ:- أ- البيوض: (آل سيد أحمد الصوفي - عشيرة كبيرة يسكن أفرادها في ديالى) مندلي وبلدروز (وفي بغداد ومن رؤسائها السيد عبد الله علي محمد النعيمي الأنساب وتتكون من عدة أفخاذ آل بدر وآل مبادر وآل نجم وهم رؤساء وآل شبيب وآل حبيب وآل مرعي وآل شرعي وآل دخيل. وآل بريج وآل سودان ومنهم آل سيد عبد القادر رئيسهم السيد إسماعيل حميد فرج النعيمي). وآل صالح الحمد ورئيسهم عبد الإله مجيد إبراهيم النعيمي وآل عبد عون ورئيسهم ستار خضر سلمان النعيمي. وثانيا: آل السيد محسن- يسكنون الكرادة ومناطق مختلفة من بغداد وهم عدة أفخاذ. وثالثاً: آل سيد سلمان - يسكنون المدائن في بغداد. ورئيسهم السيد سلمان حسن سلومي النعيمي وشقيقه الدكتور جبار حسن النعيمي. ورابعاً: البهلول - يسكنون الصويرة والزبيدية وأراضي الشحيمية (في محافظة واسط يرأسهم السيد عبد الكاظم مصعب الجداح النعيمي وافخاذهم آل جداح وآل عليوي وآل دريب وآل دواح ومنهم السيد كاظم مرزة حمزة النعيمي وخامساً: البو ظاهر - يسكنون بغداد / الراشدية ، ورئيسهم السيد أركان عبود عبد الله النعيمي) أركان عبود الكرحة (وهم عدة افخاذ منهم الفريق الركن إسماعيل تايه النعيمي. وسادساً: النعيم البيوض: في قضاء مخمور رئيسهم السيد أياد صالح الهادي النعيمي. وسابعاً: النعيم في قضاء الدور - رئيسهم السيد يحيى جابر النعيمي. وثامناً: البركات - يسكنون ديالى في كنعان وفي بغداد ، ورئيسهم السيد گيلان سلمان النعيمي وتاسعاً: آل منصور - يسكنون باب الشيخ ومناطق مختلفة من بغداد ، ورئيسهم السيد وائل عباس محمد عباس النعيمي) وعاشراً وأخيراً: آل ناصر- يسكنون الكرخ في بغداد ، ورئيسهم السيد برهان الدين أحمد عناية الله النعيمي. وهم أشقاء آل منصور آل غني ، ورئيسهم السيد زهير عبد الرزاق حسن البو عواد - يسكنون الكوير وقراج في الموصل. لذلك يعتبر السادة النعيم المُنتشرون في العراق والجزيرة العربية هم من أبناء جدهم الإمام العظيم موسى الكاظم وقد سميت بالسادة الموسوية)! وانتشرت قبيلة (النعيم) في العراق والجزيرة والشام وفلسطين والأردن وسيناء! ورحاب من النعيم الشاميين! على ما ذكر البحاثة العلامة الأستاذ المؤرخ حمود هاشم المحمداوي ، وهو باحث في الأنساب! كانت هذه الاستفاضة عن عشيرة أو قبيلة (النعيم) المتشعبة والمتناثرة في أرجاء الأرض! فماذا عن أحمد الرفاعي الذي تنتسب إليه (رحاب)؟ جاء كلام قاله الأستاذ محمد المنجد في (الإسلام سؤال وجواب) ما نصه بتصرف زهيد: (الرفاعي: "هو أبو العباس ، أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد ، المعروف بابن الرفاعي ، شيخ الطائفة الأحمدية والرفاعية والبطائحية ؛ لسكناه في "أم عبيدة" من قرى البطائح ، وهي بين البصرة وواسط. فسكن هذه البلاد ، والتف عليه خلق كثير ، ويقال: إنه حفظ "التنبيه" في الفقه. وقد ذكرته في طبقات الشافعية" انتهى من "البداية والنهاية لابن كثير". وقال الذهبي رحمه الله تعالى. "تفقه قليلاً على مذهب الشافعي"انتهى من"العبر". وهو عند أهل العلم مشهور بالصلاح ، ويترحمون عليه. قال ابن خلكان رحمه الله تعالى: "كان

رجلاً صالحاً فقيهاً شافعي المذهب" انتهى من "وفيات الأعيان". وقال الذهبي رحمه الله تعالى: "الإمام ، القدوة ، العابد ، الزاهد ، شيخ العارفين. وكان كثير الاستغفار ، عالي المقدار ، رقيق القلب ، غزير الإخلاص. توفي: سنة ثمان وسبعين وخمس مائة ، في جمادى الأولى ، رحمه الله" انتهى من "سير أعلام النبلاء". لكن مع شهرته بالصلاح لم يشتهر بالعلم بالسُنَّة وعلوم السلف الصالح ؛ ولم نقف على ما يقطع بسلامة جميع معتقده ؛ وما وصل إلى عصرنا من كتب منسوبة إليه ؛ لا يوجد ما يؤكد أنه هو كاتبها ؛ فالله أعلم بحالها. لكن الطائفة التي تنتسب إليه وتدعي التصوف في هذا العصر وفي الأعصار الماضية ، هم أصحاب ضلال وعقائد باطلة. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:- "وأما كشف الرؤوس وتفتيل الشعر وحمل الحيات: فليس هذا من شعار أحد من الصالحين ؛ لا من الصحابة ولا التابعين ولا شيوخ المسلمين لا المتقدمين ولا المتأخرين ، ولا الشيخ أحمد بن الرفاعي ولا غيره ، وإنما ابتُدع هذا بعد موت الشيخ أحمد بمدةٍ طويلةٍ ، ابتدعه طائفة انتسبت إليه ، فخالفوا طريق المسلمين ، وخرجوا عن حقائق الدين ، وفارقوا طريق عباد الله الصالحين. وهم نوعان: أهل حال إبليسي. وأهل محال تلبيسي" انتهى من "مجموع الفتاوى لابن تيمية". وقال الذهبي رحمه الله تعالى: "وكان إليه المنتهى في التواضع والقناعة ، ولين الكلمة والذل والانكسار والإزراء على نفسه وسلامة الباطن ، ولكن أصحابه فيهم الجيد ، والرديء ، وقد كثر الزغل فيهم ، وتجددت لهم أحوال شيطانية ، منذ أخذت التتار العراق: من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيات! وهذا ما عرفه الشيخ ، ولا صلحاء أصحابه ؛ فنعوذ بالله من الشيطان." انتهى من "العبر". وقد سأل السيد عبد الرحيم السيد الجليل الشيخ أحمد الرفاعي الكبير قدس سره فقال: "الناس يسألوني عن عقيدتي فما أقول لهم؟ فقال السيد أحمد رضي الله عنه: "أي عبد الرحيم ، اعلم أن كل ما عدا الخالق فهو مخلوق ، والليل والنهار والضوء والظلام ، والسموات السبع وما فيهما من النجوم والشمس والقمر والأرض ، وما عليها من جبل وبحر وشجر ، وأنواع النباتات وأصناف النبات ، والحيوانات الضار منها والنافع ، لم يكن شيء من ذلك إلا بتكوين الله ، ولم يكن قبل تكوين الله الأشياء أصل ولا مادة ولا شيء من ذلك إلا بتكوين الله ، وكذلك الجنة والنار والعرش والكرسي واللوح والقلم والملائكة والإنس والجن والشياطين ، لم يكن منها شيء إلا بتكوين الله تعالى ، وكذا صفات هذه الأشياء من الحركة والسكون ، والاجتماع والافتراق ، والأطعام والمشروب والروائح ، والجهل والعلم ، والعجز والقدرة ، والسمع والصمم ، والبصر والعمى ، والنطق والبكم ، والصحة والسقم ، والحياة والموت ، كل ذلك من مخلوقات الله تعالى ، وكذلك أفعال العباد واكتسابهم ، من الأمر والنهي والوعد والوعيد ، كل ذلك من مخلوقات الله تعالى ، خلق كل شيء ، قال الله تعالى: (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُم)؟ يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ، الطاعات والمعاصي بقضاء الله وقدره ، وعبادته بإرادته ومشيئته ، فإن الطاعة مقدرة من الله تعالى بقضائه وقدره ، وكذا المعصية والمعاصي والذنوب مكونة مقدرة بقضاء الله تعالى وقدره ومشيئته ، لكن ليست برضائه ولا محبته ، ولا بأمره ، وما أراد الله أن يكون كان بلا محالة ، طاعة أو معصية ، وهذا معنى قولنا ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، فمن هداه الله تعالى خلق فيه فعل الاهتداء ، من لم يهده لم يهتد وكل ذلك بمشيئة الله تعالى كما قال: (الَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ). والله يعطي العبد كما يريد ، كان فيه صلاح العبد أو فساده ، وغاية صلاح العبد ليست بواجبة على الله تعالى ، بل إن كان فيه صلاح كان منه إحسانًا وتفضلًا ، وإن لم يكن ذلك كان منه عدلاً ، فله

الفضل والحمد ، والله تعالى قديم ليس لوجوده ابتداء ، وباق ليس لبقائه انتهاء ، حي بلا روح ، عالم بلا قلب وفكرة ، قادر لا بآلة ، سميع لا بأذن ، بصير لا بحدقة ، متكلم لا بلسان ، والله تعالى قديم بصفاته ، وليس شيء من صفاته محدث ، وكلامه ليس من الحروف والأصوات ، بل الحروف والأصوات عبارة عن كلامه ودلالة عليه ، والله تعالى ليس بجسم ، ولا جوهر ولا عرض ، ولا على مكان ولا في مكان ، بل كان جلت عظمته ولا زمان ولا مكان ، والله تعالى ليس بصورة ، وكل ما تصور في فهمك ووهمك فالله تعالى خالقه ومكونه ، والله تعالى لا يشبه شيئًا مما خلق ، ولا يشبه ذاته ذوات المخلوقين ، ولا صفاته صفات المخلوقين كما قال تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ). والله تعالى واحد أحد فرد صمد ، لا شريك له ولا وزير له ، ولا شبيه له ، ولا ضد له ولا ند له ، ولا نظير له ولا مثيل له ، ولا أول له ولا آخر له ، ولا ولد له ولا والدة له ولا والد له ، وهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، علام بأمور خلقه من مبتداهم إلى منتهاهم ، وكل مخلوق بخلقته شاهد عادل على أنه لا إله إلا هو الرحمن الرحيم. وأن محمدًا عبده ورسوله وصفيه وحبيبه وخيرته من خلقه ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، سيد المرسلين وخاتم النبيين ، وأن الله أرسل من قبله رسلًا ، أولهم آدم وخاتمهم محمد صلى الله عليهم وسلم ، وكلهم جاءوا بالحق وتكلموا بالصدق ، وبلغوا الرسالة وصدقوا فيما بلغوا عن ربهم عز وجل ، وكل ما أنزل عليهم من الكتب والصحف حق ، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل ولا نبي بعده حق ، وأن الرسل كلهم على حق ، وأن عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل في آخر الزمان حق ، وأن المعراج حق ، أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم بنفسه وشخصه في ليلةٍ واحدةٍ من مكة إلى بيت المقدس على ظهر البراق ، ثم عرج به إلى السماء حيث شاء الله ، وأن الصالحين مع علو منزلتهم وقربهم من الله لا يسقط عنهم شيء من الفرائض والواجبات من الصلاة والزكاة والحج والصيام وغير ذلك ، ومن زعم أنه صار وليًّا وسقط عنه الفرائض فقد كفر ، فإنه لم يسقط ذلك عن الأنبياء فكيف يسقط عن الأولياء؟! وأن الإيمان يزيد وينقص ، والإيمان والإسلام واحد ، وكل مسلم مؤمن ، وأن عذاب القبر حق وأن منكرًا ونكيرًا حق ، وسؤالهما حق ، وأن البعث حق والعرض حق ، والحساب حق ، وأن الجنة ونعيمها حق ، والنار وعذابها حق ، وأهل الجنة يرون ربهم بعيونهم من غير تشبيهٍ ولا إحاطةٍ ولا كيفيةٍ ولا مقابلةٍ ولا على مكان - هم في الجنة وهو موجود بلا مكان - ، ولا في جهة من الجهات الست ، وأن قراءة الكتب أي في الآخرة حق ، يؤتى المؤمن كتابه بيمينه والكافر بشماله ، والميزان حق والشفاعة للنبي حق ، وأن أبا بكر رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفة حق ، وبعده خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حق ، وبعده خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه حق ، وبعده خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه حق ، إلى أن قال سيدنا أحمد الرفاعي فهذا اعتقادنا ومذهبنا. فمن خالفه وقال غير ذلك لا برهان له والله برئ منه ا.هـ (من كتاب المجالس الرفاعية). فإذا استثنينا جواب سؤال أين الله؟ (في السماء ، فوق عرشه بائن عن خلقه على كيفية لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى) ، تكون عقيدة الرفاعي هي نفس عقيدة أهل السنة والجماعة ، ويكون توحيده هو عين توحيد أهل السنة الجماعة! فلا ينبغي أن نحمّل الرفاعي ضلال وزندقة وكفر وبدع بعض أتباعه الغلاة المنحرفون المخرفون! وإذن فنحن – إن صحت النِسبة والخبر – نكون أمام إحدى شواعر البيت النبوي ، وإنْ بعدت المسافة! هذه الشاعرة هي (رحابُ المحمود) والله إننا لنغبط (رحاباً) على هذا

النسب العظيم الشريف! لأجدادٍ ضاربين بجذورهم في الفروسية والقنا ، والعلم والشعر! عموماً هذه المقدمة الطويلة كان ولا بد منها لنعرف برحاب شخصية وشعراً! وعسى الله تعالى أن يغفر لها ما لا نعلم عنها ، وأن لا يؤاخذها بما نقول فيها ، وأن يجعلها خيراً مما نظن فيها! ولنقرأ القصيدة!)

(رحـــابُ) حَنانيـــكِ! اهْـــدَئي وارقئـــي بُؤســـي ... فقـــد أثـــرَتْ أبياتُـــكِ الســـبعُ فـــي نفســـي!

وحَلّـــتْ شِـــغافَ القلـــب أرجـــى رموزهـــا ... وجـــادتْ معانيهـــا ببارقـــة الأنـــس!

ودَفـــتْ بـــأحلى الأمنيـــات لخـــاطري ... فأذهبـــتْ البُشـــرى مُـــراودة اليـــأس

تـــزفين آيـــاتِ التفـــاؤل تجتنـــي ... عـــذاباتِ نفـــس أوغلـــت فـــي دجـــى الـــنحس

وكـــم ســـربلتْ نفســـي أراجيـــفَ وهمهـــا ... فســـارتْ بهـــا الأوهـــامُ للضـــنك والـــوَكس!

وكـــم هِبّـــتُ بـــالنفس اللجـــوج أريـــدُها ... مِـــن الـــوهم فـــي حِـــل ، فأزعجَهـــا حِســـي!

وكـــم نـــاولتْني مـــن لظـــى الطـــيش حِصـــة ... ظللـــتُ بهـــا دهـــراً أقاســـي ضـــنى البـــؤس!

وكـــم قلـــتُ: يـــا نفســـي كفانـــا تـــرهلاً ... وأضـــحوكة أصـــبحتُ للجـــن والإنـــس!

(رحـــابُ) خبـــرتِ الشـــعرَ قلبـــاً وقالبـــاً ... وجُسْـــتِ ديـــارَ الشـــعر مَحظوظـــة الجَـــوس

وطيّبـــتِ أصـــلاً بعـــد فصـــل ، كمـــا أتـــى ... بـــنص - تلـــتْ عينـــايَ - دونـــتِ بـــالأمس!

لـــئنْ صَـــحَّ هـــذا القـــولُ نِلـــتِ شَـــرافة ... وجُلـــى تُســـامِي صَـــفوة النبـــع والغـــرس

ألا طـــابَ ســـاداتُ (النعـــيم) نجابـــة ... لهـــم بـــين أشـــراف الـــورى أنبـــلُ الإرس!

ومَـــن ذا الـــذي ضَـــاهى (الحُســـين) عَراقـــة؟ ... وآلُ رســـول الله هـــم أعظـــمُ الإنـــس!

(رحـــابُ) تســـامتْ بالرفـــاعيّ نســـبة ... سَـــمَتْ مَحْتِـــداً يســـري بـــه النـــورُ كالشـــمس!

وأجـــدادُكِ الأفـــذاذ فـــي البـــأس قـــادة! ... ومَـــن لـــي بوصـــفٍ للضـــراغِمة الحُمـــس؟!

وفـــي العِلـــم كـــانوا كالأســـاطين علّمـــوا ... لحِفـــظ ضـــرورات مُبجّلـــةٍ خمـــس!

وفـــي الشـــعر كـــانوا كالغطـــاريف قصّـــدوا ... وخطـــوا نضـــيدَ الشـــعر فـــي زاهـــر الطِـــرس!

وقـــد جمَعـــوا بـــين القـــريض وحـــربهم ... تمامـــاً كمـــا قـــد كـــان (عنتـــرة العبســـي)!

وحاكـــت (رحـــابُ) اليـــوم أمجـــادَ قومهـــا ... بشـــعر عـــلاه الصـــبغ بـــالوَرد والـــوَرس!

تُعيـــدُ لنـــا (الخنســـاءَ) فـــي لمســـاتها ... ولمـــسُ الـــورى بالشـــعر مـــن أطيـــب اللمـــس

تمَـــسُّ قضـــايا أمـــةٍ لـــم تمسَّـــها ... أيـــادٍ تخلـــتْ ، لا تحِـــنُ إلـــى المَـــس!

ويومـــاً ســـيفنى الأهـــلُ فـــي (حَلـــب) هنـــا ... وشِـــعرُ (رحـــاب) لـــن يُســـاق إلـــى الـــدرس!

(رحـــابُ) نكَـــأتِ الجُـــرحَ تـــدمِي كُلومُـــهُ ... بأبيـــات شِـــعر فـــذة الـــنص والجَـــرس!

فلقنـــتِ دَرســـاً لا ســـبيلَ لوصـــفهِ ... يُفِيـــقُ مـــن الشـــجوى ، ويُنْجـــي مـــن الـــنكس!

بألفـــاظ وَجعـــى جَنـــدلتْها تجـــاربٌ ... فجـــادتْ علينـــا بالنصـــيحة والـــدرس

وكانـــت تُرَجّـــي أن يُصـــان بـــأرأس! ... وينفـــعُ درسٌ لـــو تمكـــنَ مـــن رأس!

وزادُ التقـــى لا يُســـتهانُ بصُـــنعه ... بـــه الـــنفسُ تســـتعلي علـــى الكـــرب والـــتعس!

يمينـــاً هـــي التقـــوى تُعلـــي مَـــن اتقـــى ... ولـــيس يُلاقـــى قـــط بالهضـــم والـــبخس!

لقـــد وَصّـــفتْ زادَ التقـــى فـــي قصـــيدها ... جَليـــاً ، بـــلا تخمـــينِ فِكـــر ، ولا حَـــدس!

فمـــن رامَ أجـــرَ الله ، فليلـــزمِ التقـــى ... هـــو الشـــرط جـــلّ الشـــرط عـــن ظلمـــة اللـــبس!

(رحـــابُ) وصَـــفتِ الليـــلَ غابـــتْ نجومُـــهُ ... وأحيـــاهُ عبـــدٌ فـــي العبـــادة ذو بـــأس

كـــأن قِيـــام الليـــل سَـــلوى مُوَحّـــدٍ ... يُنقيـــه مـــن سُـــوآى تدسّـــيه أو رجـــس!

ووصّـــفتِ الـــدنيا (رحـــابٌ) لقاصـــد ... وكيـــف احتـــوتْ أهـــلَ الفـــواحش والهَلَـــس؟!

وكيـــف اســـتبدتْ بـــالألى لـــم يُوحّـــدوا؟ ... وطوفانُهـــا اليـــومَ اســـتطالَ ، وبـــالأمس!

يـــدورُ مـــع الـــدنيا جهـــولٌ مُعانـــدٌ ... فيتْبعُهـــا حتـــى يُوسّـــدَ فـــي الـــرمس!

يَهـــيمُ بهـــا فـــي كـــل وادٍ يجوبُـــه ... كعـــاسٍّ يـــرى كـــل اللذائـــذ فـــي العـــوس!

دَرى العبـــدُ مـــن دنيـــاه جنـــاتِ عَـــدْنها ... ولـــم يَـــدر مـــا أخـــراهُ ، إذ غِيـــلَ بـــالهوس!

دَرى بالـــدنايا كهفِهـــا ورقيمِهـــا ... وجالـــدَ أهـــلَ الحـــق بـــالرمح والتُـــرس!

ويلفظهـــا عبـــدٌ أنـــابَ لربـــه ... ومـــا التقيـــا إلا لقـــا العكـــس بـــالعكس!

هـــل التـــيسُ يَقتـــاتُ الحشـــائش فـــي الربـــا ... كليـــثٍ؟ ، فهـــل ذيـــلٌ تشـــبهَ بـــالرأس؟!

ويُـــزري بضـــرغام قيـــاسٌ مُحَقـــرٌ! ... فشـــتان بـــين الليـــث - يـــا قـــوم - والتـــيس!

(رحـــابُ) وصـــفتِ الليـــلَ يَغمـــرُه الأســـى كســـجن غـــدا يُبلـــي الخلائـــق بـــالحبس!

ألا إن هـــــذا واقـــــعٌ لا نحبـــــه! تـــداعتْ علينـــا أمّـــة الـــروم والفـــرس!

وضـــاعت علـــى الأيـــام أمجـــادُ قومِنـــا ولـــيس لنـــا حـــقٌ نجـــاهرُ بـــالهمس

تقـــولين سَـــعدٌ ســـوف تُشـــرقُ شمسُـــه هـــداديكِ! هـــل تُشـــجيك إشـــراقة الشـــمس؟!

تقـــولين فلنلـــق الـــبلاءَ ببســـمةٍ سنبسُـــمها يـــا أختُ فـــي باحـــة (القـــدس)!

تقـــولين فلنوقـــدْ سِـــراجَ تفـــاؤل عســـانا بهـــذا النـــور نُـــردي دُجـــى الطـــنس

ألا إن نصـــر الحـــق والعـــدل عُرسُـــنا فهـــل فرحـــة ضـــاهتْ جمـــالاً فرحـــة العُـــرس؟!

نبـــاهي بهـــذا الحـــق مَـــن يحتفـــي بنـــا ونوسِـــعُهُ مَـــدحاً ، وننـــأى عـــن المَـــيس!

كمـــا احتفلـــتْ بـــالحق (أوسٌ) و(خـــزرجٌ) أيـــا خزرجِـــيْ مَرحـــى ، وبُشـــراكِ بـــالأوس!

وتغبِطنـــا (تـــيمٌ) ، وتـــزدانُ (شـــامُنا) وفيهـــا يُضـــحِّي الجمـــعُ بالأســـود العنســـي!

(رحـــابُ) مُحاكـــاتي بـــذلتُ تكلفـــاً فطِيبـــي بهـــا نفســـاً ، فقـــد أطربـــتْ نفســـي!

وبـــارك ربـــي فـــي جميـــع قريضـــنا ليجعلـــه أحلـــى مِـــن الشـــهدِ والـــدِّبس!

لماذا يا بخاري؟
(محاكاة للإمام الجُرجاني)

(شرفٌ كبير للشاعر المسلم أن يكتب عن أعلام الإسلام من الأنبياء والرسل مروراً بالصحابة أصارهم ومهاجريهم ، وانتهاءً بالعلماء والفقهاء والصالحين ، وواحد من علماء الحديث هو أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري! وقد عثرت على قصيدة في مدح صحيح البخاري قالها إمام البلاغة والنحو والصرف والشعر والنقد والتراجم الفضل بن إسماعيل الجرجاني بعد أن توفي الإمام البخاري ، فقال الفذ في مطلعها ، مادحاً صحيح البخاري ، ومُثنياً على صاحبه:

صحيح البخاري لو أنصفـــــو ... هُ ، لما خط إلا بماء الذهـــــبْ
هو الفرق بين الهـدى والعمى ... هو الســـــد بين الفتى والعطب
أسانيـــــــد مثل نجوم السماء ... أمام متـــــــــون لها كالشهب
بها قام ميـــــزان دين الرسول ... ودان به العُجْـــــــم بعد العرب

وختم الإمام الجرجاني قصيدته الجميلة الرائعة ، مبيناً مكانة الإمام البخاري - رحمه الله تعالى – وموضحاً دوره العظيم في انتقاء صحيح الأحاديث ، وفق شروط في غاية الصعوبة ، فقال:-

سبقت الأئمـــــــة فيما جمعـ ... ـت وفزت على زعمهم بالقصب
نفيت الضعيـــف من الناقليـــ ... ـن ، ومن كان متهماً بالكـذب
وأبـــــــرزت في حسن ترتيبه ... وتبويبه ، عجبـــاً للعجـــــب
فأعطاك مـــولاك ما تشتهيـــ ... ـيه ، وأجزل حظك فيما وهـب

الإمام البخاري رحمه الله أعجوبة زمانه وأمير المؤمنين في الحديث! استحق قصيدة تؤدي له بعض جميله علينا! واليوم أستدرك ما كان ينبغي علي بالأمس! جاء في الويكيبيديا بتصرف: (الإمام البخاري هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزبَه الجعفي البخاري. وقد اختلف المؤرخون حول أصله ، عربي أم فارسي أم تركي ، فأخذ بعضهم كأبي الوليد الباجي ، والخطيب البغدادي ، والنووي ، وابن ناصر الدين ، والذهبي ، وغيرهم برواية أبي أحمد بن عدي الجرجاني في كتاب الكامل أن جدّه الأكبر بردزبه كان فارسي الأصل ، عاش ومات مجوسيّاً. ويقال جدّه المغيرة قد أسلم على يد والي بخارى: يمان المسندي البخاري الجعفي. فانتمى إليه بالولاء. وانتقل الولاء في أولاده ، وأصبح الجعفي نسباً له ولأسرة البخاري. وقيل أنه تركي أصله من الأوزبك ، وهو ما لمح له عدد من المؤرخين مثل حمد الله المستوفي وأبو سعيد الجرديزي وعبد الرزاق السمرقندي وإغناطيوس كراتشكوفسكي وفاسيلي بارتولد. وقيل أنه عربي أصله من الجعفيين. فذكر عدد من العلماء أن جدّه الأكبر هو الأحنف الجعفي ، وأن «بَرْدِزبَه» صفة وليس اسماً وتعني «الفلاح» ، وهو ما تعود العرب عليه في البلدان الأعجمية وممن اعتمد هذا الرأي ابن عساكر ، وابن حجر العسقلاني ، وتاج الدين السبكي ، وزين الدين العراقي ، وابن تغري ، ورجّحه عدد من المعاصرين منهم مصطفى جواد ، وناجي معروف ، وعبد العزيز الدوري ، وصالح أحمد العلي ، وحسين علي محفوظ ، وفاروق عمر فوزي ولبيد

إبراهيم أحمد العبيدي. ولد الإمام البخاري في بخارى إحدى مدن أوزبكستان "حالياً" ، ليلة الجمعة الثالث عشر من شوال سنة 194 هـ ، وتربّى في بيت علم ، إذ كان أبوه من العلماء المحدّثين ، واشتهر بين الناس بسمته وورعه ، ورحل في طلب الحديث وروى عن مالك بن أنس وحماد بن زيد كما رأى عبد الله بن المبارك. وتوفّيَ والإمام البخاري صغير. فنشأ البخاري يتيماً في حجر أمه ، وروى المؤرخون أن بصره أصيب وهو صغير ، فرأت أمه إبراهيم الخليل عليه السلام في المنام فقال لها: «يا هذه قد رد الله على ابنك بصره ، لكثرة بكائك ولكثرة دعائك»! فأصبح وقد رد الله عليه بصره! ومال البخاري إلى طلب العلم وحفظ الأحاديث وتحقيقها وهو حديث السنّ ، فدخل الكتّاب صبيّاً فأخذ في حفظ القرآن الكريم وأمهات الكتب المعروفة في زمانه ، حتى إذا بلغ العاشرة من عمره ، بدأ في حفظ الحديث ، والاختلاف إلى الشيوخ والعلماء ، وملازمة حلقات الدروس ، وبالإضافة إلى حفظ الحديث فإنه كان حريصاً على تمييز الأحاديث الصحيحة من الضعيفة ، ومعرفة علل الأحاديث ، وسبر أحوال الرواة من عدالةٍ وضبطٍ ، ومعرفة تراجمهم ، وإتقان كلّ ما يتعلّق بعلوم الحديث عموماً. ثم حفظ كتب عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح وهو ابن ست عشرة سنة ، وفي تلك السنة حوالي عام 210 هـ ، خرج من بخارى راحلاً إلى الحج بصحبة والدته وأخيه أحمد ، حتى إذا انتهت مناسك الحج رجعت أمه مع أخيه إلى بلدها ، بينما تخلف البخاري لطلب الحديث والأخذ عن الشيوخ ، فلبث في مكة مدّة ثم رحل إلى المدينة النبوية ، وهناك صنّف كتاب التاريخ الكبير وعمره ثماني عشرة سنة. قال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم تلميذ البخاري وورّاقه وصاحبه: «قلت للبخاري: كيف كان بدء أمرك؟ قال: ألهمت حفظ الحديث في الكتّاب ولي عشر سنين أو أقل ، وخرجت من الكتّاب بعد العشر ، فجعلت أختلف إلى الداخليّ وغيره ، فقال يوماً فيما يقرأ على الناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم. فقلت له: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم. فانتهرني. فقلت له: ارجع إلى الأصل. فدخل ثم خرج فقال لي: كيف يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم. فأخذ القلم مني وأصلحه. وقال: صدقت». قال: «فقال للبخاري بعض أصحابه: ابن كم كنت؟ قال: ابن إحدى عشرة سنة. فلما طعنت في ست عشرة سنة ، حفظت كتب ابن المبارك ووكيع ، وعرفت كلام هؤلاء ، ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة ، فلما حججت رجع أخي بها ، وتخلفت في طلب الحديث ، فلما طعنت في ثماني عشرة سنة ، جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم ، وذلك أيام عبيد الله بن موسى ، وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، في الليالي المقمرة وقلّ اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة ، إلا أني كرهت تطويل الكتاب. ولقد تعددت رحلات الإمام البخاري العلمية للأخذ عن الشيوخ ، والرواية عن المحدّثين ، فزار أكثر البلدان والأمصار الإسلامية في ذلك الزمان للسماع من علمائها. وابتدأ طلبه للعلم في بلده بخارى بعد خروجه من الكتّاب ، فسمع من شيوخ بلده ، ثم توسع ورحل إلى الأقاليم المجاورة ليسمع من شيوخها ، فرحل إلى بلخ ، ومرو ، والريّ وهراة ونيسابور. وكان عمره أول مرة دخل نيسابور خمس عشرة سنة. قال الحاكم النيسابوري: «أول ما ورد البخاري نيسابور سنة تسع ومائتين ، ووردها في الأخير سنة خمسين ومائتين ، فأقام بها خمس سنين يحدث على الدوام». ثم ارتحل إلى الحجاز فدخل مكة ثم رحل إلى المدينة النبوية ، فاستقرّ بها مدّة ، ثم انطلق في الأمصار حتى شملت رحلاته أغلب الحواضر العلمية في وقته. فرحل إلى العراق فدخل بغداد وواسط والكوفة والبصرة وبالشام: دمشق وحمص وقيسارية وعسقلان كما رحل إلى مصر. قال الخطيب البغدادي: «رحل في طلب العلم إلى سائر

محدثي الأمصار ، وكتب بخراسان ، والجبال ، ومدن العراق كلها ، وبالحجاز والشام ومصر».
قال البخاري: «دخلت بغداد آخر ثمان مرات ، كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل. فقال لي في آخر ما ودعته: يا أبا عبد الله ، تترك العلم والناس وتصير إلى خراسان». وقال: «لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر لقيتهم كرات قرناً بعد قرن ثم قرناً بعد قرن أدركتهم وهم متوافرون أكثر من ست وأربعين سنة ، أهل الشام ومصر والجزيرة مرتين ، وبالبصرة أربع مرات متفرقات في سنين ذوي عدد ، وبالحجاز ستة أعوام ، ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد». وأراد الرحلة إلى اليمن ليسمع من عبد الرزاق الصنعاني فلم يُقدّر له ذلك. قال أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي: "قدم البخاري ببغداد سنة عشر ومائتين وعزم على المضي إلى عبد الرزاق باليمن فالتقى بيحيى بن جعفر البيكندي فاستخبره فقال: مات عبد الرزاق ، ثم تبين أنه لم يمت ، فسمع البخاري حديث عبد الرزاق من يحيى بن جعفر". وأتاحت للإمام البخاري رحلاته الكثيرة وتطوافه الواسع في الأقاليم لقاء عدد كبير من الشيوخ والعلماء ، حتى بلغوا أكثر من ألف رجل. قال البخاري: «كتبت عن ألف وثمانين نفساً ليس فيهم إلا صاحب حديث». وقال: «دخلت بلخ فسألوني أن أملي عليهم لكل من كتبت عنه ، فأمليت ألف حديث عن ألف شيخ». ولم يكن البخاري يروي كل ما يأخذه أو يسمعه من الشيوخ ، بل كان يتحرى ويدقق فيما يأخذ ، فقد سئل مرة عن خبر حديث فقال: "يا أبا فلان تراني أدلس؟! تركت أنا عشرة آلاف حديث لرجل لي فيه نظر ، وتركت مثله أو أكثر منه لغيره لي فيه نظر". وقد اهتمّ العلماء بذكر شيوخ البخاري فسمّاهم بعض العلماء ورتّبهم على الأقطار ورتّبهم بعضهم حسب الطبقة ، ورتّبهم بعضهم حسب عدد الروايات ، ورتّبهم بعضهم على حروف المعجم. قال النووي: «هذا الباب واسع جداً لا يمكن استقصاؤه ، فأنبه على جماعة من كل إقليم وبلد ، ليستدل بذلك على اتساع رحلته ، وكثرة روايته ، وعظم عنايته». ومن أهم وأبرز شيوخ البخاري الذين أثّروا في تكوينه العلمي ومنهجه الحديثي: علي بن المديني ، وهو من أكثر الشيوخ الذين تأثر بهم البخاري ، قال: «ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني.» وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، ويحيى بن معين ، والفضل بن دكين. ومن أهمّ شيوخه الذين سمع منهم في البلدان: الإمام أحمد بن حنبل ، من أبرز الشيوخ الذين سمع منهم الإمام البخاري بمكة: أبو الوليد أحمد بن محمد الأزرقي ، وعبد الله بن يزيد المقرئ ، وأبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي ، وأقرانهم. وبالمدينة: إبراهيم بن المنذر الخزامي ، وأحمد بن القاسم الزهري ، ومطرف بن عبد الله بن الشخير ، وإبراهيم بن حمزة ، وأبو ثابت محمد بن عبيد الله ، وعبد العزيز بن عبد الله الأويسي وأقرانهم. وبالشام: محمد بن يوسف الفريابي ، وآدم بن أبي إياس ، وأبو اليمان الحكم بن نافع وحيوة بن شريح ، وأقرانهم. وببخارى: محمد بن سلام البيكندي ، وعبد الله بن محمد المسندي وهارون بن الأشعث ، وأقرانهم. وبمرو: علي بن الحسن بن شقيق ، وعبدان عبد الله بن عثمان بن جبلة ، ومحمد بن مقاتل ، وأقرانهم. وببلخ: مكي بن إبراهيم ، ويحيى بن بشر البلخي ، والحسن بن شجاع ، وقتيبة بن سعيد ، وأقرانهم ، وقد أكثر بها. وبنيسابور: يحيى بن يحيى التميمي ، وبشر بن الحكم ، وإسحاق بن راهويه ، ومحمد بن رافع ، ومحمد بن يحيى الذهلي ، وأقرانهم. وبالريّ: إبراهيم بن موسى الرازي. وببغداد: محمد بن عيسى الطباع ، وسريج بن النعمان ، وأحمد بن حنبل ، وأقرانهم ، وبواسط: حسان بن عبد الله بن سهل ، وسعيد بن عبد الله بن سليمان ، وأقرانهم. وبالبصرة: أبو عاصم النبيل ، وصفوان بن عيسى

الزهري ، وعفان بن مسلم الصفار ، وسليمان بن حرب ، وأبو الوليد الطيالسي، ومحمد بن الفضل عارم، وأقرانهم. وبالكوفة: الفضل بن دكين، وإسماعيل بن أبان ، والحسن بن الربيع، وطلق بن غنام، وقبيصة بن عقبة وأقرانهم. وبمصر: سعيد بن أبي مريم ، وأصبغ بن الفرج ، ويحيى بن عبد الله بن بكير ، وأقرانهم. ونظراً لكثرة شيوخ البخاري واختلاف أمصارهم وجهاتهم فقد حصرهم المحدّثون كابن حجر العسقلاني في خمس طبقات:- الطبقة الأولى: من حدثه عن التابعين: مثل مكي بن إبراهيم وأبي عاصم النبيل والفضل بن دكين وغيرهم ، وشيوخ هؤلاء كلهم من التابعين. الطبقة الثانية: من كان في عصر هؤلاء لكن لم يسمع من ثقات التابعين: كآدم بن أبي إياس وسعيد بن أبي مريم وأمثالهم. الطبقة الثالثة: هي الوسطى من مشايخه ، وهم من لم يلق التابعين بل أخذ عن كبار تبع الأتباع: كسليمان بن حرب وعلي بن المديني ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأمثال هؤلاء. وهذه الطبقة قد شاركه مسلم في الأخذ عنهم. الطبقة الرابعة: رفقاؤه في الطلب وبعض شيوخه ممن سمع قبله قليلاً ، كمحمد بن يحيى الذهلي وأبي حاتم الرازي وجماعة من نظرائهم ، وإنما يخرج عن هؤلاء ما فاته عن مشايخه ، أو ما لم يجده عند غيرهم. الطبقة الخامسة: قوم في عداد طلبته في السن والإسناد ، سمع منهم للفائدة: كعبد الله بن حماد الآملي وعبد الله بن أبي العاص الخوارزمي وحسين بن محمد القباني وغيرهم ، وقد روى عنهم أشياء يسيرة. وعمل في الرواية عنهم بما روي عن وكيع قال: "لا يكون الرجل عالماً حتى يحدث عمن هو فوقه ، وعمن هو مثله ، وعمن هو دونه". وقد صنّف عدد من العلماء كتباً للعناية بأسماء شيوخ البخاري منها أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري من مشايخه الذين ذكرهم في جامعه الصحيح على حروف المعجم. لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني. أسامي مشايخ الإمام البخاري: لمحمد بن إسحاق بن منده. أسامي شيوخ البخاري: لرضيّ الدين الحسن بن محمد الصغاني. المعلم بأسامي شيوخ البخاري ومسلم: لأبي بكر محمد بن إسماعيل بن محمد بن خلفون. شيوخ البخاري ومسلم: لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي. التعريف بشيوخ حدّث عنهم البخاري: لأبي علي الحسين بن محمد الغساني. تلاميذه ومن روى عنه: الإمام مسلم بن الحجاج ، أحد أبرز تلاميذ الإمام البخاري وصاحب كتاب صحيح مسلم ، ثاني أصح الكتب المصنّفة عند أهل السنّة والجماعة بعد صحيح البخاري. تتلمذ على البخاري وسمع واستفاد منه عدد كبير جداً من طلّاب العلم والرواة والمحدّثين ، قال أبو علي صالح بن محمد جزرة: «كان محمد بن إسماعيل يجلس ببغداد وكنت أستملي له ، ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفاً.» وروى الخطيب البغدادي عن محمد بن يوسف الفربري أحد أكبر تلاميذ البخاري أنه قال: «سمع الصحيح من البخاري معي نحوٌ من سبعين ألفاً». وروي أن عدد من سمع منه كتابه الصحيح بلغ تسعين ألفاً. ولم يكد يشتهر بين الناس بسعة حفظه وتثبّته وإتقانه حتى أقبل طلاب الحديث يسعون إليه ويتحلّقون حوله طلباً للرواية عنه والسماع منه ، قال محمد بن أبي حاتم ورّاق البخاري: «كان أهل المعرفة يعدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسوه في بعض الطريق ، فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه ، وكان شاباً لم يخرج وجهه». وقال يوسف بن موسى المروروذي: "كنت بجامع البصرة إذ سمعت منادياً ينادي: يا أهل العلم، قد قدم محمد بن إسماعيل البخاري. فقاموا في طلبه ، وكنت فيهم، فرأيت رجلاً شاباً يصلي خلف الأسطوانة، فلما فرغ أحدقوا به ، وسألوه أن يعقد لهم مجلس الإملاء، فأجابهم. فلما كان من الغد اجتمع كذا كذا ألف ، فجلس للإملاء ، وقال: يا أهل البصرة

أنا شاب ، وقد سألتموني أن أحدثكم وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدون الكل: حدثنا عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد بلديكم ، قال: حدثنا أبي ، قال: حدثنا شعبة ، عن منصور، وغيره ، عن سالم بن أبي الجعد، عن أنس أن أعرابياً قال: يا رسول الله الرجل يحب القوم... الحديث. ثم قال: هذا ليس عندكم ، إنما عندكم عن غير منصور. وأملى مجلساً على هذا النسق. ولم يقتصر الانتفاع من البخاري على التلاميذ بل شملت شيوخه ، قال البخاري: «ما قدمت على أحد إلا كان انتفاعه بي أكثر من انتفاعي به». وقد أدرك هذا الامتياز أساتذته الكبار وقدّروه حتى منذ صغره. يقول البخاري: «دخلت على الحميدي وأنا ابن ثمان عشرة سنة يعني أول سنة حج فإذا بينه وبين آخر اختلاف في حديث فلما بصر بي قال جاء من يفصل بيننا فعرضا علي الخصومة فقضيت للحميدي وكان الحق معه». وقال أبو بكر الأعين: «كتبنا عن البخاري على باب محمد بن يوسف الفريابي ، وما في وجهه شعرة فقلنا: ابن كم أنت؟ قال: ابن سبع عشرة سنة. ومن أعيان من روى عن الإمام البخاري من شيوخه: عبد الله المسندي ، وعبد الله بن منير ، ومحمد بن خلف بن قتيبة ، وغيرهم. من أقرانه: أبو حاتم الرازي ، وأبو زرعة الرازي ، وأبو بكر بن أبي عاصم ، وإبراهيم بن إسحاق الحربي ، وغيرهم. وممن أخذ عنه من كبار الحفّاظ المجيدين: مسلم بن الحجاج ، وابن خزيمة ، وأبو عبد الرحمن النسائي ، وأحمد بن سلمة النيسابوري ، وأبو عيسى الترمذي ، وأبو بكر بن أبي الدنيا ، وحسين بن محمد القبّاني ، ويعقوب بن يوسف بن الأخرم ، وجعفر بن محمد النيسابوري ، وأبو القاسم البغوي ، والحسين بن إسماعيل المحاملي. وغيرهم الكثير وهم أكثر من أن يُحصوا ، قال النووي: "وأما الآخذون عن البخاري ، فأكثر من أن يحصروا". وأما عن كتبه ومصنفاته: فلقد صنّف الإمام البخاري وألّف كتباً كثيرة ، وقد هيّأه للتأليف والكتابة وأعانه عليها ذكاؤه الحاد ، وسعة حفظه ، وذاكرته القوية ، ومعرفته الواسعة بالحديث النبوي وأحوال رجاله من تعديل وتجريح ، وخبرته التامّة بالأسانيد من صحيح وضعيف. وقد وصلنا بعض كتبه وطُبعت بينما لا يزال بعضها مفقوداً. وجُلّ مصنّفاته وكتبه لا تخرج عن السُنّة والحديث وعلومه من رواية ودراية ورجال وعلل. ومن هذه المصنّفات:- في الحديث والفقه: صحيح البخاري والذي يعتبر عند أهل السنة والجماعة أصح كتاب بعد القرآن الكريم! الجامع الصحيح: والمشهور باسم صحيح البخاري ، أشهر مصنّفاته وأشهر كتب الحديث النبوي على الإطلاق عند أهل السنة والجماعة. مكث في تصنيفه وترتيبه وتبويبه ستة عشر عاماً. قال البخاري في سبب تصنيفه للكتاب: «كنت عند إسحاق ابن راهويه ، فقال: لو جمعتم كتاباً مختصراً لصحيح سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فوقع ذلك في قلبي ، فأخذت في جمع هذا الكتاب». وقد جمع فيه البخاري حوالي 7593 حديثاً حسب عدّ محمد فؤاد عبد الباقي ، اختارها الإمام البخاري من بين ستمائة ألف حديث يحفظها! حيث إنه كان مدقِّقاً في قبول الرواية ، واشترط شروطاً خاصة دقيقة في رواية راوي الحديث ، وهي أن يكون معاصراً لمن يروي عنه ، وأن يسمع الحديث منه ، أي أنه اشترط الرؤية والسماع معاً ، هذا إلى جانب وجوب اتصاف الراوي بالثقة والعدالة والضبط والإتقان والورع. وقد روى المؤرخون أن البخاري لمّا فرغ من تصنيف كتاب الصحيح عرضه على عدد من أكابر علماء عصره مثل أحمد بن حنبل ، وعلي بن المديني ، ويحيى بن معين ، فشهدوا له بصحة ما فيه من الحديث ، روي عن مسلمة بن قاسم قال: «سمعت من يقول عن أبي جعفر العقيلي قال: لما ألف البخاري كتابه في صحيح الحديث عرضه على علي بن المديني ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل وغيرهم فامتحنوه فكلمهم قال له

كتابك صحيح إلا أربعة أحاديث. قال العقيلي: والقول فيها البخاري وهي صحيحة.» ثم تلقته الأمة بعدهم بالقبول باعتباره أصح كتاب بعد القرآن الكريم. وأقبل العلماء على كتاب الجامع الصحيح واعتنوا به عناية فائقة بالشرح والتعليق والدراسة في مصنّفات كثيرة جداً. قال الإمام الحافظ محمد يوسف البنوري: «أضحى كالشمس في كبد السماء بلغ إلى أقصى القبول والمجد والثناء ، فانتهض أعيان الأمة وأعلام العلم في كل عصر من أقدم العصور إلى اليوم لشرحه والتعليق عليه ، وتلخيصه ، واختصاره أو ترتيبه ، وتأليف أطرافه ، أو شرح تراجمه ، أو ترجمة رجاله ، أو بيان غريبه ، أو وصل مرسله ، وتعليقاته أو مبهمه ، وإبراز فوائده ، ولطائفه ، حديثاً وفقهاً وعربية وبلاغة ووضعاً وترتيباً وتوزيعاً وتبويباً حتى في تعديد حروفه وكلماته وما إلى ذلك. الأدب المفرد: بوّبه في عدّة مواضيع تُعنى بتهذيب الأخلاق وتقويم السلوك. رفع اليدين في الصلاة: وساق فيه كثيراً من الروايات والأحاديث التي تبين أن رفع اليدين في الصلاة سُنّة ثابتة. وردّ على من أنكر ذلك. القراءة خلف الإمام: أورد فيه الأدلة التي تُثبت وجوب قراءة القرآن للمأموم في الصلاة، وردّ على المخالفين في هذه المسألة. كتاب الهبة: وهو مفقود. ذكره ورّاقه محمد بن أبي حاتم. المسند الكبير: وهو مفقود. ذكره تلميذه محمد بن يوسف الفربري على ما نقله حاجي خليفة. المبسوط: وهو مفقود. صنّفه البخاري قبل الجامع الصحيح وجمع فيه جميع حديثه على الأبواب ، ثم نظر إلى أصحّ الحديث على ما يرسِمه فأخرجه بجميع طرقه. ذكره أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي. الوحدان: ذكر فيه الصحابة الذين رُوي عنهم حديث واحد فقط. ذكره ابن حجر العسقلاني وحاجي خليفة. الفوائد: وهو مفقود. ذكره الترمذي في سننه. العِلل: وهو مفقود. ذكره ابن منده. في التاريخ والرجال. التاريخ الكبير: وهو موسوعة كبرى في التراجم ، رتب فيه أسماء رواة الحديث على حروف المعجم ، وقد اقترب فيه البخاري من استيعاب أسماء من رُوي عنهم الحديث من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى زمنه. التاريخ الأوسط: بدأه بقصة الهجرة إلى الحبشة ، وطرف من السيرة النبوية في المرحلتين المكية والمدنية وترجم لمن توفي من الصحابة في عهد النبي محمد ، ثم المتوفين في عهد الخلفاء الراشدين ، ثم تكلّم على الرواة وأخبارهم ووفياتهم إلى زمنه. التاريخ الصغير: وهو خاصّ بالصحابة، وهو أوّل مصنّف في ذلك. الكُنى: وغالب من أورده البخاري في هذا الكتاب من الرواة الذين اشتهروا بكناهم ولم تُعرف أسمائهم. الضعفاء الصغير: ذكر فيه الضعفاء من الرواة وترجم لهم بتراجم قصيرة مقتضبة. الضعفاء الكبير: توسّع فيه في ترجمة الضعفاء من الرواة كما زاد عدد المترجم لهم. في التفسير والعقيدة. التفسير الكبير: وهو مفقود. قال تلميذه محمد بن يوسف الفربري أنه صنّفه في فربر. وذكره ابن حجر العسقلاني وحاجي خليفة. خلق أفعال العباد: بيّن فيه الفرق بين كلام الله وكلام العِباد وأن كلام الله صفة من صفاته وليس بمخلوق. وردّ على المعتزلة والجهمية. هذا ولقد اختلف العلماء في تعيين مذهب الإمام البخاري الفقهي. فنسبوه إلى مذاهبهم. وللعلماء في ذلك ثلاثة أقوال: ـ أنه من الحنابلة ، حيث ذكره ابن أبي يعلى في كتابه طبقات الحنابلة ، وقال ابن القيّم: «البخاري ومسلم وأبو داود والأثرم وهذه الطبقة من أصحاب أحمد أتبع له من المقلدين المحض المنتسبين إليه. ـ أنه من الشافعية، فذكره تاج الدين السبكي في كتاب طبقات الشافعية الكبرى ، وعدّه صديق حسن خان من أئمة الشافعية في كتاب أبجد العلوم. وقال ابن حجر العسقلاني: «أن البخاري في جميع ما يورده من تفسير الغريب إنما ينقله عن أهل ذلك الفن كأبي عبيدة والنضر بن شميل والفراء وغيرهم وأما المباحث الفقهيه فغالبها مستمدة من

الشافعي وأبي عبيد وأمثالهما. -أنه مجتهد مستقلّ ، ولم يكن مقلّداً لأي من مذاهب الأئمة الأربعة المشهورة ، وهو ما رجّحه عدد كبير من العلماء من المتقدّمين والمعاصرين. قال ابن تيمية: «أما البخاري ؛ وأبو داود فإمامان في الفقه من أهل الاجتهاد.» وقال الذهبي:«كان إماماً حافظاً حجة رأساً في الفقه والحديث مجتهداً من أفراد العالم.» وقال محمد أنور الكشميري: «أن البخاري عندي سلك مسلك الاجتهاد ولم يقلد أحداً في كتابه». وقال الدكتور نور الدين عتر: «أما البخاري فكان في الفقه أكثر عمقاً وغوصاً ، وهذا كتابه كتاب إمام مجتهد غواص في الفقه والاستنباط ، بما لا يقل عن الاجتهاد المطلق ، لكن على طريقة فقهاء المحدثين النابهين ، وقد قرأ منذ صغره كتب ابن المبارك وهو من خواص تلامذة أبي حنيفة ، ثم اطلع على فقه الحنفية وهو حدث – كما أخبر عن نفسه - ، واطلع على فقه الشافعي من طريق الكرابيسي ، كما أخذ عن أصحاب مالك فقهه ، فجمع طرق الاجتهاد إحاطة واطلاعاً ، فتهيأ له بذلك مع ذكائه المفرط وسيلان ذهنه أن يسلك طريق المجتهدين ، ويبلغ شأوهم. وهذا كتابه شاهد صدق على ذلك ، حيث يستنبط فيه الحكم من الأدلة ، ويتبع الدليل دون التزام مذهب من المذاهب ، والأمثلة التي ضمها بحثنا عن فقهه وما أوجزنا من القول في عمق تراجمهم وتنوع طرق استنباطه ، يدل على أنه مجتهد بلغ رتبة المجتهدين ، وليس مقلداً لمذهب ما كما يدعي بعض أتباع المذاهب». وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: «كان مجتهداً في الفقه ، وله دقة عجيبة في استنباطه من الحديث.» وقال الشيخ عبد الكريم الخضير: «أبدى رحمه الله تعالى براعة فائقة في دقة الاستنباط مما يدل على أنه إمام فقيه مجتهد.» واستدلوا على ذلك بما روي عن كثير من الأئمة من معاصري الإمام البخاري وشيوخه في بيان سعة علمه وفقهه. روي عن نعيم بن حماد أنه قال: «محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة». وعن إسحاق بن راهويه أنه قال: «لو كان محمد بن إسماعيل في زمن الحسن بن أبي الحسن (الحسن البصري) لاحتاج الناس إليه ، لمعرفته بالحديث وفقهه». وعن قتيبة بن سعيد أنه قال: «جالست الفقهاء والعباد والزهاد ، فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل وهو في زمانه كعمر في الصحابة». وقال محمد بن أبي حاتم: «سمعت حاشد بن عبد الله يقول: قال لي أبو مصعب أحمد بن أبي بكر المديني: محمد بن إسماعيل أفقه عندنا وأبصر من ابن حنبل. فقال رجل من جلسائه: جاوزت الحد. فقال أبو مصعب: لو أدركت مالكاً ونظرت إلى وجهه ووجه محمد بن إسماعيل لقلت كلاهما واحد في الفقه والحديث». وعن محمد بن يوسف الفربري قال: «كنا مع أبي عبد الله عند محمد بن بشار ، فسأله محمد بن بشار عن حديث ، فأجابه. فقال: هذا أفقه خلق الله في زماننا ، وأشار إلى محمد بن إسماعيل.» وقال حاشد بن إسماعيل: «كنت بالبصرة فسمعت قدوم محمد بن إسماعيل ، فلما قدم ، قال: محمد بن بشار: دخل اليوم سيد الفقهاء». وقال: "سمعت علي بن حجر ، يقول: أخرجت خراسان ثلاثة: أبا زرعة الرازي بالري ، ومحمد بن إسماعيل البخاري ببخارى ، وعبد الله بن عبد الرحمن بسمرقند ، ومحمد بن إسماعيل عندي أبصرهم ، وأعلمهم ، وأفقههم". وأما عن ملامح شخصيته وشمائله ، فقد روى المؤرخون كثيراً من الروايات والأحداث التي تدُلّ على صفات الإمام البخاري وشمائله من ورع وإخلاص وصدق وسماحة وكرم وتواضع وحُسن عبادة وغير ذلك من كريم الأخلاق ، فكان البخاري مُكثراً من الصلاة طويل القيام بها ، وكان يخشع بحيث لا يشغله شيء عن صلاته ، وكان كثير القراءة للقرآن بحيث يختم كل يوم ختمة أو أكثر ، كما حجّ عدّة مرّات. وكان حريصاً على التورّع في جرح الرواة وترك الغيبة بحيث إنه يختار كلمات لا يمكن أي شخص أن يؤاخذ بها

المجروح ، ومن كلماته: تركوه ، أو أنكره الناس ، وأشدها عنده أن يقول: منكر الحديث. ومن أبلغ ما يقول في الرجل المتروك أو الساقط: فيه نظر ، أو: سكتوا عنه. ولا يكاد يقول فلان كذاب. قال محمد بن أبي حاتم: «سمعته يقول: لا يكون لي خصم في الآخرة. فقلت: يا أبا عبد الله ، إن بعض الناس ينقم عليك التاريخ يقول فيه اغتياب الناس. فقال: إنما روينا ذلك رواية ولم نقله من عند أنفسنا». كما كان كريماً سمحاً زاهداً في الدنيا كثير الإنفاق على الفقراء والمساكين، وخاصة من تلاميذه وأصحابه. بالإضافة إلى ما تمتّع به من القدرة الكبيرة على الحفظ والإتقان وتقدّمه وتفوّقه في الحديث وعلومه بشهادة أقرانه وشيوخه. وأما عن صفته الخلقية ، فعلى الرغم من شهرة الإمام البخاري التامّة وسعة رحلاته وتطوافه في الأمصار والبلدان ولقائه بالآلآف من الشيوخ والتلاميذ ، فإنه لم تصلنا العديد من الأخبار عن هيئته ، وما وصلنا عنه هو ما رواه أبو أحمد بن عدي الجرجاني في صفته فقال: "سمعت الحسن بن الحسين البزاز ببخارى يقول: رأيت محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة شيخاً نحيف الجسم ليس بالطويل ، ولا بالقصير". وأما عن عبادته ، فكان الإمام البخاري عابداً مكثراً شديد الخشوع في صلاته ، حتى إذا دخل في الصلاة لا يشغله عنها شيء ، ولا يلهيه عنها شاغل أو صارف! فروى محمد بن أبي حاتم قال: «دُعي محمد بن إسماعيل إلى بستان بعض أصحابه ، فلما حضرت صلاة الظهر صلى بالقوم ، ثم قام للتطوع فأطال القيام ، فلما فرغ من صلاته رفع ذيل قميصه ، فقال لبعض من معه: انظر هل ترى تحت قميصى شيئاً؟ فإذا دبور قد أبره (لسعه) في ستة عشر أو سبعة عشر موضعاً ، وقد تورم من ذلك جسده ، وكان آثار الدبور في جسده ظاهرة. فقال له بعضهم: كيف لم تخرج من الصلاة في أول ما أبرك؟ فقال: كنت في سورة فأحببت أن أتمها». كما كان يؤم أصحابه في رمضان وكان كثير القراءة للقرآن في الصلاة كما في كلّ الأوقات ، قال محمد بن خالد المطَّوِّعي: «حدثنا مسبح بن سعيد قال: كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان أول ليلة من شهر رمضان يجتمع إليه أصحابه ، فيصلي بهم فيقرأ في كل ركعة عشرين آية ، وكذلك إلى أن يختم القرآن ، وكذلك يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن ، فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال ، وكان يختم بالنهار كل يوم ختمة ، ويكون ختمه عند الإفطار كل ليلة». وقال تاج الدين السبكي: «كان البخاري يختم القرآن كل يوم نهاراً ، ويقرأ في الليل عند السحر ثلثاً من القرآن ، فمجموع ورده (اليومي) ختمة وثلث». كما كان حريصاً على قيام الليل واتباع السنّة النبوية ، قال محمد بن أبي حاتم: «كان يصلى في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة». كما كان متفكّراً في القرآن متدبّراً له ، كما وصفه الإمام الدارمي فقال: محمد أبصر مني ، ومحمد بن إسماعيل أكيس خلق الله ، إنه عقل عن الله ما أمر به ونهى عنه في كتابه وعلى لسان نبيه ، إذا قرأ محمد القرآن شغل قلبه وبصره وسمعه وتفكر في أمثاله وعرف حرامه من حلاله». كما كان جامعاً بين العلم والعبادة حيث روى أبو أحمد بن عدي الجرجاني قال: «سمعت عبد القدوس بن همام يقول سمعت عدة من المشايخ يقولون حول محمد بن إسماعيل البخاري تراجم جامعه بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين». بالإضافة إلى أنه حجّ عدّة مرّات، قال الحاكم النيسابوري: "حدثني أبو عمرو إسماعيل حدثنا أبو عبد الله محمد بن علي قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول أقمت بالبصرة خمس سنين معي كتبي أصنف وأحج كل سنة وأرجع من مكة إلى البصرة". وأما عن ورعه وتحرّيه ، فكان الإمام البخاري حريصاً على حقوق الناس متحرّياً لرد الحقوق إلى أصحابها ، فمن ذلك ما رواه محمد بن أبي حاتم قال:

«ركبنا يوماً إلى الرمي ، ونحن بفربر ، فخرجنا إلى الدرب الذي يؤدي إلى الفُرْضة ، فجعلنا نرمي ، وأصاب سهم أبي عبد الله (البخاري) وتد القنطرة الذي على نهر ورادة ، فانشق الوتد. فلما رآه أبو عبد الله نزل عن دابته ، فأخرج السهم من الوتد ، وترك الرمي. وقال لنا: ارجعوا. ورجعنا معه إلى المنزل ، فقال لي: يا أبا جعفر ، لي إليك حاجة ، تقضيها؟ قلت: أمرك طاعة. قال: حاجة مهمة ، وهو يتنفس الصعداء. فقال لمن معنا: اذهبوا مع أبي جعفر حتى تعينوه على ما سألته. فقلت: أية حاجة هي؟ قال لي: تضمن قضاءها؟ قلت: نعم ، على الرأس والعين. قال: ينبغي أن تصير إلى صاحب القنطرة ، فتقول له: إنا قد أخللنا بالوتد ، فنحب أن تأذن لنا في إقامة بدله ، أو تأخذ ثمنه ، وتجعلنا في حِل مما كان منا. وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر الفربري. فقال لي: أبلغ أبا عبد الله السلام ، وقل له: أنت في حِل مما كان منك ، وقال جميع ملكي لك الفداء ، وإن قلت: نفسي ، أكون قد كذبت غير أني لم أكن أحب أن تحتشمني في وتد أو في ملكي. فأبلغته رسالته ، فتهلل وجهه ، واستنار ، وأظهر سروراً ، وقرأ في ذلك اليوم على الغرباء نحوا من خمس مائة حديث ، وتصدق بثلاث مائة درهم». بالإضافة إلى ما اشتهر عنه من كره الغيبة ، قال: «ما أغتبت أحداً قط منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها». وحرصه على ألا يكون بينه وبين أحد من الناس أية مظلمة ، قال محمد بن أبي حاتم: «سمعته يقول لأبي معشر الضرير: اجعلني في حِل يا أبا معشر. فقال: من أي شيء؟ فقال: رويتَ حديثاً يوماً فنظرتُ إليكَ وقد أُعجبت به وأنت تحرك رأسك ويديك ، فتبسمتُ من ذلك. قال: أنت في حِل يرحمك الله يا أبا عبد الله». وقد تحرّى الإمام البخاري أن لا يدخل في شيء من معاملات الدنيا لئلا يصيبه شيء فيه شبهة من حرام أو غيره ، فرُويَ عنه أنه قال: «ما توليت شراء شيءٍ ولا بيعه قط. فقال له أبو جعفر: كيف ، وقد أحل الله البيع؟ قال:لما فيه من الزيادة والنقصان والتخليط ، فخشيت أني إن توليت ذلك أن أستوي بغيري. فقال له: ومن كان يتولى أمرك في أسفارك ومبايعتك؟ قال: كنت أُكفى ذلك». وكان متورّعا إذا وعد أوفى بوعده وأنفذ الأمر ، حتى وإن كان هذا لا يزال في نيّته ، قال الخطيب البغدادي: «كان حُمِلَ إلى محمد بن إسماعيل بضاعة أنفذها إليه فلان ، فاجتمع التجار بالعشية فطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم ، فقال لهم: انصرفوا الليلة. فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوا منه تلك البضاعة بربح عشرة آلاف درهم ، فردهم وقال: إني نويت البارحة أن أدفع إلى أولئك، ولا أحب أن أنقض نيتي. فدفعها إليهم". وأما عن كرمه وسماحته ، فكان الإمام البخاري مفرط الكرم وافر الصدقة ، وخصوصاً على المحتاجين من التلاميذ وطلبة العلم ، فذكر ابن ناصر الدين أنه ورث من أبيه ـ مالاً وفيراً ـ ووكّل أناساً للتجارة فيه ، فكان ينفق منه بسخاءٍ ، فيتصدق منه بالكثير ، ويبر الطلبة ويحسن إليهم. وكان يُحِبّ إخفاء ذلك ، ولا يحبّ أن يتكلم الناس عنه ، فروي أنه مرة ناول رجلاً من الطلبة صرةً فيها ثلاثمائة درهم خفيةً ، فأراد الرجل أن يدعو له ، فقال له البخاري: «ارفق ، واشتغل بحديث آخر كي لا يعلم بذلك أحدٌ». وقال محمد بن أبي حاتم: «كان يتصدق بالكثير ، يأخذ بيده صاحب الحاجة من أهل الحديث ، فيناوله ما بين العشرين إلى الثلاثين ، وأقل وأكثر ، من غير أن يشعر بذلك أحد». وكان يكافئ بسخاء من يصنع له معروفاً مهما قلّ ، فروي أنه كانت له قطعة أرض يكريها كل سنة بسبع مائة درهم. فكان ذلك المكتري ربما حمل منها إلى البخاري قثاة أو قثاتين ، لأن البخاري كان معجباً بالقثاء النضيج ، وكان يؤثره على البطيخ أحياناً ، فكان يهب للرجل مائة درهم كل سنة لحمله القثاء إليه أحياناً ، وذلك بالإضافة إلى إنفاقه على التلاميذ ، فإنه كان كثير الإنفاق في طلب العلم ، فروي عنه أنه قال: «كنت

أستغل كل شهر خمس مائة درهم ، فأنفقت كل ذلك في طلب العلم. وأما عن زهده وأدبه ، فمع كون الإمام البخاري ذا مال كثير فإنه كان متقشّفاً زاهداً في أمور الدنيا وكان قليل الأكل جداً ، قال محمد بن أبي حاتم: «كان أبو عبد الله ربما يأتي عليه النهار ، فلا يأكل فيه رقاقة ، إنما كان يأكل أحياناً لوزتين أو ثلاثاً. وكان يجتنب توابل القدور مثل الحمص وغيره» ، وكان من كثرة إنفاقه للمال في الصدقة وطلب العلم أنه قد تمر عليه أيام لا يجد ما يأكله ، ومع ذلك لا يطلب من أحد شيئاً ، فروى ابن ناصر الدين أنه نفدت نفقته مرّة فجعل يأكل من نبات الأرض ولا يخبر أحداً بذلك وبلغ من شدة زهده وحرصه أنه لم يمنعه حتى المرض من ذلك ، فروى ابن عساكر بسنده قال: «مرض محمد بن إسماعيل البخاري فعرض ماؤه على الأطباء ، فقالوا: لو أن هذا الماء ماء بعض أساقفة النصارى فإنهم لا يأتدمون ، فصدقهم محمد بن إسماعيل وقال: لم ائتدم منذ أربعين سنة ، فسألوا عن علاجه فقالوا: علاجه الإدام! فامتنع عن ذلك حتى ألح عليه المشايخ ببخارى أهل العلم إلى أن أجابهم أن يأكل بقية عمره في كل يوم سكرة واحدة مع رغيف». واتّصف الإمام البخاري بالآداب العالية والأخلاق الحميدة ، فمن ذلك ما رواه محمد بن منصور قال: «كنا في مجلس أبي عبد الله محمد بن إسماعيل ، فرفع إنسان من لحيته قذاة ، فطرحها على الأرض. قال: فرأيت محمد بن إسماعيل ينظر إليها وإلى الناس ، فلما غفل الناس رأيته مد يده ، فرفع القذاة من الأرض ، فأدخلها في كمه. فلما خرج من المسجد رأيته أخرجها فطرحها على الأرض». وكان قليل الكلام وكلّ شغله في العلم ولا يشتغل في أمور الناس قال هانئ بن النضر: «كنا عند محمد بن يوسف - يعني: الفريابي - بالشام وكنا نتنزه فعل الشباب في أكل الفرصاد ونحوه ، وكان محمد بن إسماعيل معنا ، وكان لا يزاحمنا في شيء مما نحن فيه ، ويكب على العلم». ومن أدبه أنه كان يتجنّب ما يؤذي غيره فكان لا يأكل الكراث والبصل وما يشبههما لئلا يتأذى الناس من الرائحة. وأما عن نبوغه وحفظه وتقدّمه على أقرانه ، فإن من أبرز ما تميّز به الإمام البخاري هو ذكاؤه الوقّاد وقوة حفظه الاستثنائية ، فكان يحفظ مائة ألف حديث صحيح ، ومئتي ألف حديث غير صحيح ، وكان يأخذ الكتاب من العلم فيطلع عليه اطلاعة فيحفظ عامة أطراف الحديث من مرة واحدة. وقد رُزق قوة الحفظ من صغره فكان وهو صبي لا يزال في مقتبل العمر يحفظ سبعين ألف حديث ويعرف تاريخ رواته وأخبارهم ، قال سليمان بن مجاهد «كنت عند محمد بن سلام البيكندي فقال لي: لو جئت قبل لرأيت صبيًّا يحفظ سبعين ألف حديث. قال فخرجت في طلبه فلقيته ، فقلت: أنت الذي تقول أنا أحفظ سبعين ألف حديث؟ قال: نعم وأكثر ، ولا أجيبك بحديث عن الصحابة والتابعين إلا من عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم ، ولست أروي حديثًا من حديث الصحابة والتابعين إلا ولي في ذلك أصل أحفظه حفظًا عن كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ». وكان معروفاً بذلك بين أقرانه من طلبة العلم حتى كانوا يجلسون إليه ويسألونه عن الحديث ، قال محمد بن أبي حاتم: «سمعت إبراهيم الخواص مستملي صدقة يقول: رأيت أبا زرعة كالصبي جالساً بين يدي محمد بن إسماعيل يسأله عن علل الحديث». وقد شهد له شيوخه بذلك من صغره وكانوا يأخذون منه ويستفيدون! قال محمد بن أبي حاتم: «سمعت محمد بن إسماعيل يقول: قال لي محمد بن سلام: انظر في كتبي فما وجدت فيها من خطأ فأضرب عليه ، كي لا أرويه، ففعلت ذلك». وكان محمد بن سلام البيكندي كتب عند الأحاديث التي حكم البخاري بصحّتها: رضي الفتى ، وفي الأحاديث الضعيفة: لم يرض الفتى. فقال له بعض أصحابه: «من هذا الفتى؟» فقال: «هو الذي ليس مثله محمد بن إسماعيل». وقال عبد الله بن يوسف التنيسي للبخاري: «يا أبا عبد الله أنظر في كتبي

وأخبرني بما فيها من السقط. فقال: نعم». وكان محمد بن يحيى الذهلي أحد أبرز شيوخه يسأله عن الأسامي والكُنى والعِلل ، والبخاري يمر فيه كالسهم ، كأنه يقرأ قل هو الله أحد. وقال أبو بكر المديني: «كنا يوما بنيسابور عند إسحاق بن راهويه ، ومحمد بن إسماعيل حاضر في المجلس، فمر إسحاق بحديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان دون صاحب النبي صلى الله عليه وسلم عطاء الكيخاراني ، فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله أيش كيخاران؟ قال: قرية باليمن كان معاوية بن أبي سفيان بعث هذا الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ، فسمع منه عطاء حديثين. فقال له إسحاق: يا أبا عبد الله ، كأنك قد شهدت القوم»! وكان مع هذا حريصاً على التثبّت ممن يسمع منهم جامعاً لأخباره متفحّصاً لعلمه، فكان إذا كتب عن شيخ ثبتٍ ضابطٍ سأله عن اسمه وكنيته ونسبة وعلة الحديث وإن كان ذلك الشيخ ليس بالحافظ القوي سأله أن يريه كتبه. وقد أراد عدد من طلاب العلم والمشايخ في عدد من البلدان اختبار البخاري وسبر قوة حفظه وتثبّته ، فروى الخطيب البغدادي بسنده عن حاشد بن إسماعيل قال: «كان أبو عبد الله محمد بن إسماعيل يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام ، فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب فما معناك فيما تصنع؟ فقال لنا بعد ستة عشرة يوما: إنكما قد أكثرتما على وألححتما ، فأعرضا علي ما كتبتما فأخرجنا ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث ، فقرأها كلها عن ظهر القلب حتى جعلنا نحكم كتبنا على حفظه ، ثم قال: أترون أني أختلف هدرا وأضيع أيامي؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد». ومن أشهر الروايات في ذلك ما رواه أبو أحمد بن عدي الجرجاني قال: «سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث ، فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر وإسناد هذا المتن لمتن آخر ، ودفعوا إلى عشرة أنفس إلى كل رجل منهم عشرة أحاديث ، وأمروهم إذا حضروا المجلس يلقون ذلك على البخاري ، وأخذوا الموعد للمجلس فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين ، فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه رجل من العشرة وسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة ، فقال البخاري لا أعرفه فسأل عن آخر فقال البخاري: لا أعرفه! ثم سأل عن آخر فقال: لا أعرفه! فما زال يلقي بمثله واحداً بعد واحد ، حتى فرغ من عشرته ، والبخاري يقول: لا أعرفه! فكان الفهماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون: الرجل فهمنا ، ومن كان منهم غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم ، ثم انتدب رجل آخر من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة ، فقال البخاري: لا أعرفه! فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه! فسأل عن آخر فقال: لا أعرفه! فلم يزل يلقي عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول لا أعرفه ثم انتدب الثالث إليه والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة والبخاري لا يزيدهم على قوله: لا أعرفه! فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال: أما حديثك الأول فهو كذا ، وحديثك الثاني فهو كذا ، والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة ، فرد كل متن إلى إسناده ، وكل إسنادٍ إلى متنه ، وفعل الآخرين مثل ذلك ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها ، وأسانيدها إلى متونها ، فأقر له الناس بالحفظ والعلم ، وأذعنوا له بالفضل». وقال محمد بن أبي حاتم: "سمعت سليم بن مجاهد يقول: سمعت أبا الأزهر يقول: كان بسمرقند أربع مائة مما يطلبون الحديث ، فاجتمعوا سبعة أيام وأحبوا مغالطة محمد بن إسماعيل ، فأدخلوا إسناد الشام في

إسناد العراق ، وإسناد اليمن في إسناد الحرمين ، فما تعلقوا منه بسقطة لا في الإسناد ولا في المتن". وأما عن محنته ، فلقد امتُحِن الإمام البخاري مرّتين ، الأولى كانت مع شيخه محمد بن يحيى الذهلي على رأس جماعة من الفقهاء والمحدّثين في عصره ، حيث اتّهِم البخاري بمسألة القول باللفظ بالقرآن وهل هو مخلوق ، وكانت هذه المحنة واحدة من أسباب محنته الثانية مع حاكم بخارى خالد بن أحمد الذهلي مسألة فتنة خلق القرآن ، فلقد نشأت مسألة القول بخلق القرآن في أواخر عهد الخليفة العبّاسي المأمون ، واستمرت طيلة عهد المعتصم والواثق ، وبقيت في أوائل عهد المتوكل ، وسبّبت فتنةً عظيمة بين أهل السنة والمعتزلة ، واندلعت نارها وعمّ خطرها. حيث تمكّن المعتزلة الذين برزوا في عهد المأمون والتفّوا حوله كبشر المريسي وثمامة بن الأشرس وأحمد بن أبي دؤاد من إقناع الخليفة باعتناق الاعتزال وحمله على القول برأيهم أن القرآن مخلوق ، وتمكّن القاضي أحمد بن أبي دؤاد أن يغري الخليفة بحمل الناس على هذا القول فكتب المأمون إلى أمراء الأمصار أن يمتحنوا علماء الأمة بهذه المسألة ، فمن أجاب فقد سَلِمَ من الأذى، ومن خالف كان جزاؤه الأذى والتنكيل. وامتُحن بذلك أئمة كبار كأحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، وأبو خيثمة زهير بن حرب ، والنضر بن شميل وأحمد بن نصر الخزاعي الذي قُتل ويوسف بن يحيى البويطي الذي مات في السجن وغيرهم ، فصبر بعضهم ورفض أن يقول بخلق القرآن فعُذّب بعضهم وحُبس بعضهم وقُتل البعض وأجابه بعضهم. وشغلت هذه الفتنة المسلمين نحو خمس عشرة سنة إلى أن انتهت في زمن المتوكل. وقد أصاب البخاري طرفٌ من هذه الفتنة ، فعندما دخل البخاري نيسابور استقبله الناس بالحفاوة والتكريم والتعظيم ، قال محمد بن يعقوب الأخرم: «سمعت أصحابنا يقولون: لما قدم البخاري نيسابور استقبله أربعة آلاف رجل ركبانا على الخيل ، سوى من ركب بغلاً أو حماراً وسوى الرجالة.» والتفّ الناس وطلاب العلم والمحدّثون حوله حتى هجروا مجالس المحدّثين الآخرين مما كان سببا في إيغار صدور البعض عليه. فأرادوا صرف الناس عنه فشغبوا عليه بمسألة خلق القرآن ، قال أبو أحمد بن عدي الجرجاني: "ذكر لي جماعة من المشايخ أن محمد بن إسماعيل لما ورد نيسابور واجتمع الناس عليه حسده بعض من كان في ذلك الوقت من المشائخ لما رأى من إقبال الناس عليه فقال لأصحاب الحديث إن محمد بن إسماعيل يقول اللفظ بالقرآن مخلوق فامتحنوه ، فلما حضر الناس مجلس البخاري قام إليه رجل فقال يا أبا عبد الله ما تقول في اللفظ بالقرآن مخلوق هو أو غير مخلوق فأعرض عنه البخاري ولم يجبه ثلاثا فالتفت إليه البخاري في الثالثة فقال القرآن كلام الله غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقة والامتحان بدعة فشغب الرجل وشغب الناس وتفرقوا عنه". وقد ذكر العلماء والمؤرخون أن محمد بن يحيى الذهلي كان أحد من دخله الحسد بسبب اجتماع الناس على البخاري ، وكان الذهلي أحد كبار محدّثي نيسابور وأحد شيوخ البخاري. قال مسلم بن الحجاج: «لما قدم محمد بن إسماعيل نيسابور ما رأيت والياً ولا عالماً فَعَل به أهل نيسابور ما فعلوا به ، استقبلوه مرحلتين وثلاثة. فقال محمد بن يحيى في مجلسه: من أراد أن يستقبل محمد بن إسماعيل غدا فليستقبله. فاستقبله محمد بن يحيى وعامة العلماء ، فنزل دار البخاريين ، فقال لنا محمد بن يحيى: لا تسألوه عن شيء من الكلام ، فإنه إن أجاب بخلاف ما نحن فيه ، وقع بيننا وبينه ، ثم شمت بنا كل حَروري ، وكل رافضي ، وكل جَهمي ، وكل مرجئ بخراسان. قال: فازدحم الناس على محمد بن إسماعيل ، حتى امتلأ السطح والدار ، فلما كان اليوم الثاني أو الثالث ، قام إليه رجل ، فسأله عن اللفظ بالقرآن. فقال: أفعالنا مخلوقة ، وألفاظنا من أفعالنا. فوقع بينهم اختلاف

فقال بعض الناس: قال: لفظي بالقرآن مخلوق ، وقال بعضهم: لم يقل ، حتى تواثبوا ، فاجتمع أهل الدار وأخرجوهم». وعلّق جمال الدين القاسمي على هذه الحادثة قائلاً: «إن نهي الذهلي عن سؤال البخاري عن شيء من الكلام فيه تلقين للفتنة وتعليم لمثارها وفتح لبابها». وروى الخطيب البغدادي قال: "أخبرني محمد بن أحمد بن يعقوب ، قال: أخبرنا محمد بن نعيم الضبي قال: سمعت محمد بن حامد البزاز ، يقول: سمعت الحسن بن محمد بن جابر ، يقول: سمعت محمد بن يحيى ، يقول: لما ورد محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور ، قال: اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح العالم فاسمعوا منه ، قال: فذهب الناس إليه واقبلوا على السماع منه، حتى ظهر الخلل في مجالس محمد بن يحيى فحسده بعد ذلك وتكلم فيه". وإثر ذلك وبعد ما صار بين البخاري والذهلي من الاختلاف فقد هجر الكثير من الطلاب مجالس البخاري وأطاعوا الذهلي لما كان له من قدر المكانة والمنزلة العظيمة في بلده نيسابور. وثبت مع البخاري تلميذه الإمام مسلم بن الحجاج ، وكان مسلم أيضًا يناضل عن الإمام البخاري حتى أوحش ما بينه وبين محمد بن يحيى الذهلي بسببه ، فترك شيخه الذهلي ولازم البخاري. قال الحاكم النيسابوري: "سمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ يقول: لما استوطن محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور أكثر مسلم بن الحجاج الاختلاف إليه ، فلما وقع بين محمد بن يحيى والبخاري ما وقع في مسألة اللفظ ، ونادى عليه ، ومنع الناس عن الاختلاف إليه ، حتى هجر وخرج من نيسابور ؛ في تلك المحنة قطعه أكثر الناس غير مسلم فإنه لم يتخلف عن زيارته، فأنهى إلى محمد بن يحيى أن مسلم بن الحجاج على مذهبه قديماً وحديثاً وأنه عوتب على ذلك بالعراق والحجاز ولم يرجع عنه ، فلما كان في يوم مجلس محمد بن يحيى قال في آخر مجلسه: ألا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا. فأخذ مسلم الرداء فوق عمامته وقام على رؤوس الناس ، وخرج من مجلسه ، وجمع كل ما كتب منه وبعث به على ظهر حمال إلى باب محمد بن يحيى ، فاستحكمت تلك الوحشة وتخلف عن زيارته". وغادر البخاري نيسابور بعد هذه الحادثة درءاً للمفاسد ووأداً للفتنة وإيثاراً للسلامة في دينه، قال أحمد بن سلمة النيسابوري: "دخلت على البخاري فقلت: يا أبا عبد الل ه، هذا رجل مقبول ، خصوصا في هذه المدينة ، وقد لج في هذا الحديث حتى لا يقدر أحد منا أن يكلمه ، فما ترى؟ فقبض على لحيته ثم قال: (وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد). اللهم إنك تعلم أني لم أرد المقام بنيسابور شراً ولا بطراً ولا طلباً للرياسة. وإنما أبت علي نفسي في الرجوع إلى وطني لغلبة المخالفين ، وقد قصدني هذا الرجل حسدا لما آتاني الله لا غير. يا أحمد إني خارج غدا لتتخلصوا من حديثه لأجلي. قال: فأخبرت أصحابنا ، فوالله ما شيعه غيري. كنت معه حين خرج من البلد. وأقام على باب البلد ثلاثة أيام لإصلاح أمره". قال الذهبي معلّقاً وموضّحاً موقف البخاري من المسألة: «وأما البخاري ، فكان من كبار الأئمة الأذكياء ، فقال:ما قلت: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة ، وإنما حركاتهم ، وأصواتهم وأفعالهم مخلوقة ، والقرآن المسموع المتلو الملفوظ المكتوب في المصاحف كلام الله ، غير مخلوق. وصنف في ذلك كتاب (أفعال العباد) مجلد ، فأنكر عليه طائفة ، وما فهموا مرامه كالذهلي ، وأبي زرعة ، وأبي حاتم ، وأبي بكر الأعين ، وغيرهم». ونصر ابن القيّم مذهب البخاري في المسألة وصرّح بأن البخاري أعلم بهذه المسألة وأولى بالصواب فيها من جميع من خالفه. قال: "قول السلف وأئمة السنة والحديث ، أنهم يميزون بين ما قام بالعبد وما قام بالرب ، والقرآن عندهم جميعه كلام الله ، حروفه ومعانيه ، وأصوات العباد وحركاتهم ، وأداؤهم وتلفظهم ، كل ذلك مخلوق بائن عن الله. فإن قيل: فإذا كان الأمر كما قررتم فكيف أنكر

الإمام أحمد على من قال: لفظي بالقرآن مخلوق. وبدعه ونسبه إلى التجهم ، وهل كانت محنة أبي عبد الله البخاري إلا على ذلك حتى هجره أهل الحديث ونسبوه إلى القول بخلق القرآن. قيل: معاذ الله أن يظن بأئمة الإسلام هذا الظن الفاسد ، فقد صرح البخاري في كتابه (خلق أفعال العباد) وفي آخر (الجامع) بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وقال: حدثنا سفيان بن عيينة قال: أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة ، منهم عمرو بن دينار يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق. قال البخاري: وقال أحمد بن الحسين حدثنا أبو نعيم حدثنا سليم القاري قال سمعت سفيان الثوري يقول: قال حماد بن أبي سليمان: أبلغ أبا فلان المشرك أني بريء من دينه ، وكان يقول: القرآن مخلوق ، ثم ساق قصة خالد بن عبد الله القسري وأنه ضحى بالجعد بن درهم وقال إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما ثم نزل فذبحه. هذا مذهب الإمام البخاري ومذهب الإمام أحمد وأصحابهما من سائر أهل السنة ، فخفي تفريق البخاري وتمييزه على جماعة من أهل السنة والحديث ، ولم يفهم بعضهم مراده وتعلقوا بالمنقول عن أحمد نقلاً مستفيضاً أنه قال: من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي: ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع ، وساعد ذلك نوع حسد باطن للبخاري لما كان الله نشر له من الصيت والمحبة في قلوب الخلق واجتماع الناس عليه حيث حل ، حتى هضم كثير من رياسة أهل العلم وامتعضوا لذلك ، فوافق الهوى الباطن الشبهة الناشئة من القول المجمل ، وتمسكوا بإطلاق الإمام أحمد وإنكاره على من قال لفظي بالقرآن مخلوق وأنه جهمي ، فتركب من مجموع هذه الأمور فتنة وقعت بين أهل الحديث". ولقد توجّه الإمام البخاري عائداً إلى بلدته بخارى بعد خروجه من نيسابور ، فاستقبله الناس هناك بحفاوة وإكرام بالغين. قال أحمد بن منصور الشيرازي: «سمعت بعض أصحابنا يقول: لما قدم البخاري بخارى نصب له القباب على فرسخ من البلد ، واستقبله عامة أهل البلد ونثر عليه الدنانير والدراهم والسكر الكثير». فمكث مدّة يحدّث في مسجده ، فسأله أمير بخارى خالد بن أحمد بن خالد أن يحضر إلى منزله ويقرأ كتبه على أولاده فامتنع البخاري من ذلك لئلا يحابي ناساً دون آخرين ، فروى الخطيب البغدادي قال: «أن خالد بن أحمد الذهلي الأمير خليفة الطاهرية ببخارى سأل أن يحضر منزله فيقرأ «الجامع» و«التاريخ» على أولاده فامتنع أبو عبد الله عن الحضور عنده ، فراسله أن يعقد مجلساً لأولاده لا يحضره غيرهم فامتنع عن ذلك أيضا وَقَالَ: لا يسعني أن أخص بالسماع قوماً دون قوم» وفي رواية أخرى قال: «بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخارى إلى محمد ابن إسماعيل أن أحمل إلي كتاب "الجامع" و"التاريخ" وغيرهما لأسمع منك ، فقال محمد بن إسماعيل لرسوله: أنا لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس ، فإن كانت لك إلى شيء منه حاجة فأحضرني في مسجدي أو في داري ، فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة إني لا أكتم العلم لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار"». فبقى في نفس الأمير من ذلك وكان هذا سبب الوحشة بينهما ، فاستعان خالد بن أحمد بحريث بن أبي الورقاء ، وغيره من أهل العلم ببخارى عليه ، حتى تكلموا في مذهبه ، واتفق بعد ذلك أن أرسل محمد بن يحيى الذهلي إلى خالد كتاباً يؤلّب فيه الأمير على الإمام البخاري ، فقرأ الأمير كتاب الذهلي على الناس يحرّضهم على مفارقة البخاري فأبى الناس ذلك ، فأمره الأمير بعد ذلك بالخروج من بخارى، فخرج منها. قال أحمد بن منصور الشيرازي: "فكتب بعد ذلك محمد بن يحيى الذهلي إلى خالد بن أحمد أمير بخارى: إن هذا الرجل قد أظهر خلاف السنة. فقرأ كتابه على أهل بخارى، فقالوا: لا نفارقه ، فأمره

الأمير بالخروج من البلد ، فخرج بعد المحنة التي حصلت للإمام البخاري مع أمير بخارى توجّه بعدها إلى خرتنك ، وهي قرية من قرى سمرقند على فرسخين منها ، وكان له بها أقرباء فنزل عندهم. فأقام مدة من الزمن فمرض واشتد مرضه. وقد سُمع ليلةً من الليالي وقد فرغ من صلاة الليل يدعو ويقول في دعائه: «اللهم إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت ، فاقبضني إليك.» وروى محمد بن أبي حاتم قصة وفاته فقال: «سمعت غالب بن جبريل وهو الذى نزل عليه أبو عبد الله يقول: أقام أبو عبد الله عندنا أياماً فمرض واشتد به المرض ، حتى جاء رسول إلى سمرقند بإخراجه ، فلما وافى تهيأ للركوب ، فلبس خفيه وتعمم، فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها وأنا آخذ بعضده ورجل آخر معى يقود الدابة ليركبها ، فقال رحمه الله: أرسلوني فقد ضعفت. فدعا بدعوات ثم اضطجع ، فقضى رحمه الله. فسال منه من العرق شئ لا يوصف. فما سكن منه العرق إلى أن أدرجناه في ثيابه. وكان فيما قال لنا وأوصى إلينا: أن كفنونى في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة ففعلنا ذلك. فلما دفناه فاح من تراب قبره رائحة غالية فدام على ذلك أياماً، ثم علت سوارى بيض في السماء مستطيلة بحذاء قبره فجعل الناس يختلفون ويتعجبون. وأما التراب فإنهم كانوا يرفعون عن القبر حتى ظهر القبر ولم يكن يقدر على حفظ القبر بالحراس وغلبنا على أنفسنا فنصبنا على القبر خشباً مشبكاً لم يكن أحد يقدر على الوصول إلى القبر. وأما ريح الطيب فإنه تداوم أياما كثيرة حتى تحدث أهل البلدة وتعجبوا من ذلك. وظهر عند مخالفيه أمره بعد وفاته وخرج بعض مخالفيه إلى قبره وأظهر التوبة والندامة.» وروى الخطيب البغدادي قال: "أخبرنا علي بن أبي حامد الأصبهاني في كتابه قال: حدثنا محمد بن محمد بن مكي الجرجاني قال: سمعت عبد الواحد بن آدم الطواويسى قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ومعه جماعة من أصحابه ، وهو واقف في موضع فسلمت عليه فرد السلام. فقلت: ما وقوفك يا رسول الله؟ فقال: أنتظر محمد بن إسماعيل البخاري. فلما كان بعد أيام بلغني موته ، فنظرنا فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيها. وكانت وفاته ليلة عيد الفطر السبت 1 شوال 256هـ عند صلاة العشاء وصلي عليه يوم العيد بعد الظهر ودفن ، وكان عمره آنذاك اثنين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً. وقبره معروف إلى الآن وله ضريح مشهور في سمرقند. وأما عن ثناء العلماء عليه ، فلقد كان البخاري موضع تقدير من شيوخه وأقرانه فتحدثوا عنه بما هو أهله وأثنوا عليه ، قال النووي: «واعلم أن وصف البخاري، رحمه الله ، بارتفاع المحل والتقدم في هذا العلم على الأماثل والأقران ، متفق عليه فيما تأخر وتقدم من الأزمان ، ويكفى في فضله أن معظم من أثنى عليه ونشر مناقبه شيوخه الأعلام المبرزون ، والحُذَّاق المتقنون». وكذلك غيرهم ممن عاصره أو جاء بعده ، فمن أقوال العلماء فيه:- قال أحمد بن حنبل: "ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل البخاري". وقال قتيبة بن سعيد: "يا هؤلاء ، نظرت في الحديث وفي الرأي ، وجالست الفقهاء والزهاد والعباد ، فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل". وقال أبو حاتم الرازي: "محمد بن إسماعيل أعلم من دخل العراق". وقال محمد بن أبي حاتم: «سمعت محمود بن النضر أبا سهل الشافعي يقول: دخلت البصرة والشام والحجاز والكوفة ورأيت علماءها فكلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل فضلوه على أنفسهم». وقال: "سمعت يحيى بن جعفر البيكندي يقول: لو قدرت أن أزيد من عمري في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت فإن موتي يكون موت رجل واحد وموت محمد بن إسماعيل فيه ذهاب العلم". وقال مسلم بن الحجاج للبخاري: "دعني أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله".

وقال الترمذي: "لم أر أحدا بالعراق، ولا بخراسان، في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد كبير أحد أعلم من محمد بن إسماعيل". وقال أبو أحمد الحاكم: "كان البخاري أحد الأئمة في معرفة الحديث وجمعه. ولو قلت: إني لم أر تصنيف أحد يشبه تصنيفه في المبالغة والحسن لرجوت أن أكون صادقاً". وقال ابن خزيمة: "ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحفظ له من محمد بن إسماعيل البخاري". وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي: "حدّثني حاتم بن مالك الورّاق قال:سمعت علماء مكة يقولون: محمد بن إسماعيل إمامنا ، وفقيهنا وفقيه خراسان". وقال أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: "هو إمام أهل الحديث بلا خلاف بين أهل النقل". وقال أبو الحجاج المزي: "إمام هذا الشأن والمقتدى به فيه والمعول على كتابه بين أهل الإسلام". وقال الذهبي: «البخاري شيخ الإسلام وإمام الحفاظ. كان رأسًا في الذكاء ، رأسا في العلم ، ورأسًا في الورع والعبادة». وقال: «كان من أوعية العلم يتوقد ذكاء ، ولم يخلف بعده مثله». وقال ابن كثير: «أبو عبد الله البخاري الحافظ ، إمام أهل الحديث في زمانه ، والمقتدى به في أوانه ، والمقدم على سائر أضرابه وأقرانه». وقال زين الدين العراقي: «البخاري الحافظ العلم أمير المؤمنين في الحديث». وقال تاج الدين السبكي: «كان البخاري إمام المسلمين وقدوة المؤمنين وشيخ الموحدين والمعول عليه في أحاديث سيد المرسلين». وقال شمس الدين الكرماني: «البخاري إمام أئمة الحديث ، والمقتدى به في هذا الشأن». وقال ابن حجر العسقلاني: «أبو عبد الله البخاري جبل الحفظ وإمام الدنيا في فقه الحديث». وقال: «هو الإمام العلم الفرد تاج الفقهاء ، عمدة المحدثين ، سيد الحفاظ». وقال ابن ناصر الدين: «تخرج به أرباب الدراية ، وانتفع به أهل الرواية ، وكان فرد زمانه ، حافظاً للسانه ، ورعاً في جميع شأنه ، هذا مع علمه العزيز ، وإتقانه الكثير ، وشدة عنايته بالأخبار ، وجودة حفظه للسنن والآثار ، ومعرفته بالتاريخ وأيام الناس ونقدهم ، مع حفظ أوقاته وساعاته ، والعبادة الدائمة إلى مماته. ولقد كان كبير الشأن ، جليل القدر، عديم النظير ، لم ير أحد شكله ، ولم يخلف بعده مثله». وقال الشوكاني: «البخاري حافظ الإسلام وإمام أئمته الأعلام». وغيرهم كثير. قال ابن حجر العسقلاني: «ولو فتحت باب ثناء الأئمة عليه ممن تأخر عن عصره لفنى القرطاس ونفدت الأنفاس فذاك بحر لا ساحل له». هذا ، ومن أقوال البخاري المأثورة الحكيمة الجميلة: - "ما وضعت في كتابي الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين". – "لا أعلم شيئاً يُحتاج إليه إلا وهو في الكتاب والسنة". – "ما جلست للحديث حتى عرفت الصحيح من السقيم وحتى نظرت في عامة كتب الرأي وحتى دخلت البصرة خمس مرات أو نحوها فما تركت بها حديثًا صحيحًا إلا كتبته إلا ما لم يظهر لي". – "ما أردت أن أتكلم بكلامٍ فيه ذكر الدنيا إلا بدأت بحمد الله والثناء عليه أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً").هـ. وأشكر (الويكيبيديا & الموسوعة الحرة) أن أمدتني بالكثير الموثق الصحيح من المعلومات عن الإمام البخاري – رحمة الله تعالى عليه -! ورغم كل هذا الذي أوردنا عن إمام أهل الحديث الإمام البخاري ، فهل سلم من تطاول المتطاولين وتعييب المعيبين وتخرص الخراصين وإفك الأفاكين وكذب الكاذبين وتلفيق الملفقين وكيد الخائنين الكائدين وحقد الحاقدين من العلمانيين والحداثيين والجهلاء والمتصوفة والمتشيعة؟! بالطبع لا! وتحت عنوان: (أكاذيب حول البخاري) يتحفنا الأستاذ الدكتور معتز الخطيب أستاذ المنهجية والأخلاق - مركز التشريع الاسلامي والأخلاق - جامعة حمد بن خليفة بقوله بتصرفٍ يسير: (شاع في الأيام الأخيرة فيديو بعنوان "حقائق صادمة عن البخاري" نشَره موقع "أصوات مغاربية" ،

وشاركه موقع "قناة الحرة" ، وهو ما أثار عددًا من التساؤلات دفعت بعضهم إلى طلب توضيحات علمية حول محتوى الفيديو. يدور محتوى الفيديو على خمس مسائل رئيسة سأوضحها ثم أبين ما فيها:- المسألة الأولى: يُظهر الفيديو أن نَسَب البخاري يُحيل إلى أنه "ليس عربيًّا" في إشارة مبطَّنة إلى موقف عنصريّ من موقع يدّعي على صفحته أن مهمته إيصال "صوت الأقليات" ، وهذا الوعي القومي مُحدَثٌ ؛ لأن الإسلام شكّل لقرون طويلة ثقافة شعوب متنوعة الأعراق والثقافات من العرب والترك والفرس وغيرهم ، ففكرة تعريف علماء الإسلام (ما قبل الدولة القومية) بأعراقهم هو إسقاط لمشاكل الحاضر على تاريخ رحب وشاسع! فسيبويه إمام العربية لم يكن عربيًّا بهذا المعنى القومي الضيّق). والطريف أن الفيديو يحكي عن البخاري أنه "عاش في أوزبكستان وهي منطقة على الهامش بعيدة عن المراكز الدينية في تلك المرحلة" ، وهذا القول يكشف عن جهل مُعدّي الفيديو بتاريخ بخارى التي تنتمي إلى (تركستان) التي كانت جزءًا من ولاية (خراسان) زمن الأمويين والعباسيين ، وغَدَت بعد الفتح الإسلامي من أهم الحواضر الإسلامية ، وخرج منها الكثير من الفلاسفة والفقهاء والمحدّثين من أشهرهم البخاري وابن سينا ، وفي 1924 م قُسِّمت "جمهورية بخارى" بين طاجكستان وأوزبكستان وتركمانستان ، وباتت مدينة بخارى إحدى المدن المهمة في جمهورية أوزبكستان. ولأهمية بخارى خَصَّها عدد من المؤرخين بكتب مستقلة من أقدمها "تاريخ بخارى" لأبي بكر بن جعفر النرشخي (ت348هـ) ، ومن أحدثها كتاب "تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر" للمستشرق المجري أرمينيوس فامبري كتبه سنة (1872م). الثانية: يقول الفيديو: "شككت كتب كثيرة عبر العصور في أحاديث البخاري" ، وهذه مقولة كاذبة فقد وُجدت انتقاداتٌ محدودةٌ زمانًا ، ومعدودة أحاديثًا ، فلا الكتب كثيرة ، ولا هي "شككت" في أحاديثه ، وسأوضح هذه المسألة لاحقًا ، ولكن يُهمني هنا مناقشة الأسباب التي لأجلها وقع التشكيك - بحسب الفيديو – في أحاديث البخاري وتتلخص في أربع نقاط:- الأولى: بينه وبين الرسول حوالي 200 سنة وهي مدة طويلة مات خلالها كل الصحابة! الثانية: رحلات البخاري إلى بغداد ومكة ومصر كانت قصيرة ولم تكن كافية للسماع من كل الرواة. الثالثة: معظم أحاديث البخاري تساعيات بينه وبين الرسول تسعة رواة ما يوسع مجال النسيان والتدليس أو الكذب والتلفيق. الرابعة: أن 16 سنة مدة وَضْعه لكتابه لا تكفي لتنقيح 600 ألف حديث للتحقق من شرطه ، وهو العدل والصدق وعدم التدليس ، وبحسبةٍ بسيطةٍ يحتاج إلى أكثر من 200 سنة لكي ينقح 600 ألف أي 15 دقيقة لكل حديث وهي غير كافية للقاء الرواة وتطبيق المعايير! ولبيان حجم المغالطة في النقاط الأربع السابقة نقول:- أولاً: طول الفاصل بين البخاري والنبي صلى الله عليه وسلم أو قِصَره ليس معيارًا في الصحة أو الضعف ما دام الاعتماد على آلية الإسناد وعلى معايير علمية للنقد ، كما أن البخاري لم يكن أول من جمع الحديث ودوّنه حتى يُطرح مثل هذا الإشكال المُفتَعَل ؛ فقد سبقه أئمة أعلام من أبرزهم مَعمر بن راشد (ت153هـ) ومالك بن أنس (ت179هـ) ، يضاف إلى ذلك أن آخر الصحابة موتًا كان عامر بن واثلة الكِناني (ت102هـ وقيل 110هـ). ثانياً: أما بخصوص رحلات البخاري فهو يقول عن نفسه: "دخلت إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين ، وإلى البصرة أربع مرات ، وأقمت بالحجاز ستة أعوام ، ولا أُحصي كم دخلت إلى الكوفة وبغداد مع المحدثين" ، وكان قد سمع ببُخارى وبَلْخ ومَرْو والري وبغداد والبصرة والكوفة ومكة والمدينة ومصر والشام وغيرها من حواضر الإسلام وأطال الرحلة وتوسع ، وتقول كتب التراجم: إنه كتبَ عن ألف وثمانين نفسًا. ثالثاً:

أطول سند في البخاري هو سند تُساعي ، وهو حديث "ويل للعرب من شر قد اقترب" الذي أخرجه البخاري في كتاب الفتن وفيه أربع صحابيات ، في حين أن البخاري حين يَنزل في الإسناد يَصل إلى سداسي أو سباعي ، وذلك لمعنى أو فائدة استدعت الإفراد بالبحث والدراسة ، وفي بعض الأحيان يكون قد روى الحديثَ نفسه بالإسناد العالي في موضع آخر ، ولا أريد أن أفصّل في هذه المسألة التقنية ، ولكن حسبي أن أذكر أيضًا أن للبخاري ثلاثيات (بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة رواة فقط) ، وهي من مزايا صحيحه التي دفعت العلماء إلى العناية بها وممن جمعها أبو الخير محمد بن موسى الصفار (عندي نسخة خطية منه) ، وعلي بيومي (عندي نسخة خطية منه) ، أي أن في أعلى طبقات شيوخ البخاري مَنْ حَدَّثه عن التابعين. رابعاً: انتخب البخاري صحيحه في 16 عامًا ، وقد روى أبو علي الغساني عن البخاري أنه قال: "خرّجت الصحيح من ستمئة ألف حديث". والحسبة الرياضية التي قام بها الفيديو لا تقوم على أساس علميّ ؛ لأنها مبنية على تصورات مغلوطة عن مفهوم الحديث وهو هنا الطريق (الإسناد) وليس المتن ، ولذلك كان حفاظ الحديث يَجمعون المتن الواحد من طرق كثيرة لاختباره ونقده ويسمون كل طريق حديثًا ، ولا بد من القول: إن هذه الطرق تدور على أسماء شيوخ عددهم محصورٌ لا يصل إلى ذلك الرقم الضخم المُتَوَهَّم والذي تمت قسمته ، فعدد رجال البخاري كلهم في الصحيح هو (1525) رجلاً ، وقد درَسهم الإمام أبو نصر البخاري الكلاباذي (398هـ) وغيره وأفردوهم بكتب مستقلة). ثم إن الحسبة تقوم أيضًا على تصور مغلوط عن منهج وطرائق نقد الأسانيد ؛ لأن الخبرة بالحديث والتخصص فيه ومعايشته من شخص متفرغ منذ سِنيه الأولى لا تُحتَسب بهذه الطريقة ، فالفيديو أسقط خبرة البخاري ما قبل هذه ال(16) سنة ، وقد قال أبو بكر الأَعْيَن: "كتبنا عن محمد بن إسماعيل وهو أمرد" ، وقد بدأ البخاري التصنيف في قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم وهو ابن ثمان عشرة سنة. وتتجاهل تلك الحسبة خبرة شيوخ البخاري ومعاصريه ضمن جماعة المحدّثين (الجماعة العلمية) ، فالبخاري لم يبدأ من فراغ بل بنى على معارف مَن سبقوه أيضًا ، وشارك معاصريه كذلك فقد قال الحافظ أبو جعفر العُقَيلي: "لما ألف البخاري كتاب الصحيح عَرَضه على أحمد بن حنبل ويحيى بن مَعين وعلي بن المَديني وغيرهم ، فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة إلا في أربعة أحاديث. والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة". أما بخصوص شرط البخاري فهي مسألة طال فيها كلام العلماء ، والشروط التي ذكرها الفيديو هي اختزال مُخلّ لشروط الحديث الصحيح ، فقد كان البخاري أشدَّ المحدثين مذهبًا في قبول الحديث ، ففي العنعنة مثلاً كان يشترط اللقاء ولو مرةً بين الراويين ولا يكتفي بشرط المعاصرة كالإمام مسلم ، وقد استقر لدى العلماء أن شرط الحديث الصحيح أن يكون إسناده متصلاً بنقل العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة قادحة ، وفي تفاصيل هذه الشروط كلام طويل وتطبيقات مختلفة. النقطة الثالثة في الفيديو هي قوله: إن "شخصية البخاري لم تكن – أبدًا – موضع إجماع بين علماء المسلمين ؛ فقد جَرَحه عددٌ من أئمة عصره ، منهم: أبو حاتم الرازي ، وابنه عبد الرحمن، ومحمد بن يحيى الذُّهلي". وهذا تدليسٌ ؛ فالبخاري كان محلَّ قبولِ وثناء عامة الأئمة عبر التاريخ ، فقد قال أحمد بن حنبل: "ما أخرجتْ خراسان مثلَ محمد بن إسماعيل البخاري" ، وأفاض الحافظ الخطيب البغدادي في بيان مكانة البخاري في حواضر الإسلام: البصريين والحجازيين والكوفيين والبغداديين وأهل الريّ وخراسان ، وقال الإمامان النووي والطوفي: "تلقيب البخاري ومسلم بإمامَي المحدّثين هو باعتبار ما كانا عليه من الورع والزهد والجد

والاجتهاد في تخريج الصحيح حتى ائتم بهما في التصحيح كلٌّ من بعدهما". وقال الحافظ الترمذي: "لم أرَ بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلمَ من محمد بن إسماعيل البخاري". أما الأسماء المذكورة في الفيديو وهي ثلاثةٌ (أبو حاتم الرازي وابنه عبد الرحمن الرازي والذهلي) ، فهي ترجع إلى مسألةٍ محددةٍ ومصدر واحدٍ فقط ، كما يوضح عبد الرحمن الرازي نفسه بقوله: "سمع من البخاري أبي [أبو حاتم] وأبو زُرعة ، ثم تَرَكا حديثَه عندما كَتَب إليهما محمد بن يحيى [الذهلي] النيسابوري أنه أَظهر عندهم أن لَفظَهُ بالقرآن مخلوقٌ" ، وقد تعجب العلماء بعد ذلك من هذا الموقف ، كما فعل الإمام تاج الدين السبكي وغيره ، والمسألة ليست شخصَ البخاري ولا صحيحَه ، وإنما هي مسألة القول بخلق القرآن التي شقت صفوف المحدثين في ذلك الزمان ، وأن مصدر التهمة هو الذّهلي نفسه ، ولذلك دأب كل من كتب عن البخاري قديمًا وحديثًا على مناقشة هذا الموقف من الذهلي ، وهذا شائع في كتب التراجم. وصحيح البخاري أصحَّ كتابٍ بعد القرآن (فيما يخص نصوص الشرع) فهو محل اتفاق بين عامة العلماء عبر القرون بعد أن أصبح البخاري محل قَبول منهم على كثرة دراسته والكتابة عنه أو عن جانب منه. وقد كان الذهليّ نفسه يحث الناس على حضور مجلس البخاري ، ثم ساءت العلاقة بينهما ، ووشى الذهلي بالبخاري إلى خالد بن أحمد (أمير بخارى) قائلاً: "إن هذا الرجل قد أظهر خلاف السنَّة" ، يقصد القولَ بخلق القرآن ، رغم أن البخاري لم يكن يقول بذلك ، قال الإمام السبكي: "فافهم ذلك ، ودعْ خرافات المؤرخين ... ولا يرتاب المنصف في أن محمد بن يحيى الذهلي لَحِقته آفة الحسد التي لم يَسلم منها إلا أهل العصمة" ، وقد تتلمذ للبخاري كلٌّ من أبي حاتم وابنه عبد الرحمن قبل أن يستجيبا لطلب الذهلي ، واعتمد أبو زرعة الرازي في جَرْحه لبعض الرواة على كلام البخاري نفسه فيهم ونقَل جرحَه لهم. النقطة الرابعة في الفيديو هي قوله: "هناك علماء آخرون طعنوا في صحيح البخاري ، كالدارقطني ، والغساني الجَيَّاني والحافظ زين الدين وغيرهم". وهكذا يخلط الفيديو بين شخص البخاري وبين صحيحه ، فالرازيان: الأب والابن ، والذهلي لم يتكلموا عن صحيح البخاري أصلاً ، وإنما عن رأيه في مسألةٍ واحدةٍ لا علاقة لها بالحديث ، أما الأسماء الثلاثة المذكورة هنا فهي تلبيسٌ من معدّي الفيديو فلا نعرف من هذا "الحافظ زين الدين" ، والدارقطني (ت385هـ) والغساني (ت498هـ) لم يَطعنا في صحيح البخاري ، بل كانت لهما بعض الانتقادات من حيث الصنعة الحديثية ، وأضيفُ إليهم أبا مسعود الدمشقي الحافظ (ت401هـ). فالدارقطني نقَد مئتي حديث فقط (من آلاف!) استدرك فيها على البخاري ومسلم أحاديث رأى أنهما أَخَلَّا بشرطهما فيها وأنها نزلت عن دَرَجة ما التزماه في كتاب سماه (الإلزامات والتتبع) ، أما أبو مسعود الدمشقي فقد كتب استدراكًا أيضًا ، وكتب الغساني كتاب "تقييد المهمل" في نقد (بعض) رواة البخاري ، وقد أجابَ الإمام النووي وغيره عن نقد الدارقطني بأن طعن الدارقطني فاسدٌ ومبني على قواعدَ (لبعض) المحدثين هي ضعيفةٌ جدًّا ومخالِفةٌ لِمَا عليه الجمهور من أهل الفقه والأصول ولقواعد الأدلة قائلاً: "فلا تغترَّ بذلك". وجملةَ الانتقادات التي وُجهت إلى صحيح البخاري هي انتقاداتٌ تِقنيةٌ لا تتناول ما يسعى إليه الناقدون اليوم من رد أحاديث البخاري أو الطعن في صحيحه ، وهي ترجع في الجملة إلى الاحتلاف في بعض قواعد النقد بين المحدثين أنفسهم ، فبعضهم يُشدد فيها ، وبعض يتخفف في كونه شرطًا للحديث الصحيح أو لا ، وهي مسائل اجتهادية لا صلة لها بالطعن أو التكذيب. أما كون صحيح البخاري أصحَّ كتابٍ بعد القرآن (فيما يخص نصوص الشرع) ، فهو محل اتفاق

بين عامة العلماء عبر القرون بعد أن أصبح البخاري محل قَبول منهم على كثرة دراسته والكتابة عنه أو عن جانب منه ، وقد أقر بهذا أئمة كالحافظ النسائي ، وحكى الاتفاقَ عليه أئمة كابن الصلاح والنووي والطوفي وآخرين. وقد رَوَى عن البخاري عددٌ كبير من تلامذته كمسلم وأبي زُرعة الرازي ، والترمذي وابن خزيمة وخلق كثير. قال ابن خلدون: "البخاري إمام المحدثين في عصره ، فخرّج أحاديث السنة على أبوابها في مسنده الصحيح بجميع الطرق التي للحجازيين والعراقيين والشاميين ، واعتمد منها ما أجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه ، ... أما البخاري – وهو أعلاها رتبة – فاستصعبَ الناسُ شرحَه ، ... وقد سمعتُ كثيرًا من شيوخنا – رحمهم الله – يقولون: شرح كتاب البخاري دَيْن على الأمة" ، أي قبل مجيء الحافظ ابن حجر الذي شرحه شرحًا مستفيضًا سماه "فتح الباري". وقد عدَّ حاجي خليفة (82) شرحًا للبخاري! وقال جمال الدين القاسمي: "لم يبقَ فاضل من علماء المذاهب إلا وعُني به ما بين شارحٍ له وقارئ وساعٍ لتَلَقيه وحريصٍ على سماعه ومفتخِرٍ بالإجازة به وبقُرب السند إلى جامعِه ، حتى إن أرباب الأَثْبات والمُسَلْسلات نوَّعوا الاتصالَ بجامعه [البخاري] بأسانيدَ غريبة ، ما بين شامي وحجازي ومصري وعراقي وهندي ومغربي وروَوْه مُسَلْسَلاً بالشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة. كان الإمام البخاري مجتهدًا مطلقًا في الفقه ، ولذلك لا يصح انتسابه إلى أي مذهب فقهي ، وقد استُنبط فقهه من عناوين تراجم أبواب كتابه. المسألة الخامسة قول الفيديو: "البخاري صاحب أحاديث قتل المرتد ، وحد الرجم ، والماعز التي التهمت آيات فُقدت من القرآن. وحديث أن الرسول حاول الانتحار". وهذا أيضًا كذبٌ من عدة أوجه:- الأول: أنه يحاول أن يُلصق كل الأحاديث المُشكلة بشخص البخاري للتنفير منه والطعن في كتابه ، في حين أن البخاري هو أولُ مَن صنَّف في "الصحيح المجرد" عن غيره من أنواع الحديث ، لا أول من صنف في الحديث مطلقًا. الثاني: أن قصة الشاة التي أكلت في بيت عائشة صحيفةً كان مكتوبًا عليها آية من القرآن ليست في البخاري أصلاً ، وتَفَرد بها محمد بن إسحاق ولكن البخاري لا يروي عن ابن إسحاق في كتاب الصحيح ، وقد روى هذه القصة أحمد وابن ماجه ولا تَثبت ؛ لعدة علل إحداها: مخالفتها لرواية الأئمة الثقات فهي شاذة. الثالث: أن حديث قتل المرتد لم يكن البخاري أولَ من رواه ، فقد رواه قبلَه الإمام الشافعي (204هـ) ، وابنُ أبي شيبة (235هـ) ، وأحمد بن حنبل (241هـ). الرابع: أن حديث أن الرسول بعد انقطاع الوحي حاول أن "يَتردى من رؤوس شواهق الجبال" هو من كلام الزهري وليس من كلام عائشة صاحبة الحديث الأصلي ، والبخاري عزاه للزهري (من بلاغات الزهري باصطلاحهم) وهو غير صحيح على شرط البخاري ، ولذلك قال الشيخ ناصر الدين الألباني: "هذا العزو للبخاري خطأ فاحش ، ذلك لأنه يُوهم أن قصة التردي هذه صحيحة على شرط البخاري ؛ وليس كذلك. والخلاصةُ أن أحاديث البخاري في الصحيح بلغت بالمكرر (سوى المُعلَّقات والمتابَعات) (7397) حديثًا ، وقد انتقد العلماء منها (110) أحاديث ، منها (32) حديثًا وافق البخاريَّ عليها الإمام مسلمٌ، بينما انفرد البخاري ب (78) حديثًا. قال الحافظ ابن حجر: "وليست عِلَلها كلها قادحة ، بل أكثرها الجواب عنه ظاهر ، والقدح فيه مندفعٌ ، وبعضها الجواب عنه مُحتمِل ، واليسيرُ منه في الجواب عنه تَعَسُّفٌ". وقد ناقشها حديثًا حديثًا في كتاب "هدي الساري". وقد فهم بعض الحفاظ من هذا عِظَم البخاري ؛ إذ إن نسبة ما هو منتقد إلى ما لم يُنتَقَد هي عُشر العشر. أو كما قال القاسمي: ففي كل مئة حديث منها حديثٌ منظورٌ فيه. وكان الإمام البخاري مجتهدًا مطلقًا في الفقه ، ولذلك لا يصح انتسابه إلى أي مذهب فقهي ، وقد استُنبط فقهه من عناوين تراجم

أبواب كتابه ، ومن آرائه الفقهية الرائعة: أن الجُنُب لا بأس بقراءته للقرآن ، وأن الغسل من الجِماع لا يجب إلا عند الإنزال ولكنه أَحوط ، وأن فخذ الرجل ليس بعورة ، وجواز دخول المشرك المسجد ، وجواز الصلاة في الكنيسة التي ليس فيها تماثيل ، وجواز إمامة المبتدع للصلاة ، وجواز خدمة المرأة الرجال وقيامها عليهم ، وغير ذلك. ولكن هل يعني كل ما سبق أن البخاري معصوم؟ أو أن كل حديث في الصحيح هو صحيح (قطعًا) في نفس الأمر؟ أو أنه يجب العمل بكل حديث في صحيح البخاري؟ الجواب بالتأكيد لا ؛ لأن كتب الحديث لا تعدو أن تكون (مجاميع) للأحاديث المسندة والموثوقة على شرط أصحابها ، ولكن الذي منح البخاري قيمة أعلى هو تلقي العلماء له وتوافقهم عليه ، دون أن يعني ذلك القطع بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا بالحرف ، ودون أن يعني ذلك أن كل حديث في البخاري يجب العمل فيه ؛ لأنه ثمة فارقٌ بين الصحة والعمل ، فقد يصح الحديث ولا يكون موضوعًا للعمل ، كما أن المذاهب الفقهية كلها تأسست قبل وجود صحيح البخاري، واستقرت بعده من دون أن يكون له إسهامٌ أساسيٌّ في تَشَكلها. وفي الختام ، لم أكن أرغب في مناقشة الفيديو لولا إلحاح البعض ، وقد اضطررت للرد لأن مثل هذه المعلومات المُشوّهة تعوّق الفكر النقدي الذي أسعى إليه ؛ فهي تفرض حالةً من السيولة اللا مسؤولة ، ومن نافلة القول بعد كل ما سبق أن نشير إلى أن موقع "أصوات مغاربية" صاحب الفيديو يموله الكونغرس الأمريكي ، ويتبع لشبكة الشرق الأوسط للإرسال التي تدير قناة الحرة وراديو سوا ، وذلك بحسب التعريف الذي وضعه الموقع لنفسه).هـ. وبناءً على هذا كله كانت هذه القصيدة التي تسأل الإمام البخاري: لماذا كادوا لك؟!)

مَـــديحُ (البخـــاريِّ) أرجَـــى القـــربْ! أسَـــــطرُه بمِـــــداد الـــــذهبْ!

ودَيـــــنٌ أوَفيـــــهِ أحلـــــى وفـــــا عطيـــــرَ الســـــجايا رفيـــــعَ الأدب

تـــــأخرْتُ عـــــن رَدِّه موقنـــــاً بـــــأن الأداء علـــــيَّ وجـــــب

وردَّ الجَميـــــل يُـــــديمُ الإخـــــا ويَصـــــرفُ عنـــــا ســـــقيمَ الرِّيَـــــب

(بُخـــــارى) ســـــتفنى وأصـــــقاعُها ويَفنـــــى أعاجمُهـــــا والعـــــرب

ويبقـــــى (البخـــــاري) فـــــي ذِي الـــــدنا عظـــــيمَ المُقـــــام علـــــيَّ الرُّتـــــب

وذي (أوزبكســـــتانُ) كـــــم فـــــاخرتْ بأعلامهـــــا الطيِّبـــــين النّجُـــــب

وإن (البخـــــاري) مِـــــن خيـــــرهم وسُـــــمعتُه فـــــي الـــــورى كالـــــذهب

أبـــــوه تُـــــوُفيَ منـــــذ الصـــــبا فأكملـــــتِ الأم مِشـــــوارَ أب!

فرَبَّـــــتْ فتاهـــــا علـــــى عينهـــــا وكانـــــت علـــــى بـــــذلها تحتســـــب

أعارتْـــــه مِـــــن عِلمهـــــا حِصـــــة وأعطتْـــــه مِـــــن حَزمهـــــا مـــــا يجـــــب

فشـــــبَّ علـــــى العِلـــــم مُســـــتلهماً مفاتيحَـــــه مُـــــوغلاً فـــــي الطلـــــب

وعَـــــى فـــــي الطفولـــــة قرآنـــــه ... ومـــــا عاقـــــه لهـــــوُه واللعـــــب

وحـــــاز الأحاديـــــثَ مُســـــتوعباً ... مَـــداها ، ولـــم يَخترمْـــه النصـــب!

وجَلـــــى أســـــانيدَها ناقـــــداً ... لِمـــا قـــد حـــوتْ أمَّهـــاتُ الكتـــب

وخـــــصَّ الـــــرواة بتحقيقـــــه ... فلـــم يقبـــل الـــراويَ المضـــطرب

لـــــه مـــــنهجٌ صـــــارمٌ مُنصِـــــفٌ ... وحَـــزمٌ تعجَّـــبَ منـــه العجـــب!

ويكفيـــه سِـــفرُ (الصـــحيح) الـــذي ... بمـــا قـــد حـــوى حـــاز أســـمى لقـــب

وكـــم (للبخـــاري) مِـــن رحلـــةٍ! ... وهـــل رحلـــة لـــيس فيهـــا تعـــب؟!

ففـــي (مكـــةٍ) وحـــدَها سِـــتة! ... وطـــابَ لـــه العـــيشُ فـــي المُغتـــرَب!

وحَـــلَّ ببغـــدادَ تنتابُـــه ... نســـائمُ مِـــن عِلمهـــا تُرتغـــب

وفـــي (الكُوفـــة) ازدادَ سُـــلطانه ... وفيهـــا المُحَـــدِّثُ ألقـــى الخطـــب

وســـائلْ (دمشـــقَ) وأمصـــارَها! ... وشـــرحُ (البخـــاري) مثـــل الشـــهُب

يُلاقـــي الخصـــومَ ، ويُـــزري بهـــم ... ومِـــن ســـاحة الصـــدع لا ينســـحب

وفـــي (مصـــرَ) نـــاظرَ أعلامَهـــا ... وأدركَ مـــا صـــرَّحُوا عـــن كثـــب

وراجـــعْ (خراســـانَ) عـــن نشـــره ... لِعلـــم الحـــديث إليـــه انجـــذب

تصـــانيفه الناشـــراتُ الهُـــدى ... عَلاهـــا (الصـــحيح) يليـــه (الأدب)!

وأســـفارُه الباعثـــاتُ التقـــى ... وفيهـــا البشـــاراتُ لمَّـــا تغِـــب

و(تاريخـــه) مـــا بـــه مَزلـــقٌ! ... وكـــان لـــه فـــي السِّـــجال الغلـــب

دَواوينـــه فـــي الحـــديث اسْـــتمتْ ... عـــن الزيـــف مـــا رحَّبـــتْ بالكـــذب

لـــه فـــي القبـــول شـــروط قضـــتْ ... بتـــدقيق مـــا خطـــه أو كتـــب

مُعاصَـــرة والســـماعُ لِمـــا ... يقـــولُ الـــرُّواة ، وســـاق الســـبب

وكـــونُ الـــرواة تِقـــاةً خلـــتْ ... تـــراجمُهم عـــن هـــوىً أو شـــغب!

وشـــــرط العدالـــــة والضـــــبط فـــــي ... رُواةٍ أجـــــادوا لســـــانَ العـــــرب

وإتقـــــانهم ســـــابقٌ عِلمهـــــم ... وشـــــرط التـــــوَرُّع كـــــم يُطلـــــب!

ولاقـــــتْ قبـــــولاً كتاباتُـــــه ... قرونـــــاً ، ومـــــا رَدَّهـــــا محتســـــب

إلـــــى أن بُلِينـــــا بهتافـــــةٍ ... يُجيـــدون حَبْـــكَ الفِـــرى عـــن رَغـــب

ولا يتقـــــون إلـــــهَ الـــــورى ... وتخـــــريفهم حُـــــق أن يُجتنـــــب

يَعِيبـــــون شـــــيخ الحـــــديث الـــــذي ... لتنقيحـــــه كـــــم دهتْـــــه الكُـــــرَب!

وكـــــم شـــــككوا فـــــي أحاديثـــــه! ... وأشـــــقاهمُ بـــــالأذي يَختضـــــب!

وذِي سُـــــنة قـــــد خبرنـــــا بهـــــا ... وجيـــــل إلـــــى أهلهـــــا ينتســـــب

فهـــــم يطعنـــــون بـــــذا نـــــاقلاً ... لـــــيُطعَنَ منقولـــــه المســـــتحب!

لمـــــاذا ينـــــالون مِـــــن شـــــيخنا؟ ... بـــــلاءٌ علـــــى صـــــالحينا انكتـــــب!

ولـــــن تحـــــرق النـــــارُ غيـــــرَ الـــــذي ... مِـــــن الجمـــــر إمَّـــــا تصَـــــلى اقتـــــرب!

أجـــــبْ يـــــا (بخـــــاريُّ) أشـــــياخهم ... عـــــن العِلـــــم مَـــــرتْ عليـــــه الحقـــــب

وجـــــاء الألـــــى جنـــــدلوا كُنهـــــه ... وفـــــيهم غـــــدا الـــــرأسُ أشـــــقى ذنـــــب!

وكيـــــف تصـــــدَّرَ جُهـــــالهم ... ووصَـــــفهم مَـــــن عَتَـــــوْا بالنّخَـــــب؟!

فمَـــــن رشَّـــــحَ البُلـــــهَ كـــــي يَســـــتموا؟! ... ومَـــــن خيَّـــــرَ الغِـــــرَّ أن ينتخـــــب؟!

ســـــيبقى (البخـــــاريُّ) أســـــتاذنا ... وســـــيدَنا ، رغـــــم أنـــــف العُصُـــــب!

وأســـــفارُه ســـــوف تمحـــــو الـــــدجى ... وتقشـــــعُ بـــــالحق أخـــــزى السُّـــــحُب

عليـــــه مِـــــن الله رَحْماتُـــــه ... ونـــــال المُنـــــى وجَميـــــلَ القـــــرب!

ما غابت الشمس!

(محاكاة لنص الشمس غابت للشاعرة نسرين بدر)

(أحاكي قصيدة الشاعرة القديرة نسرين بدر: (الشمس غابت) ، وذلك لِما لمستُ فيها من دِقة التشخيص للواقع ومعالجته بالشعر! الأمر الذي يعجز عنه حقاً كثيرٌ من الشعراء! حيث ينجحون في تشخيص الواقع ، ولا تكون منهم ولو بادرة واحدة في إصلاحه! لكن المتتبع لشعر نسرين بدر يجدُها تنفعل وتتعاطف وتشخص وتعالج! فجزاها الله خيراً كثيراً عن أرض الرباط وأهلها! وتبدأ نسرين بدر بوصف حالتها وشعورها عندما هالتْها الأخبارُ المُفجعة ، فتقول:-

سهمٌ أصاب القلبَ طاف بداري! عين الخلائق أغلقتْ بعوار!

وتعرقلتْ كل الظروف بغزةٍ وتعالتِ الدنيا على أسواري

وتستمر الشاعرة في السرد الشعري الدقيق لمأساة غزة وأهلها ، وتوصي الجميع بأن لا ييأسوا من النصر المبين الوشيك ، حتى تختم قصيدتها برسم صورة تفاؤلية فتقول:-

ستعود بالإصرار (غزة هاشم) فالله يخسفُ طغمة الأشرار

إنا عُتاة لا نلينُ لظالم والله ناصرُنا على الكفار

وبديننا نعلو وهدي نبينا سنسودُ فوق العالم المنهار

والحقيقة أنني أخذت بجمال النص وعذوبة الكلمات ، فكانت مُحاكاتي لهذا الجمال الشعري.)

(نسرينُ) شمسُكِ في السماء تُواري ما لاحَ من سُحُب ، ومن أمطارِ

وتُخبِّيء النصرَ المبين تدللاً ووراءها أخفتْ سنا الأقمار

وتُدَثرُ الفجرَ الوليدَ تشوقاً للصبح إما شط في الإسفار

ما (غابتِ الشمسُ) اهدئي ، وتدبري فضياؤها يأوي إلى الإبصار

هذا خيالُ الشعر يا أخت الهُدى أوَتذهبين ضحية الأشعار؟!

كم من قصائدَ أوغلتْ في حزنها! والحزنُ يرفلُ في أذىً وضِرار!

ولطالما شحذ اليراعُ نفوسَنا فإذا بها في أوج الاستبشار

ولطالما وأدَ التفاؤلَ غِيلة فإذا بنا في محنة وخسار

ولطالما أهدى الضمائرَ شُحنة من طيب الإطراء والإكبار

ولطالمـــــا قمـــــعَ العـــــزائم جهـــــرة ... فأصـــــابها بمَغبـــــة الأكـــــدار!

(نســـرينُ) شمسُـــكِ لـــم تغـــبْ ، فاستبشـــري ... والخيـــرُ خلـــف مطـــارق الأقـــدار

هـــي أزمـــة ســـتمرُّ مهمـــا أثقلـــتْ ... والأمـــرُ أمـــرُ الواحـــد القهـــار

لـــو شـــاء ربـــكِ لـــم يُمَكـــنْ للألـــى ... فجَـــروا ، فلـــيس النصـــرُ للفجـــار!

واســـتقرئي التـــاريخ حتـــى تعلمـــي ... أن الهزيمـــة ديـــدنُ الكفـــار

كـــم كابـــدتْ (أرضُ الربـــاط) مَعامعـــاً ... مُنيـــتْ بالاســـتعمار والأخطـــار!

كـــم أزهقـــتْ أرواحُ قـــوم أبريـــا! ... ودمـــاؤهم ســـالت كمـــا الأنهـــار!

كـــم مـــن حرائـــرَ ذقـــنَ ألـــوان الـــبلا! ... هـــل راشـــدٌ فـــي ســـحقهن يُمـــاري؟!

و(القـــدسُ) كـــم عانـــت و(غـــزة) عنـــدما ... نقـــمَ العِـــدا كأوابـــدٍ وضـــواري!

وديارُنـــا قاســـتْ تخـــاذل أهلهـــا ... أواه إنْ ظفـــرَ العِـــدا بـــديار!

واستبســـلَ الأبطـــالُ مـــن أهـــل الحِمـــى ... وتـــرَينهم هبـــوا لأخـــذ الثـــار!

(نســـرينُ) شمسُـــكِ بـــالقريض تفاءلـــتْ ... وحَبَتْـــكِ أطيافـــاً مـــن الأنـــوار

وقصـــائد (النســـرين) عـــاطرة الســـنا ... عطـــراً يزيـــد علـــى شـــذى الأزهـــار

خطـــتْ بيُمناهـــا القصـــائدَ غضـــة ... عـــن (غـــزةٍ) ، عـــن آخـــر الأخبـــار

كـــم وثقـــتْ مـــا قصَّـــدتْ ، وتجَشَّـــمتْ ... عـــبءَ المشـــقة فـــي لهيـــب النـــار!

كـــم كشـــفتْ ضـــنكَ المَجـــازر حِســـبة ... حتـــى تُبـــينَ هجمـــة الأشـــرار!

ســـتعود (غـــزة هاشـــم) ، لا تيأســـي ... وثقـــي بنصـــر الغالـــب الجبـــار

مأساة سُليمى!

(محاكاة لنص مأساة سُليمى للشاعرة العامرية)

(أحاكي نص: قفي يا سُليمى للشاعرة العامرية ، لِمَا ألفيتُ فيه من عذوبة نص وجمال فكرة ودقة معالجة للواقع! وللشاعرة العامرية عدة قصائد تتفاعل فيها لأرض الرباط وأهلها بمستقبل عظيم يكون النصر فيه للمؤمنين! وتعود مع النصر الوشيك الكرامة والعزة! وكانت شاعرتُنا العامرية قد استهلت قصيدتها ببكاءٍ على الأطلال لم تقدر عليه وحدها ، فطلبتْ من (سُليمى) أن تشاركها! متأثرة بما حدثَ للديار من قصف همجي بربري غاشم فتقول:-

قفــي يــا سُــليمى دون غــزة وانــدبي ... وهلــي دمــوع العــين ، ثــم تحســبي

وطـــوفي بـــدار للكِـــرام تهـــدَّمتْ ... تضـــمُ رُفـــاة مِـــن أبـــيٍّ وأهيـــب

وتجاوزت الشاعرة البكاء على الأطلال ، لتستأنف وصفَ المأساة. وتناولتْ فيما تناولت التخاذل القائم باكية معنا على المجد التليد والأنفة اليعربية والكرامة المُضرية ، وتختم واصفة حالها:-

فــإني نزفــت الــدمع مــن شــدة الجــوى ... ومــا طــاب لــي نــوم ولا طــاب مشــربي

ومـــــا ذاك إلا أن مجـــــداً تقوضـــــتْ ... مبانيـــه ، أضـــحى كـــالأديم المثقـــب

وتـــــالله لا عَـــــودٌ لأمجـــــاد قومنـــــا ... إذا لـــم نكـــن مثـــلَ دَلاص ومِقضـــب!

وأراها نجحتْ نجاحاً باهراً في محاكاة القصيدة العربية الجاهلية الأولى مستوفية شروطها ، وتفردتْ بجديدٍ هو تشخيص الواقع وتحديد طرق علاجه! وكم تطرب نفسي وتسعد روحي عندما أجد شاعراً أو شاعرة يعيش لقضيةٍ وينذر نفسه وشعره لها ، وينتصر لها مهما كانت التكاليف! وأحسب الشاعرة العامرية من هذا النوع! ولستُ أزكي على الله ربي أحداً! والله تعالى حسيبها ووكيلها ، وهو سبحانه أعلم بها مني! والآن نطالع المحاكاة العامرية!)

(سُـــليمى) أطلـــتْ بـــالجَبين المُقطـــبِ ... لتحكـــيَ مأســـاة بقلـــب مُعَـــذبِ

وتكشـــفُ أســـراراً تنـــوءُ بحَملهـــا ... وتُـــدلي بـــرأي فـــي الصـــراحة مُعتِـــب

وتفضـــحُ أقوامـــاً تـــأخرَ فضـــحُهم ... وتجتـــثُ إرجافـــاً شـــديدَ التهيـــب

وتُـــزري بألقـــاب تســـامى احترامُهـــا ... لأصـــحابها شـــأنٌ رَفيـــعٌ ومَوكـــب

تقـــولُ: فجعـــتِ القلـــبَ يا(ابنـــة عـــامر) ... فمـــا لـــي وقـــد فـــاض الجـــوى أيُّ مَهـــرب

نكـــأتِ جراحـــي ، فاســـتحالَ علاجُهـــا ... ومـــا طـــابَ لـــي فـــي عِيشـــتي أيُّ مـــأرب

أنـــا قصـــة مَكلومـــة نصُّـــها اســـتمى ... فمـــا تُليـــتْ ، أو داعبـــتْ قلـــبَ مطـــرب

أنـــا مـــن عقـــود ســـبعة لســـت حـــرة ... وداري تُعـــاني فـــي الـــدنا كيـــد أذؤب

وسُـــوآى ذوي قربـــايَ أعتـــى مـــن الـــردى ... وحُضـــارُ قـــومي قـــد أحيطـــوا بغيـــب

أنـــا أشـــرقتْ شمســـي دهـــوراً تعاقبـــتْ ... ولـــم تمـــتحنْ يومـــاً بمحنـــة مغـــرب

أنـــا مهـــبط الـــوحي الجليـــل تفضـــلاً ... وأرضـــي حَـــوَتْ مـــن كـــل شـــرع ومَـــذهب

وفـــوق ربـــوعي الرُّسْـــل عاشـــوا وبلغـــوا ... وهـــل فـــوق تبليـــغ الهُـــدى أي مكســـب

فـــلا تُكثـــري لـــومي ، فـــإني كســـيرة ... فرقـــي لـــوجْعَى ، إنمـــا الرفـــقُ مطلقـــي

أعاتـــبُ أعرابـــاً تخلـــوا ، وأهملـــوا ... وبـــاعوا الإخـــا ، والخـــذلُ لـــيس بطيـــب

إنْ لـــم أكـــنْ مـــنهم فنصـــري مُحَـــتمٌ ... أنـــا جـــارة ضِـــيمتْ بتـــدبير أكلـــب

فهـــل زاحـــمَ الخـــذلانُ أخـــلاقَ (يعـــرب)؟! ... وأيـــن ســـجايا زيَّنـــتْ سَـــمت يَعـــرب؟!

متـــى كانـــتِ الأعـــرابُ يَرضَـــون ذلهـــم ... ويَلقـــون أعـــداءً ببـــذل التحسُّـــب؟!

متـــى سَـــلّمَ الأعـــرابُ دُوراً مِـــن الحِمـــى ... لكـــي يَســـلموا مِـــن بطـــش عـــاتٍ ومُرعِـــب؟

أثمِّـــنُ شـــعرَ (العامريـــة) أفصـــحتْ ... عـــن الحـــال بـــاللفظ المَشـــوق المُحَبـــب

وأعْلمهـــــا أن الـــــديارَ أبيـــــة ... ومَـــن يَصـــطبرْ يُفلـــحْ ويَـــنجحْ ويَغلـــب

وتاريخنـــا كـــم فيـــه يـــا أختُ مِـــن أســـىً! ... ومَـــن يقـــرأ التـــاريخ يَرشُـــدْ ويَطـــرب

ســـيعلمُ أن الظلـــمَ يَحفـــرُ قبـــرَه ... وإنْ يـــكُ مَحميـــاً بأسْـــدٍ وأعقـــب

لـــيَ اللهُ يـــا أخـــت الهُـــدى خيـــرُ ناصـــر ... ومَـــن ينصـــرِ الـــرحمنُ يَـــربحْ ويَكســـب

وأهـــدي ســـلامي للعـــراق وأهلـــه ... وكـــلِّ هُمـــامٍ لـــوذعيٍّ وأدرب!

هداديك يا عامرية! (معارضة للشاعرة العامرية)

(تأثرتُ كثيراً بما حدث للشاعرة العامرية البدوية العراقية ، حيث إنها لما ابتُليتْ بفقد أمِّها أنشدتْ بيتاً من شِعرها هو السببُ المباشر في كتابتي هذه القصيدة على البحر الطويل! تقول:-

سـأبكيكِ حتى تُنفِدَ العينُ ماءَها ... وأنصبُ ما بين الضلوع مآتما!

فكتبتُ لها أذكّرها بأن الصبر عند الصدمة الأولى ، وأخذتُ على يدها بصدق أن تتماسك وتتجلد وتصطبر ، وناشدتُها بأن تُخليَ عنها الوجدَ والأسى فإنهما يخترمان بأسَ النفس وثباتَ القلب! ومن يتصبرْ يُصبرْه الله تعالى! ومن هنا سطرتُ سِينيتي في مواساة شاعرتنا العامرية! عسى الله تعالى أن يرحم أمها وأمي على وجه الخصوص ، ويرحم أموات المسلمين الذين شهدوا له سبحانه وتعالى بالتوحيد وشهدوا لنبيه بالرسالة والنبوة وماتوا على ذلك على وجه العموم! كما وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا بأن يربط على قلب العامرية كما ربط على قلب أم موسى – رضي الله عنها ، وصلى وسلم وبارك على ابنها الكليم - ، وأن يتقبل هذا التأبين الشعري ، ويأجرني عليه ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن تقع حروفه وكلماته وأبياته على قلب العامرية برداً وسلاماً ، فتكون سبيلاً إلى تصبيرها وطريقاً إلى بذل السلوان بين يديها ، إنه سبحانه ولي ذلك والقادر الوحيد عليه!)

هَـدادَيكِ كُفـي الـدَّمعَ ، واسـتدفِعي الأسـى ... وكـوني بهـذا الـرُّزء مِـن أشـجع النسـا!

ألا وارحمـي نفسـاً دَهتْهـا حُزونهـا ... فكـم ودَّعـتْ بـالأمس يـا أختُ أنفسـا!

وأدري بـأن الأمَّ رُوحٌ لبنتهـا! ... كـأني بهـا جسـمٌ بـروح لـه اكتسـى!

وأوصـيكِ بالصـبر الجميـل تعبُّـداً ... كفـى باصـطبار المـرء فـي الكـرب مُؤنِسـا!

ألا يـا ابنـة البـدو المغـاوير هـوِّني ... عليـكِ اسـتزيدي مـن مُناجـاة (يونُسـا)!

حَنانيـكِ إن الحـزن كـم يُـوغِرُ الصِّـبا! ... فيُمسـي خـواءً مـن قـوى الـنفس مُفلسـا

يَهيـبُ العـراقُ الشـهمُ بـ (ـابنة عـامر) ... بـأن تتـرك الوجـدَ الـذي فـي الحِمـى جسـا

عسـى الله يُحـذيكِ السـكينة تجتنـي ... عـذابَ فـؤادٍ لـم يُطِـقْ ضـنكَه عسـى!

تهُـزُّ ثبـاتَ القلـب سـربلة الجـوى ... فكيـف تلـي قلبـاً علـى البـأس أسِّسـا؟!

ولـن تُرجـعَ البأسـاءُ أمَّـاً إذا قضـتْ ... ولا يُرجـعُ الأحبـابَ إنْ رحلـوا أسـى!

وأذكـرُ (أمـي) يـومَ أبلِغـتُ فقـدَها ... بقِيـتُ حزينـاً طِيلـة الصـبح والمَسـا

وسـالتْ دمـوعُ العـين تنعِـي رحيلهـا ... ودنيـايَ أضـحتْ نصـبَ عينـيَّ حندسـا!

وأطرقـــتُ لـــم أنطِـــقْ لِمَـــا حَـــلَّ كِلمـــة ... كـــأن لســـاني آســـفاً قـــد تيَبَّســـا!

فلمَّـــا قـــرأتُ البيـــت بيتـــكِ راعنـــي ... وأهـدى يراعـي مِـن ضـنى الوجـد أكؤسـا

لأكتـــب نصـــاً ينشـــدُ الرفـــقَ ، يَحتفـــي ... بـــنفس تهـــاوتْ ، عزمُهـــا مـــا تنفســـا

تقـــولين: تبكـــين الأمومـــة فارقـــتْ ... بـــنص وربـــي لـــم يَـــزُرْ قبـــل أروسـا!

ســـتبكين حتـــى ينفـــدَ الـــدمعُ كلـــه ... ومأتمُهـــا قـــد حـــاز فـــي الصـــدر مَجلســـا

فقلـــتُ: لمـــاذا تقتـــلُ الأخـــتُ نفســـها؟! ... وقلبـــي لِمَـــا يلقـــاه مـــن شِـــدةٍ قســـا!

فهـــلا ملكـــتِ الـــنفس يا(ابنـــة عـــامر) ... لكـــي لا يبيـــت القلـــبُ بالوجـــد أتعســـا؟!

أقـــدِّرُ مـــا تَلقِـــين إذ عشـــتُ مِثلـــه ... ومـــا كنـــتُ يومـــاً بعـــد (أمـــي) لأيأســـا!

بكيـــتُ عليهـــا ، ثـــم أبَّتـــتُ دامعـــاً ... قصـــيداً رقيقـــاً فـــاق تِبـــراً وسُندســـا

فـــذي قـــرة العـــين ، الحيـــاة بأســـرها ... وتـــرجحُ مـــا قـــد شـــافتِ العـــينُ مِـــن نِســـا

خِتامـــاً أعَـــزي مَـــن دَهـــى الـــرُّزءُ قلبَهـــا ... وليـــلُ مآســـيها مِـــن الكَـــرب عَسعســـا

وغـــارتْ نجـــومُ الليـــل ، وانجـــابَ نورُهـــا ... ومِـــن قبـــلُ كانـــت فـــي ســـما الكـــون كُنســـا

وأدعـــو إلـــهَ النـــاس دعـــوة مُحســـن ... فكـــنْ ربنـــا لـــلأمِّ فـــي القبـــر مُؤنســـا

وثبِّـــتْ فـــؤادَ (العامريـــة) ، واهـــدِها ... وأحـــرى بحـــزن أنْ يـــزول ويُدْرَســـا!

مصر تتحدث عن نفسها! (معارضة لحافظ)

(متى كانت مصر فرعونية يا قوم؟! أصلاً هؤلاء - الذين يقولون بفرعونية مصر - جهالٌ معرضون ضالون لا يذاكرون التاريخ! مصر بعد الطوفان أقام فيها جدنا المسلم المؤمن الموحد (مصرايم بن كنعان بن نوح) وإليه نسبتْ (مصر) فمتى كانت فرعونية؟ وأيهما أقدم: مصرايم بن نوح أم فرعون؟ هذا ليس كلامي! هذا ثابتٌ في كتب التاريخ التي كتبها الغابرون والحاضرون! والمستشرقون والمؤرخون! قرأته بالعربية والإنجليزية والفرنسية! وجاءها من الأنبياء إبراهيم ولوط ويعقوب ويوسف وموسى وهارون والمسيح عيسى وأمه مريم ابنة عمران صلى الله عليهم جميعاً وسلم! وجاء إلى مصر عمرو بن العاص رضي الله عنه غازياً فاتحاً منقذاً لها من ظلم وبطش الرومان! ودفن في مصر 5000 صحابي في (بقيع مصر) بمحافظة المنيا! فلماذا لا نُنسَب لهؤلاء المسلمين الذين قامت حضارتهم على (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله)؟! ولماذا ينسبوننا إلى فرعون وحضارته الفرعونية التي قامت على (أنا ربكم الأعلى & ما علمتُ لكم من إله غيري & ما أريكم إلا ما أرى)؟! عودوا إلى صوابكم يا قوم ، واعدلوا في الكلام ، أو قولوها صريحة أنكم تُحبون الكفر والشرك وأهلهما؟! وعندما نقول (مصرايم بن نوح) يعني من نوح عليه السلام! وكان مصرايم بن حام هو الأخ الأصغر لكوش والأخ الأكبر لفوت وكنعان اللذين شكلوا مع عائلاتهم الجنس البشري الذي ينحدر من نسل نوح ، كسلوحيم ، ولوديم ، وعناميم ، وتروسيم! ونسأل: لماذا ركز الغرب على (مصر)؟ والجواب: لأن الغرب من سنة 565ه حتى سنة 923هـ ، كان يسمي مصر (رأس الأفعى)! فهي التي هزمت الحملة البحرية الصليبية الرومية سنة 565ه بقيادة "صلاح الدين". ولأن مصر هي التي لدغت الغرب لدغة مميتة في (حطين) بقيادة "صلاح الدين" ، واستردت القدس وكل فلسطين من الغرب الصليبي وصدت بقيادته الحملة الثالثة. ولأن مصر هزمت الحملة الصليبية الخامسة سنة 618ه ، وهزمت ملك فرنسا "لويس التاسع" في حملته السابعة على مصر سنة 648ه ، وأخذته أسيراً ذليلاً حقيراً. ولأن مصر هي التي لدغت الغرب بالقضاء على دولة (أنطاكية) الصليبية بقيادة "الظاهر بيبرس" في رمضان سنة 666ه التي كانت من أغنى الدول الصليبية. ولأن مصر هي التي لدغت الغرب بالقضاء على دولة (طرابلس) الصليبية سنة 688 ه بقيادة السلطان المملوكي "قلاوون" ولم يبق بيد الغرب إلا مملكة (عكا)! ولأن مصر لدغت الغرب لدغة ظل يتألم منها عدة قرون ، وهي القضاء على مملكة (عكا) الصليبية سنة 690هـ بقيادة "خليل بن قلاوون" وأزالت جذوره من الشام. ولأن مصر هي التي فتحت المملكة الصليبية في (قبرص) بقيادة السلطان المملوكي "برسباي" سنة 829هـ ، وأسرت ملكها "جانوس" وأحضرته الى القاهرة حقيراً ذليلاً. ومن حوالى 400 سنة عندما اجتاحت المجاعات بلاد المغرب والجزائر هرب من هذه البلاد الآلاف ، ولم يجدوا مكاناً آمناً لهم سوى مصر. وعندما طرد الأسبان المسلمين لم يجدوا بلد تستقبلهم غير مصر! وعندما قامت الحرب الأهلية فى لبنان هرب الكثيرون ، ولم يجدوا مكاناً آمناً لهم غير مصر! وفى القرن العشرين حدثت مذابح الأرمن على يد الأتراك ، فهرب الأرمن ولم يجدوا مكاناً آمناً لهم غير مصر! وأما اليونانيون في الحرب الأهلية والإيطاليون في الحرب العالمية الأولى والثانية هربوا من بلادهم ، ولم يجدوا أحلى ولا أجمل من مصر ليعيشوا فيها حتى آخر ملوك إيطاليا اختار مصر ليموت بها! وكذلك آخر ملوك إيران الشاه محمد رضا بهلوى لم يجد غير مصر تستقبله وقضى آخر

سنة من عمره بها. أما أعظم ثائر كونغولى وهو بياتريس لومومبا عندما قامت بلجيكا بقتله تم تهريب أبنائه إلى مصر ليعيشوا بها. أما أطهر من هربت من الجحيم فكانت السيدة زينب حفيدة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم وعائلتها ولم يجدوا أفضل وآمن من مصر لتستقبلهم! أما السيدة مريم وابنها عيسى عليه السلام هربا من ظلم الرومان واليهود ولم يجدوا آمن من مصر لتستقبلهما! وعندما هربت عائلة نبي الله يوسف من المجاعة لم يجدوا سوى أخيهم ليستقبلهم فى مصر ويعيشوا بها. أما الهجرة السودانية إلى مصر فكانت مستمرة عبر التاريخ! أما الآن فى بلادنا العربية سوريا والعراق وليبيا واليمن لم يجدوا آمن من مصر لتستقبلهم ويعيشوا بها كأنهم مواطنين مصريين تماماً! كل العالم كان يعانى إما من حروب أو من مجاعات فلم يجدوا غير مصر ليهربوا إليها وتستقبلهم بكل سرور! فى حين أن مصر لاقت المصير عبر تاريخها في الحروب ، ولم تحدث أي هجرة خرجت من مصر بالعكس في الحروب أهلها المقيمين في الخارج يرجعون لها في حالة الحرب! وهذا مقال للصحفى السعودي الأستاذ جميل فارسي عن مكانة مصر يقول ما نصه بتصرف: (يُخطئ من يقيّم الأفراد قياساً على تصرفهم في لحظةٍ من الزمن أو فعل واحدٍ من الأفعال ، ويسري ذلك على الأمم فيخطئ من يقيّم الدول على فترةٍ من الزمان! وهذا للأسف سوء حظ مصر مع مجموعةٍ من الشباب العرب الذين لم يعيشوا فترة ريادة مصر. تلك الفترة كانت فيها مصر مثل الرجل الكبير تنفق بسخاء وبلا امتنان ، وتقدم التضحيات المتوالية دون انتظار للشكر. هل تعلم يا بني أن جامعة القاهرة وحدها قد علمت حوالي مليون طالب عربي ، ومعظمهم بدون أي رسوم دراسية؟ بل وكانت تصرف لهم مكافآت التفوق مثلهم مثل الطلاب المصريين؟ هل تعلم أن مصر كانت تبعث مدرسيها لتدريس اللغة العربية للدول العربية المستعمرة ، حتى لا تضمحل لغة القرآن لديهم وذلك كذلك على حسابها؟ هل تعلم أن أول طريق مسفلت من جدة إلى مكة المكرمة كان هدية من مصر؟ وحتى حركات التحرر العربي كانت مصر هي صوتها وهي مستودعها وخزنتها ، وكما قادت حركات التحرير فإنها قدمت حركات التنوير. كم قدمت مصر للعالم العربي في كل مجال! في الأدب والشعر والقصة وفي الصحافة والطباعة وفي الإعلام والمسرح وفي كل فن من الفنون ، ناهيك عن الدراسات الحقوقية ونتاج فقهاء القانون الدستوري! جئني بأمثال ما قدمت مصر؟ كما تألقت في الريادة القومية تألقت في الريادة الإسلامية!فالدراسات الإسلامية ودراسات القرآن وعلم القراءات كان لها شرف الريادة. وكان للأزهر دور عظيم في حماية الإسلام في حزام الصحراء الأفريقي. وكان لها فضل تقديم الحركات التربوية الإصلاحية. أما على مستوى الحركة القومية العربية فقد كانت مصر أداتها ووقودها. وإن انكسر المشروع القومي في 67 ، فمن الظلم أن تحمل مصر وحدها وزر ذلك. بل شفع لها أنها كانت تحمل الإرادة الصلبة للخروج من ذل الهزيمة! إن صغر سنك يا بني قد حماك من أن تذوق طعم المرارة الذي حملته لنا هزيمة 67م. ولكن دعني أؤكد لك أنها كانت أقسى من أقسى ما يمكن أن تتصورولكن هل تعلم عن الإرادة الحديدية التي كانت عند مصر يومها؟ أعادت بناء جيشها فحوَّلته من رماد إلى مارد. وفي ستة سنوات وبضعة أشهر فقط نقلت ذلك الجيش المنكسر! إلى أسود تصيح الله أكبر وتقتحم أكبر دفاعات عرفها التاريخ. مليون جندي لم يثن عزيمتهم تفوق سلاح العدو ومدده ومن خلفه! بالله عليك كم دولة في العالم مرت عليها ستة سنوات لم تزدها إلا اتكالاً؟ وستة أخرى لم تزدها إلا خبالاً! ثم انظر بعد انتهاء الحرب فتحت نفقاً تحت قناة السويس التي شهدت كل تلك المعارك الطاحنة أطلقت على النفق اسم الشهيد أحمد حمدي ، اسم بسيط ولكنه كبر باستشهاد صاحبه

في أوائل المعركة انظر كم هي كبيرة أن تطلق الاسم الصغير. هل تعلم انه ليس منذ القرن الماضي فحسب ، بل منذ القرن ما قبل الماضي كان لمصر دستوراً مكتوباً ، شعبها شديد التحمل والصبر أمام المكاره والشدائد الفردية ، لكنه كم انتفض ضد الاستعمار والاستغلال والأذى العام! مصر تمرض ولكنها لا تموت. إن اعتلت ومرضت اعتل العالم العربي. وان صحت واستيقظت صحا العالم العربي! ولا أدل على ذلك من مأساة العراق والكويت فقد تكررت مرتين في العصر الحديث! في أحداها قتلت المأساة في مهدها بتهديد حازم من مصر للزعيم عبد الكريم قاسم حاكم العراق عندما فكر في الاعتداء على الكويت ذلك عندما كانت مصر في أوج صحتها أما في المرة الأخرى فهل تعلم كم تكلف العالم العربي برعونة صدام حسين في استيلاءه على الكويت. هل تعلم إن مقادير العالم العربي رهنت لعقود بسبب رعونته. وعدم قدرة العالم العربي على أن يحل المشكلة بنفسه. إن لمصر قدرة غريبة على بعث روح الحياة والإرادة في نفوس من يقدم إليها! انظر إلى البطل صلاح الدين بمصر حقق نصره العظيم. انظر إلى شجرة الدر مملوكة أرمنية تشبعت بروح الإسلام ، فأبت ألا أن تكون راية الإسلام مرفوعة ، فقادت الجيوش لصد الحملة الصليبية. لله درك يا مصر الإسلام! لله درك يا مصر العروبة! إن ما تشاهدونه من حال العالم العربي اليوم هو ما لم نتمنه لكم. وإن كان هو قدرنا فانه اقل من مقدارنا واقل من مقدراتنا. وهذه نبذة قبل اكتشاف البترول ، هنا في الحجاز حيث توفيق جلال كان رئيس تحرير جريدة الجهاد المصرية ، وتوفيق نسيم كان رئيس وزراء مصر ، حدثت مجاعة وأمراض أزهقت آلاف من الأرواح بأراضى الحجاز. كتب توفيق جلال في صدر صحيفته إلى توفيق نسيم رئيس وزراء مصر ، كتب يقول: من توفيق إلى توفيق في أرض رسول الله آلاف يموتون من الجوع وفي مصر نسيم! أصدر توفيق نسيم أوامره فوراً ، وعبرت المراكب تحمل آلاف الأطنان من الدقيق والمواد الغذائية وآلاف من الجنيهات المصرية والتى كانت عملتها أعلى وأقوى من العملة البريطانية! غير الصرة السنوية التى كانت تبعث بها مصر وكانوا يشكرون مصر كثيراً على ذلك! أما في الكويت فكانت مصر تبعث بالعمال والمدرسين والأطباء والموظفين لمساعدة الإخوة بالكويت بأجور مدفوعةٍ من مصر! وفي ليبيا كانت جزء من وزارة الشؤون الاجتماعية المصرية! كل هذا لم يكن مِنة من مصر ، لكن كان دعماً وواجباً وطنياً لأشقائها العرب! هي أم البلاد وهي أم المجاهدين والعباد قهرت قاهرتها الأمم ووصلت بركاتها إلى العرب والعجم هي بلاد كريمة التربة مؤنسة لذوي الغربة فكم لمصر وأهلها من فضائل ومزايا وكم لها من تاريخ في الإسلام وخفايا منذ أن وطئتها أقدام الأنبياء الطاهرين ومشت عليها أقدام المرسلين المكرمين والصحابة المجاهدين! إذا ذكرت المصريين ذكرت الكعبة والبيت الحرام ، فإن عمر رضي الله تعالى عنه أرسل إلى عامله في مصر أن يصنع كسوة للكعبة المشرفة فصنعت الكسوة من عهد عمر رضي الله عنه وظلت كسوة الكعبة تصنع هناك في مصر سنة تلو سنة حتى مرت أكثر من ألف سنة وكسوة الكعبة ترسل من مصر إلى مكة ولم يتوقف ذلك إلا قبل قرابة المائة سنة! إذا ذكرت المصريين ذكرت الحجاج والمعتمرين فإن البعثة الطبية المصرية كانت في الحج لسنوات طويلة هي أبرز ما ينفع الحجاج في علاجهم يأتون من أقطار الدنيا لأجل أن يلتقوا بهذه البعثة المصرية! إذا ذكرت المصريين ذكرت الدفاع عن فلسطين وذكرت الجهاد والمجاهدين ، فصلاح الدين أقام بمصر ، وكثير من قواده منها وأبرز المعارك مع اليهود قادها مصريون! إذا ذكرت المصريين ذكرت أمنا هاجر ، ومارية القبطية ، ذكرت أخوال رسولنا وأصهار نبينا ، لا لن أشهد اليوم لمصر ،

فما مثلي يشهد لمثلها بل سأخطب عن كوكبة العصر ، وكتيبة النصر وإيوان القصر ، سأتكلم عن أم الحضارة وأم المهارة ومنطلق الجدارة. نعم سأخطب عن أرض العز وعن بلاد القطن والبز! ذكر الله تعالى مصر في القرآن وبين الله جل وعلا اسمها صريحاً في أربعة مواضع في كتابه تشريف لها وتكريماً فقال الله جل وعلا: (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ) ، وقال سبحانه (ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ). وقال جل وعلا: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا). وقال تعالى قاصاً عن فرعون لما قال: (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ). ليس هذا فقط ، بل أشار الله تعالى إلى مصر ، ولم يصرح باسمها في ثلاثين موضعاً في القرآن كقوله جل وعلا: (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ) يعني: مصر. وقوله جل وعلا: (قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) إلى آخر هذا المواضع. إن مصر فيها خزائن الأرض بشهادة ربنا جل وعلا لما قال عن يوسف عليه السلام: (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ). ولم يذكر الله تعالى قصة نهر في القرآن إلا نهر النيل قال جل وعلا: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) يعني في نيل مصر. قال الكندي لا يعلم بلد في أقطار الأرض أثنى الله تعالى عليه في القرآن بمثل هذا الثناء ولا وصفه الله بمثل هذا الوصف ولا شهد له بالكرم غير مصر. نعم إنني أتكلم عن مصر وصى النبي صلى الله عليه وسلم الأمة كلها بمصر وبأهلها فقال بأبي هو وأمي: [إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً] وفي لفظٍ قال: [فإن لهم ذمة وصهراً] رواه مسلم. هاجر زوجة إبراهيم عليه السلام وهي أم إسماعيل جد نبينا عليه الصلاة والسلام هي مصرية من القبط ومارية سرية رسول الله عليه الصلاة والسلام وأم ولده إبراهيم هي مصرية أيضاً ولذلك قال عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال: قبط مصر هم أخوال قريش مرتين ، وقال النبي عليه الصلاة والسلام: [إنكم ستفتحون مصراً أحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحماً] رواه مسلم! فهي وصية للأمة كلها لكل من تعامل مع المصريين أن يحسن إليهم ، وأن يكرمهم ، وأن يعرف قدرهم ، وأن يقف معهم عند حاجتهم ، وأن ينصرهم عندما يؤذون. والهدية إليهم من أفضل الهدايا ، وأذيتهم من أعظم الرزايا ، ولم يكتف نبينا صلى الله عليه وسلم بمدح مصر وأهلها ، بل أمر بالإحسان حتى إلى أقباطها فقال عليه الصلاة والسلام: [الله الله في قبط مصر فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون عليكم عدة وعونا في سبيل الله] رواه الطبراني وصححه الألباني! نعم وكم يسرنا اليوم والله من تآلف بين مسلمي مصر وبين أقباطها ونسال الله جل وعلا أن يجمعهم جميعاً على العقيدة الصحيحة التي بعث بها الله تعالى بها عيسى وبعث بها محمد وبعث بها جميع الأنبياء عليهم السلام وهي أن يعبد الله تعالى وحده لا يشرك به شيئاً! يا أهل مصر ، إن في أرضكم الوادي المقدس طوى وفيها الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وفيها الجبل الذي تجلى الله سبحانه إليه فانهد الجبل دكاً ، وهي مبوء الصدق الذي قال الله تعالى عنه: (وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ)! وفي أرضكم يجري نهر النيل المبارك الذي ينبع من أصله من الجنة: [قال عليه الصلاة والسلام: النيل وسيحان وجيحان والفرات من أنهار الجنة] رواه مسلم! وفي أرض مصر الربوة التي أوى إليها عيسى عليه السلام وأمه! قال جل وعلا: (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ). وعلى أرض مصر ضرب موسى عليه السلام بعصاه فانفلق الحجر له ماءً ، وانشق البحر له فكان كل فرق كالطود العظيم! نعم إنها مصر! إذا أردت القرآن وتجويده فالتفت إلى مصر. إذا أردت اللغة والفصاحة

فإنك تنتهي إلى مصر. إذا أردت الأخلاق الحسنة وحلاوة اللسان وحلاوة التلاوة والقرآن فالتفت لزاماً إلى مصر! إننا لا نتحدث عن بلدٍ عادي ، إننا نتحدث عن بلد عظيم القدر جليل الجناب ، أشار الله تعالى لكبر مصر ، وأشار لعظم مساحتها فقال جل وعلا: (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ). وهذا يدل على كثرة مدنها ولعظم قدر مصر! ومنذ القديم افتخر الهالك فرعون أنه يملكها دون غيرها فقال كما حكى الله جل وعلا عنه: (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ). قال عمر بن العاص رحمه الله ورضي عنه قال: [ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة] يعني أن كل بلاد الإسلام في كفة ، وأن الذي يلي على مصر يكون قد أخذ الكفة الأخرى! وقال سعيد ابن هلال: [إن مصر أم البلاد وغوث العباد ، إن مصر مصورة في كتب الأوائل وقد مدت إليها سائر المدن يدها تستطعمها ، وذلك لأن خيراتها كانت تفيض على تلك البلدان] ، قال الجاحظ: (إن أهل مصر يستغنون بما فيها من خيرات عن كل بلد ، حتى لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور ما ضرهم. وفي مصر رباط الإسكندرية الذي رابط فيه العلماء والزهاد والعُباد والمجاهدون والأبطال والشجعان). قال أبو الزناد صاحب أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: (خير سواحلكم رباطاً الإسكندرية). وقال سفيان بن عيينه يوماً لأحمد بن صالح قال له: (يا مصري أين تسكن؟ قال: الفسطاط! قال فأت الإسكندرية ، فإنها كنانة الله التي يجعل فيها خير سهامه). وعند المصريين جامع عمرو بن العاص صاحب رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وهو أول جامع بني في قارة إفريقيا وقد ضبط قبلته جماعة من الصحابة قدروا بثمانين صحابي اجتمعوا عنده عند بنائه وقدروا قبلته يوجهوه إليها وعند المصريين جامع الأزهر الذي له الفضل المشهور العلم المنثور والتقدم الكاسر والارتفاع القاهر العلماء فيه متكاثرون والعباد فيه قائمون والزوار إليه متوافدون! مصر قادت الأمة الإسلامية أكثر من 265 سنة ، كانت الخلافة في مصر من بعد انقطاع الخلافة من بغداد في عام 656 للهجرة ، إلى انتقال الخلافة إلى العثمانيين بتركيا في عام 924 بينهما أكثر من 265 سنة ، كانت الخلافة في مصر وهي التي تقود بلاد الإسلام! أما أهل مصر فيكفيهم شرفاً وفخراً أن الله تعالى اختار منهم الأنبياء! وجعل الله تعالى الأنبياء يسكنون بين ظهرانيهم فهذا الخليل إبراهيم شيخ الموحدين وأفضل المرسلين وجَدُّ خاتم النبيين أتى مصر مع زوجه سارة وتزوج هاجر المصرية ، وهذا يعقوب عليه السلام دخلها مع أبنائه الأنبياء فيها توفوا ودفنوا فيها ، وهذا يوسف عليه السلام سكن مصر وحكم فيها وتوفي ودفن فيها ، وهذان موسى وهارون - عليهما السلام - ولداء في مصر وعاشا فيها ، وهذا يوشع ابن نون ولد في مصر وعاش فيها ، وهذا الخضر ، وهذا أيوب وإشعيا وإرميا - عليهم أفضل الصلاة والسلام - كلهم دخل مصراً ومنهم من مات فيها! وقد ضرب الله تعالى أبطال مصر أمثلة في كتابه! فمن المصريين مؤمن آل فرعون البطل الثابت على الحق الذي قال الله جل وعلا عنه (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ) وهو مصري! ومن المصريين الرجل المؤمن الذي حذر موسى عليه السلام (وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ). ومن المصريين السحرة الذين ذكر الله تعالى قصتهم لمَّا آمنوا وصدقوا ، وكانوا في أول النهار سحرة فجرة ، وصاروا في آخر النهار شهداء بررة. إنها بلاد الأبطال! أما نساء مصر فيكفي المصريات فخراً وعزاً وشرفاً أن سيد الأنبياء محمد - صلى الله عليه وسلم - كانت جدته هاجر مصرية ، وأم ولده مارية مصرية ، ويكفي المصريات فخراً أن ماء زمزم تفجر إكراماً لامرأةٍ مصريةٍ ولابنها هاجر وابنها إسماعيل ، ويكفي المصريات فخراً

أن هاجر المصرية لمَّا سعت بين الصفا والمروة خلد الله تعالى فِعلها ، وأمر الله تعالى الأنبياء وسائر الأولياء والحجاج والمعتمرين بأن يسعوا كسعيها! ويكفي المصريات فخراً أن أم موسى عليه السلام مصرية ، وأن آسيا امرأة فرعون مصرية ، تلك التي قال الله عنها (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ). ويكفي المصريات فخراً أن المرأة الصالحة التي كانت ماشطة لبنت فرعون كانت مصرية ، وقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام [لما كان الليلة التي أسري بي فيها أتت عليه رائحة طيبة ، قلت: يا جبريل ما هذه الرائحة؟! قال: هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها]. رواه الحاكم وصححه! إن أهل مصر هم من ألين الناس تعاملاً وأحسنهم أخلاقاً وأدباً ، قال تاج الدين الفزاري: (من أقام في مصر سنة واحدة وجد في أخلاقه رقة وحسناً!) وقال ابن ظهيرة عن أهل مصر قال: (حلاوة لسانهم وكثرة مودتهم للناس ومحبتهم للغرباء ولين كلامهم وحسن فهمهم للشريعة ، مع حسن أصواتهم وطيب نغماتهم وشجاها ، وطول أنفاسهم وأعلاها ، فمؤذنوهم إليهم الغاية في الطيب ووعاظهم إليهم المنتهى في الإجادة والتطريب ، ونساءها أرق نساء الدنيا طبعاً وأحلاهن صورة ومنطقاً وأحسنهن شمائل وأجملهن ذواتاً ، ومازلت أسمع قديما عن الشافعي أنه قال: من لم يتزوج بمصرية لم يكمل إحصانه. ولقد سكن مصر بعد فتحها جماعة من صحابة سيدي ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حتى لما أحصي عدد الصحابة الذين دخلوا مصر ، أو سكنوا فيها ، أو زاروها أو حكموها أو دفنوا في ترابها فتعدوا أكثر من 350 صحابياً! كلهم قد أتوا إلى مصر منهم من جاءها رسولاً إليها أو حاكماً لها ، أو مجاهداً فيها أو معلماً لأهلها منهم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي السرح وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وكلهم قد ولي مصر! منهم جابر بن عبد الله بن حرام ، ومنهم الزبير بن العوام ، وعبد الله بن الزبير ومنهم سعد بن أبي وقاص ، ومنهم عبادة بن الصامت ، ومنهم عبد الله بن عباس ، ومنهم عمار بن ياسر ، ومنهم أبو أيوب الأنصاري ، ومنهم أبو ذر الغفاري ، ومنهم أبو الدرداء ، وأبو هريرة ، وعبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدي وهو آخر صحابي مات بمصر! 350 صحابياً تخيرت أبرزهم ، لكن كلهم قد سكن مصر أو زارها). في مصر ولد خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله تعالى! إذا تكلمنا عن مصر فإننا نتكلم عن بلاد العلماء الذين وصل أثرهم الى كل الدنيا ، منهم صحابة كرام وتابعون أعلام ، منهم الليث بن سعد وهو إمام المصريين ، الذي قال فيه الشافعي: [الليث بن سعد أعلم من مالك] ومنهم القارئ ورش ، إذا سمعت من يقول على قراءة ورش فاعلم أنه مصري! اليوم أكثر أهل إفريقيا وأهل المغرب يقرؤون بقراءة هذا المصري ، ومنهم الإمام المحدث عبد الله ابن لهيعة ، ومنهم الشافعي الإمام وله أئمة كثر كلهم من طلابه وكلهم من المصريين ، ومنهم سعيد بن كثير بن عفير وكان إماماً عالماً ، قال عنه يحيى بن معين إمام الجرح والتعديل لما سئل عن مصر قال: [رأيت في مصر ثلاث عجائب النيل والأهرام وسعيد بن كثير ابن عفير] وكان عالماً إماماً. ومنهم عبد الملك بن هشام صاحب السيرة النبوية المشهورة ، ومنهم الإمام الطحاوي الذي ألف العقيدة الطحاوية وهي تدرس اليوم في كل الدنيا وتدرسها الجامعات في المملكة العربية السعودية لطلابها ، وتدرس في أنحاء الدنيا ألفها الإمام الطحاوي المصري ، ومنهم الإمام بن النحاس ، ومنهم القاضي عبد الوهاب المالكي ، ومنهم شيخ الحنابلة الحافظ عبد الغني المقدسي ، فإذا ذكرت الحنابلة وذكرت الفقه الحنبلي رجعت لزاماً إلى عبد الغني المقدسي وكان قد خرج من الشام وسكن في مصر. ومنهم الإمام البطل العز بن عبد

السلام ، ومنهم ابن خلكان صاحب وفيات الأعيان ، ومنهم والقارئ العظيم الذي تحفظ منظومته طلاب وطالبات كثر في أنحاء الدنيا الإمام الشاطبي ، ومن الذي لا يعرف الشاطبي وهو الذي ألف منظومة في ألف بيتٍ في تلاوة القرآن وقراءته ثم أخذ المنظومة وألفها وطاف ألف أسبوع حول الكعبة. والأسبوع هو سبعة أشواط طافها ثم جعل يدعو الله تعالى وهو يطوف أن يبارك في هذه المنظومة ، وقد انتشرت انتشاراً عظيماً! ومن المصريين مؤلف كتاب [الترغيب والترهيب] عبد العظيم المنذري ، ومن المصريين الإمام القرافي وهو من أذكياء العالم ، ومن أئمة الدنيا ومن أعيان المذهب المالكي ومن المصريين ابن دقيق العيد الذي لم تر الدنيا مثله أبداً ، ومنهم خليل المالكي إذا سمعت [بمختصر خليل] الذي يعول عليه المالكية اليوم في دروسهم وجامعاتهم فاعلم أنه مصري ، ومنهم ابن هشام النحوي ، ومنهم الإمام الهيثمي صاحب كتاب [مجمع الزوائد] ، ومنهم ابن حجر العسقلاني الذي ألف [فتح الباري في شرح صحيح البخاري] ومنهم محمود العيني الذي ألف [عمدة القاري في شرح صحيح البخاري] وإليه ينسب اليوم القصر العيني في مصر! ومنهم المقريزي ومنهم الإمام صاحب كتاب [تفسير الجلالين] الإمام جلال الدين المحلي الذي أتمه بعد ذلك الإمام السيوطي وكلاهما مصري ، ومنهم الحافظ السيوطي ، ومنهم شيخ الإسلام زكريا الأنصاري الذي وصل عمره مئة سنة والذي لم يترك صلاة الليل إلى أن مات! ومنهم الإمام الشيخ على بن أحمد الصعيدى العدوى من سلالة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ومنهم الشيخ أحمد الدردير وكان عبداً علماً صالحاً ، جلس في الأزهر يوماً يعلم طلابه ، فلما دخل أحد الولاة وكان يريد أن يستميل المشايخ لبعض الفتاوى التي يريدها لإلزام بعض الناس بأمور فقام الطلاب خائفين من كثرة الجند ومبجلين لهذا الوالي فأخذ مصحفاً ووضعه في حجره ، وجعل يتلو القرآن وقد مد رجليه فمر به الوالي فقال: من هذا؟ قالوا: هذا الشيخ احمد الدردير ، قال: فلماذا لم يقم لما رآني؟ فحاولوا أن يعتذروا له ، فحنق عليه هذا الوالي ، ثم ذهب الوالي إلى قصره وأخذ صرة أرسلها مع أحد العبيد ، قال: أعطها ذلك الشيخ الذي كان ماداً لرجليه لما مررنا به ، فلما أقبل إليه ذلك العبد وناوله الصرة علم الشيخ أن ذلك الرجل أراد أن يذله بقبول المال ، فنظر إلى هذا الرسول وقال له: ارجع إلى من أرسلك ، وقل له إن الذي يمد رجليه لا يمد يديه! أما أبطال مصر ومجاهدوها فالكلام عنهم يطول كثير من القادة مع صلاح الدين الأيوبي كانوا من المصريين منهم القائد: حسام الدين ، وكان قائداً للأسطول البحري المصري ، كان شوكة في حلق الأفرنجة ، قال عنه الإمام ابن كثير: كان البحر في البحر ، فكم من شجاع أسر ، وكم من مركب كسر ، وكم من أسطول فرق شمله ، وقارب غرق أهله مع كثرة الصدقات ، قال: ولما عمل أرناط الصليبي مراكب وأسطول ، وجعلها في البحر الأحمر ليغزوَ مدينة ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ انطلق إليه حسام الدين بأسطوله المصري ودك أسطول الفرنجة حتى قتلهم عن آخرهم! ومن أبطال مصر الذين سكنوها صلاح الدين الأيوبي الذي فتح بيت المقدس! لن ينسى التاريخ أبطال مصر الذين ردُّوا الحملة الصليبية التي قادها ملك فرنسا ، واستولى على دمياط فكمن له الأبطال فى مصر وأذاقوه سوء العذاب ، وأبادوا جيشه وكانوا عشرات الآلاف ، ثم أخذوا هذا القائد الفرنسي وحبسوه في دار تسمى دار ابن لقمان في المنصورة ، ووضعوا القيود في يديه ورجليه ، ووكلوا به حارساً يسمى صبيح ثم فدى نفسه بأموال كثيرةٍ عظيمةٍ ، فأطلق ثم لما وصل إلى بلده حدثته نفسه أن يعود مرة أخرى لغزوا مصر وجعل يجند الجند لذلك. ومن المصرين الأبطال سلطان المماليك قطز ، وهو الذي قاد معركة عين جالوت ومن

المصريين الأبطال ضباط وجنود شاركوا في حروب فلسطين وغيرها من مواضع الجهاد في سبيل الله. وإذا ذكرت مصر وتاريخها ذكرت العباد والزهاد ذكرت حيوة ابن شريح وذكرت أبا محمد بن سهل وكان عابداً صالحاً آمراً بالمعروف داعياً إلى العقيدة الصحيحة ، وكان يذم العُبيديين الشيعة الذين حكموا مصر فترة فجاء به الخليفة العبيدي وقال له: سمعنا أنك تقول لو أن معي عشرة أسهم لرميت الصليبيين بواحدٍ ورميت العُبيديين بتسعة ، فهل هذا صحيح؟ فقال: لم أقل هذا! فقال: إذاً ماذا قلت؟ قال: قلت: لو كان معي عشرة أسهم لرميت العُبيديين بتسعة ، ورميت العاشر فيهم أيضاً فإنكم غيرتُم المِلة ، وتنقصتم القرآن وذممتم صحابة رسول الله ، ووقعتم في عرضه ، وغيَّرتم الدين وقتلتم أهل السنة! قال فغضب علي فأمر به وربط ثم دعا رجلاً يهودياً فقال: قطع لحمه حتى يموت ، فجعل يقطع لحمه قطعة قطعة وهو يتلو القرآن وذلك اليهودي يسلخ جلده سلخاً كما تسلخ الشاة ، وهو يتلو القرآن ، وذاك العبيدي ينظر إليه حتى رق له اليهودي وطعنه بالسكين في قلبه ليقتله حتى يريحه من كثرة العذاب! المصريون لا تكاد تجد أحداً من القراء في العالم من قراء القرآن وممن معهم إجازات وأسانيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفظ القرآن ، إلا وجدت للمصريين عليه يداً ، إما اقرأه مصري أو حفظ القرآن على مصري أو ضبط تجويده مصري أو كتب له هذا السند مصري ، وما تكاد تجد إلى اليوم حتى المشايخ والعلماء في الأرض كلها إلا وتجد منهم من قرأ على مصري ، أو درسه في الجامعة مصري أو صلى به إماماً في يوم من الأيام مصري! ولا ينكر فضل هؤلاء العلماء أحد مدرسوها وأساتذتها لهم فضل كبير على العرب وعلى المسلمين! بل على جميع العالم في مساجدهم وجامعاتهم ومدارسهم ، ولمصر من العلماء في الطب وفي الذرة وفي الهندسة وفي الدعوة وفي الأدب وفي غير ذلك أمر لا يدرك شأوه أبداً!).هـ وفي حديثٍ له مطول عن مصر تحت عنوان: (مصر مصنع الرجال) يقول الدكتور محمد العريفي ما نصه بتصرف: (إنني أتحدث اليوم عن بلد البطولات وأرض الرجال والمروءات ، إني أخطب عن بلدٍ كانت ولازالت للإسلام عزاً وكان أهله لها مجداً ، إنني إذ اخطب اليوم عن مصر في مصر كحامل تمر إلى هجر! كيف أتحدث اليوم من مصر عن مصر ، بالله عليكم أي كلمة تنصرني ، وأي عبارة تنساق على لساني وأنا اتكلم في أرض مشايخي الكرام ومعلمي الأعلام؟! المصريون هم أهل العلم والتبيان والذكاء والبيان! هم أهل صبر عند النزال وثبات في المعارك والقتال إنني أتحدث اليوم عن مصر ، أتحدث عن المصريين الذين أمرنا نبينا صل الله عليه وسلم باكر أمهم كلهم مسلمهم وقبطيهم لحسن أخلاقهم وكرم طباعهم! روى مسلم أن النبي صل الله عليه وسلم قال: [إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً]! وقال عليه الصلاة والسلام: [إذا فتحتُمْ مصرَ فاستَوصوا بالقِبطِ خيرًا ، فإنَّ لَهُم ذمَّةً ورحِمًا] وفي لفظ "فإنَّ لَهُم ذمَّةً وصهراً". نبينا صلوات ربي وسلامه عليه بشر بفتح كثيراً من البلدان فبشر بفتح العراق وفتح الشام وفت مصر وفتح اليمن كما في حديث سهل بن سعد كما عند البخاري أن الصحابة رضي الله عنهم لما كانوا يحفرون الخندق كرضت لهم كُدْيَةٌ (صخرة شديدة) ، فنزل نبينا صل الله عليه وسلم ليساعدهم في هدمها ، فلما ضرب بالفأس على الصخرة الصماء التمع الشرار فقال عليه الصلاة السلام: "الله أكبر أوتيت مفاتيح الشام! ثم ضرب ضربة اخرى والْتَمَع الشرار فقال: الله أكبر أوتيت مفاتيح فارس! ثم ضرب ضربة ثالثه والْتَمَع الشرار فقال: الله أكبر أوتيت مفاتيح اليمن". إذاً بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام ، كان يعلم أن أمته ستفتح الشام واليمن والعراق ومصر ، ومع ذلك اختاركم أنتم ليوصي النبي

صل الله عليه وسلم بكم ، لم يوص النبي صلى الله عليه وسلم وصية خاصة بأهل بلدٍ معين إلا بكم! قال عليه الصلاة والسلام: "إنكم ستفتحون مصر فاستوصوا بأهلها خيراً"! بل لم يوص النبي صلى الله عليه وسلم بنصارى في الأرض كلها إلا بالقبط الذين سكنوا في مصر ، وذلك أن القبط هم أخوال قريش مرتين فهنيئاً لكم أيها القبط إذ أوصى بكم نبينا عليه الصلاة والسلام. إن مصر هي الأرض الوحيدة في العالم التي تجلى ربنا جل وعلا لها! فإن ربنا جل وعلا تجلى لجبل الطور فجعله دكاًوجبل الطور هنا في أرض مصر في سيناء. وقد ذكر ربنا جل وعلا مصر في القرآن فمدح أرضها ، وأمر أنبيائه بسكناها فقال ربنا جل وعلا: "وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ" إن ربنا جل في علاه لما ذكر المسجد الحرام في كتابه قال سبحانه وتعالى: "لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ". ولما ذكر مصر قال الله تعالى: "ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ". وكان من دعاء يوسف عليه السلام لما دخل مصر: "اللهم إني غريبٌ فحببها إلي وإلي كل غريب". فمضت مع يوسف ، فليس يدخل مصر غريب إلا أحب المقام بها ، واحتوته ألفة أهلها! وقال الله تعالى عن المسيح عيسى وأمه مريم الصديقة: "وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوةٍ ذات قرار ومعين". نعم اختار الله تعالى مصر على غيرها ، وقدمها لطيبها ولفضلها ، قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: "مصر أطيب الأرضين تراباً ، وعجمها أكرام العجم أنساباً] ، وكان كعب الأحبار يقول: "لولا رغبتي في الشام لسكنت مصراً! قيل له: ولم ذاك يا أبا إسحاق؟! قال: "أحب مصر وأهلها ، إنها بلدة معافاة من الفتن". فهي بلدة لا تقع فيها حروب أهلية ولا طائفية ، بلدة معافاة من الفتن ، وأهلها أهل عافية ، ومن أرادها بسوء كبه الله على وجهه في النار. قد مدح الله أرضكم في كتابه! وطهرها منذ سالف الدهر ، فقال جل وعلا مادحاً لأرض مصر: طهرها من فرعون وقومه قال تعالى مادحا ارض مصر كم تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين". قال عبد الله بن عمرو بن العاص: "من أراد أن ينظر إلى الفردوس فلينظر إلى أرض مصر ، وذلك حين تخضر زروعها ، ويزهر ربيعها ، وتكسى بالنوار أشجارها وتغني أطيارها". نعم إن مصر مَهيبة الجناب ، مُحببة للأهل والأصحاب ، مُؤنسة للزائرين والأغراب ، العرب مُقرون بفضلها والعجم يتذاكرون عزها ، والناس كل الناس يأنسون بسكناها ، بل إن التاريخ يشهد بالعلاقة القوية بين مصر وبين بقية العالم عامة ، بل بينهم وبين العرب خاصة ، إن العرب قحطانيهم وعدنانيهم أخوالهم مصريون! فالصديقة هاجر المصرية ساقها الله تعالى من مصر إلى مكة لم يسق امرأة لإبراهيم من الشام أو من العراق أو من اليمن أو من مكة أو من المدينة ، إنما جاء إبراهيم إلى مصر وأخذ منها هاجر وساقه الله تعالى إلى مكة ليفجر الله زمزم تحت قدمي مصرية! ولتتناسل العرب كلها من ذريتها! المصريون أخوال العرب! ولقد مر النبي صلى الله عليه وسلم بنفر من أصحابه يرمون بالنبل فقال عليه الصلاة والسلام: [ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً] ، يعني اسماعيل عليه السلام ، وهو ابن الصِّدِّيقة هاجر المصرية! ولما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذكر هاجر المصرية قال صلى الله عليه وسلم مُكلماً أصحابة مكلماً أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً ، بل مكلم كل العرب قال: [فتلكم أمكم يا بني ماء السماء]. أنتم أخوال الصحابة الذين سكنوا في مصر ، كلا بل أنتم من أحفاد الأنبياء. وتقديراً لعزة أهل مصر وبطولتهم في كل أمر ضرب الله ربنا بكم الأمثال في كتابه ، هذا رجل مؤمن مصري لمَّا رآهم ينتقصون موسى عليه السلام ويخططون لأذاه ، أقبل بكل قوة مدافعاً

وعن موسى منافحاً: "أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ". وذاك رجل مصري أقبل منافحاً محذراً لما وجد فرعون والملأ الفرعوني يأتمرون لقتل موسى عليه السلام: "وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ". أهل مصر هم أهل النصيحة والحب ، وأهل المساعدة عند الكرب ، وكان سيدنا ومولانا نبينا صلى الله عليه وسلم يضرب الأمثلة لأصحابه بأهل مصر! فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم خرج في حاجةٍ فنزل برجل أعرابي ، فأضافه ذلك الأعرابي ، ووضع له من القِرى ما يوضع للضيف عادة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم مكافئاً: إذا جئت المدينة فأتنا! فلم يمض أيام حتى أقبل ذلك الأعرابي إلى المدينة ، فاقبل إلى سيدي ومولاي رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فنزل عنده فأكرمه ، ثم أراد صلى الله عليه وسلم أن يكافئه فقال له: سلني: يعني اطلب مني شيئاً ، قال ذلك الأعرابي: أسألك ناقة أركبها وأعنز أحلبها" ، لم يقل: اسألك مرافقتك في الجنة أو الشفاعة عند عظيم المنة ، وإنما مالت نفسه لناقةٍ وعنوز ، وهي غاية التفريط والعجز ، فعجب النبي صلى الله عليه وسلم من دنو همته ونزول عزيمته ، والتمس له قدوة يذكرها أنموذجا ليتخذها الناس منهجاً فما المثل الذي اختاره النبي صلى الله عليه وسلم ليضرب به مثلاً؟ جال به فكره الوقاد حتى نزل به في مصر خير البلاد ، فطلب النبي صلى الله عليه وسلم امرأة من نساء مصر فقال عليه الصلاة والسلام: [أعجزت أن تكون كعجوز بني اسرائيل]؟! قال الصحابة: يا رسول الله ، وما عجوز بني اسرائيل؟ فقال: إن موسى عليه السلام لما ارتحل بقومه ، أصابتهم ظلمة ، فسأل قومه عن ذلك فقالوا له: إن يوسف يعنون النبي الذي قبله قد أخذ علينا العهد والميثاق أن لا ننتقل من مكاننا ، حتى نأخذ عظامه معنا ، فقال موسى عليه السلام: فأين قبر يوسف؟ قالوا: لا ندري! لا يعرفه إلا عجوز منا! فدعا موسى عليه السلام تلك العجوز ، فلما وقفت بين يديه سألها عن قبر يوسف عليه السلام! قالت: لا أخبرك به حتى تعطيني حكمي" ، عندي طلب سأطلبه منك حتى تعطيني حكمي ، قال: وما حكمك؟! قالت: مرافقتك في الجنة! لم تقل تعطيني مالاً ولا طعاماً ولا تبني لي بيتاً ولا تهبني عزاً ولا لباساً. وإنما تعلق قلبها هناك ، قالت: مرافقتك في الجنة! فكأن موسى عليه السلام استعظم مكافأتها وطلبها. الناس يبذلون للجنة أرواحهم وينهرون دماءهم ، ويبذلون أنفسهم ويفارقون ديارهم وأوطانهم لأجل الدخول في الجنة ، وأنتِ بمعلومةٍ صغيرةٍ حفظتها عن آبائك تريدين أن تكوني في الجنة؟! لا ، بل أن تكوني مع الأنبياء في الجنة ، كأن موسى عليه السلام استعظم ذلك ، فإذا ربنا جل وعلا من السماء ينظر إلى هذه المرأة المصرية ، ثم يوحي الله تعالى إلى نبيه موسى أن أعطها سؤلها! فيقول لها موسى عليه السلام: لك حكمك ، تكونين مرافقة للأنبياء في الجنة! وفدلتهم على بحيرةٍ "موضع ماء" قالت: انضبوا هذا الماء ، فنضبوا الماء ، ثم استخرجوا ما تبقى من يوسف عليه السلام ، فأضاء لهم الطريق جداً. والحديث حسن رواه أبو يعلى والحاكم وصححه! إنها مصر! أهلها اليوم هم أحفاد الأنبياء بالأمس! وفلذات أكباد الصحابة الأولياء! فقد جاء مصر وزارها وسكنها أكثر من 350 صحابياً ، بل رحل إليها الصحابة لطلب العلم ، ففي الصحيح عن جابر رضي الله تعالى عنه أنه ذكر له حديث عند عبد الله بن أنيس رضي الله عنه ، فسأل أين عبد الله بن أنيس؟ قيل له: هو في مصر! وفي روايات قيل هو في الشام قال فارتحل جابر على بعير ، ومضى يخط به الخطا ، حتى وصل إلى مصر ، ثم أقبل إلى بيت عبد الله بن أنيس ، ثم طرق الباب عليه ، فخرج غلامٌ أسود قال: من أنت ، قل

لسيدك ، جابرٌ بالباب ، فدخل الغلام إلى عبد الله بن أنيس وقال له: من بالباب؟! قال: جابر بالباب! قال: عجباً صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! فخرج الغلام وقال: من جابر؟ قال: جابر بن عبد الله صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم! ولا عجب أن يرحل جابر رضي الله عنه إلى مصر لطلب العلم ، فخرج إليه عبد الله بن أنيس وأعتنقه! وسأله عن سبب مجيئه فقال: حديث في القصاص عن رسول الله صلى الله عليه يوم القيامة! سمعت أنك تحدث به عن نبينا عليه الصلاة والسلام ، فقال عبد الله بن أنيس: نعم ، سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول عن جميع الناس يوم القيامة: "إذا كان يوم القيامة حشر الله الناس حُفاة عُراة غرلاً بُهما ، ثم ينادي بصوتٍ يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب يقول: أنا الملك الديان لا ظلم اليوم"! وليس جابر فقط رحل إلى مصر لطلب العلم ، بل السائد بن خلاد الانصاري قدم إلى عقبة بن عامر الجهني في مصر ، فلما وقف إليه قال له: ليس لي أي حاجة إلا أن أسألك عن حديثٍ ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في الستر فقال: نعم! سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من ستر مسلماً ستره الله". هكذا كانوا يرحلون إلى مصر وكانوا يزدحمون فيها! إنها مصر! أرض العلماء الاذكياء والمبدعين النجباء! إنها مصر التي اشتهرت من قديم الزمان بحفاوتها بالطارئين عليها ، وفرحتها بالمقبلين إليها ، الغرباء فيها يُكرمون ، والموهوبون يشجعون بلدة طيبة تصنع العلماء وترفع الأولياء! جاء الشافعي من العراق إلى مصر ، فبرز وألف وصنف وصار إمام زمانه! وجاء القرطبي من قرطبة إلى مصر ، فصار إمام المفسرين! وجاء الشاطبي من الأندلس فلما دخل مصر صار إمام القراءات! وجاء رشيد رضا من لبنان إلى مصر فبرز ، وأنشأ مجلة المنار! وجاء محب الدين الخطيب من الشام إلى مصر ، فأنشأ مجلة (الفتح)! وجاء علي باكثير من إندونيسيا ، فلما نزل في مصر صار الروائي والأديب! وجاءها محمد الخضر الحسين من تونس فصار شيخ الأزهر! جاءها صلاح الدين من العراق فخرج منها فاتحاً لفلسطين! وأخرج العز بن عبد السلام من دياره ، فنزل مصر فجعله أهلها سلطان العلماء! نعم. يا أهل مصر أنتم مصنع الرجال ، ولا تزال مصر إلى اليوم يأتيها الطلاب صغاراً فيخرجون منها أساتذة كباراً ، إنها مصر! بلدة إذا مشيت في شوارعها تذكرت إمام الدنيا الشافعي لما كان يقول قبل مجيئه لمصر: أصبحت نفسي تتوق إلى مصر! مصر إذا دخلت مساجدها لاح أمام ناظريك شيخ المالكية خليل وهو يؤلف مختصره في فقه المالكية الجليل ، ليصبح عمدة للفقه المالكي إلى يومنا هذا! وإذا التفت في نواحيها رأيت شيخ الحنابلة المقدسي يصنف المؤلفات في الفقه الحنبلي ، فتكون عمدة للفقهاء وحجة للقضاء! ولا يغيب عنك في مصر السخاوي والطحاوي وأئمة الحنفية العظماء وفقهاؤها النجباء! إنها مصر إذا مررت في أسواقها تذكرت كبار الشعراء والبلغاء الذين سكنوها! تذكرت المتنبي وكثير عزة وجميل بثينة يغردان! وفيها كل ناجح ظهر للدنيا! إنها مصر التي اشتهر أهلها بطيب الأخلاق واللطف مع الغرباء والرفاق! ولقد حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمه هاجر المصرية لما سكنت في مكة وتفجر عندها زمزم ، وقبلت إليها قبيلة جرهم العربية فصارت معهم كريمة صفية! وصف نبينا صلى الله عليه وسلم هاجر فقال :فألف ذلك أم اسماعيل تحب الأنس ، تحب المؤانسة ولطف المعاشرة والمجالسة ووالله لا تزل هذه الصفة في أغلب المصريين إلى اليوم! المصريون أهل أنس في المجالسة ولطف في المؤانسة! شعبٌ يألف ويؤلف ، ويُحِب ويُحَب! وقديماً كتب سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الدنيا! كتب إلى هرقل ، وكتب إلى كسرى ، وكتب إلى ملك اليمن ، وكتب إلى ملوك الدنيا! نعم كتب كتباً ، فكل واحدٍ منهم تعامل

مع الكتاب بأسلوب مختلفٍ عن الآخر! منهم من غضب وسب ، وأرعد وأزبد ، ومنهم من مزق الكتاب وقتل الرسول الذي جاء بالرسالة ، ومنهم من حفظ الكتاب ورد رداً خفيفاً! لكن المقوقس صاحب مصر وكبير القبط في ذلك الحين ، وصل اليه كتاب سيدي صلى الله عليه وسلم فأخذه بكل رفق وإكرام! وأما حاطب بن أبي بلتعه الذي جاء به فوضع له من طيب الطعام والشراب وأسكنه في أحسن المساكن ، وجعل يسأله برفق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لما أراد حاطب أن يرتحل إلى المدينه زوده بما يزود به المسافر من أطيب الطعام وأعطاه هدية وأعطاه للنبي صلى الله عليه وسلم هدايا من ضمنها السيدة مارية بنت شمعون القبطيه التي تزوجها بعد ذلك رسول الله عليه وآله وسلم ، وولدت له ولده إبراهيم ، فقبل النبي صلى الله عليه وسلم هذه الهدايا وأهدى إلى المقوقس هدايا! وكان أهل مصر من ذلك الحين يعرفون ذلك للنبي عليه الصلاة والسلام وهو يعرف لهم فضلهم! وأنواع الإحسان التي أجرتْها مصر عبر التاريخ كثيرة ومتعددة! بل حتى في عام الرمادة التي أصابت المسلمين في عهد عمر رضي الله تعالى عنه ، حيث أصابهم قحط أكل الأخضر واليابس ، وكان عمر رضي الله تعالى عنه يقول: والله لا أذوق سمناً ولا سميناً حتى ترتفع هذه الكربة عن المسلمين ، وأصابه همٌ لو قسِّم على أهل الأرض لوسعهم يمشي في أنحاء المدينه فيسمع بكاء الصغير وأنين الكبير ، وزاد الطين بلة أن الأعراب حولهم المدينة أقبلوا ونزلوا في المدينة ، وصار عمر مسؤولاً عن هؤلاء كلهم ، ينظر يمنة ويسرة فلا يجد شيئاً يطعمهم! وصار يجمع الفتات ويمضي به في أطراف المدينه يطبخ لليتامى مع أمهاتهم ، يطبخ بنفسه ليطعمهم! تلفَّتَ عمرُ في البلدان يبحثُ عن أهلِ بلدٍ يغيثونه ، فتذكَّر أنَّ مصر هي أرض الطيبين ، هي أرض الكرم ، تذكَّر أنها أطيب البلدان منزلاً ، وهي أحسنها موئلاً ، فأخذَ عمرُ رضي الله عنه كتابًا وكتب إلى عمْر بن العاص! قال: السلام عليك من أمير المؤمنين عمرَ بن الخطاب إلى عمرو بن العاص أمير مصر السلام عليك ورحمة الله وبركاته. أما بعد واغوثاه.. واغوثاه.. واغوثاه إليك! والسلام! فلمَّا وصل الكتابُ إلى عمْر بن العاص جمع أهل مصر ، جمع أهل الكرم ، جمع أهل الجود والإحسان. وعمرو رضي الله عنه يعلم أنه يضع يده في سمنٍ ودقيقٍ وعسل ، يعلم أنه إن استنجد وإن طلب المساعدة ، فإنما أمامه كرماء قرأ عمرو أمامهم كتاب أمير المؤمنين. فوالله ما بخلوا ولا تراجعوا ولا ترددوا ، مضى أهلُ مصرٍ إلى بيوتهم فمنهم من يأتي بدقيق ، ومنهم من يأتي بتمر ، ومنهم من يأتي بثمارٍ مجففة ، ومنهم من يأتي بأنواع الخبز ، حتى جمعوا من ذلك شيئًا عظيمًا وبعث عمرو إلى عمر كتابًا قال فيه: "أما بعد: فيا لبيك.. يا لبيك.. يا لبيك! أتتك عِيرٌ أولها عندك وآخرها عندي". وبعثتم أيها المصريون في ذلك الحين إلى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،إلى أيتامهم ، إلى محتاجيهم ، إلى أراملهم ، بعثتم بيَّض الله وجوهكم ، بعثم قافلةً تزحف كالسيل وتسير كالليل حتى وصلت إلى المدينة ، فقسَّمها عمر بينهم ورفع الله عنهم كربتهم! فعلمَ عمرُ بكرمِ أهل مصر ، وعلمَ أنَّ الكريم لا يردُ ولا يبخلُ وإن تكرر عليه الطلب. فكتب كتابًا إلى عمرو قال فيه: "يا عمرو إنَّ الله قد فتح علينا مصر ، وهي كثيرة الخير والطعام ، وقد أُلقِيَ في روعي لما أحببتُ من الرفق بالنَّاس والتوسعةِ عليهم أن أحفرَ خليجًا من نهر النيل حتى يصبَّ في البحر ، فهو أسهلُ لمَّا نريدُ أن نحمل عليه الطعام أسهلُ من أن يحملها الرجالُ على أكتافهم أو العير على ظهورها". فاجتمع عمرو مع أهل مصر. فوالله ما قال أحدٌ من أجدادكم: لا. ولا قال أحدٌ من أجدادكم: هو طعامنا فلماذا نرسله إلى غيرنا؟ ولا قال أحدٌ منكم: نخشى أن تنقص زروعُنا إذا صدَّرناها إلى غيرنا. كلا وإنَّما أنتم سلالة الأنبياء ، سلالة

موسى عليه السلام لمَّا ركبَ في السفينةِ ، وقد خرقها الخضرُ عليه السلام قال له موسى: أخرقتها لتُغرق أهلها؟ ونسي أنه سيغرق هو. ولمَّا رأى الضعفاء فكَّر فيهم قبل أن يفكِّر في نفسه! أنتم سلالةُ موسى عليه السلام لمَّا وقف عند المرأتين وهو المجهد المتعب ، وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ! والله ما طلب منهما مكافأة ، كلا فليس هو طبع المصريين ، ولا طلب منهما طعامًا ، ولا مُذقة لبن! وإنَّما فعلها لله! فأخذ المصريون يحفرون بأيديهم ومساحيِّهم ويصنعون هذا الخليج حتى صُنع الخليج ، وصار يحملُ الأرزاقَ من نهر النيل حتى تسيحَ في الأرض. وظلَّ هذا الخليجُ موجودًا حتى طمره أبو جعفر المنصور ، لمَّا أراد أن يضيِّقَ على بعض من خرجوا عليه! لقد استمرَّ كرمُ المصريين في مكةَ والمدينةَ والحرمين ، ففي كل موسم حجٍ وبعده لا يفقد النَّاس والله منذُ سنين التكيَّةَ المصرية. يأتي الحجاج المصريون معهم طعامٌ ليس لهم فقط ، بل كل واحدٍ يحملُ طعامًا يكفيه ويكفي المئات معه ، ثمَّ يضعون تكيَّةَ - يعني أماكن معدة للضيوف كالفندق – يضعون تكيَّةَ ثمَّ يأتي الفقراء والمحتاجون من أنحاء الأرض. هذا جاء من أوزبكستان فيأكل من تكيَّةَ المصريين ، وهذا جاء من الهند فيطعمه المصريون ، وهذا جاء من باكستان ، وهذا جاء من اليمن ، ومن العراق ، ومن بلاد الشام ، وأهل مكة يأتون إلى المصريين يأكلون بالمجَّان. فلماذا يفعلون مثل ذلك؟ إلا لأنكم أهل الكرم وأهل الجود أيها المصريون! بل حتى آل بيتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أحبابُ سيدنا رسول الله ، الطيبون الطاهرون ، هم أحبابُ نبينا ، وأحفاد رسولنا نزل بعضهم في مصر ، فوجدوا والله من الاحتفاء والحب والكرامةِ والقرب ما يليق بهم! المصريون هم أكثر النَّاس إكرامًا لآل بيتِ رسول الله عليه الصلاة والسلام! المصريون هم أكثر النَّاس احترامًا لصحابةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم! المصريون هم أكثر النَّاس غيرةً لعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم! المصريون هم أعظم النَّاس إعظامًا وتقديرًا لكتاب ربِّ العالمين. وما مواقف شيخ الأزهرِ الشيخ جاد الحق علي جاد الحق - وفقه الله - ومواقف علماء مصر إلا شاهدةٌ على إكرام صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام! ما أفلحَ الفاطميون في تغيير عقيدتكم ، والله ما أفلحوا في أن يوغروا صدوركم على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ما أفلحَ الفاطميون في أن يُغيروا عقائدكم أنتم أهل العقيدة أيها المصريون! المصريون هم أهل القوةِ والثبات رغمَ الفتن ها هم السحرةُ يأتي فرعون بهم لحرب موسى عليه السلام ، فلمَّا رأوا آيات النبوةأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، فهددهم فرعون بالعذاب والقتل الشنيع! "فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى" فردَّ المصريون المؤمنون: "لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا"! فمدحهم الله تعالى وأثنى عليهم! بل أيها النَّاس في كل الدنيا: إنَّ ارتباط مصر بالعالم ، وإنَّ فضل مصر على كل العالم لا ينكره أحد! أنتم الذين درسَّتم العربَ في كل الدول ، درسَّتم العرب صغارًا ، ودرسَّتموهم في الجامعات كبارًا ، ولا تكاد تجد اليوم بلدًا في العالم إلا وجدت المصريين فيه مبرِّزين علمًا وطبًا وفلكًا وهندسةً وفي كل ذلك. أنتم لكم فضلٌ لا يُنكرُ حتى على المملكة بلاد الحرمين! إنَّ ارتباط المملكة بلاد الحرمين بمصر هو ارتباط وثيق ، وحبلٌ عتيق. قبل عشرات السنين أول ما فُتحت المدارس الحكومية في المملكة بلاد الحرمين والخليج والله ما درَّس فيها إلا المصريون. درَّسوني ودرَّسوا غيري ، أولُ جامعةٍ فُتحت في السعودية رأَسَها رجلٌ مصري والله ما تجد اليوم في المملكة ولا في غيرها من دول الخليج

وزيرًا ولا أميرًا ولا مسؤولاً ولا عالمًا إلا وجدت لمعلمٍ مصري عليه فضلاً! بل إنَّ بدايات المناهج الحكومية التي أُلِّفت في أكثر الدول العربية أول ما بدأت المدارس أُخذت المناهج منكم أيها المصريون! فلمَّا أَلَّفت البلدان الأخرى لأنفسها مناهج جاءها مستشارون مصريون يُؤلِفُون معهم! لا يزالُ إلى اليوم يتذاكرُ وجهاء مكة ووجهاء جدة أنَّ أولَ طريقٍ معبَّد صُنع ما بين جُدة ومكة عملته مصر! لا نزالُ نتذكَّر أنَّ أول البعثات العلمية السعودية للتعليم كانت إلى مصر ولا ننسى والله أبدًا الإمامةَ في الحرمين الشريفين التي لم يتولها أحدٌ أبدًامن خارج المملكة إلا الشيخ عبد الظاهر أبو السمح رحمه الله تعالى إمامُ الحرم المكي جاء من -المصريون! الإسكندرية في عام 1345 للهجرة وصلَّى إمامًا في الحرم المكي ، وأنشأ العلم فيه وهو أولُ من استعمل مكبِّر الصوت في الحرم المكي ثم توفي في مستشفى الجيزة في مصر! الشيخ عبد المهيمن أبو السمح مصريُ الجنسية تولى إمامة وخطابة المسجد الحرام عام 1369 للهجرة ، وكان له أثر في إنشاء رابطة العالم الإسلامي وهو صاحب أقدم تسجيل تلفزيوني بين أئمة الحرم! بل إنَّ علماء مصر كان لهم التأثير الكبير على كل الدول العربية والإسلامية. الشيخ عبد الرزاق عفيفي ارتحل إلى المملكة ـ مصري ـ فتتلَّمذ كبار العلماء ثنوا ركبهم عند قدميه ، وهم علماء الآن هم قد شابت لحاهم في هيئة كبار العلماء ، هم من طلاب رجلٍ مصري الشيخ عبد الرزاق عفيفي. وتمَّ اختياره ليصبح عضوًا في هيئةِ كبار العلماء ، ثمَّ أصبح عضوًا في اللجنة الدائمة للإفتاء ، ثمَّ أصبح نائبًا لرئيسها الشيخ عبد العزيز بن باز. والكل إلى اليوم يتذاكرُ هذا المصري بالعلم والفضل والزهد والورع والديانة والحرص والبلاغة والفصاحة والعلم! لا ينسى أحدٌ مشايخ مصر الذين علَّموا في السعودية وفي بقية الخليج! المصريون اليوم هم الأئمة ومقرؤو القرآن في أكثرِ دول الخليج ، بل أكثرِ دول العربية بل أكثر دول العالم. بل هم أساتذة جامعاتها وهم المستشارون عند كبار مسؤوليها المصريون: لهم بالمملكة العربية السعودية وبالخليج وبجميع الدول العربية علاقة وطيدة. والله والله لا يستطيع أن يُفسدها أي مفسد! إنَّ مصر لا بد أن تعود للقيادة والريادة تحملُ هموم الأمة ، وتصعد بها إلى القمة ، وتدرأ في نحور أعدائهم ، وتدفع شرورهم. هذا قدر مصر منذ أن حملت راية الخلافة في العالم ، فقد استقلت مصر بالخلافة الإسلامية لمدة مائتين وخمسة وستين سنة! كانت قيادة الأمة هنا في مصر لما انقطعت الخلافة في بغداد إبَّان الغزو التتري عام 656 للهجرة! انتقلت الخلافة إلى مصر ، ومكثت الخلافة في مصر! تُديرونَ العالم الإسلامي كله بعقولكم وحكمتكم أيها مِصر تولَّت القيادة العلمية -المصريون ، حتى انتقلت بعد ذلك إلى تركيا في عام 1924م. والثقافية في البلدان العربية قرابة أربعمئة سنة كانت الكتب والأمر كما يقولون: "تؤلَّف الكتب في مصر وتُطبع في مصر والأساتذة يخرجون من مصر يعلِّمون النَّاس ، وطلبة العلم يأتون إلى مصر ليستفيدوا منها". بل حتى عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب جاء إلى مصر ، ولبثَ فيها أربعَ سنين يطلب العلم من مشايخها وهو حفيد الإمام محمد بن عبد الوهاب! ثمَّ من إعجاب ذرية محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ بمصر وأهلها ، أرسلوا أيضًا عبد اللطيف بن عبد الرحمن الذي جدُه ابن عبد الوهاب ، أرسلوه إلى مصر ، ومكث فيها ثلاثين سنة يطلبُ العلمَ على أيدي علمائها ، حتى عاد إلى السعودية وتحديداً إلى نجد ، يعلِّم العلماء ما تعلَّمه من علماء مصر ، ويفقِّههم من فقه علماء مصر ، ويعلمهم البلاغة والبيان التي تعلَّمها في مصر ، حتى إنه كان يلبس الجُبَّة وما يلبسه مشايخ الأزهر لا يزال يلبسه بهذه الهيئة حتى مات رحمه الله! إنَّ ارتباط العلم بمصر ارتباط وثيق. بلدكم مصر والله ليست للمصريين فقط ، كلا بل هي

للمسلمين كلهم عربهم وعجمهم ، بل للعالم كله! أنتم وقفتم ببطولةٍ أمام غزو التتار لمَّا تجرأوا على مصر ، فدحرتموهم أيها الأبطال في معركة عين جالوت بقيادة الأمير قُطز ، ولم يذقِ التتارُ أبدًا هزيمةً مثلها طِوالَ خمسين سنة! أنتم دحرتم الحملة الصليبية لمّا تجرَّأ لويس التاسع على غزو مصر وأذقتموه الأسر والهوان. أنتم رفعتم راية العز بانتصاراتكم المتكررة على اليهود! إنَّ مصر مهيئةٌ لتصبح بلدًا عظيمة ففيها طاقاتٌ طبيعية وعقولٌ بشرية! والله إنَّ مصر ليست أقل من كوريا ، ولا أقل من ماليزيا ، ولا أقل من تركيا. مصر فيها من المُقدِرات الطبيعية والعقول البشرية والقدرات المتفننة ، وفيها من المبدعين ما ليس في دولٍ كثيرة ، شريطةَ أن تُستثمر قدرات أهلها وتوحَّدَ صفوفهم وتُحترم كرامتهم وتُضمنَ حقوقهم وتجتمع كلمتهم! إنَّ مصر هي الركن الركين الداعم للدول العربية والإسلامية ، إنها بلدٌ تاريخيٌ مجيد).هـ. وإذا برحنا ساحة العريفي إلى ساحة الموسوعة الحرة: (الويكيبيديا) فماذا قالت عن مصر فيما قالت؟! تقول الويكيبيديا عن مصر: (تواكبت على مصر العديد من العصور والحقب التاريخية ، مرورًا بالفرس (نحو 343 قبل الميلاد) ، ثمَّ قدوم الإسكندر الأكبر (323 قبل الميلاد) ، والذي تأسَّست بعده الدولة البطلمية ، وبعدها غزاها الرومان (31 قبل الميلاد) ، وظلَّت تحت حكمهم 600 عام. وفي فترة حكم الرومان شهدت مصر ظهور النصرانية وانتشارها في مصر ، وبعدها جاء الفتح الإسلامي (نحو 640 بعد الميلاد) ، وتحولت مصر إلى دولة إسلامية. وتأسَّست في مصر العديد من الدول مثل: الدولة الطولونية ثمَّ الإخشيدية ثمَّ الفاطمية ثمَّ الأيوبية ثمَّ المماليك ، وبعدها أصبحت تحت حكم العثمانيين حتَّى عام 1914 م ، عندما أعلنت السلطنة ، ثمَّ تحولت إلى مملكة (1922م) ، ثم تحولت بعد ذلك إلى جمهورية (1953م). (طبعاً هذا الكلام من الويكيبيديا فيه نظر كبير ، لأنه يؤرخ لمصر من عهد الفرس والرومان! ويتغافل مجييء (مصرايم بن كنعان بن نوح) المسلم المؤمن الموحد الذي أقام الإسلام في مصر وأهلها ، وذلك بعد طوفان نوح وبدأت مصر عهداً جديد ككل بقعة في الأرض)! وتكمل الويكيبيديا كلامها عن مصر فتقول: وتشتهر مصر بالعديد من الآثار ؛ مثل أهرام الجيزة وأبي الهول ، ومعبد الكرنك والدير البحري ووادي الملوك وآثارها القديمة الأخرى ، مثل الموجودة في مدينة منف وطيبة والكرنك ، ويُعرض بعضٌ من هذه الآثار في المتاحف الكبرى في جميع أنحاء العالم. وقد وجد علم خاص بدراسة آثار مصر سمِّي بعلم المصريات ، وكذلك هناك الآثار الرومانية والإغريقية والقبطية والإسلامية بمختلف عصورها! وتعدُّ اللغة المصرية القديمة من أقدم لغات العالم واستمرت أكثر من 3000 سنة ، واخترع المصريون القدماء الكتابة الهيروغليفية. وتعدُّ اللغة العربية هي اللغة الرسمية لها. وتتكون أرض مصر من نواة أركية قديمة ، هي جزء من الكتلة العربية النوبية والتي تُعد جزءًا من الدرع الإفريقي ؛ والذي كان يُمثل قلب قارة جوندوانا في العصر الأركي. وقد تعرّض الدرع الإفريقي بمختلف أجزائه لتأثيرات العديد من العوامل عبر العصور ، لذلك أخذت أرض مصر تنمو صوب الشمال على حساب بحر تيثيس. وبلغت مصر عند منصرم الزمن الجيولوجي الثالث مساحتها الحالية ، وتشكلت ملامح سطحها وسواحلها كما هي الآن في الزمن الرابع. وقد تكونت التربة المصرية في وادي النيل ودلتاه من تراكم طمي النيل الذي أُشتق أصلًا من فتات صخور هضبة الحبشة ، والذي بدأ يرد إلى مصر منذ نحو 10 آلاف سنة ، ويُمكن تقسيم التربة المصرية إلى أنواع هي: التربة الصلصالية السوداء الثقيلة القوام العميقة ، والتربة الصلصالية السوداء الثقيلة القوام الضحلة والتربة الصلصالية الرملية الخفيفة ، والتربة الرملية الحصوية! وتُعد الحدود السياسية الحالية لمصر حديثة للغاية

، فأقدم اتفاقية للحدود ترجع إلى عام 1899م. أما قبل ذلك فكانت تخومًا ، وبحكم طبيعة موقع مصر الجغرافي الرابط بين قارتي آسيا وإفريقيا ؛ فكانت تخوم مصر تتمدد وتنكمش حسب درجة قوة الدولة المصرية. والحدود البرية المصرية فلكية هندسية ، وتتجاور مصر مع 4 دول: فلسطين (قطاع غزة) والشمال الشرقي ، وليبيا جهة الغرب ، والسودان جهة الجنوب. فيحد جمهورية مصر العربية اليوم من الشمال البحر المتوسط بساحل يبلغ طوله 995 كم ، ويحدها شرقاً البحر الأحمر بساحل يبلغ طوله 1941 كم ، ويحدها في الشمال الشرقي منطقة فلسطين (الضفة وقطاع غزة) بطول 265 كم ، ويحدها من الغرب ليبيا على امتداد خط بطول 1115 كم ، كما يحدها جنوباً السودان بطول 1280 كم. أما عن المناخ فإنه يتأثر بعدة عوامل أهمها الموقع ومظاهر السطح والنظام العام للضغط والمنخفضات الجوية والمسطحات المائية ، حيث ساعد ذلك كله على تقسيم مصر إلى عدة أقاليم مناخية متميزة فتقع مصر في الإقليم المداري الجاف فيما عدا الأطراف الشمالية التي تدخل في المنطقة المعتدلة الدفيئة التي تتمتع بمناخ شبيه بإقليم مناخ البحر المتوسط الذي يتميز بالحرارة والجفاف في أشهر الصيف وبالاعتدال في الشتاء مع سقوط أمطار قليلة تتزايد على الساحل. وبحسب الموقع الفلكي للبلاد ، فإن أطرافها الشمالية تقع على مشارف العروض الوسطى ، كما أن باقي أجزائها تقع داخل العروض المدارية الحارة والجافة حيث يسيطر الضغط المرتفع دون المداري وما يصحبه من هواء هابط يقلل من فرص سقوط الأمطار. كما أن هذه العروض تسود بها على السطح الرياح التجارية الجافة والتي تتميز بقابليتها لحمل بخار الماء؛ لأنها تسخن كلما تقدمت جنوبًا إلى خط الاستواء. وخلال فصل الشتاء تغلب على شمال مصر الرياح الجنوبية الشرقية والشمالية الغربية والغربية ؛ خاصةً الساحل الشمالي الغربي والدلتا. وفي مصر الوسطى ومصر العليا تسود الرياح الشمالية. أما في الربيع فتبدأ الرياح الغربية في التراجع بينما تتقدم الرياح الشمالية وذلك بشكل عام. ولفصل الصيف نمطًا مختلفًا للرياح السطحية ، فالرياح الشمالية وأفرعها تطغى على كل الاتجاهات وتستحوذ على أكبر نصيب من اتجاهات الرياح ، وتعرف بالرياح التجارية وهي رياح جافة وتعرف بين العوام بـالهواء البحري. ويعد فصل الخريف فترة انتقالية بين ظروف الصيف والشتاء في مصر ، فتبدأ الرياح الشمالية بالتراجع وقد يحدث بعض الخلل في توزيعات الرياح. وأما بالنسبة للرطوبة ، فإنها ترتفع في فصل الشتاء خاصةً في القسم الشمالي للبلاد ؛ ويصل متوسط الرطوبة النسبية إلى 80% شمال البلاد ، و40% في أقصى جنوب البلاد ، وتصل ما بين 60% و70% على سواحل البحر الأحمر وشبه جزيرة سيناء. أما في فصل الصيف فإنها تنخفض في شهر يوليو ، وتصل الرطوبة النسبية في المناطق الساحلية ما بين 60% و70% في يوليو وأغسطس ، بينما تنخفض إلى 20% في أقصى جنوب البلاد. أما في الفصول الانتقالية وهما الربيع والخريف فتكون الرطوبة النسبية وسطًا بين الشتاء والصيف! ، تتمتع مصر بالعديد من الموارد الطبيعية فمن الموارد المائية بها ساحلي البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط ، إضافة إلى وجود 10 بحيرات طبيعية منها بحيرة المنزلة وبحيرة البرلس وبحيرة قارون إضافة إلى بحيرة ناصر الصناعية ، بالإضافة إلى مورد المياه العذبة الرئيسي وهو نهر النيل الذي يمتد بطول مصر وينتهي بشطريه رشيد ودمياط، ويبلغ حجم الموارد المائية المتاحة عام 2000 / 2001 حوالي 68 مليار متر مكعب يستخدم منها في الزراعة نحو 85% سنوياً ، وفي الصناعة 9.5% وفي الشرب 5.5%. ساهم وجود نهر النيل أيضًا في انتشار الرقعة الزراعية على طول ضفتيه ، كذلك يوجد بمصر

سلاسل جبلية تمتد في جبال البحر الأحمر وجبال سانت كاترين في سيناء ، وتوجد مساحات واسعة تتمثل في الصحراء الشرقية والغربية (والتي تتميز بوجود عدد من الواحات بها مثل: سيوة والفرافرة والداخلة والخارجة) بالإضافة إلى شبه جزيرة سيناء. وهذا التنوع في التضاريس والأماكن الجغرافية ساهم أيضًا في توفر العديد من الثروات الطبيعية مثل الحديد والذهب والمنجنيز والفوسفات ، وكذلك الأحجار مثل: الجرانيت والبازلت والرخام والحجر الجيري ورمل الزجاج ، بالإضافة إلى الفحم والبترول والغاز الطبيعي! وتعد مصر من أقدم الحضارات بالعالم التي ظهرت قبل كتابة وتدوين التاريخ ، حيث استوطنتها الشعوب البدائية منذ القدم تعود إلى أواخر العصر الحجري القديم ، واستخدم فيها الإنسان المصري القديم أدوات من الحجر المنحوت نحتاً بسيطاً ، وكان يستخدم الأخشاب والأحجار كأسلحة للصيد والدفاع عن نفسه! ولقد عرف المصريون الأوائل الكتابة ، واستقروا في مجتمعات صغيرة وبدؤوا في تكون نواة المدنية قبل أربعين قرنًا تقريبًا ، وبدأ تكوين الدولة أثناء تلك الحقبة فكانت كثير من المدن القديمة على جانبي نهر النيل مثل طيبة وممفيس وبوتو وهيراكونوبليس وأليفاتانين وبوباستيس وتانيس وأبيدوس وسايس وأكسويس وهليوبوليس ، ولكنها تقلصت على مر القرون إلى ثلاث مدن كبيرة في صعيد مصر هم: ثينيس ونخن ونقادة! ويقسم عصر ما قبل الأسرات إلى ثلاث أجزاء رئيسية نسبة إلى الموقع الذي توجد فيه المواد الأثرية: المواقع الشمالية من حوالي عام 5500 قبل الميلاد وخلفت آثار تدل على استقرار ثقافي ولكنه ليس كمثيله في الجنوب ، وتدل الآثار على أنه في حوالي عام 3000 قبل الميلاد تواجدت قوة سياسية كبيرة كانت العامل الذي أدى إلى اندماج أول مملكة موحدة في مصر القديمة حيث تعود إلى هذه الفترة أقدم الكتابات الهيروغليفية المكتشفة ، وبدأت تظهر أسماء الملوك والحكام على الآثار ، واستمر الحال كذلك حتى القرن الحادي والثلاثين 3200 قبل الميلاد حيث جاء مينا أو نعرمر موحد القطرين الشمالي والجنوبي (الدلتا والصعيد) ، ويعتقد كثير من علماء المصريات بأن الملك نعرمر هو آخر ملوك هذا العهد ، والبعض الآخر يضعه في الأسرة الأولى! هذا ، ويبدأ تاريخ مصر القديمة من عام 3150 ق.م ، عندما وحد الملك نارمر مصر العليا والسفلى ونشأة الأسرة الأولى ، ضمت تاريخيًا سلسلة من الممالك المستقرة سياسيًا ، يتخللها فترات عدم استقرار نسبي تسمى الفترات المتوسطة. بلغت مصر القديمة ذروة حضارتها في عصر الدولة الحديثة ، وبعد ذلك دخلت البلاد في فترة انحدار بطئ ثم التدهور. ولقد استمد نجاح الحضارة المصرية القديمة في القدرة على التكيف مع ظروف وادي نهر النيل. وساعد التنبؤ بالفيضانات والسيطرة على أضرارها في إنتاج محاصيل زراعية وافرة أسهمت في التنمية الاجتماعية والثقافية. وقامت السلطات ومع توافر المواد اللازمة باستغلال المعادن الموجودة في منطقة الوادي والمناطق الصحراوية المحيطة به! وقامت بوضع نظام كتابة مستقل ، ونظمت البناء الجماعي والمشاريع الزراعية ، بالإضافة للتجارة مع المناطق المحيطة بها ، وتعزيز القوى العسكرية للدفاع العسكري ضد الأعداء الخارجيين وتأكيد الهيمنة الفرعونية على البلاد. وقد كان تنظيم تلك الأنشطة وتحفيزها يتم من خلال نخبة من البيروقراطيين والزعماء الدينيين والإداريين تحت سيطرة الفرعون الذي حرص على التعاون والوحدة للمصريين في سياق نظام محكم للمعتقدات الدينية. وتضمنت إنجازات قدماء المصريين استغلال المحاجر إضافة إلى المسح وتقنيات البناء التي سهلت بناء الأهرام الضخمة والمعابد والمسلات ، بالإضافة لنظام رياضيات عملي وفعال في الطب ، وأنظمة الري وتقنيات الإنتاج الزراعي ،

وأول ما عرف من السفن ، والقيشاني المصري وتكنولوجيا الرسم على الزجاج ، وأشكال جديدة من الأدب ، وأول معاهدة سلام معروفة. تركت مصر القديمة إرثًا دائمًا. ونُسخت وقُلدت الحضارة والفن والعمارة المصرية على نطاق واسع في العالم ، ونقلت آثارها إلى بقاع بعيدة من العالم. وألهمت الأطلال والبقايا خيال المسافرين والكُتَابُ لعدة قرون ، وأدت اكتشافات في مطلع العصر الحديث عن آثار وحفريات مصرية إلى أبحاث علمية للحضارة المصرية تجلت في علم أطلق عليه علم المصريات ، ومزيدًا من التقدير لتراثها الثقافي في مصر والعالم. وفي عصر الدولة القديمة بنى الملوك أهرامًا كثيرة ليُلقَّب هذا العصر بعصر بناة الأهرام ؛ من أشهرهم الملك زوسر وهرم سقارة المدرج الذي بناه المهندس إمحوتب والملك خوفو والهرم الأكبر الذي يعد من عجائب الدنيا السبع. وفي عام 1786 ق.م قام الهكسوس الذين قدموا إلى مصر كتجار وأجراء في القرن المضطرب السابق ، باحتلال شمال مصر واستقدموا الحصان والعجلات الحربية وقوي نفوذهم بسبب المشاكل الداخلية بمصر ، ولكن في عام 1560 ق.م قام الملك أحمس بطرد الهكسوس وباقي القبائل الآسيوية ، مؤسسًا الدولة الحديثة وأصبحت مصر إمبراطورية سيطرت على الشام والنوبة وأجزاء من الصحراء الليبية وشمال السودان لتصبح مصر أول إمبراطورية في تاريخ البشرية لكنها سقطت بعد أن دخل الآشوريين مصر ؛ وكانت الأسرة الثلاثون آخر الأسر الفرعونية بعد أن أسقطها الفرس عام 343 ق.م. وفي عام 332 ق.م استطاع الإسكندر الأكبر غزو مصر وإنهاء حكم الساسانيين فيها ، ولكن بعد وفاة الإسكندر الأكبر قُسِّمت إمبراطوريته بين كبار قادته ، حيث تولى «بطليموس الأول» حكم مصر وأسس فيها الدولة البطلمية. اهتم بطليموس الأول ببناء مدينة الإسكندرية التي أسسها الإسكندر الأكبر قبل مغادرته مصر في حملة عسكرية إلى بلاد الشرق ، وجعل بطليموس الأول الإسكندرية عاصمة لمصر ، وصل نفوذ الدولة البطلمية إلى فلسطين وقبرص وشرق ليبيا ، وتكونت أسرة البطالمة من 16 حاكماً ، وظلت أسرة بطليموس تحكم مصر حتى دخلها الرومان في عام 30 ق.م ، وآخر البطالمة كانت الملكة كليوباترا وابنها بطليموس الخامس عشر (قيصرون). وعرفت مصر ازدهاراً خلال عهود بطليموس الأول وبطليموس الثاني وبطليموس الثالث. كون البطالمة ذوى أصول إغريقية لم يمنعهم من التشبع بالتقاليد والعادات المصرية ، فمعمارهم المصري ومعابدهم للآلهة المصرية وطريقة عيشهم مصرية وساعد على ذلك تزاوجهم من المصريين. جميع ملوك البطالمة حملوا اسم بطليموس. واتخذوا من الإسكندرية عاصمة لهم ، وظلت كذلك حتى معركة أكتيوم البحرية عام 31 ق.م عندما انتصر أكتافيوس على أنطونيوس وكليوباترا لتصبح مصر ولاية رومانية منذ ذلك التاريخ. وبعد انتصار أوكتافيوس في معركة أكتيوم عام 31 ق.م أصبحت مصر تابعة للدولة الرومانية ، واعتمدت روما في توطيد سلطانها على مصر بالقوة العسكرية فأقامت الثكنات في أنحاء البلاد ، فكان هناك حامية شرق الإسكندرية وحامية بابليون وحامية أسوان وغيرها من الحاميات التي انتشرت في أرجاء البلاد ، ولم يهتم الرومان كثيرا بتحسين الأوضاع في مصر فقد كانوا ينظرون لها على أنها «سلة الغلال» بالنسبة للإمبراطورية الرومانية. وكان يتولى حكم مصر والٍ يبعثه الإمبراطور نيابة عنه ومقره الإسكندرية يهيمن على إدارة البلاد وشؤونها المالية وهو مسؤول أمام الإمبراطور مباشرة ، وكانت مدة ولايته قصيرة حتى لا يستقل بها ، وهذا ما جعل الولاة لا يهتمون بمصالح البلاد بل صبوا اهتماماتهم على مصالحهم الشخصية وحرموا المصريين من الاشتراك في إدارة بلادهم مما جعلهم كالغرباء فيها ، بالإضافة إلى منعهم من

الانضمام للجيش حتى لا يدفعهم ذلك إلى جمع صفوفهم ومقاومة الرومان في المستقبل. وأدت هذه السياسة الجائرة إلى توتر الأوضاع واشتعال الثورات ضد الرومان ، وكانت الحاميات الرومانية تقضى على هذه الثورات بكل عنف ومن أخطر هذه الثورات ما حدث في عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس (161-180 م) وعرف بحرب الزرع أو الحرب البكولية (نسبة إلى منطقه في شمال الدلتا) وتمكن المصريون من هزيمة الفرق الرومانية وكادت الإسكندرية أن تقع في قبضة الثوار لولا وصول إمدادات للرومان من سوريا قضت على هذه الثورة. ازدادت حدة الثورات مع دخول النصرانية إلى مصر ، والتي قوبلت بأشد أنواع الاضطهاد للنصارى بالتعذيب والصلب والقتل حتى لم ينج منهم إلا من فر إلى الصحاري أو التجأ إلى المقابر والكهوف ، استطاعت الملكة زنوبيا ملكة تدمر «بالميرا» من الاستيلاء على مصر (269 م) لمدة عامين فقط ثم نجح الإمبراطور أوريليانوس (270 – 275 م) في القضاء على نفوذ تدمر في مصر ، بل واستولى على تدمر نفسها ، ثم استطاع الفرس مجددًا السيطرة على مصر لفترة وجيزة عام 618 ميلادية ، قبل أن يستردها منهم البيزنطيون عام 629 م ، وعندما تولى الإمبراطور قسطنطين (323 – 337 م) أصبح أول إمبراطور نصراني للإمبراطورية الرومانية واعترف رسميًّا بالديانة النصرانية ، ويعدّ هذا هو بداية العصر البيزنطي الذي انتهى تماماً مع دخول الإسلام مصر مع قدوم عمرو بن العاص عام 641 م. وفي عام 639 ميلادية ، قاد عمرو بن العاص في عهد الخليفة عمر بن الخطاب جيشًا إسلاميًا قِدِمَ من الشام عدده 4 الآف جندي ، واستطاع هزيمة البيزنطيين في مصر والاستيلاء عليها عام 641 م بعد معارك استمرت لسنتين ، وقام بإنشاء مدينة الفسطاط وأصبحت ولاية إسلامية تابعة للخلافة وقاعدة لانطلاق الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقيا ، وبدأت عملية أسلمة السكان في مصر. وتعاقبت ممالك ودول على مصر ، فبعد الخلفاء الراشدين والدولة الأموية حكمها العباسيون ، واستطاع أحمد بن طولون تأسيس أول دولة في مصر (الدولة الطولونية) ثم أعقبه الإخشيديون ، حتى انتزعها منهم الفاطميون وجعلوا عاصمتهم القاهرة التي أسسها الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الفاطمي ، وذلك حتى أعادها الأيوبيون اسميًا إلى الخلافة العباسية ، وأسس صلاح الدين الدولة الأيوبية التي كانت تحكم مصر والحجاز وأجزاء من الشام والعراق. شهدت مصر بداية من العصر الأخشيدي جلب العديد من المماليك وهم رقيق من عدة مناطق في آسيا! زاد شأنهم في عهد الدولة الأيوبية واستعان بهم الحكام ، ثم ما لبثوا أن ارتفع شأنهم وتولوا المناصب في الدولة وأمور الجيش ، وعقب وفاة نجم الدين أيوب تمكن المماليك من الوصول للسلطة عام 1250 م ، وشهدت مصر وقتها معركة عين جالوت والتصدي لخطر المغول ، ثم أعقبها استعادة العديد من المدن من الصليبين ، وتم نقل مقر الخلافة العباسية إلى القاهرة عام 1260 م ، واستمر حكمهم حتى بعد أن فتحها العثمانيون ، لتصبح مصر ولاية عثمانية عام 1517 م ، واستمر حكم العثمانيين لمصر حتى قدوم الحملة الفرنسية والتي أعقبها تولي محمد علي حكم مصر فانتقل الحكم بعدها إلى سلالته. وتميزت الفترة العباسية بفرض ضرائب جديدة ، وثار الأقباط مرة أخرى في العام الرابع للحكم العباسي. تمكن عبد الله بن طاهر من إعادة الحكم العباسي في مصر في بداية القرن التاسع ، لكنه قرر الإقامة في بغداد ، وإرسال نائب إلى مصر ليحكم نيابة عنه. قامت ثورة أخرى في 828 ، وفي 831 انضم الأقباط إلى العامة المسلمين وعرفت بثورة البشموريين ، ولجأ الوالي للبطريرك يوسف الأول لإرسال رسائل وأساقفة لمناشدة البشموريين للتصالح ، لكن البشموريين أساءوا معاملة الأساقفة ورفضوا التصالح ، تدخل الخليفة المأمون بنفسه وشن هجومًا كبيرًا من شبرا بالقرب من سمنيد وتم القضاء علي التمرد وأدي ذلك لاضطهاد للنصارى في مصر بسبب تهديدهم السياسي للسلطة. في

نهاية المطاف ، أدى ضعف سلطة العباسيين في بغداد إلى تكليفهم لولاة عسكريين الواحد تلو الآخر حكم مصر ، ومع ذلك فقد كانت السلالة الطولونية (868-905) وسلالة الأخشيديون (935-969) من بين أكثر السلالات نجاحًا في تحدي الخليفة العباسي! وظل الحكام المسلمون مسيطرين على مصر على مدى القرون الستة التالية ، نشأت بعدها حركات تمرد شعبوية تركية فتأسست الدولة الطولونية في مصر وامتدت للشام لاحقًا ، كانت القاهرة مقراً للدولة العبيدية الفاطمية. مع نهاية السلالة الأيوبية ، سيطر المماليك وهم طائفة عسكرية تركية شركسية ، على حوالي عام 1250م. وبحلول أواخر القرن الثالث عشر ، ربطت مصر البحر الأحمر والهند والملايا وجزر الهند الشرقية. قتل الموت الأسود في منتصف القرن الرابع عشر حوالي 40٪ من سكان البلاد. ولما غزا الأتراك العثمانيون مصر بقيادة السلطان سليم الأول عام 1517م ، أصبحت مقاطعة تابعة للإمبراطورية العثمانية. لقد أضرت العسكرة الدفاعية بالمجتمع المدني والمؤسسات الاقتصادية. ضعف النظام الاقتصادي مقرونًا بآثار الطاعون جعل مصر عرضة للغزو الأجنبي. استغرق التجار البرتغاليين على تجارتها. شهدت مصر ست مجاعات بين عامي 1687 م و1731م كلفت المجاعة عام 1784م ما يقرب من سدس سكانها. وكانت مصر دائمًا مقاطعة يصعب على السلاطين العثمانيين السيطرة عليها ، ويرجع ذلك جزئيًا إلى استمرار قوة وتأثير المماليك ، الطبقة العسكرية المصرية التي حكمت البلاد لقرون. وظلت مصر شبه مستقلة تحت حكم المماليك حتى غزاها الفرنسيون بقيادة نابليون بونابرت عام 1798م (انظر الحملة الفرنسية على مصر). بعد هزيمة البريطانيين للفرنسيين ، نشأ فراغ في السلطة في مصر ، وتبع ذلك صراع ثلاثي على السلطة بين الأتراك العثمانيين والمماليك المصريين الذين حكموا مصر لقرون ، والمرتزقة الألبان في خدمة العثمانيين. ويعدّ الوالي العثماني محمد علي باشا مؤسس مصر الحديثة لما قام به من إصلاحات شملت جميع نواحي الحياة بما يتفق مع روح العصر الحديث بما في ذلك تبنيه العلمانية وفصل الدين عن الدولة نتيجة تأثره بالأوروبيين خاصة الفرنسيين خلال شبابه وتأسيس الدولة على النمط الأوروبي ، فبدأ ببناء جيش مصر القوي وأنشأ المدرسة الحربية ، ونشأت صناعة السفن في بولاق ، والترسانة البحرية في الإسكندرية ، وأصلح أحوال الزراعة والري وأنشأ القناطر والسدود والترع ، وأنشأ المصانع والمعامل لسد حاجة الجيش وبيع الفائض للأهالي! وفي مجال التجارة عمل محمد علي باشا على نشر الأمن لطرق التجارة الداخلية وقام بإنشاء أسطول للتجارة الخارجية حيث ازدهرت حركة التجارة في مصر. ونشر التعليم لسد حاجة دواوين الحكومة فأنشأ المدارس على اختلاف مستوياتها وتخصصاتها وأرسل البعثات إلى أوروبا ونقل العلوم الحديثة. كما كان له أثر في ازدياد استقلالها عن الإمبراطورية العثمانية وإن ظلت تابعة لها رسميًا ، مع استمرار حكم أسرته من بعده ، وازداد نفوذها السياسي والعسكري في منطقة الشرق الأدنى إلى أن هددت المصالح العثمانية ذاتها. (وهذا لا يعني طهارة يد ونظافة حكم محمد علي باشا من العلمنة وحرب الإسلام ويكفيه سوءًا محاولته القضاء على الدعوة الوهابية في بلاد الحرمين)! ثم أُحتلت مصر خلال الحرب الإنجليزية المصرية الثانية التي دارت رحاها عام 1882م بين القوات المصرية بقيادة أحمد عرابي ، والقوات البريطانية والأيرلندية ، بدأ الأسطول البريطاني بقصف الإسكندرية ثلاثة أيام في الفترة بين (11 يوليو – 13 يوليو) واقتحمت قوات البحرية الإسكندرية بعد أن دمرتها بالكامل. أعلن أحمد عرابي رفضه ، واستصدر من شيوخ الأزهر فتوى بتكفير الخديوي توفيق وخيانته للدولة ومساعدة العدو لاحتلال أرض مصر ، وصرّح بوجوب التعبئة العامة والتجنيد لمحاربة بريطانيا. وظلت مصر ولاية عثمانية ظاهريًا حتى الحرب العالمية الأولى ؛ وأعلنت بريطانيا الأحكام العرفية والحماية البريطانية الجبرية على مصر. وأُنشئت في ظل الحماية البريطانية على مصر السلطنة المصرية وكان أول السلاطين هو السلطان حسين كامل (1914-

1917م) وقد نُصِّب سلطانًا على مصر بعدما عزل الإنجليز ابن أخيه الخديوي عباس حلمي الثاني وأعلنوا مصر محمية بريطانية في 1914م في بداية الحرب العالمية الأولى. وبتغيير اسم الخديوية المصرية للسلطنة المصرية أنهت السيادة الإسمية للعثمانيين على مصر ، ووظّفت لذلك رمزية تغيير اسم الخديوية لسلطنة لمضاهاة لقب رأس الدولة العثمانية ؛ «السلطان». تلك الخطوة أنهت السيادة الإسمية للعثمانيين على مصر! ثم تولى الحكم من بعده فؤاد الأول الذي لقب بسلطان مصر حتى عام 1922 م وتغيّر لقبه إلى ملك المملكة المصرية. وبعد إبعاد سعد زغلول وبدء ثورة 1919م والاضطرابات التي تبعتها ، أعلنت بريطانيا من طرف واحد إنهاء حماية المملكة المتحدة على مصر بما عرف ب «تصريح 28 فبراير 1922م» ليصبح هذا التاريخ هو تاريخ تأسيس المملكة المصرية. وفي عام 1923م شُكِلت «لجنة الثلاثين» التي صاغت دستور 1923م ، وغُيّر لقب فؤاد الأول من سلطان مصر والسودان إلى ملك مصر والسودان. تم عقد معاهدة 1936 م لمدة 20 عاماً بين مصر وبريطانيا ، وألغتها مصر من طرف واحد يوم 8 أكتوبر 1951م ، وألغت معها اتفاقية الحكم الثنائي للسودان الموقعة عام 1899م ، ثم بدأت حرب القنال الفدائية لمدة 3 شهور حتى حريق القاهرة وإقالة آخر حكومة وفدية يوم 27 يناير 1952م ، ثم انقلب ضباط من الجيش المصري في 1952 م على الملك فاروق الأول (الذي كان ملكه ممتداً ليشمل مصر والسودان ودارفور وغزة) ، وأجبروه على الرحيل عن مصر ، والتنازل لابنه الرضيع أحمد فؤاد الثاني آخر ملوك مصر ، ثم أعلنت الجمهورية يوم 18 يونيو 1953م. وبقيت على ما آلت إليه ، إلى يوم الناس هذا! حفظ الله مصر! قال الشيخ ناصر العمر عن مصر وأهلها: (إنَّ مصر مقبرة الغزاة ، ويتميَّز أهلها بقتال المعتدين والمحتلِّين ، وكانت تُرسل المجاهدين لمقاومة الحملات الصَّليبيَّة ، وتصدَّت للحملة الفرنسيَّة حتَّى أخرجتها وهي صاغرة ، ووقفت للاستعمار البريطانيِّ وأخرجته رغماً عن أنفه ، وواجهت العدوان الثُّلاثي الغاشم عليها بكلِّ قوَّةٍ وعنفٍ وصلفٍ ، ويوجد في أهل مصر من العاطفة الدِّينيَّة الجيَّاشة ؛ لو قسمت على المسلمين جميعاً لوسعتهم ، لو قلت لواحدٍ منهم واعظاً له: اتق الله! رجف قلبه ، ودمعت عينه ، وتراجع عن خطئه. وأنا على ثقة تامَّة بأنَّ الجيش المصريَّ ، سيكون يوماً ما في مقدِّمة الجيوش الزَّاحفة ، لتحرير الأقصى السَّليب من أبناء القردة والخنازير ، وسيلقن الجيش المصريُّ اليهود درساً لن ينسوه بحول الله وقوَّته).هـ. والأستاذ أحمد هاشم يقول في فضائل مصر كذلك: (إن لمصر في الإسلام فضلاً عظيماً ، حيث تكرر ذكر مصر والثناء عليها في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية ، فمن نصوص القرآن قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ) ، وقوله أيضًا: (ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) ، وقوله كذلك: (قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ) ومن الكتب التي اهتمت بذكر فضائل مصر كتاب "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" لابن تغري بردي ، والذي جاء فيه (1/ 27): "ذكر ما ورد في فضل مصر من الآيات الشريفة والأحاديث النبوية: قال الكندي وغيره من المؤرخين: فمن فضائل مصر أن الله عز وجل ذكرها في كتابه العزيز في أربعة وعشرين موضعًا ، منها ما هو بصريح اللفظ ، ومنها ما دلت عليه القرائن والتفاسير! ومما ورد في فضلها من السنة ما رواه أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: (إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا ، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا) ، أَوْ قَالَ: (ذِمَّةً وَصِهْرًا). أخرجه مسلم في صحيحه ، وعن أم سلمة – رضي الله عنها ـ قالت: قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (اللهَ اللهَ في قبطِ مِصرَ ؛ فإنَّكم ستظهرونَ عليهم ، ويكونُون لكم عُدَّةً وأعوانًا في سبيل الله). أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ، وعن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: (إِذَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِصْرَ فَاتَّخِذُوا فِيهَا جُنْداً كَثِيفاً ، فَذَلِكَ الْجُنْدُ خَيْرُ أَجْنَادِ الْأَرْضِ) فقال له أبو بكر: ولم يا رسول الله؟ قال: (لِأَنَّهُمْ وَأَزْوَاجَهُمْ فِي رِبَاطٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ). أخرجه ابن عبد الحكم في فتوح مصر (167/1) وابن عساكر في تاريخ دمشق (163/46) ، والحديث ضعيف ؛ لضعف ابن لهيعة! وأما حديث: ((مِصْرُ كِنَانَةُ اللهِ فِي أَرْضِهِ مَا

طَلَبَهَا عَدُوٌّ إِلَّا أَهْلَكَهُ اللهُ) ، فقد قال السخاوي في "المقاصد الحسنة" (ص609): "لم أره بهذا اللفظ في مصر ، ولكن عند أبي محمد الحسن بن زولاق - في فضائل مصر له - حديثًا بمعناه ، ولفظه: (مِصْرُ خَزَائِنُ الْأَرْضِ كُلِّهَا ، مَنْ يُرِدْهَا بِسُوءٍ قَصَمَهُ اللهُ) ، وعزاه المقريزي في الخطط لبعض الكتب الإلهية". وذكر السخاوي في "المقاصد الحسنة" (ص609) أيضاً: عن عمرو بن الحمق مرفوعًا: (تَكُونُ فِتْنَةٌ أَسْلَمُ النَّاسِ أَوْ خَيْرُ النَّاسِ فِيهَا الْجُنْدُ الْغَرْبِيُّ) ، قال: فلذلك قدمت عليكم مصر. أخرجه الحاكم في مستدركه 495/4 ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه - ووافقه الذهبي رحمه الله.).هـ. حفظ الله مصـــــر وأهلها ، وحماها الله من كل كيد!)

وقـــــفَ الخلـــــقُ بـــــين أخـــــذٍ ورَدِّ ... ينظـــرون آيـــاتِ عِـــزي ومَجـــدي

يرقبـــــون فخـــــراً يـــــروحُ ويغـــــدو ... مثـــلَ بَحـــر مـــا بـــين جَـــزر ومـــد

يَرصُـــدُون الأمـــداحَ تختـــالُ زهـــواً ... كالهـــــا عُشـــــاقي وطـــــلابُ وُدِّي

يَعجبـــــون ممـــــن يُحبـــــون أهلـــــي ... حـــــاملين باقـــــاتِ زهـــــر وورد

واســـــألوا التـــــاريخَ المُوَثـــــق عنـــــي ... والنصـــوصُ تحـــوي صَـــدوقَ السَّـــرد

واســـألوا الاستشـــراقَ عـــن كـــل خُبْـــر ... بعـــضُ أهليـــهِ بـــالغوا فـــي الحَيـــد!

واســـألوا جيـــلَ البـــاحثين النشـــامى ... إنهـــم خطـــوا باقتنـــاع ورُشـــد

كـــم بأســـفار العِلـــم كـــم مِـــن خبايـــا! ... أظهرتْهـــا كَـــفٌ تَعـــافُ التعـــدِّي!

كـــم أعـــادٍ ســـاقوا شـــهادة صِـــدق ... لـــم تُمِلهـــم عنهـــا بـــوادرُ حِقـــد!

مَـــن سيُحصِـــي أنـــدى البـــراهين عَـــدَّاً ... أو يُـــوافين جُهالنـــا بالحَصـــد؟!

مَـــن يَعُـــدُّ مناقبـــاً لـــيس تُحصـــى ... مـــا لهـــا مِـــن رَدٍ يفـــي أو رصـــد

قصَّـــتي مِـــن ســـالف الـــدهر لغـــزٌ ... حَلـــهُ يـــأتي بعـــد فِكـــر وجُهـــد

والحكايـــــا طويلـــــة لا تُبـــــارى ... نصُّـــها كـــم يـــأوي لعُمـــق الســـرد

منـــذ فجـــر التـــاريخ كـــان ابتـــدائي ... فـــي رُوايـــاتٍ مـــا لهـــا مِـــن عَـــد

كنـــتُ بعـــد الطوفـــان مَعقِـــلَ سِـــلم ... إذ أهَـــلَّ (مصـــرايمُ) الخيـــر عنـــدي!

وأقـــامَ الإســـلامَ فـــوق ربـــوعي ... خيـــرُ ديـــن أتـــى بـــه خيـــرُ مَهـــدي

واقتطعـــتُ اســـمي منـــه رغـــم الأحـــاجي! ... ذي ادِّعـــاءاتٌ مـــا لهـــا مِـــن حَـــد

أنبيـــاءُ الـــرحمن حَلـــوا بأرضـــي ... ســـبعة زانـــوا مُســـلمِيَّ وبُلـــدي

و(المســـيحُ) والأمُّ جـــاءا بأرضـــي ... شـــرَّفاني ، مَرحـــى بـــأكرم وفـــد!

ســـائلوا (الهكســـوسَ) الـــذين غزونـــي ... وانتصـــرتُ فـــي ردعهـــم والتصَـــدي

فـــإذا (النوبيـــون) حَلـــوا غـــزاة! ... شـــرُّ قـــوم كـــانوا ، وأتعـــسُ عهـــد!

وبنـــو (آشـــور) أتـــوني غـــزاة ... مُـــوغِلين فـــي بطشـــهم والتحـــدي

وكـــذا (الحَيْثِيـــون) جـــاؤوا غـــزاة ... جَنـــدلوني فـــي شـــر غـــزو وحَـــرد!

و(المجـــوسُ) الفـــرسُ اعتـــدوا دون حـــق ... أشـــعلوا نـــاراً ألجـــأتْني لخمـــد

وكـــذا (الإغريـــقُ) الـــدَّهاقينُ جـــاروا ... قـــوم سُـــوءٍ حَلـــوا وأشـــرسُ حشـــد

والطغـــاة (الرُّومـــانُ) شَـــرٌّ طِباعـــاً ... إذ أتـــوني أحســـنتُ ظنـــي وقصـــدي!

أكرهـــوني علـــى اعتنـــاق الخطايـــا ... دون تمحـــيص أو أثـــارة نقـــد

فاســـتغثتُ (الفـــاروقَ) يُنقـــذ أهلـــي ... مِـــن بـــلاءٍ مِـــن بعـــد سَـــجن وقيـــد!

فأتـــاني (ابـــنُ العـــاص) غوثـــاً مغيثـــاً ... ولربـــي أكثـــرتُ شـــكري وحمـــدي

فاتحـــاً للإســـلام داراً تُقاســـي ... وطـــأة الـــروم المعتـــدين المُـــرد!

ثـــم دارتْ معـــاركٌ جَمَّلتْنـــي ... وصِـــحابُ (المختـــار) أشـــرفُ جُنـــد

خمســـة الآلاف احتـــواهم تُرابـــي ... كـــل فـــذٍ واراهُ أطيـــبُ لحـــد!

وابتُليـــتُ بـــالـــ (ـــفاطميين) حربـــاً ... تجتنـــي توحيـــدي ودينـــي وســـعدي!

أفســـدوا عَيشـــي بالضـــلالات شـــتى ... أشـــركوا جهـــراً بالمليـــك الفـــرد

إذ أجـــازوا دعـــاء غيـــر إلهـــي ... ثـــم دانـــوا المـــولى بـــدين (الجَعـــد)!

ببنـــي (أيـــوبٍ) تجـــاوزتُ ضـــنكي ... إذ أتـــاني الشـــهمُ الشـــجاع الكُـــردي

يـــا (صـــلاح الـــدين) افتـــديت صـــلاحي ... إذ مَـــددت للخيـــر أعظـــمَ يـــد

قـــدت جـــيشَ التحريـــر ، لـــم تـــألُ جهـــداً ... يـــوم عَـــز فـــي مصـــرَ بـــذلُ الجهـــد!

و(المماليـــكُ) أكملـــوا الـــدَّورَ لمَّـــا ... مُكنـــوا ، مـــا ارتـــأوه ضـــداً لضـــد

حـــــرروا الأرض والـــــديارَ احتســـــاباً ... لـــم يـــذوقوا مـــن أجلهـــا أي رقـــد

وارتأيـــتُ فـــي (آل عثمـــانَ) نجـــداً ... لا يُدانيـــهِ فـــي الـــورى أيُّ نجـــد!

حققـــوا مـــن أمجـــادهم مـــا اســـتطاعوا ... رغـــم ميـــل نحـــو المعـــالي وزهـــد

ثـــم حلـــتْ أرضـــي (فرنســـا) انتقامـــاً ... بَقِيَـــتْ عقـــداً ، كـــان أســـوأ عقـــد!

ذقـــتُ فيـــه العـــذابَ سِـــراً وجهـــراً ... ثـــم أقصـــيتُ شـــانئي بالعمـــد!

ثـــم جـــاءتْ (إنجلتـــرا) كالمنايـــا ... عســـكرتْ قرنـــاً فيـــه أشـــرسُ كيـــد

ثـــم أجليـــتُ المعتـــدين ببـــأس ... عنـــدما فاضـــتْ أحجيـــاتُ التـــردِّي!

كـــم قهـــرتُ الأعـــداءَ دون اكتـــراثٍ! ... لـــيس مـــن تهجيـــر العِـــدا أي بُـــد

كـــم حبـــاني ربُّ الـــورى مـــن نعـــيم ... يَخطـــفُ الأنظـــارَ اصـــطفتْه ليُجـــدي!

كـــم ذكِـــرتُ فـــي (الـــذكر) ذِكـــراً صـــريحاً ... جعـــل اســـمي يرنـــو لمســـحة خلـــد!

إن قـــومي أخـــوالُ (يَعـــرُبَ) قطعـــاً ... أي مجـــدٍ مـــن بعـــد هـــذا المجـــد؟!

وادرســـوا أقـــوال (المصـــطفى) إذ يُوَصِّـــي ... عـــاملوني بـــالخير ، هـــذا قصـــدي!

واقـــدُروا قـــدري ، لـــي علـــيكم حقـــوقٌ ... ثبتـــتْ منـــذ الأمـــس حتـــى الغـــد!

يُشـــرقُ الشـــرقُ إن نشـــرتُ خيـــوري ... وإذا مـــا جُنـــدلتُ لا يســـتهدي!

مـــا بخِلـــتُ يومـــاً علـــيكم بشـــيءٍ ... إن وَعـــدتُ وفيـــتُ صـــادق وعـــدي!

أو تراني عاهـــدتُ مـــا خنـــتُ يومـــاً ... كيـــف يحيـــا حُـــراً خـــؤونُ العهـــد؟!

والفقيـــهُ (عبـــدُ اللطيـــف) سَـــلوهُ ... عـــن سِـــماتي ، يُـــدلي بأصـــدق سَـــرد!

(ابـــنُ عبـــد الوهـــاب) حصَّـــلَ عِلمـــاً ... مـــن شـــيوخي أملـــى هُـــداهُ بنجـــد!

قـــوم كُفـــوا عـــن نَـــيلكم مـــن شـــؤوني ... يَجلـــبُ النيـــلُ عـــاجلاتِ البيـــد!

أســـألُ المـــولى أن يُقِيـــلَ عَثـــاري ... كـــي يعـــود الرخـــاءُ أثمـــرَ عَـــود!

فهرست القصائد & مسرد موسيقي – (معارضاتي الشعرية لبعض الشعراء 2)

مسلسل	عنوان القصيدة	البحر	القافية	الصفحة
1	(غادة اليمن) (معارضة لحافظ إبراهيم: غادة اليابان)	الخفيف	ومرامي	7
2	فأما اليتيم فلا تقهر (معارضة للمتنبي: على قدر أهل العزم)	الطويل	البراعمُ	21
3	قال معاذ الله! (معارضة لأبي فراس: أراك عصي الدمع)	الطويل	ولا أمرُ	24
4	قلمٌ يدافع عن نفسه! (معارضة لقصيدة براءة لجابر قميحة)	البسيط	السنِمِ	26
5	كفى تبرجاً وقبحاً! (معارضة لرشيد سليم الخوري)	الوافر	تعبُرينا	32
6	لا يلعبن بك الأمل (معارضة للشافعي يا صاحب الهم)	البسيط	قافية موحدة (الله)	37
7	لآلئ الشعر (معارضة لقصيدة عدنان النحوي)	البسيط	وأنوارا	38
8	لماذا سقط آل عَبَّاد؟ (معارضة للمعتمد بن عبّاد)	البسيط	الجماهيرا	46
9	لهذا انحنيت! (معارضة لقصيدة لماذا انحنيت؟ لقميحة)	المتقارب	اعتديتْ	53
10	ليل الهموم (معارضة لامرئ القيس)	الطويل	ولمّا ترقّ لي	60
11	أي بُني! (مُحاكاة للامية ابن الوردي)	الرمَل	من مُثُلْ	62
12	محاورة شعرية (محاكاة للمهلهل التغلبي – الزير سالم)	الوافر	يغارُ	77
13	مداعبة شعرية! معارضة للبارودي (لكل دمع جرى)	البسيط	والنوَبُ	79
14	مصطفى مصطفى! (معارضة لأحمد اليافعي)	مشطور الرجز	قافية منوعة	82
15	مع الله عز وجل (معارضة لعمر بهاء الدين الأميري)	المتقارب	كل البشرْ	93
16	هذا بعضُ ما أعيش! (معارضة للأميري: أين الضجيج ؟)	السريع	والطربُ	98
17	المسألة مسألة كرامة – معارضة للشاعر حامد زيد	الكامل	صِياني	101
18	من وحي العيد (معارضة للمتنبي 2: عيد بأية حال)	البسيط	والبيدُ	108
19	ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لشوقي: ولد الهدى)	الكامل	الغناءُ	110
20	نشيد أفلا يأتي! (معارضة لنشيد تراثي قديم)	المتدارك	قافية منوعة	127
21	نهج نهج البردة 1425هـ 2 (حوار مع القلم) (معارضة للبوصيري)	البسيط	نهرُ دمي	130
22	نهجُ العمرية (معارضة لعمرية حافظ إبراهيم)	البسيط	أهديها	139
23	هل لك سر عند الله؟ (معارضة لعجلان ثابت)	المتدارك	مولاهْ	145
24	إنْ هم إلا كالأنعام (معارضة لشوقي: خدعوها بقولهم حسناء)	الخفيف	البلاءُ	147
25	وإن تطيعوه تهتدوا (معارضة لمنذر سرميني: رسول الله)	الوافر (سطر شعري)	للعُرْبِ	150
26	في وداع رمضان (معارضة لشوقي: رمضان ولى)	الكامل	أعماقي	152
27	يا جارة الوادي اليمنية! 1 (معارضة لشوقي: يا جارة الوادي)	الكامل	من رؤياكِ	154
28	يا جارة الوادي اليمنية! 2 (معارضة لشوقي: يا جارة الوادي)	الكامل	لنداكِ	156

29	إليك يا فتاة الإسلام! (معارضة لقصيدة محمد عوّاد)	الكامل	وتندرِ	160
30	يا ليلَ الصب! (معارضة لعلي الحصري القيرواني)	المتدارك	موعدُهُ	173
31	أتظن أنك حينما أحرجتني؟ (محاكاة لنص مِهذل الصُّقور)	الكامل	بثباتي	177
32	اعتذار الراجحي! (معارضة لفواز الراجحي)	المتقارب	يأمُلْ	180
33	الطبل والتطبيل! (معارضة لقم للمعلم لشوقي)	الكامل	المخبولا	182
34	العِشق المهلك! (محاكاة للعبيدي)	الكامل	الاستسلامُ	186
35	المقابر تتكلم 9 ميت يعزي نفسه! (محاكاة لليس الغريب)	البسيط	مَرثية الوهنِ	189
36	أول القصيدة كُفر! (معارضة لابن هانيء)	البسيط	عِبادَه رزقا	207
37	تأبين محمد العيد آل خليفة (محاكاة لمحمد العيد)	البسيط	مِدرارا	210
38	جميل يرد على هناء (محاكاة للعبيدي عن المسلسل)	الكامل	والتلبيخا	218
39	حربٌ تُخَضبها الدماء! (محاكاة لنص أحمد عبد الحي)	الكامل	شمساً تُشْرقُ	221
40	حنانيك يا عبد الحي (محاكاة لنص أحمد عبد الحي)	الكامل	فؤادي	223
41	دموع المآقي في تأبين كريم العراقي (معارضة للعراقي)	الكامل	الآماقِ	225
42	رَدُّ سادةِ القبائل على اليَمامة! (معارضة للعبيدي)	البسيط	الرَّغَثُ	229
43	عائشة التيمورية خنساء العصر (معارضة للتيمورية)	الكامل	وكبيرُ	232
44	عيواظ محتجاً على العبيدي! (معارضة للعبيدي)	الكامل	عِيواظ	238
45	قالت رحابُ ، وقلتُ! (معارضة لرحاب المحمود)	الطويل	في نفسي	240
46	لماذا يا بخاري؟ (محاكاة للإمام الجُرجاني)	المتقارب	بمِداد الذهبْ	247
47	ما غابت الشمس! (محاكاة لنص نسرين بدر)	الكامل	ومن أمطارِ	270
48	مأساة سُليمى (محاكاة لنص الشاعرة العامرية)	الطويل	بقلبٍ مُعَذبِ	272
49	هداديك يا عامرية! (معارضة للشاعرة العامرية)	الطويل	أشجع النسا	274
50	مصر تتحدث عن نفسها! (معارضة لحافظ إبراهيم)	الخفيف	ومَجْدي	276
الـــفـــــ	ــــــــهــــــــ	ــــــــ	ــــــرس	300

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام (معارضاتي الشعرية لبعض الشعراء 2)

نبذة عن أحمد على سليمان عبد الرحيم

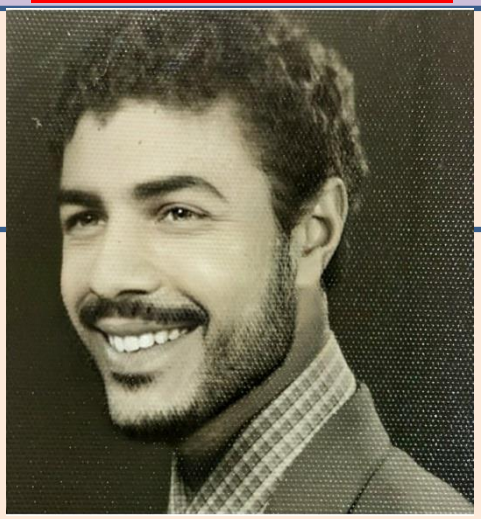

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية ـ محافظة بورسعيد ـ تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية ـ جامعة المنصورة ـ مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة ـ الكولة ـ مركز أخميم ـ محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية ـ لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى ـ بتوفيق الله – سبحانه وتعالى ـ!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
3 ـ سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 ـ ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
17 – منار الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وخَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
26 – وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).
27 – يا شعرُ كن لي شاهداً! (ديوان شعر)

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 ـ قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية وشعرائها: عنترة بن شداد العبسي.
3 ـ السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 ـ ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم ـ!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصهراً
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى
21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء
24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
25 – أبجديات شعرية
26 – الشعر رحِمٌ بين أهله
27 – الله يرحمُ مُزنة
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم الميّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – تلميذي البار شكراً!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلم وفه التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
55 – رسالة إلى دائنة!
56 – رضيعة الحاوية (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – يا جارة الوادي اليمنية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
74 – لصوص القريض
75 – لقاؤنا في المحكمة
76 - لوعة الرحيل
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهمُ الله -)

80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال
4 – أمتي الغائبة الحاضرة
5 – أنات محموم وآهات مكلوم
6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية والرد عليها
8 – رمضان شهر الخير والبركة
9 – عندما لا نجد إلا الصمت
10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
15 – رسائل سليمانية شعرية
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2&3)
20 – عندما يُثمر العِتاب
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره
24 – مساجلات سليمانية عشماوية
25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العلل والداءات
30 – الصعيد مهد المجد والسعد
31 – الضاد بين عدو وصديق
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
33 – الغربة دُربة على الطريق

34 – الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 – اللغة العربية وصراع اللغات
37 – اللقيط بريءٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال
41 – الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم
43 – أمومة وأمومة
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 – بين الفتنة والفطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 – من أناشيد الأفراح
64 – نحويات شعرية
65 – نساء صَقلتهن العقيدة
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أخرْتُ عمّنْ هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (1&2&3)
121 – القصيدة الزينبية 2
122 – شمس العرب تسطع على الغرب!
123 – تحيتي لموقع الشعر والشعراء!
124 - الخلق والعلم معاً - الأستاذ محمد الكيلاني!
125 - الشعر حنينٌ ورنينٌ وأنين!
126 - امرأتان من صعيد مصر! (هاجر&مارية)
127 - إنها تذكرة!
128 - زواجٌ بالإكراه!
129 - شِعرٌ يؤبّنُ صاحبَه!
130 - وهل من مات يعود إلى الدنيا؟!
131 - محاكاة لامية ابن الوردي!
132 - امرأة تزوجتْ رجلين!
133 - تحية للأستاذ مهدي سعد زغلول (معلم اللغة العربية بمدرسة كفر سعد الثانوية)
134 - أصابَكَ عشقٌ أم رُميتَ بأسهم؟ (محاكاة ليزيد بن معاوية)
135 – مروءة ولى زمانها!
136 – مكافأة لا قِصاص! (عمر بن عبد العزيز)
137 - أحب الصالحين! (محاكاة للشافعي وأحمد)
138 – زلزال تركيا المدمر!
139 - المقابر تتكلم 2 – (نصيحة لزائري القبور)
140 - المقابر تتكلم 3 – (وصية أصحاب القبور)
141 – المقابر تتكلم 4 – (حوار بين ميتٍ وقبره!)
142 – دمه وماله وعِرضه!
143 – سعة علم أبي يزيد البسطامي!
144 – رمضان أشرقْ!
145 – يا شعرُ كن ليَ شاهداً!
146 – المقابر تتكلم 6 (العفو عند المقبرة)

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة مختلفة الموضوعات ومتنوعة في الكم والكيف!

سادساً: الكتب المحققة والمخرّجة

الحب بين المشروعية والضلال كتبه الأستاذ حمدي محمد سعد ماضي (المحامي) وحققه وخرجه أحمد سليمان

سابعاً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)

2. Reading Drills (1-50)

3. Reading Quizzes (1-111)

4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

6 - Conversation Skills

7 - Correction Exercise (1-100)

8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

9 - Grammar Tasks (1-77)

10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond’s Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!

Teaching English - Arabic and Religion only to the foreign students

Academic Rank	Teacher - Coordinator – English - Programmer – Poet - Writer
Degrees	Bachelor of Arts .Department of English and its Literature , Mansoura University – Egypt , May 1985.
Research field	Teaching English as a first language. Teaching social studies. Teaching Arabic using Arabic or English. Teaching French. Teaching Social Studies to Non-Arabs .Teaching Literature
Publications	1. The Basics of Education. (Criticism) New Education Magazine 2. Education Yesterday, Today and Tomorrow. Forum 3. Modern technology and Education. Usual Reader 4. The Best Qualities of a good teacher. Forum 5. How to teach Vocabulary. (Criticism) Forum 6. How to teach a song. Forum 7. How to teach a short story. Usual Reader 8. How to study English with your son. Usual Reader 9. How to present general information. Usual Reader 10. Skimming Reading and Scanning Reading Skills. 11. William Hazlet as a critic. 12. Aldous Huskily as a critic.

	13. Styles of translation. 14. How to teach Grammar. 15. Writing Operation Skills. 16. The Listening Lesson. 17. Glorious Classroom Management. 18 – How to prepare your exam paper.
Courses taught **(last 3 years)**	1. Straight Planning (European System) 2. Strategic Planning (American System) 3. Poor Students Evaluation. 4. Education Theories. 5. Scientific Research Results. 6. The Successful Education. 7. Advantages of Culture and disadvantages of it. 8. Roles of Computers in Educational Operation. 9. English away from Classroom. 10. How to test your students.

Employment	* English Teacher from 1986- 1990 in Egypt (Secondary Stage) * English Teacher since 1996 in Ajman (Primary Stage) * English Teacher since 2008 in UAQ (Preparatory Stage) * English Teacher since 2009 in RAK (Preparatory Stage) * English Teacher and English Coordinator since 2010 till today in the (American English) in the American Department. For the upper grades from 7 , 8 , 9 American.

Honors and Awards	1. Appreciation Certificate from faculty of Arts 1985 in Translation. 2. Appreciation Certificate from Secondary Institute in 1986. 3. Appreciation Certificate from Al-Rashidiah School in 1993 4. Appreciation Certificate in 1998. 5. Appreciation Certificate in 2008. 6. Appreciation Certificate from Modern School in 2009. 7. Appreciation Certificate from National School in 2010. 8. Arabic Protection Community 2004.
Volumes of Poetry	1 – The End of the Road 2 – The Confident Man 3 – The Hours of the Sunset 4 – The Bloody Snail 5 – A Tone on the Love's Wall 6 – The Perfume Aspiration 7 – The Tendency of Memories (Part One) 8 – The Upper-Egyptians had arrived! 9 – The Surrendering of the Beauty 10 – The Shoes Woman-Cleaner 11 – Patience Tears 12 – Blaming and Complaint 13 – Say frankly without Simulation 14 – Poetry is my Rosary

	15 - Yemeni Young Girl 16 – Azzah, the Lady of Goodness 17 – The Beacon of Goodness 18 – Estrangement, Bayonet and Sadness 19 – The Two Women –doctors 20 – I wander of the Ability of Allah, The Al-Mighty 21 - The Gentlemen of the Sacred Land 22 – Like the One who catches Fire! 23 - The Tendency of Memories (Part Two) 24 – The Rain betrays you! 25 – Poetry is a Merciful Mother among Poets! 26 – Bye Bye , My Poetry!
Other Literary Books	1 – Stylish Reading in the Poetry of Hassan Bin Thabit Al-Ansari – May Allah Be Pleased with Him -. 2 - Stylish Reading in the Poetry of Antara Bin Shaddad Al-Absi. 3 – The Story life and the Self-Road 4 – Ahmad Solaiman's Life